

مَقَاتِلُ الْحَسَنِاتِ

لِلْخَوَارِزْمِيِّ

أَبِي الْمَوْزِي الْمَوْفِقِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَكِّيَّ الْأَخْطَبِ مُنَازِعِ

الْفَتْحَاءِ سَنَةِ ٥٦٨ هـ

تَحْقِيقُ
الْمَلِكِ الْيَسَّافِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيِّ

تَصْحِيفُ
دَارِ أَنْوَارِ الْهَدْيِ

مَقَاتِلُ الْحَسَنِاتِ



تلفن : ۷۴۲۳۴۶ فاكس : ۷۳۷۸۷۰

ایران، قم، ارم، باساج القدس الطابق الأرضي، رقم ۵۷

ص . ب ۳۷۱۷ / ۳۷۱۸۵

سید حیدر الموسوی

ISBN: 964-6223-01- X

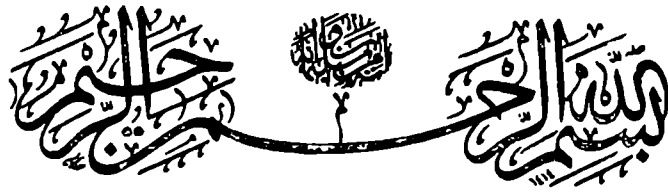
شابك: X- ۰۱- ۶۲۲۳- ۹۶۴

هویة الكتاب

اسم الكتاب : مقتل الخوارزمي (ج ۱ - ج ۲)
تأليف : ابي المؤيد الموفق ابن احمد المكي
تحقيق : شيخ محمد سماوي
الطبعة : الاولى / ۱۴۱۸ هـ ق
الناشر : انوار الهدى
صف وتنضيد الحروف : قاسم عدنان الحسيني
العدد : ۱۲۰۰ نسخة
عدد الصفحات : ۶۷۰
المطبعة : مهر
القطع : وزيري

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

مقدمة الناشر



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ خير
الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

إن مأساة الامام الحسين ﷺ هزّت الوجدان الانساني ، وتوهجت في
أحاسيس المسلمين ووعيمهم الجماعي ، وأحرقت ضمائرهم وأدمت قلوبهم ،
وجرحت مشاعرهم النبيلة ، وأسالت قنوات دموعهم المتدفقة بغزارة
وحرقة ، وأقضت مضاجع آل بيت الوحي والرسالة وأثارت هواجسهم ،
وأرقت محبيهم من كل الطوائف الاسلامية من مختلف الملل والنحل ،
المؤمنة برسالة جدهم المصطفى خاتم الانبياء والمرسلين ﷺ .

وقد أحدثت هذه الواقعة الشجية - ولا زالت - جروحاً في النفوس النقية
لا تندمل ، وكلما تجدد سقف الزمن تزداد مساحة هذه المأساة أسىً ولوعة ،
وآفاقها سموً وفخراً . وسبق لجده طه الامين ﷺ منقذ البشرية وقائد الأمة
الاسلامية الاعلى ان قلّده وسام استحقاق النسب الشريف والجهاد المقدس
حينما قال : «حسين مني وأنا من حسين» وهذا الحديث شهادة البداية

والديمومة للدين الاسلامي الحنيف، حيث بدايته بالرسالة المحمدية المقدسة وديمومته بالشهادة الحسينية المباركة ومآسيها والتي بعثت بتضحيته بكيانه الانساني المقدس ﷺ وأهل بيته وخيرة أصحابه سر حياة الاسلام وبقائه. ولسان حاله يردد مع دورة الزمن (إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني) لأن الحسين ﷺ حمل هموم أمنه وأوجاع الناس ومعاناتهم في قلبه ووجدانه وأحلامه وآماله النازرة الى واقعهم السيء، والمتطلعة الى مستقبل الاسلام المشرق وإقامة حكومة العدل الإلهي، حيث عبّر عن ذلك أصدق تعبير عندما قال: (إنني لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد ﷺ). وكانت تجربة الطف الرائدة تحمل حرارة صدق الجهاد ووضوح رؤيته النضالية فكان لهذه التجربة صداها الواسع على امتداد مراحل التاريخ والتي التصقت بالحدود العالمية للجهاد الصادق واستحقت أن تصدر عناوينه العالمية أيضاً.

إنَّ كتاب مقتل الامام الحسين ﷺ لمؤلفه الموفق محمد بن أحمد المؤيد أبي سعيد اسحاق المكي الحنفي الخوارزمي يعتبر بحق وثيقة تاريخية ترصد أحداث الرزية الكربلائية وتؤرخ وقائعها المفجعة بموضوعية متميزة، لا سيما وقد سجلت بقلم مؤرخ قدير ولغوي بارع، وان القدر المتيقن في التراجم التي ترجمت له من قبل رجال الحديث المشهورين، تشهد بنزاهته وإنصافه بهذا الصدد.

وقد تضمن هذا الكتاب مآثر أهل البيت الأطهار ﷺ وفضائلهم في قسمه الاول وتفاصيل موجزة عن سيرتهم العطرة، وتضمن القسم الآخر صور مروعة من مقتل السبط الشهيد وأنصاره، والذي رافق مسيرته التاريخية وخروجه من مدينة الوحي المنورة الى ساعة استشهاده على رمضاء

الآلم الكربلائي التي تعبق بأريج الشهادة الفواح، والمطرزة بدماء الأحرار الأبرار، والندبة بفيض دموع الولاء والانتماء، والتي تقبع تحت خيمة الحزن السرمدي حتى قيام الساعة.

ونظراً لفضاعة المأساة وشموليتها، وأهمية هذا المقتل الجليل وإلحاح جمهور من محبي سيد الشهداء عليه السلام والمتلهفين الى طلب الاستزادة من الاغتراف من مصادر تاريخ الحدث الحسيني الجلل ليكون لهم عبرة وعبرة وذكرى، وينهلوا من معين الواقعة الفارحة معاني التضحية والبطولة والفداء والاصلاح الاجتماعي والوقوف بوجه الطغاة ومقارعة الظالمين في كل زمان ومكان كل هذه العوامل وغيرها وندرة المطبوع من نسخته السابقة في المكتبات، وبغية إظهاره بحلة قشبية تتناسب وأهمية هذا الكتاب التاريخية وتيسيره للدارسين والخطباء وعشاق المنبر الحسيني المقدس، فقد بادرت دار (أنوار الهدى) الى طبعه بعد بذل الجهود الفنية في خبط نصوصه ومقابلتها مع النسخ المطبوعة سابقاً وتصحيح الأخطاء اللغوية والتاريخية قدر المستطاع وطباعته بحروف جديدة، وقد أخذت على عاتقها طبع هذا الكتاب، والذي يعتبر إضافة نوعية جديدة الى مكتبة أهل البيت عليهم السلام، والتي ما انفكت هذه الدار عن نشر كل مايتعلق بتاريخهم وفضائلهم وعلومهم وآدابهم، أفراحهم وأتراحهم.

وستبقى هذه المأساة المؤلمة حلمنا الآتي ليوم الخلاص العظيم والآمال المتجددة للتحرير من الظلم تحت راية صاحب الأمر والزمان (عج)، والله من وراء القصد وهو المستعان في كل الأمور إنه أرحم الراحمين.

دار

أنوار الهدى

رمضان المبارك ١٤١٨ هـ ق

مقدمة المحقق

بقلم: العلامة الجليل والمحقق الكبير
الشيخ محمد الشيخ طاهر السماوي

أما نفس الكتاب فهو غني عن التعريف لشهرته، نقل عنه جماعة منهم ابن حجر في لسان الميزان، وابن الوزير اليماني في الروض الباسم، وقال فيه: وهو عندي في جزئين، واستقصى السيد العلامة صاحب العبقات في المجلد السادس ذكر حاله ومن نقل عنه، وكل هذه الكتب مطبوعة في حيدرآباد ومصر والهند.

وأما نسخته فإني استجلبتها من تبريز للإستنساخ عليها وكان كتبها السيد الفاضل السيد محمد المهدي بن علي بن يوسف الحسيني الطباطبائي سنة ست وثلاثمائة وألف من الهجرة على نسخة بخط السيد العالم الفاضل محمد بن الحسين العميدي النجفي، كتبها سنة ست وثمانين وتسعمائة في قزوین وكانت هذه النسخة التي بخط محمد المهدي الطباطبائي سمعت بها قبل عشر سنين وأنها موجودة في تبريز، فكلفت جملة من الأفاضل باستنساخها لقلّة وجودها أو لعدمه في العراق فلم يتهياً لي ذلك فبقيت

مشغوفاً بها حتى هيا الله تعالى لي العلامة الفاضل الجليل الشيخ عبدالحسين ابن الشيخ أحمد الأميني التبريزي صاحب شهداء الفضيلة والغدير وغيرهما سلمه الله، فذاكرته بهذا الكتاب فوعدني أن يكلف من يستنسخه على يد والده الفاضل الشيخ أحمد الأميني سلمه الله، ولتقاه وجهه آل بيت الله كتب إلى أبيه وأكد فما هو إلا أن استعاره أبوه للإستنساخ ثم عزم على زيارة النجف فاستأذن من صاحبه أن يصحبه ذهاباً وإياباً وضمن له سلامته فأتى به وتفضل علي بأن استنسخه بيدي ويبقى مدة الإستنساخ ثم يعود به إلى صاحبه .

فاستنسخته في شهر بحمد الله ومنه فجاءت هذه النسخة صحيحة كاملة وذلك لأن الكاتب الثاني السيد محمد المهدي كان حسن الخط والمعرفة فزاد فيها بعض أخبار نقلها من كتب ولكن كان يكتب على الخبر المزيد في أوله : قال الكاتب، ويذكر الزيادة ثم يقول انتهى، ويذكر الأصل بسنده، على أنه لو لم ينه هذا التنبيه لعلم، فإنه يروي عن كتب معلومة لم يكن فيها سند، والمقتل المذكور بأخبار أسندها الموفق، فمن حصل له هذا الكتاب فهو مدين بالفضل لمن جاء به من تبريز والله يجزيه الجزاء الأوفى عن سعيه وما ذلك على الله بعزيز .

وأما التعريف بمصنف هذا الكتاب فهو أبو المؤيد الملقب بصدر الأئمة، وبأخطب خوارزم، وبخليفة الزمخشري، الموفق محمد بن أحمد المؤيد بن أبي سعيد إسحاق المؤيد المكي الخوارزمي، كما ذكر صاحب كتاب الفوائد البهية في طبقات الحنفية وصاحب التعليقات عليها المطبوعين بمطبعة الخانجي في مصر قالاً فيهما: ولد سنة أربع وثمانين وأربعمئة، وقرأ على أبيه وغيره وطاف في طلب الحديث بلاد فارس والعراق والحجاز ومصر والشام وكاتب

العلماء فأجازوه وأجازهم - كما ستطلع عليه من سند حديثه - وخطب في خوارزم، وتلمذ على الزمخشري في العربية، وتضلّع فيها فكان يقال له خليفة الزمخشري، وتلمذ عليه جماعة منهم: ولده أحمد المؤيد، ومنهم ناصر الدين المطرزي صاحب المغرب في اللغة المطبوع في حيدرآباد، وشرح مقامات الحريري المطبوع في إيران، وذكر في الثاني في ترجمة أويس رواية عنه مفخماً له غاية التفخيم، وكما ذكره السيوطي في البلغة المطبوعة في مطبعة الخانجي بمصر باسم الموفق.

ونقل عن القفطي والصفدي له مديحاً وإعجاباً بفضله.

ونقل عن كتابه هذا صاحب الروض الباسم، وصاحب كفاية الطالب، وصاحب الفصول المهمة، وصاحب الصواعق، وكل مطبوع متلقى بالقبول وصاحب لسان الميزان في ضمن بعض مشايخه مضعفاً له، ومن الغريب أنه يضعف مثل راوي حديث الطير، والتشبيه بالأنبياء، وباب مدينة العلم، وهذه الأحاديث يرويها كثير بطرق متعددة، وأغرب من هذا أنه يجعل سبب التضعيف الرواية نفسها.

وللموفق من المصنفات:

١- كتاب الأربعين في أحوال سيد المرسلين ﷺ، ذكر في هذا الكتاب.

٢- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، مطبوع في إيران.

٣- مناقب أبي حنيفة، مطبوع في الهند في جزئين.

٤- مقتل الحسين عليه السلام في جزئين، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك.

٥- مسانيد على البخاري وغيره، ذكرت ولم أقف عليها.

وكل من ذكر الموفق ذكره بالشعر، وأنا أذكر لك من شعره الذي ذكره

هو في المناقب الأولى والثانية في مديح أمير المؤمنين عليه السلام وفي مديح أبي

حنيفة النعمان بن ثابت، وما ذكره ياقوت الحموي في ترجمة بعض مشايخه
منتخباً أبياتاً تستدل بها على منهجه، فمن ذلك قوله في مدح أمير
المؤمنين عليه السلام ذكره في آخر مناقبه من قصيدة طويلة:

هل أبصرت عيناك في المحراب	كأبي تراب من فتى محراب
لله در أبي تراب أنه	أسد الحراب وزينة المحراب
هو ضارب وسيوفه كثواقب	هو مطعم وجفانه كجواب
لولا علي ما اهتدى في مشكل	عمر ولا أبدى صواب جواب

وقوله في مديحه عليه السلام أيضاً من قصيدة طويلة:

ألا هل من فتى كأبي تراب	إمام طاهر فوق التراب
إذا ما مقلتي رمدت فكحلي	تراب مس نعل أبي تراب
هو البكاء في المحراب لكن	هو الضحاك في يوم الحراب
هو المولى المفرق في الموالي	خزائن قد حواها بالحراب
ونازع صهره الطير المهادي	وكاد يرد منه عند باب

وقال في مديحه عليه السلام من قصيدة طويلة أيضاً:

لقد تجمع في الهادي أبي حسن
ما قد تفرق في الأصحاب من حسن
ولم يكن في جميع الناس من حسن
ما كان في المرتضى الهادي أبي الحسن
هل سابق مثله في السابقين فقد
جلى إماماً وما صلى إلى وثن

وقال في مديح أبي حنيفة النعمان بن ثابت من قصيدة طويلة، ذكرها

في مناقبه:

ما لنعمان في الأنام نظير دوح فتيه ذو ثمار نضير
كل ذي إمرة أسير هواه وهواه له أسير اسير
علم فتواه والهجد منه في لياليه روضة وغدير

وقال في مديح أستاذه الحسن بن أحمد الهمداني من قصيدة ذكرها
باقوت الحموي في ترجمة الحسن المذكور:

حفظ الإمام أبي العلاء الحافظ بالرجل ينكت هام حفظ الجاحظ
ما أن رأينا قبل بحر الشيخ من بحرطفوح باللئالي لامظ
كم واعظ لي أن أجاوز مدحه لو كان ينفع في وعظ الواعظ

وله شعر كثير، وتوفي في خوارزم سنة ثمان وستين وخمسمائة أو
نسع كما نقله صاحب التعليقات، ومن أراد إستقصاء حاله فعليه بالعبارات
فإنها استغرقت من صفحة (٢٧٨ إلى ٣١٢). أو بكتاب الغدير فإن العلامة
الأميني في آخر المجلد الرابع قد ترجمه هنالك بما لا مزيد عليه فذكره وذكر
مشايخه وتلامذته، وفصل في ذلك تفصيلاً لا يستغنى عنه، فليراجعه من
شاء يجد ترجمته مذكورة من صفحة (٣٤٠ إلى ٣٤٩).

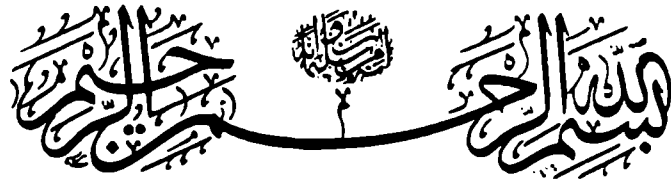
وأما ناشره بالطبع فجماعة مقدمهم الشريف الفاضل الذكي الزكي
الحامي السيد محمد رضا آل السيد سلمان النجفي العريق نسباً وحسباً فإنه
من ذرية السيد العلامة المقدّس السيد هاشم الشهير بالخطاب من سلالة
السيد النقيب فخار بن معد العلوي، والشيخ الفاضل الشيخ هادي نجل
العالم الشيخ عباس من سلالة الشيخ أسدالله صاحب المقاييس، وصاحب
مطبعة الزهراء النجفية الفاضل ميرزا الخليلي من سلالة الميرزا خليل الرازي
النجفي المشتهرة بعلمي الأديان والأبدان، فجزاهم الله عن مودة القربى خير
جزاء المحسنين وجعل ذلك العمل الصالح ذخيرة لهم في العقبى يوم الدين

وحق لهم أن ينشروا مثل هذا المقتل المفصل فإنّ المقاتل القديمة المفصلة كمقتل أبي مخنف لم يبق منها شيء إلا ما نقله الطبري والجزري وأمثالهما في ضمن كتبهم، فأما أعيانها فلم يبق منها لأن مقتل أبي مخنف لم يوجد منذ خمسة أو ستة قرون وكذلك أمثاله .

وأما هذا المقتل القديم، المفصل المروي بالإسناد المعنعن عن الأفضل فالأفضل، فلم يوجد بالأيدي مثله، فهو الكنز الدفين آثاروه، والكوكب الخفي أظهوره وأناروه، وهذه يد لهم على كل من احب النبي المصطفى وآله الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)، ونعمة أسدوها على محبي الحسين عليه السلام، والمتعطشين إلى ذكره على الكمال والتمام، فلنشكر يدهم البيضاء، وليدع محب الحسين لهم بأحسن الجزاء، على إسداء هذه النعماء، وقد قلت في تاريخ طبع هذا الكتاب الثمين، وأسماء ناشريه للمحبين:

أبهج قلب المصطفى المرتضى	وفاطم الزهراء محمد الرضا
بطبع تأليف الموفق الذي	حاز به الفضل وأدرك الرضا
في مقتل الحسين سبط المصطفى	ومهجة الزهراء وقلب المرتضى
واشترك الهادي وميرزا معه	فنهضا بما له قد نهضا
فقل لمن يسأل عن تاريخه	(طبعه ميرزا وهاد ورضا)
	سنة ١٣٦٧ هـ . ق

النجف الأشرف
الشيخ محمد السماوي



مقدمة المؤلف

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وأخصُّ بالصلاة والسلام نبيه المصطفى، وأوجه الرضوان إلى ذريته أولاد فاطمة البتول، وعليَّ المجالد الصوول، يوم نطاح الكباش والوعول، الذين لحمهم لحم الرسول، قد جعل الله سيرهم حججه على كاهه الأنام، وصيرهم أسنمة أئمة الإسلام، الداعين إلى دار السلام، ورحض عنهم الدنس ووقَّهم توقيراً، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأفترض مودَّتهم على الخلق وجعلها من جملة الإيمان، وأمرنا بها من تارج بقدمه الحرمان، ونزَّلت الملائكة لنُصرتَه يوم التقى الجمعان، كما في سورة «الشورى» من القرآن على ما قال عزَّ من قائل حكاية عنهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى/ ٢٣.

روي: أنه لما نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجب علينا مودَّتهم؟ فقال ﷺ: «عليٌّ وفاطمة وابناهما».

وحديث «المباهلة» يؤكدها ويعضدها ويؤيدها، وهو ما أخبرنا الشيخ الصالح العالم الأوحّد عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي الهروي - ببغداد - منصرفي من السفارة الحجازية على شط دجلة، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى؛ وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي (رحمهم الله) ثلاثتهم، عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن الإمام الحافظ أبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي، قال: أخبرنا قتيبة، قال: أخبرنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً^(١) فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟

قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبّه لئن يكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حُمُر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ وخلفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ عليه السلام: «يا رسول الله! أتخلفني مع النساء والصبيان؟» فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوة بعدي»، وسمعت يوم خيبر يقول: «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» فتناولها لها فقال: «ادعوا لي عليّاً» فأتى وبه رمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، وانزلت هذه الآية: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران / ٦١، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً (عليهم الصلاة والسلام)

(١) هكذا في جامع الترمذي وفيه اجمال وتفصيله أمر معاوية بسبّ علي فامتنع سعد فقال له، الخ.

فقال : «اللَّهُمَّ ! هؤلاء أهلي» .

وأخبرنا الشيخ الثقة العدل الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن نصر الزاغوني - بمدينه السلام - ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلف الباقرحي ، قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن علي بندار ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان ، قال : أخبرنا : أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي ، قال : أخبرني أبي أحمد بن عامر بن سليمان ، قال : حدَّثني أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : «حدَّثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدَّثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدَّثني أبي محمد بن علي ، قال : حدَّثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدَّثني أبي الحسين بن علي ، قال : حدَّثني أبي علي بن أبي طالب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ وَلاَهُلِكَ وَشِيعَتِكَ ، وَمُحِبِّي شِيعَتِكَ وَمُحِبِّي مُحِبِّي شِيعَتِكَ ، فابشِرْ فَإِنَّكَ الانزع البطين ، منزوع من الشرك ، بطين من العلم» .

وأخبرنا الإمام الأجل الكبير أخي سراج الدين ركن الإسلام شمس الأئمة إمام الحرمين أبو الفرج محمد بن أحمد المكي (رحمة الله عليه) ، قال : أخبرنا الإمام الزاهد أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل ، قال : أخبرنا السيد الإمام الأجل المرشد بالله أبو الحسين يحيى بن الموفق بالله ، قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف الواعظ ، قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن حماد المعروف بـ - ابن ميثم - ، قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، قال : حدَّثني أبي جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد ، عن أبيه محمد ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي

الباقر، عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن علي الشهيد عليه السلام، قال: «سمعتُ جدِّي رسول الله ﷺ يقول: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَى حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مِيتَتِي، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَذُرِّيَّتَهُ الطَّاهِرِينَ، أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابِ الْهَدَى إِلَى بَابِ الضَّلَالَةِ».

وأخبرنا العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، قال: أخبرني الأستاذ الأمين علي بن مردك الرازي، قال: أخبرنا الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد أحمد بن محمد المالني - بقراءتي عليه -، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن حيان الديرعاقولي، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن حفص الأشثاني، قال: أخبرنا محمد بن يحيى الفارسي، عن سليمان بن حرب، عن يونس بن سليمان التيمي، عن أبيه، عن زيد بن يثيع، قال: سمعت أبا بكر الصديق قال: رأيتُ رسول الله ﷺ خيمَ خيمة، وهو يتكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام، فقال: «معشر المسلمين! أنا سلمٌ لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة».

فقال رجل: يا زيد! أنت سمعت منه؟ قال: إي، ورب الكعبة.

وأنبأني مهذب الأئمة أبو المظفر عبد الملك بن علي الهمداني - نزيل بغداد -، قال: أنبأنا محمد بن الحسين بن علي المقرئ، قال: أخبرنا محمد ابن محمد بن أحمد الشاهد، قال: أخبرنا هلال بن محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الحلواني، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق المقرئ، قال: أخبرنا علي بن حماد الخشاب، قال: أخبرنا علي بن المديني،

قال: أخبرنا وكيع بن الجراح، قال: أخبرنا سليمان بن مهران، قال: أخبرنا جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، علي مبغضهم لعنة الله».

ومما قلته في أهل البيت ﷺ:

يزيد لظى ^(١) قد رام أن يتسفلوا	وأن يتردوا في مهاوي المعاطب
وقد رشح العدل المهيمن حالهم	بمنزلة قعساء فوق الكواكب
فضائلهم ليست تُعد فتتهدى	وإن عدت يوماً قطار السحاب

ومن خذلان مبغضهم المستحكم القواعد، وادبارهم المستحصف المقاعد، وغوايتهم التي حشرتهم إلى دار البوار، وشقاوتهم التي كبتهم على مناخرهم في دركات النار، أن حملهم بغض أحباء الله وأحباء رسول الله، على أن أنكروا أولاد علي من فاطمة أولاد الرسول، فمن أولئك الحجاج المحجوج، الحقود اللجوج، على ما أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ زين الدين والائمة علي بن أحمد العاصمي، قال: أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل ابن أحمد، قال: أخبرنا والدي - شيخ السنة - أحمد بن الحسين البيهقي، قال: أخبرنا أبو الحسين ابن بشران العدل - ببغداد -، قال: أخبرنا أبو عمرو ابن السماك، قال: أخبرنا حنبل بن إسحاق، قال: أخبرنا داود بن عمرو، قال: أخبرنا صالح بن موسى، قال: أخبرنا عاصم بن بهدلة، عن يحيى ابن يعمر العامري، قال: بعث إلي الحجاج فقال: يا يحيى! أنت الذي تزعم أن ولد علي من فاطمة ولد رسول الله ﷺ؟ قلت له: إن امتني تكلمت،

(١) بالاضافة اي يزيد النار.

قال : فانت آمن .

قلتُ : أقرأ عليك كتابَ الله عزَّ وجلَّ إِنَّ الله يقول : ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا﴾ إلى قوله : ﴿وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ الانعام / ٨٤-٨٥ ؛ وعيسى كلمة الله وروحه ألقاها إلى البتول العذراء ، وقد نسبته الله تعالى إلى إبراهيم ، قال : ما دعاك إلى نشر هذا وذكره ؟ قلت : ما أوجب الله تعالى على أهل العلم في علمهم : ﴿ليبيننه للناس ولا يكتُمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ آل عمران / ١٨٧ .

قال : صدقت ، لا تعودن لذكر هذا ولا نشره .

وكان رسول الله ﷺ ، يقول : «كل بني أم يتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإنني أنا أبوهم وعصبتهم» ، والأخبار في أن رسول الله ﷺ كان يسمي - الحسن والحسين - ابنيه ، كالحصا لا تعد ولا تحصى ، وقد ابتلي المكابر الحجاج ، بالمحجاج - يحيى بن يعمر - المؤيد من الله بالجواب الصواب ، الذي أوتي عند سؤاله فصل الخطاب ، ومن ثقابة فهمه ، وغزارة علمه ، أن أخذ بكظمه ، حين تلا عليه آية فيها : أن عيسى من ذرية إبراهيم ، وهو يُدلي إليه بأمه ، فألقمه جندلة حجته ، فدمت ^(١) مجرى أنفاسه ، وأوضح له الحجة مثل موضحة رأسه ، وتركه يهيم في وادي وسواسه ، لعن الله الحجاج وكل ملعون من نسله ، وكل من انضوى الى حفله ، واحتطب في حبله ، من مبغضي أهل البيت ، ولعن الله من لم يلعن مبغضيهم ، وقاتليهم ، وسافكي دمائهم ، والذين أعانوا على قتلهم ، وأشاروا إليه ، ودلّوا عليه ، أليس قد عرف من دين الإسلام ، أن من دلّ على قتل صيد الحرام ، كمن قتل صيد الحرم في الأحكام فهذا حكم الله في الدال على صيد الحرم ، فكيف يكون

(١) لعله فكظمت .

حكم الله في من انتهك حرمة رسوله في الحرم، وسفك من دم سبط شفيع يوم العرض، ولم يكن حينئذ ابن بنت نبي غيره في بساط الأرض.

وانا لما عجزت لتأخير زماني عن المناضلة دونه وإراقة دمي والمثول بين يديه على قدمي، أحببت أن أجمع مقتله بلعاب قلبي، واطاعن دونه ودون ذريته باللسان، إذ لم أطاعن دونهم باللسان، واضارب قراهم^(١) بالبيان المساعد؛ إذ لم أضارب دونهم بالبنان والساعد، ليجدد مطالع مجموعي اللعن على قاتليهم، ويوجه اللائمة الى خاذليهم وخاتليهم؛ وليكون لي حظ في شفاعَةِ جدِّهم محمد المجتبي من بريته، مع الاولياء من ذريته، يوم ينادي المنادي من وراء حجب العرش: «يا اهل الموقف! غضوا ابصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد فتمضي في عرصات القيامة متلففة بثوب مخضوب بدم الحسين؛ فتحتوي على ساق العرش، ثم تقول: أنت الجبار العدل أقض بيني وبين قتلة ولدي، قال رسول الله ﷺ: فيقضي الله لبنتي ورب الكعبة، ثم تقول: شفعي فيمن بكى على مصيبتني، فيشفعها الله تعالى فيهم».

وكسرت هذا المجموع على خمسة عشر فصلاً:

الفصل الأول: في ذكر شيء من فضائل النبي ﷺ.

الفصل الثاني: في فضائل خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إيماناً بالله ورسوله ﷺ.

الفصل الثالث: في فضائل فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب عليه السلام.

الفصل الرابع: في انموذج من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) لعله عداهم.

ومن فضائل ذريته الطاهرين .

الفصل الخامس : في فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

الفصل السادس : في فضائل الحسن والحسين عليهما السلام .

الفصل السابع : في فضائل الحسين عليه السلام خاصة .

الفصل الثامن : في إخبار النبي ﷺ عن الحسين وأحواله فكان كما أخبر ﷺ .

الفصل التاسع : في بيان ما جرى بينه وبين الوليد بن عتبة ؛ ومروان بن الحكم، حال حياة معاوية وبعد وفاته .

الفصل العاشر : في بيان أحواله، مدة مقامه بمكة، وبيان ما ورد عليه من كتب أهل الكوفة، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومقتله بها .

الفصل الحادي عشر : في خروجه من مكة إلى العراق، وما جرى عليه في طريقه، ونزوله بالطف من كربلاء ومقتله بها (صلى الله عليه) ورزقنا شفاعته .

الفصل الثاني عشر : في بيان عقوبة قاتليه وخاذليه (صلى الله عليه) ولعن قاتليه .

الفصل الثالث عشر : في ذكر المصيبة به ومرثيته عليه السلام .

الفصل الرابع عشر : في زيارة تربته وفقنا الله لزيارته .

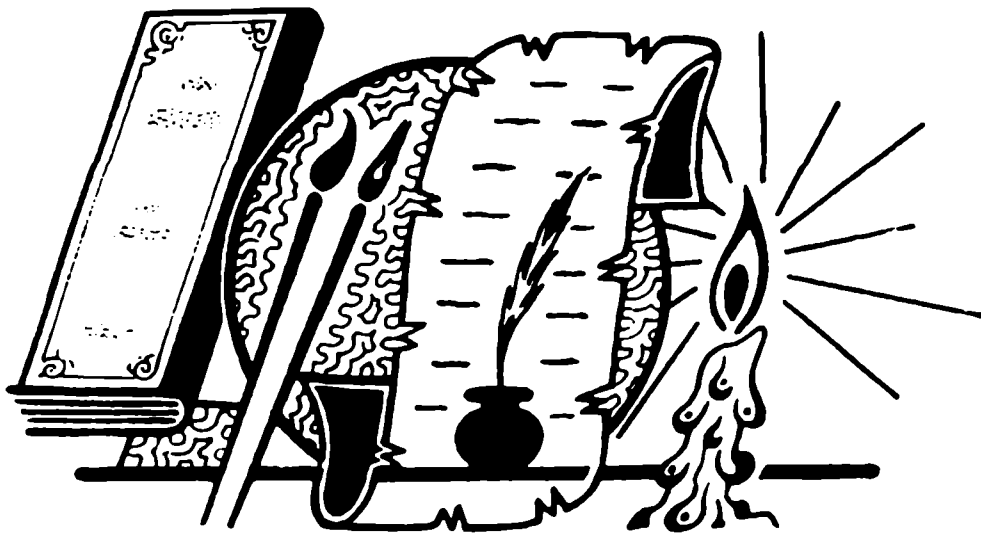
الفصل الخامس عشر : في إنتقام المختار بن أبي عبيد الثقفي (رحمه الله) من قاتليه وخاذليه (صلى الله عليه) ولعنهم لعنة يستحقونها .

وتوخيت أن أودع هذا المؤلف المعروف، ما لا يمجح سمع السماع،

وقصدت أن أحلي هذا المصنف المشنّف بما لا يرده جمع الإجماع، وأردت أن يرتفع مستطير الشعاع، مكشوف القناع، ولم المظه ما يرويه الغلاة، ولم أحبره بما يستلذه الغواة، وختمت مجموعي هذا بقصة المختار، الذي شفى صدور الأبرار، من تلك الأوتار، وبمقتل عبيد الله بن زياد الأبر، بصمصام إبراهيم بن الأشتر، لاطفىء من قلوب أهل الإسلام نائرة أرثها عصابة لا تنطفي في الآجلة نارها، واسترحض عار باغية لا يرحض في العاجلة عارها، حين استهانوا برد المعقول، وعصوا دواعي العقول، وباءوا من الله بالغضب والمقت، واستحقوا منه ما استحق أصحاب السبت، وإن استمرت في خلال ذلك للأشقياء جولة على السعداء، واستفحلت للبغاة وطاة على الشهداء، ليكرم الله تعالى منقلب ذريه الرسول ومآبهم. ويجزل لهم بالشهادة ثوابهم، ثم إن الله تعالى أرسل على عبيد الله بن زياد، صاعقة إبراهيم بن الأشتر الكمي ابن الكمي، والسري ابن السري، فأزهق نفسه، وكور شمسه؛ فاذاقه شطر وبال ما احتطب، وجزاء ما اكتسب، وجعل الذي بجبينه معصوباً، والسيف على رأسه مصبوباً، وسَلَّ عليه وعلى من انحاز إليه؛ من تلك الفرقة اللعينة، وضامه من تلك الجثث الخبيثة، سيفاً دامي الغرار، يحكم على رقاب هؤلاء الاغرار، ومد يده الطويلة الباع الى اجتياحهم، وأشرع رمحاً مسبوكاً من ريقة الرقشاء الى انتهاكهم، وطهر أديم الارض من أدناس هؤلاء العارمين الالين، وتركهم في مصابهم جاثمين، ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين﴾ الانعام/٤٥.

الفصل الاول

في ذكر شيء من فضائل النبي ﷺ



١- انباني شيخ الدين أبو الحسن عليّ بن أحمد بن حمويه الجويني ،
أخبرنا أحمد بن قتيبة الحروجردي ، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين
البيهقي ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله
العبدي ، أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي العوام ، أخبرنا بهلول بن المورق ،
أخبرنا موسى بن عبيدة ، أخبرنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ، عن الزهري ،
عن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبرائيل عليه السلام :
قلبت الأرض مشارقها ومغاربها ، فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، وقلبت
الأرض مشارقها ومغاربها ، فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم » .

٢- وأخبرنا الشيخ الصالح العالم العدل أبو الفتح عبد الملك بن أبي
القاسم بن أبي سهل الكروخي الهروي ، عن مشايخه الثلاثة : القاضي أبي
عامر محمود بن القاسم الأزدي ؛ وأبي نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى ؛
وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي (رحمهم الله) ثلاثهم ، عن أبي
محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ، عن أبي العباس محمد بن أحمد

المحبوبي، عن الإمام الحافظ عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا الحسين بن زيد الكوفي، أخبرنا عبد السلم بن حرب، عن ليث، عن الربيع، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا قُعدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر».

٣- وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا الحسين بن يزيد، أخبرنا عبد السلم بن حرب، عن يزيد بن أبي جالد، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبد الله بن الحرث، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى الحلة من حُلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري».

٤- وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا أبو عاصم، أخبرنا سفيان الثوري، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - حدثني كعب، حدثني: أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة» قالوا: يا رسول الله! وما الوسيلة؟ قال: «أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد أرجو أن أكون أنا».

٥- وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا ابن أبي عمر، أخبرنا سفيان، عن ابن جدعان، عن أبي نصر، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وييدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

٦- وبهذا الإسناد عن أبي عيسى الترمذي، أخبرنا علي بن نصر بن علي الجهضمي، أخبرنا عبد الله بن عبد المجيد، أخبرنا رفعة بن صالح، عن

سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً أن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً! وقال آخر: ماذا باعجب من كلام موسى كلمة تكليماً! وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه! وقال آخر: آدم اصطفاه الله!

فخرج عليهم فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نبي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يُحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر».

٧- أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ره)، أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام أبو علي الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزادي - بالري -، أخبرنا الشيخ الفقيه الزاهد أبو بكر طاهر بن الحسين بن علي السّمان، أخبرنا عمّي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السّمان الرّازي، أخبرنا أبو عمر؛ وعبد الواحد ابن محمد بن عبد الله الفارسي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن إسحاق المصري، أخبرنا الربيع بن سليمان المرادي، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني سليمان بن بلال، حدّثني العلاء، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الانبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً

ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي الأنبياء».

٨- وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا أبو نصر محمد ابن علي بن الحسين الخفاف، وعلي بن محمد بن أحمد بن يعقوب - قراءة عليهما - قالاً: حدَّثنا أبو عبد الله أحمد بن خالد، أخبرنا أبو سهل موسى ابن نصر، أخبرنا يعلى بن عبيد، عن أبي سنان، عن عبد الله بن مالك، عن مكحول، قال: كان لعمر على رجل من اليهود حق فاتاه فطلبه، فقال عمر: لا، والذي اصطفى محمداً على البشر لا أفارقك وأنا أطلبك بشيء، فقال اليهودي: ما اصطفى محمداً على البشر.

فلطمه عمر، فقال: بيني وبينك أبو القاسم، فجاءه فقال: إنَّ عمر قال: والذي اصطفى محمداً على البشر، فقلت: ما اصطفى محمداً على البشر فلطمني، فقال (صلى الله عليه): «أنت يا عمر! فارضه من لطمه. بلى يا يهودي! آدم صفي الله؛ وإبراهيم خليل الله؛ وموسى نجي الله؛ وعيسى روح الله؛ وأنا حبيب الله. بلى يا يهودي! تسمى الله باسمين سمي بهما أمتي: هو السلام وسمى أمتي المسلمين، وهو المؤمن وسمى أمتي المؤمنين. بلى يا يهودي! طلبتم يوماً ذخر لنا اليوم، وغد لكم، وبعد غد للنصارى. بلى يا يهودي! أنتم الأوَّلون ونحن الآخرون السَّابقون يوم القيامة. بلى يا يهودي! إنَّ الجنَّةَ محرمة على الأنبياء حتَّى أدخلها، وهي محرمة على الأم حتَّى تدخلها أمتي».

٩- قال: وفي «المراسيل» عن علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث طويل -: «إذا كان يوم القيامة فأوَّل مَنْ يقوم من قبره الصَّادق النَّاطق النَّاصح المشفق محمد عليه السلام فيأتيه جبرائيل بالبراق، وميكائيل بالتاج، وإسرافيل بالقضيب، ورضوان بالحلتين، ثمَّ ينادي جبرائيل: أين قبر

محمد ﷺ؟ فتقول الأرض: حملتني الرياح مع الجبال فدكتا دكة واحدة، فلا أدري أين قبر محمد ﷺ؟ فيرتفع من قبره عمود من نور إلى عنان السماء، فيبكي جبرائيل بكاءً شديداً، فيقول له ميكائيل: ما يبكيك؟ فيقول: وما يمنعني من البكاء وهذا محمد ﷺ يقوم من قبره ويسألني عن أمته، وأنا لا أدري أين أمته؟

قال: ثم ينصدع القبر فإذا محمد ﷺ قاعد ينفذ التراب من رأسه ولحيته، ثم يلتفت يميناً وشمالاً، فلا يرى من العمران شيئاً، فيقول: يا جبرائيل! بشرني، فيقول أبشرك بالبراق السباق الطائر في الآفاق، فيقول: بشرني، فيقول: أبشرك بالتاج، فيقول بشرني، فيقول: أبشرك بالقضيب والخلتين، فيقول: بشرني بأمتي لعلك خلفتهم بين أطباق النيران، أو لعلك تركتهم على شفير جهنم، أو لعلك تركتهم في أيدي الزبانية، فيقول: ما رأيتمهم؟ ولكنهم بعد في لحودهم، وما انشقت الأرض عن آدمي قبلك؟ فيقوم النبي ﷺ، ويخرج من قبره، ويمسح جبرائيل التراب من رأسه ولحيته، ويضع التاج على رأسه، ويأخذ القضيب بيده، فيدنو إلى البراق ليركبها فتفر عنه، فيقول جبرائيل: أما تستحين أيتها البراق، فهذا محمد المصطفى ﷺ؟! فتقول البراق: وعزة ربي وجلاله، لا يركبني حتى يضمن لي أن أكون في شفاعته، فإن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضبه فيما مضى، ولا يغضبه فيما بقي، فيضمن لها محمد ﷺ شفاعته فتخضع برأسها ثم يركبها، فإذا هو - بيت المقدس - على درة بيضاء، والكعبة بجانبها، والمساجد حولها.

قال: فيسجد النبي ﷺ، ويشني على الله بما لم يشن عليه أحد قبله، فيقول له الجبار: يا محمد! فيقول: لبيك وسعديك، والخير بين يديك؛

والمهدي مَنْ هَدَيْتَ، عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، لا ملجأ ولا منجأ إلا إليك، تباركتَ ربَّنَا وتعاليتَ، وهذا هو المقام المحمود في قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾ الاسراء/٧٩، فيقولُ تعالى: ارفع رأسك، سل تعط واشفع تشفع، وإذا نداء: يارضوان! زخرف الجنان، ويامالك! سعر النيران، ويامحمد! قرب أمتك الى الميزان، فيقول عليه السلام: هلموا إلى العرض على الرحمن، فيقولون: دعنا نشبع من النظر إلى وجهك فقد عشنا في حُبِّك ومتنا في حُبِّك وبعثنا في حُبِّك؛ وإذا اكتحلنا من عزتك فسقنا الى من شئت، فإنَّ شوقنا إليك أكبر من شوقنا إلى الجنان والجواري والغلمان.

فينظرون إلى وجهه ساعةً ثم يسوقهم سوق الراعي الشفيق غنمه، وهو مع الملائكة جاث بين يدي الجبار، فيتعلق بأزاء محمد عليه السلام أربعة من الرُّسل: إبراهيم خليل الرحمن؛ فيقول: لا أسألك ولدي؛ وموسى كلم الله، فيقول: لا أسألك أخي هارون؛ وداود صفي الله، ويقول: لا أسألك سليمان؛ وعيسى روح الله، ويقول: لا أسألك مريم؛ ومحمد عليه السلام، يقول: لا أسألك نفسي أسألك المذنبين من أمتي.

فتقول جهنم: مَنْ هذا الذي يشفع كلَّ إنسان لنفسه وهو يشفع لأُمته؟ فيقول جبرائيل: هذا محمد المصطفى، فتقول جهنم: ياربِّي وإلهي وسيدي! نج محمد وأُمته من حرِّي وبردي وهوامي وسلاسلِي واغلالِي وألوان عذابي» - والقصة طويلة.

١٠- وقال أهلُ التذكر: فُضِّلَ الحبيبُ على الخليل، لأن الخليلَ طَلَبَ الطهارة لنفسه ولاهل بيته على ما قال: ﴿واجنبنِي وبني أن نعبد الأصنام﴾ إبراهيم/٣٥، والحبيب أعطى ذلك من غير مسألة على ما قال تعالى: ﴿إنَّمَا يُريدُ اللهُ لِيذهب عنكم الرُّجسَ أَهلَ البيت﴾ الاحزاب/٣٣.

والخليل طَلَبَ الذِّكْرَ عَلَى مَا قَالَ: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ الشعراء/٨٤، والحبيب كفي ذلك على ما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح/٤.

والخليلُ سَأَلَ الْجَنَّةَ عَلَى مَا قَالَ: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ الشعراء/٨٥، والحبيب أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ عَلَى مَا قَالَ: ﴿إِنَّا آعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر/١.

والخليلُ يَحْتَسِبُ اللَّهَ عِنْدَ الْحَنَةِ فيقول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ آل عمران/١٧٣، والحبيب كفي ذلك على ما قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ الانفال/٦٤.

والخليلُ يَقْتَدِي بِهِ فِي خَصْلَةٍ مِنْ خَصَالِهِ عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة/١٢٥. والحبيب يَقْتَدِي بِهِ فِي جَمِيعِ خَصَالِهِ عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب/٢١.

والخليلُ يَطْلُبُ الْهَدَايَةَ عَلَى مَا قَالَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ﴾ الصافات/٩٩، والحبيب كفي ذلك على ما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ الضحى/٧، ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الفتح/٢.

والخليلُ يَقُولُ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الشعراء/٨٢، والحبيب يَقَالُ لَهُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الفتح/٢.

والخليلُ سَأَلَ الرُّؤْيَا لِلْمَنَاسِكِ عَلَى مَا قَالَ: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ البقرة/١٢٨، والحبيب أَرَى الْآيَاتِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ عَلَى مَا قَالَ: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ الإسراء/١. وقالوا أيضاً: فَضَّلَ الْحَبِيبَ عَلَى الْكَلِيمِ؛ لِأَنَّ الْكَلِيمَ سَأَلَ شَرْحَ الصَّدْرِ عَلَى مَا قَالَ: ﴿رَبِّیْ اشرحْ لِي صَدْرِي﴾ طه/١٢٥، والحبيب أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح/١.

والكليم سجدت السحرة لعصاه؛ والحبيب سجدت الاوثان لقضيبه .
والكليم قال في حق قومه ﴿فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين﴾ المائدة/٢٥؛ والحبيب قال: «اللَّهُمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون» .
والكليم حصل عند ضرب عصاه على ما قال: ﴿فكان كل فرق
كالطود العظيم﴾ الشعراء/٦٣؛ والحبيب حصل عند تفرق أصابعه على ما قال:
﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ القمر/١ .

والكليم طلب رضى الله على ما قال: ﴿وعجلت إليك رب
لترضى﴾ طه/٨٤؛ والحبيب يطلب رضاه على ما قال: ﴿ولسوف يعطيك
ربُّك فترضى﴾ الضحى/٥ .

والكليم معراجة الى الطور؛ والحبيب معراجة الى البيت المعمور وإلى
بساط النور .

والكليم ضرب الحجر فانفجر منه الماء؛ والحبيب انفجر من أصابعه
الماء .

ونوح له السفينة على الماء؛ ومحمد له البراق الطيار في الهواء (صلّى
الله عليه وآله وعليهم السلام) .

١١- أخبرنا عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي، أخبرنا
عماد الدين محمد بن إبراهيم الوتري، أخبرنا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن
محمد البخاري، أخبرنا إسحاق الرّازي، أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد
ابن محمد بن إبراهيم - بخوارزم الري -، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمويه
النيشابوري بها، أخبرنا محمد بن الوليد البغدادي - بمكة -، أخبرنا إبراهيم
ابن صرمة، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول
الله ﷺ: «فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعاني الله تعالى

عليه حتى أسلم، وأزواجي كنَّ عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً وزوجته كانت عوناً له على خطيئته».

١٢- وفي رواية أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: جاء جبرائيل إلى النبي ﷺ وقال: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ، ويقول: أتدري بما رفعت ذكرك؟ قال: «لا أدري»، قال: يقول: إذا ذكرت ذكرت معي.

١٣- أخبرنا الشيخ الإمام فخر الأئمة أبو الفضل بن عبد الرحمن الحفربندي إجازة، أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبدان العطار؛ وإسماعيل بن أبي نصر عبد الرحمن الصابوني؛ وأحمد بن الحسين البيهقي، قالوا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا علي بن حماد العدل إملاءً، أخبرنا هارون بن العباس الهاشمي، أخبرنا جندل بن والقي، أخبرنا عمرو ابن أوس الأنصاري، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى: يا عيسى! آمن بمحمد، ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به؛ فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله مح - أي نصف اسم محمد - فسكن.

قال أبو عبد الله الحافظ: هذا حديث صحيح الإسناد؛ ولم يخرج به الشيخان.

١٤- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو سعد عمرو ابن محمد بن منصور العدل، أخبرنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، أخبرنا إسماعيل بن مسلمة، أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن

جده، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يارب! أسألك بمحمد لما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم! كيف عرفت محمداً ولم اخلقه؟ قال: يارب! لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من رُوحك؛ رفعت رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضيف لإسمك إلا أحب الخلق إليك.

فقال الله عز وجل: صدقت يا آدم! إنه لأحب الخلق إلي إذا سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك.

قال أبو عبد الله الحافظ: وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه الشيخان.

١٥- أخبرنا الثقة أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني - بمدينة السلام -، أخبرنا محمد بن إسحاق أبو الحسن الباقري، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، أخبرنا أبي أحمد بن عامر، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي الباقر، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن موسى سأل ربه فقال: يارب! اجعلني من أمة أحمد؟ فأوحى الله إليه: يا موسى! إنك لا تصل إلى ذلك».

١٦- أخبرنا عين الأمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي، أخبرنا عماد الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التوبري، أخبرنا الشيخ الإمام شمس الأئمة أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الحلواني (ره)، حدثنا الشيخ

الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، أخبرنا الشيخ الفقيه أبو نصر أحمد بن سهل، أخبرنا ابن شهاب قال: قال علي بن إبراهيم، قال مقاتل ابن سليمان - رفعه -:

إنما فضل الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ على النبيين ﷺ، وفضل أمته على جميع الأمم لفضل منزلته عنده: إنه من أسرع الناس خروجاً من الأرض يوم القيامة إذا بُعثوا، وسيد النبيين إذا حُشروا، وإمامهم إذا سجدوا، وخطيبهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا جنوا، وقائدهم إلى الجنة إذا دخلوا، وأقربهم مجلساً من الله تعالى إذا اجتمعوا، يتكلم النبي ﷺ عند الرب تعالى في صدقه، ويسأله في عطيه، ويشفع في شفعه، ويعطيه الخوض المورود، والشفاعة المقبولة، ويبعثه المقام المحمود، والكرم يومئذ له، ومفاتيح الجنة بيده، وقد اتخذ الله خليلاً، وكلّمه تكليماً، وجعله حكيماً، وبعثه نبياً، واتخذته شهيداً، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وغفر له ما لم يعلم ومما هو عامل، وعلمه الاسماء، وزينه بالتقوى، ودنا إليه فتدلى عند سدره المنتهى، وأعطاه مكان التوراة السبع المثاني، ومكان الزبور المثين، وفضله ربه بالحواميم والمفصل، وأعطاه جوامع الخير وفوائده، وأعطاه اسمه الأعظم، وخواتيم سورة البقرة - وهو كنز الرحمن -، وأعطاه الكوثر - وهو نهر في الجنة حافتاه قباب الدر - فيها أزواجه، وذلك النهر يطرّد مثل الشهد أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، طيبته مسك أذفر ورضراضه الدر. ومما فضله الله تعالى به أن ليلة أسرى به مثل له النبيون ﷺ فصلّى بهم وهم خلفه يقتدون به، ومما فضله الله تعالى به أنه عاين تلك الليلة الجنة والنار فلما عرج إلى السماء وسلّمت عليه الملائكة عاين قوم موسى فأمنوا به وهم الذين من وراء الصين، وذلك أن بني إسرائيل حين عملوا بالمعاصي،

وَقَتَلُوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ، دَعَا قَوْمُ مُوسَى وَهُمْ بِالْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ! أَخْرِجْنَا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ فَجَعَلَ لَهُمْ سَرَبًا فِي الْأَرْضِ فَدَخَلُوا فِيهِ، وَجَعَلَ لَهُمْ نَهْرًا يَجْرِي، وَجَعَلَ لَهُمْ مَصْبَاحًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَسَارُوا فِيهِ سَنَةً وَنِصْفًا وَذَلِكَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى مَجْلِسِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا الْهُوَامُ وَالْبَهَائِمُ وَالسَّبَاعُ مُخْتَلِطِينَ فِيهَا لَيْسَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَلَا مَعَاصِي، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَمَعَهُ جِبْرَائِيلُ فَأَمَّنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَعَلِمَهُمُ الصَّلَاةَ ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ مُوسَى قَدْ بَشَّرَهُمْ بِهِ.

وَمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهِ مُلْكًا يُخْبِرُهُ بِمُلْكٍ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَمُلْكٌ مَنْ يَكُونُ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُلْكُ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! اجْمَعْهُمَا لِي فِي الْآخِرَةِ».

وَمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَنَّ مُلْكَ الْمَوْتِ أَتَاهُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَمَرَ مُلْكَ الْمَوْتِ أَنْ يُخِيرَهُ بَيْنَ تَرْكِهِ وَقَبْضِ رُوحِهِ، فَاسْتَنْظَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى يَلْقَى أَخَاهُ جِبْرَائِيلَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا -، فَعَرَجَ مُلْكُ الْمَوْتِ وَلَقِيَ جِبْرَائِيلَ، فَخِيرَهُ جِبْرَائِيلُ: إِمَّا مَيِّتَةً طَيِّبَةً، وَأَمَّا حَيَاةً لَا هَرَمَ فِيهَا.

وَمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَنَّ إِسْرَافِيلَ هَبَطَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَهْبِطْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُلْكًا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جِبْرَائِيلُ بِالتَّوَاضُعِ، فَقَالَ نَبِيًّا عَبْدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «فَرَأَيْتَ بَيْنَ عَيْنِي إِسْرَافِيلَ كُلِّ شَيْءٍ نَزَلَ عَلَيَّ قَبْلَ نَزْوِهِ».

وَمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ أَنَّهُ أَعْطَاهُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ: أَنَّهُ بَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُبْعَثُ الْأَنْبِيَاءُ إِلَى قَوْمِهِمْ وَآلِيهِمْ، وَأَنَّهُ جَعَلَتْ لَهُ الْأَرْضَ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأَنَّهُ حَلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ وَلَمْ

تكن للأنبياء والرُّسل حلالاً، وأنه نصر على عدوه بالرعب مسيرة شهر، وأنه أُعطي الشفاعة دون النبيين في الآخرة وتلك الشفاعة العامة، وذلك أن الله جعل لكل نبي دعوة في الدنيا والنبي ﷺ آخرها في الآخرة لأُمته. وهذه الخصال لم تكن لاحد من ولد آدم.

ومما فضله الله به ان السماء لم تحرس ولم ترم بالكواكب قبل محمد ﷺ فلما بعث حرس الملائكة السماء، ورمت الشياطين بالشهب. ومما فضله الله به أنه أخذ الله ميثاقه قبل النبيين وأخذ له ميثاق النبيين بالتسليم والرضا والتصديق به.

ومما فضله الله به في الآخرة أنه أول من يُسأل، وأول من يُدعى، وأول من يشفع، وأول من يأخذ بحلقة الجنة.

ومما فضله الله به أن في الجنة درجة تسمى - الوسيلة - في أعلى عليين من الجنان فهي له خاصة. وكان ﷺ كثيراً ما يقول: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا رجل واحد - يعني نفسه - وهي الوسيلة.

ومما فضله الله به أنه جعل نساءه معه في الجنة في خير البقاع، ورفع ذكره في العالمين، فكلما ذكر الله عز وجل ذكر النبي ﷺ معه في: يوم الجمعة، وفي العيدين، وفي مواقف الحج والعمرة، وحول البيت والصفاء والمروة، وعند الجهاد، وفي كل خطبة - حتى خطبة النساء عند النكاح -، وفي الاذان والإقامة والصلاة، فكلما ذكر الله تعالى ذكر ﷺ معه، وهو قوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ الشرح/ ٤.

ومما فضله الله به أن الشيطان لم يسلط عليه في شيء. ومما فضله الله به أنه أمر جبرائيل أن يأمر خازن النار أن يكشف عن باب من ابواب النار لينظر إليها.

ومما فضله الله تعالى به أن إبليس أمر مارداً من الجن يقال له :
«الايض» أن يأتيه فأتى ، وتمثل بصورة كأنه يوحى إليه وهو يصلي ، فبعث
الله جبرائيل ، فلما انصرف النبي إذا جبرائيل بينه وبين الشيطان فدفعه
جبرائيل بيده ، فوقع من «مكة» إلى «الهند» فانزل الله فيه : ﴿ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ التكوين / ٢١ ، فتلك قوة جبرائيل ﷺ .

ومما فضله الله تعالى به أن جبرائيل أتاه بسورة الانعام ، ومعه سبعون
الف ملك - لهم زجل من التسبيح والتحميد - حتى كادت الارض ترج فخر
النبي ﷺ ساجداً .

ومما فضله الله تعالى به أن الله تعالى أمر ملائكته يحفظونه من بين يديه
ومن خلفه .

ومما فضله الله تعالى به أن الشياطين كانوا يختلسون من الانبياء عند
الوحي ، ثم تلقى الشياطين على السن الكهنة والعرافين مما يستمعون من
السماء ، ثم يخبرون الناس بما هو كائن ، فإذا قال نبيهم : يكون كذا وكذا ،
قالوا : قد سمعنا هذا قبل هذا ، فعصم الله تعالى نبيه (صلواته عليه وآله)
وآمنه ، وحرس السماء بالملائكة ، ورميت الشياطين بالشهب ، وحفظت
الملائكة محمداً ﷺ عند الوحي فلا يستمعون .

ومما فضله الله تعالى به أنه لا يدخل جنة عدن احد قبله - وهي دارُ
الرحمن وموضع عرشه - ، وجنة عدن قصبة الجنة وهي مشرفة على الجنان ،
وباب جنة عدن لها مصراعان من زمرد من نور بينهما كما بين المشرق
والمغرب .

ومما فضله الله تعالى به أنه جعلت له ليلة القدر خيراً من ألف شهر
يستبشر بها حملة العرش .

ومما فضله الله تعالى به أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفتح له فتحاً يسيراً، ونصره نصراً عزيزاً، وهداه صراطاً مستقيماً.

١٧- أخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، قال: سمعتُ في «مسند» أحمد بن حنبل، و«معجم» الطبراني، باسنادهما عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا محمدُ النبيُّ الأمين - ثلاث مرات - ولا نبيَّ بعدي، أُوتيت فوائح الكلام وخواتمه وجوامعه، وعلمت كم خزنة النار؟ وكم حملة العرش؟ ومحوربي، وعوفيت أمتي، فاسمعوا واطيعوا مادمت فيكم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله، أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

١٨- قال: وسمعت في «المفاريد» برواية ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، إنني لا افتخر بالعطاء والنعمة، وإنما أفتخر بالمعطي والمنعم».

١٩- قال: وفي - رواية عائشة - قالت: قال رسول الله ﷺ: «أنا أشبه بابي آدم، وكان إبراهيم خليل الرحمن أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً».

٢٠- قال: وفي - رواية أنس - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة الجنة فأقعقها».

٢١- قال: وفي - رواية ابن عمر - وهو في «جامع» أبي عيسى، و«معجم» الطبراني، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فاجلس جالساً في قبري فينفتح لي باب إلى السماء بحيال رأسي حتى أنظر إلى العرش، ثم ينفتح لي باب من تحتي إلى الأرض السابعة فأنظر إلى الثرى، ثم ينفتح لي باب عن يميني فأنظر إلى الجنة ومنازل أصحابي، وأن الأرض تحركت تحتي، فقلت لها: مالك، أيتها الأرض؟

قالت : إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَلْقِيَ مَا فِي جَوْفِي فَأَكُونَ كَمَا كُنْتُ إِذْ لَا شَيْءَ فِيَّ .

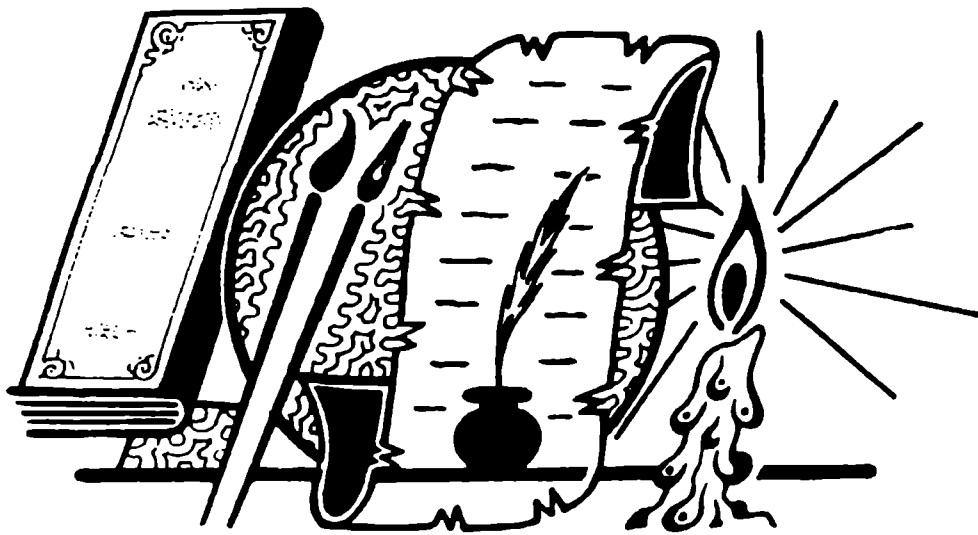
٢٢- قال : وفي - رواية أبي هريرة ؛ وأبي سعيد - قالاً : قال رسول الله ﷺ : «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُوضَعُ لَهُ الصِّرَاطُ عَلَى النَّارِ فَأَمَرَ عَلَيْهِ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ» .

وفضائل رسول الله ﷺ أكثر من أن نحيط بها، وإنما أشرنا إلى نبذ منها ليتبرك ببداءة الكتاب، فَمَنْ أَرَادَ الْإِكْثَارَ مِنْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِمَجْمُوعِي فِي فَضَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِتَابِي الْمَوْسُومِ «بِالْأَرْبَعِينَ»، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.



الفصل الثاني

في فضائل خديجة بنت خويلد



١- أخبرنا الإمام مجد الدين أبو الفتوح محمد بن محمد الطائي - فيما كتبه إليّ من همدان -، أنبأني شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي - بباب المدينة بمرو -، أخبرنا والذي شيخ السنّة أبو بكر أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس أحمد، أخبرنا يونس، عن ابن إسحاق، حدّثني إسماعيل بن أبي الحكم - مولى الزبير - أنّه حدّث عن خديجة بنت خويلد، أنّها قالت لرسول الله ﷺ فيما يثبته ممّا أكرمه الله به من نبوته : يا بن عم ! تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال : «نعم»، قالت : إذا جاءك فأخبرني، فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبرائيل ﷺ فرآه رسول الله ﷺ فقال : «يا خديجة ! هذا جبرائيل»، قالت : أترأه الآن؟ فقال : «نعم»، قالت : فاجلس الى شقي اليمين فتحول فجلس فقالت : أترأه الآن؟ قال : «نعم» قالت : فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس فقالت : أترأه الآن؟ قال : «نعم»، فحسرت عن رأسها وألقت خمارها، ورسول الله ﷺ جالس في حجرها،

فقلت: هل تراه الآن؟ قال: «لا».

قلت: ما هذا بشيطان! إن هذا لملك، يابن عم! فاثبت وابشر، ثم آمنت به وشهدت أن الذي جاء به الحق.

٢- وبهذا الإسناد، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الملك بن عبد الله الثقفي، عن بعض أهل العلم - وساق حديث المبعث بطوله - إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ لخديجة: «إني أخاف الجنون»، فقالت له خديجة: أعيذك بالله يا أبا القاسم! من ذلك، ما كان الله ليفعل بك ذلك مع ما أعلم من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك. وما ذاك يابن العم؟ لعلك قد رايت شيئاً أو سمعته. فأخبرها: «أنه رأى جبرائيل واقفاً في الهواء يقول له: ﴿اقرأ باسم ربك﴾» العلق/ ١.

فقلت له: ابشر يابن عم! واثبت له، فوالذي يحلف به، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها وانطلقت إلى - ورقة بن نوفل - وهو ابن عمها، وكان قد قرأ الكتب وتنصر، وسمع من - التوراة والانجيل -، فأخبرته الخبر وقصت عليه ما قصه رسول الله ﷺ عليها.

فقال ورقة: قدّوس قدّوس. والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة! لهو نبي هذه الأمة، وأنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، فقول لي له: فليثبت.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فسهل ذلك عليه بعض ما فيه من الهم، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره من «حرّاء» بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة - وهو يطوف بالكعبة -، فقال: يابن أخي! خبرنا بالذي رايت وسمعت؟ فأخبره بذلك.

فقال له: إنك لنبي هذه الأمة، ولتؤذين، ولتكذبين، ولتقاتلن

ولتنصرون، ولئن أدركت ذلك لأنصرك نصرأ يعلمه الله، ثم أدنى إليه رأسه فقبل يافوخه، ثم أنصرف رسول الله ﷺ وقد زاده قول ورقة ثباتاً، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم.

وقال ورقة لخديجة (رضي الله عنها) في ذلك:

فإن يك حقاً يا خديجة! فاعلمي
يفوز به من فاز فيها بتوبة
فريقان منهم: فرقة في جناته
وآخرى برجوان الجحيم تغلُّ

وقال ورقة بن نوفل في ذلك أيضاً:

يا للرجال! لصرف الدهر والقدر
أتت خديجة تدعوني لأخبرها
جاءت تسألني عنه لأخبرها
بأن أحمد يأتيه فيخبره
فقلت: عل الذي ترجين ينجزه
وإرساله إلينا كي نسأله
فقال حين اتانا: منطقاً عجباً
إنني رأيت أمين الله واجهني
ثم استمر فكاد الخوف يذعرنني
فقلت: ظني وما أدري أصدقني؟
وسوف تأتيك إن أعلنت دعوتهم
وما لشيء قضاء الله من غير
وما لها بخفي الغيب من خبر
أمرأ أراه سيأتي الناس في آخر
جبريل: أنك مبعوث إلى البشر
لك الإله فرجي الخير وانتظري
عن أمره ما يرى في النوم والسهر
يقف منه أعالي الجلد والشعر
في صورة أكملت من أهيب الصور
مما يسلم من حولي من الشجر
إن سوف تبعث تلو منزل السور
من الجهاد بلا من ولا كدر

٣- أخبرنا الشيخ زين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي،

أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسن بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا

يعقوب بن سفيان، حدَّثني إبراهيم بن المنذر، حدَّثني عمرو بن أبي بكر، حدَّثني عبد الله بن أبي عبيدة، عن أبيه، عن مقسم، عن عبد الله بن الحرث: أنَّ - عمَّار بن ياسر - كان إذا سمع ما يتحدث به النَّاس عن تزوِّج رسول الله ﷺ خديجة، وما يكثرون منه، يقول: أنا أعلم النَّاس بذلك: كُنْتُ لَهُ تَرْباً وَخَدْنًا، وَإِنِّي خَرَجْتُ مَعَهُ (صلوات الله عليه) ذات يوم حتَّى إذا كنا - بالحزورة - جزنا على أخت خديجة وهي جالسة تبِيع أَدْمَالِهَا، فنادتني فانصرفت إليها فقالت: أما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة؟

قال عمَّار: فأخبرته، فقال: «بلى، لعمرى» فذكرت لها قول رسول الله، فقالت: اغدوا علينا، فغدونا عليهم، فوجدناهم قد ذبحوا بقرة، وألبسوا أبا خديجة حلَّةً، وصفروا لحيته، وقد سقي خمراً، وكلَّمت أختها فكلم أباه، فذكر له رسول الله ومكانه وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة، وصنعوا من البقرة طعاماً فاكلنا منه، ونام أبو هاشم ثمَّ استيقظ صاحياً، وقال: ما هذه الحلَّة وهذه البقرة وهذا الطعام؟ فقالت له ابنته - التي كلمت عمَّاراً - هذه حلَّة كساكها محمد بن عبد الله ختنك، وبقرة أهداها لك فذبحناها حين زوجته خديجة، فانكر أن يكون زوجه، وخرج يصيح حتَّى جاء الحجر، وخرجت - بنو هاشم - برسول الله ﷺ حتَّى جاءوه فكلموه، فلمَّا نظر إلى - ختنه - قال: إن كنت زوجته فسبيله ذاك، وإن كنت لم أفعل فقد زوجته.

قال أحمد بن الحسين: المجمع عليه أنَّ عمرو بن أسد عمَّها هو الَّذي زوَّجها، وفي غير هذه الرواية: لما جحدَ التزويج، قالت له خديجة: ما تقول في نسبه؟ قال: هو أعلى منَّا نسباً إلاَّ أنه في عيال عمِّه، فقالت له: لي

من المال ما يسعه .

وقد اختلفت الرواية في سبب تزويج خديجة، والصحيح اخبار ميسرة غلامها، اُتاهما بما رأى عنده من الآيات العجيبة في طريق الشام، وما أخبر به الرَّاهب بحيرا، وما رأت خديجة من اظلال الغمام على رسول الله ﷺ حين تقدّم ليخبرها بقدم غيرها من الشام، (والقصة طويلة).

خطبة أبي طالب - رضي الله عنه -

حين تزوّج رسول الله ﷺ بخديجة - رضي الله عنها

الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم خليله، ومن نسل إسماعيل صفية، وجعل لنا حرماً آمناً، وبيتاً محجوجاً، يأتيه الناس من كل فج عميق، وبلد سحيق، فرفع به بيضتنا، وجمع به ألفتنا، فالعزيز من وافقنا، والدليل من خالفنا.

ألا وإنا قد جئناكم بسيد من ساداتنا لا يدافع، وشريف من أشرافنا لا يمانع، محمد بن عبد الله، الذي لا يوزن بأحد من قريش إلا رجح عليه، ولا يعدل بأحد إلا عاد عليه، وهو يخطب إليكم كريمكم - خديجة بنت خويلد -، ولها فيه رغبة، وله فيها أربة، فإن كان في المال قلة، فالمال ظل حائل، ورزق زائل، فزوجه، ولكم عندي ما سألتموه، على أن لابن أخي هذا شأناً عظيماً، ونباً عالياً، ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ص/ ٨٨.

٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أخبرنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق بن يسار، قال: كانت أول امرأة تزوّجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد

العزى بن قصي .

٥- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الحافظ، أخبرنا أبو العباس القيم بن القاسم السياري - بمرو -، أخبرنا أبو الوجه، أخبرنا صدقة، أخبرنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: سمعت علياً يقول: «سمعت النبي ﷺ - يقول: خيرة نسائها مريم ابنة عمران؛ وخيرة نسائها خديجة بنت خويلد». قال: اتفق الشيخان على صحته، وسمعت الحديث أيضاً في جامع أبي عيسى - برواية علي ﷺ أيضاً.

٦- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن جعفر، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده، أخبرنا سعد بن إبراهيم بن سعد، ويعقوب ابن إبراهيم قالوا: حدثنا أبونا، عن صالح، عن ابن شهاب، عن عروة قال: قالت عائشة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ: ألا أبشرك أني سمعت رسول الله يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران؛ وفاطمة بنت محمد؛ وخديجة بنت خويلد؛ وآسية بنت مزاحم».

وسمعت مثل هذا الحديث على عين الأئمة برواية أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ - في حديث طويل -: «إن الله أختار من الأيام أربعة، ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعاً»، وساق الحديث إلى أن قال: «وأما النساء: فمريم بنت عمران؛ وخديجة بنت خويلد - سابقة نساء العالمين إيماناً بالله ورسوله -؛ وآسية امرأة فرعون؛ وفاطمة بنت محمد - سيدة نساء أهل الجنة».

وسمعتُ هذا الحديث أيضاً في - جامع أبي عيسى - برواية أنس في غير

هذه الالفاظ، وهي: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران؛ وخديجة بنت خويلد؛ وفاطمة بنت محمد؛ وآسية بنت مزاحم - امرأة فرعون».

٧- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا أبو يعلى، أخبرنا أبو بكر بن شيبه؛ وابن نمير قالوا: حدثنا محمد بن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: أتى جبرائيل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة أتتك بإناء فيه أدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام، وبشرها ببیت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وزاد ابن نمير: من ربها السلام ومني، قال: اتفق الشيخان على صحته، وروى هذا الحديث عبد الله بن أبي أوفى وعائشة، وسمعت هذا الحديث في - جامع أبي عيسى - برواية عائشة قالت: ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة، وما تزوجني رسول الله إلا بعدما ماتت، وذلك أنه بشرها - الحديث.

٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ؛ وأبو بكر أحمد بن الحسن قالوا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن الحكم الرملي، أخبرنا عتيق بن يعقوب، حدثني عبد الله ومحمد - ابنا المنذر -، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله ابن جعفر، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «بشر رسول الله - ﷺ - خديجة بنت خويلد ببیت في الجنة من قصب، مفصل بالذهب، بعيد من اللهب، لا يسمع فيه أذى ولا نصب».

٩- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عمرو

البسطامي، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا الحسن بن سفيان؛ وسهل ابن مردويه قالا: حَدَّثَنَا سهل بن عثمان، أخبرنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله - ﷺ - إذا ذَبَحَ الشَّاةَ يقول: «أذهبوا بذي إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة، فقال: «إني رزقت حبها»، قال: اتَّفَقَ الشيخان على صحته.

١٠- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حَدَّثَنِي أَبِي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: لم يتزوج النبي - ﷺ - على خديجة حتى ماتت، قالت: وما رأيت خديجة قطّ، ولا غرت على امرأة من نسائه أشد من غيرتي على خديجة، وذلك من كثرة ما كان يذكرها. أخرجه مسلم في «الصحيح».

وسمعت هذا الحديث في - جامع أبي عيسى -، وزاد في آخره: وإن كان ليزبح الشاة فيتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن.

١١- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ (ره)، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس بن بكير، عن عبد الواحد بن أيمن الخزومي، أخبرنا أبو نجيح عبد الله بن أبي نجيح قال: أهدى لرسول الله - ﷺ - جزور ولحم، فأخذَ عظماً منها فناوله الرسول بيده، فقال له: «أذهب بهذا إلى فلانة»، فقالت عائشة: لَمْ غمرت يديك؟ فقال ﷺ: «إِنَّ خديجة أوصتني بها»، فغارت عائشة من كلامه، وقالت: كأنما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة.

فقام رسول الله مغضباً، فَلَبِثَ ما شاء الله، ثُمَّ رَجَعَ فإذا - أم رومان - فقالت: يا رسول الله! مالك ولعائشة إنها لحدثة؟ فقال ﷺ: «الليست القائلة: كأنما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة، والله، لَقَدْ آمَنْتُ بي إِذْ كَفَرَ قَوْمُكَ، وَرَزَقْتُ مني الولد وَحُرْمَتِيهِ».

١٢- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد ابن أحمد بالويه، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ - هَلَكَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَهَاجِرَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَدَفِنَتْ خَدِيجَةُ - بِالْحَجُونَ - وَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ لَهُ يَوْمَ تَزَوُّجِهَا ثَمَانٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

قال محمد وَكُنِيَتْ خَدِيجَةُ أُمُّ هَنْدٍ، وَكَانَ لَهَا ابْنٌ وَبَنَتْ حِينَ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأُمُّ خَدِيجَةَ - فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصَمِ - وَأُمُّهَا - هَالَةُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ -.

١٣- وأخبرنا الشيخ الإمام سعيد بن محمد بن أبي بكر الفقيمي - إَذَا - أَخْبَرَنَا الْقَاضِي الْإِمَامُ الْأَجَلُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرِّيْغَدْمُونِي، أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهْ جَدِّي أَبُو أَحْمَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ، أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو يَعْقُوبَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّنْجَارِي، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَصْرِ الزَّاهِدِ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَهْلٍ؛ وَأَبِي قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا مَجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ - خَدِيجَةَ - أَحْسَنَ عَلَيْهَا الثَّنَاءَ، فَذَكَرَهَا يَوْمًا فَغَرَّتْ وَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَذَكَرُهَا - حَمْرَاءَ الشُّدُقِ - وَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا؟

فغضبَ وقال: «ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنت بي إذ كفرَ بي الناس، وصدَّقني إذ كذَّبني الناس، وواست بمالها إذ حرَّمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء».

١٤- وبهذا الإسناد، عن الشيخ الفقيه أبي أحمد عبد الرحمن بن إسحاق بن أحمد هذا، أخبرنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن العباس، أخبرنا الشيخ أبو سهل الأنطاقي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الرزماناخي، أخبرنا الحسين بن موسى بن أحمد القمي، أخبرنا أبو يحيى معاذ بن سليمان الهروي، أخبرنا محمد بن يزيد بن عبد الله السلمي، أخبرنا عبد المنعم بن ادريس، عن أبان، عن شعافة الخزاعي: أن أبا أمانة الباهلي قال: دخل رسول الله ﷺ على خديجة بنت خويلد امرأته وهي بالموت، فشكت إليه شدة كرب الموت، فبكى رسول الله ﷺ ودعا لها، ثم قال لها: «أقدمي خير مقدم يا خديجة! أنت خير أمهات المؤمنين وأفضلهن، وسيدة نساء العالمين، إلا مريم بنت عمران؛ وآسية امرأة فرعون، أسلمتك يا خديجة! على كره مني، قد جعل الله للمؤمنين بالكره خيراً كثيراً، الحقّي يا خديجة! بأُمِّك - حواء - في الجنة؛ وبأُختكِ - سارة - أم إسحاق آمنت بالله جلّ جلاله.

بعث إبراهيم عليه السلام إلى مهاجرة الأرض المقدسة وهي أرض الأنبياء وإليها يحشر العباد، فتزوجها إبراهيم فولدت له إسحاق، فما ولدت النساء ولا تلد مولوداً يسمى «إسحاق» مثله إلى يوم القيامة، وهو أبو الموالى، فما يمنع الموالى أن يفاخروا بأبيهم إسحاق؛ وجدّهم إبراهيم؛ وأمهم سارة عليه السلام. إلا ولا فخر إلا بالإسلام.

وكانت أم إسماعيل عجمية قبطية اتّخذها إبراهيم سرية، فولدت له

إسماعيل قبل تولد إسحاق بسبع سنين - فما ولدت النساء ولا تلد غلاماً اسمه «إسماعيل» مثله إلى يوم القيامة، وهو أبو العرب، فما بال العرب يفاخرون الموالي؟ وهما زوجتا إبراهيم في الجنة مع أزواج كثير، أنشأهن الله تعالى من نهر سائح في وسط الجنة ينفجر من تحت العرش وإلى العرش يعود، يرجع أوله إلى آخره، ويكر آخره على أوله.

أقدمي يا خديجة! على أختك أم موسى وهارون عليهما السلام التي ربط الله على قلبها بالصبر لتكون من المؤمنين، وأوحى الله إليها كما أوحى إلى الأنبياء والمرسلين، واسمها - صافية بنت الأكلب -، وأقدمي على أختك كلثم بنت عمران أخت موسى وهارون التي قالت لها صافية: ﴿قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾ القصص/ ١١.

أخبرني جبرائيل أن - كلثمة - من أستر نساء العالمين، وأشدهن حياءً، ماتت عذراء لحياؤها وعبادتها، وأقدمي على أختك يا خديجة - آسية ومريم - لا مثل لهما من نساء العالمين، جعلهما الله عز وجل مثلاً للذين آمنوا من الرجال والنساء يقتدي بهما كل مؤمن ومؤمنة، لم يحلفا بالله تعالى ميميناً قط وجللاً من الله وتعظيماً له، كانتا لا تحيضان طهرهما الله وفضلهما به على نساء العالمين، وإن ربي زوجنيهما ليلة أسرى بي عند - سدره المنتهى - فهما ضرثاك يا خديجة! مع عائشة في الجنة^(١)، وأخواتهن من أمهات المؤمنين.

ولم يكن رسول الله ﷺ تزوج - عائشة - ولا غيرها ولا تحته يومئذ غير خديجة وحدها، فضحكت خديجة وهي ثقيلة بالموت ثم قالت له: هنيئاً، يارسول الله! بارك الله لهما فيك، وبارك لك فيهما، الحمد لله الذي أقر

(١) هذا الخبر لا تذكره الشيعة لانهم لم يعرفوا شعافة خصوصاً وقد صرح بشنية ضمير آسية ومريم ولم يجمع للثلاث.

عَيْنَكَ بهما، ماهما ضررتاي يارسول الله! لأنه لا غيرة بيننا، ولكنهما أختاي.

فقال النبي ﷺ: «هذا، والله، الحق المبين، وتمام اليقين، والفضل في الدين»، فقليل: يارسول الله! أفمن أمهات المؤمنين هما؟ قال: «أما في الدنيا فلا، لأنهما مضتا لسبيلهما قبل أن أبعث في أمتي وسبقني موتهما».

١٥- وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني الرئيس العالم محيي السنة أبو الفتح عبدوس بن عبد الله الهمداني - كتابة -، أخبرني أبو طالب، أخبرني ابن مردويه، أخبرني محمد بن عبد الرحمن، أخبرني الفضل بن محمد، أخبرني عبد الرحمن بن محمد، أخبرني عبد الرزاق، أخبرني أبو معشر المدني، عن أبي سعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْتُ - بأجساد الصغير - أرعى الغنم قبل أن يُوحى إليّ، فأتاني جبرائيل فبشّرني بالنبوة، ثم ركض برجله الأرض ركضة فإذا بعين قد نبعت، فتوضأ جبرائيل وعلّمني الوضوء وصلى وعلّمني الصلاة، ثم أنصرفت إلى منزلي فلم أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يارسول الله! حتى أتيت خديجة فاريتها كما أراني جبرائيل، وعلّمتها كما علّمني».

فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن كذلك فقال: ما هذا الدين يا ابن عم؟ فقلت: دين الله يا ابن عم! ادعوك إليه، فقال لي: أشاور أبا طالب، فقلت: يا ابن عم! إما أن تتبعنا وإما أن تكتم علينا، قال: فخرج ثم رجع، فقال: بل اتبعك».

قال: وكانت خديجة تقول: أنا أول من أسلم ثم عليّ، قال: وفي - رواية ابن مسعود - قال العباس بن عبد المطلب: ما أحد على وجه الأرض

يعبد الله إلا هؤلاء الثلاثة: رسول الله؛ وخديجة؛ وعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم).

١٦- وأخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني أبو علي الحدّاد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ في كتاب «معرفه الصحابة»، قال: تزوّج رسول الله ﷺ خديجة قبل نزول الوحي عليه وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرون سنة، وقيل: أربعون سنة، ولها أربعون سنة.

فمكثت عنده إلى أن مضى من النبوة سبع سنين، فتوفيت قبل أن تُفرض الصلاة، وقبل الهجرة بثلاث سنين بعد أبي طالب بثلاثة أيام، ولم ينكح رسول الله ﷺ غيرها ولا عليها حتى توفيت، ونزل رسول الله في قبرها، ولها يوم ماتت خمس وستون سنة. فكان مكثها عند رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة.

١٧- وبهذا الإسناد، عن أبي نعيم هذا، أخبرني محمد بن أحمد، أخبرني محمد بن نصر، أخبرني سعيد بن سليمان، أخبرني مبارك بن فضالة، عن ثابت بن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بشيء قال: «أذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة - رضي الله عنها -، أذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت تُحب خديجة».

قال أبو نعيم: وكانت خديجة تدعى في الجاهلية «الطاهرة».

قال (جزاه الله خيراً): وأخبرني أبو علي الحدّاد - مناقلة -، أخبرني أبو نعيم الحافظ «ح»، وأخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن فادشاه قالاً: أخبرنا الطبراني، عن عمرو بن طاهر، عن أبي صالح الحرّاني، عن ابن لهيعة، عن عمرو بن الحرث، عن أبي يزيد الحميري، عن

عمار بن ياسر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلتُ مريم على نساء العالمين».



الفصل الثالث

في فضائل فاطمه بنت أسد



١- أخبرنا الحافظ صدر الحفاظ أبو العلا الحسن بن أحمد بن الحسن العطار الهمداني، أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد القاضي؛ ويحيى بن الحسن بن أحمد البغدادي، قالا: أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد المعدل، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الدهني، أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي، أخبرنا الزبير بن بكار، قال: ولد أبو طالب بن عبد المطلب: طالباً لا عقب له؛ وعقيلاً؛ وجعفرأ؛ وعليأ، كلُّ واحد منهم أسن من صاحبه بعشر سنين على الولاء، وأمّ هاني واسمها «فاخته» وأمُّهم كلُّهم - فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي - وهي أولُ هاشمية ولدت لهاشمي، وقد أسلمت وهاجرت إلى الله تعالى ورسوله ﷺ بالمدينة، وماتت بها. وشهدها رسول الله؛ وعليُّ بن أبي طالب (صلوات الله عليهما).

٢- وأخبرنا الحافظ سيّد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتّب إليّ من همدان -، أخبرنا الحافظ محيي السنّة عبدوس بن عبد الله الهمداني - كتابة - في كتابه المعروف بـ «الفوز بالمطالب في فضائل علي

ابن أبي طالب عليه السلام قال: كان الحسن والحسين يسميان - ابني الفواطم - لأن أمهما فاطمة، وجدتهما فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب، وأم خديجة جدتهما فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وجدة جدهما النبي اسمها فاطمة بنت عبد الله بن عمرو - من بني مخزوم - وهي أم أبي النبي (صلوات الله عليه وسلامه).

٣- وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ زين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا الكديمي، أخبرنا الحسن بن بشر، أخبرنا سعدان بن الوليد، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما ماتت فاطمة أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه واضطجع في قبرها، ف قيل له: يا رسول الله! لقد فعلت بهذه شيئاً لم تفعله باحد؟ فقال: «إني كنت يتيماً في حجرها فاحسنت إلي، وكانت من أحسن الناس إلي صنعاً بعد أبي طالب».

٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن حماد بن رغبة المصري، أخبرنا روح بن صلاح، أخبرنا الثوري، عن عاصم الاحول، عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي! كنت أمي بعد أمي: تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة».

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغْسَلَ - ثلاثاً -، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ عَلَيْهَا، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَةً فَالْبَسَهَا إِيَّاهُ، وَكُفِّنَتْ فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأَبَا أَيُّوبَ الْانصَارِيَّ؛ وَعَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ؛ وَغُلَاماً أَسْوَدَ، فَحَفَرُوا قَبْرَهَا فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ تَرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاضْطَجَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا لَلَّهِ! الَّذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَلَقْنَهَا حَجَّتَهَا، وَوَسَّعَ عَلَيْهَا مَدْخُلَهَا، بِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعاً، وَأَدْخَلَهَا اللَّحْدَ هُوَ؛ وَالْعَبَّاسُ؛ وَأَبُو بَكْرٍ، لَمْ أَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ - رُوِيَ عَنْ رُوحِ بْنِ صُلَاحٍ - هَكَذَا.

٥- وَأَخْبَرَنِي الْحَافِظُ سَيِّدُ الْحِفَاطِ أَبُو مَنْصُورٍ - فِيمَا كُتِبَ إِلَيَّ مِنْ هَمْدَانٍ -، أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَدَّادُ، أَخْبَرَنِي أَبُو نَعِيمٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنِي ابْنُ خِلَادٍ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ، أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ بَشَرٍ، أَخْبَرَنِي سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ أُمُّ عَلِيٍّ نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ فَالْبَسَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا سَوَّى عَلَيْهَا التُّرَابَ، قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ شَيْئاً مَا صَنَعْتَهُ بِأَحَدٍ؟ قَالَ: «الْبَسْتُهَا قَمِيصِي لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَاضْطَجَعَتْ فِي قَبْرِهَا لِيُخَفَّفَ عَنْهَا عَذَابُ الْقَبْرِ».

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قُلْتُ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتُ أَسَدٍ بِنِ هَاشِمٍ: أَكْفَى فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَقَايَةَ الْمَاءِ وَالذُّهَابِ فِي الْحَاجَةِ، وَتَكْفِيكَ خِدْمَةَ الدَّاخلِ: الطَّحْنَ وَالْعَجْنَ».

٦- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي نَعِيمٍ الْحَافِظِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ،

أخبرنا ابن أبي عاصم، أخبرنا يعقوب بن حميد، أخبرنا عمران بن عيينة، أخبرنا يزيد بن أبي زياد، عن أبي فاختة، عن جعدة بن أبي هبيرة، عن علي بن أبي طالب قال: «أهدي إلى رسول الله ﷺ حلة مسيرة بحرير، فقال لي: اجعلها خمرأ بين الفواطم، فشقتُ منها أربعة أخمرة: خماراً لفاطمة بنت أسد؛ وخماراً لفاطمة بنت محمد - صلى الله عليهما -؛ وخماراً لفاطمة بنت حمزة»، ولم يذكر الرابعة.

٧- وأخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر بن أبي علي - كتابة -، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيد النقيب الإمام علي بن محمد بن جعفر الحسيني، أخبرنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني (ره)، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني، أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن أبي قتيبة الغنوي - بالكوفة -، أخبرنا محمد بن سليمان الخواص، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم أبو صالح الخراز، عن قدامة بن سعد بن طريف، عن الأصمغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب قال: «ماتت أمي فاطمة فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: ماتت أمي فاطمة، فقال ﷺ: إنا لله وإنا إليه راجعون، واخذ عمامته ودفعها إلي وقال لي: كفنها فيها فإذا وضعتها على الأعواد فلا تحدثن شيئاً حتى آتي، فاقبل النبي ﷺ في المهاجرين وهم يمشون ولا ينظرون إليه إعظاماً له، حتى تقدم رسول الله ﷺ فكبر عليها أربعين تكبيرة، ثم نزل في قبرها ووضعها في اللحد، ثم قرأ آية الكرسي.

ثم قال: اللهم اجعل من بين يديها نوراً، ومن خلفها نوراً، وعن يمينها نوراً، وعن شمالها نوراً، اللهم املا قلبها^(١).

(١) هكذا في النسخة ولعلها املا قلبها أو قبرها نوراً.

ثم خَرَجَ مِنْ قَبْرِهَا، فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ كَبَّرْتَ عَلَى أُمِّ عَلِيٍّ مَا لَمْ تَكْبِرْهُ عَلَى أَحَدٍ؟ فَقَالَ ﷺ: كَانَ خَلْفِي أَرْبَعُونَ صَفًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَكَبَّرْتُ لِكُلِّ صَفٍّ تَكْبِيرَةً.

وروي: أَنَّهُ لَمَّا قَبِرَها كَانَ ﷺ يَقُولُ: «هَذِهِ أُمِّي مِنْ بَعْدِ أُمِّي، ثُمَّ قَالَ: ابْنُكَ ابْنُكَ».

فروى أهل العلم: أَنَّهَا سُئِلَتْ فِي تِلْكَ الْحَالِ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَلَقَّنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ابْنُكَ ابْنُكَ».



الفصل الرابع

في انموذج
من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام



١- أنبأني الإمام الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمداني بها، أخبرني الحسن بن أحمد المقرئ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا محمد بن إسحاق، أخبرنا بهلول بن إسحاق، أخبرني سعيد بن منصور، أخبرني الدراوردي، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن عبد خير، عن عليٍّ عليه السلام قال: أهدي إلى النبي ﷺ قنو موز، فجعل يقشر الموز ويجعله في فمي، فقال له قائل: يا رسول الله! إنك تُحبُّ عليًّا؟ فقال: أو ما علمت أنَّ عليًّا منِّي وأنا منه».

٢- وأنبأني أبو العلاء هذا، أخبرني أبو القاسم الواعظ، أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد، أخبرني أبو القاسم عيسى بن عليٍّ، أخبرني أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، أخبرني عبيد الله بن عمر القواريري، أخبرني حرمي بن عمار، حدَّثني الفضل بن عميرة، حدَّثني ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَدِيقَةٍ،

فقلت: يا رسول الله! ما أحسن هذه الحديقة؟ فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها، ثم أتينا على حديقة أخرى، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنها من حديقة؟ فقال: لك في الجنة أحسن منها، حتى أتينا على سبع حدائق، أقول: يا رسول الله! ما أحسنها؟ فيقول: لك أحسن منها.

فلما خلا له الطريق اعتنقني وأجهش باكياً، فقلت: يا رسول الله! ما يبكيك؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يدونها لك إلا بعدي، فقلت: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك.

٣- أخبرني الإمام الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أنباني أبو علي الأديب، أخبرني الحافظ أبو بكر بن مردويه، أخبرني سليمان بن أحمد، أخبرني أحمد بن رشد بن المصري، أخبرني أحمد بن إبراهيم العزي، أخبرني أحمد بن أبي الحكم، عن شريك بن عبد الله النخعي، عن أبي الوقاص، عن محمد بن حماد بن ثابت، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن حافضي علي ليفخران على سائر الحفظة لكيونتهما مع علي، وذلك أنهما لم يصعدا إلى الله عز وجل بشيء منه يسخطه».

٤- وأخبرني سيد الحفاظ هذا - فيما كتب إلي - أخبرني أبي، أخبرني أبو الحسن الميداني الحافظ، أخبرني أبو محمد الخلال، أخبرني محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، حدثني أبو محمد الحسن بن نعيم - بالطائف -، أخبرني عقبة بن منهل، أخبرني عبد الله بن حميد، حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءني جبرئيل - عليه السلام - من عند الله عز وجل بورقة آس خضراء مكتوب فيها بياض: إني قد

افترضت محبة علي بن أبي طالب على خلقي فبلغهم ذلك» .

٥- وأخبرني شهردار هذا - فيما كتب إلي - ، أخبرني أبو الفتح الرئيس - كتابة - ، أخبرني أبو طاهر الحسين بن علي ، أخبرني الفضل بن الفضل بن العباس ، أخبرني أبو عبد الله محمد بن سهل ، أخبرني عبد الله بن محمد البلوي ، حدثني إبراهيم بن عبد الله بن العلاء ، حدثني أبي ، عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، عن أبيه ، عن جده علي عليه السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي : «يا علي ! لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثلما أقام نوح في قومه ، وكان له مثل أحد ذهباً فانفقه في سبيل الله ، ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً ، ثم لم يوالك يا علي ! لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها» .

٦- وأخبرني شهردار هذا - فيما كتب إلي - ، أخبرني أبي ، أخبرني أبو طالب الحسين ، أخبرني أحمد بن الطبري ، أخبرني أبو الفضل الشيباني ، أخبرني ناصر بن الحسين ، أخبرني محمد بن منصور ، عن يحيى بن طاهر اليربوعي ، أخبرني أبو معاوية ، عن ليث بن أبي سليم ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله تعالى النار» .

٧- وأخبرني سيد الحفاظ شهردار هذا - فيما كتب إلي من همدان - ، أخبرني محمود بن إسماعيل ، أخبرني أحمد بن الحسين ، أخبرني الطبراني ، عن محمد بن عثمان ، عن زكريا بن يحيى ، عن أشعث ، عن مسعر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «مكتوب على باب الجنة : محمد رسول الله ، علي بن أبي طالب أخو رسول الله ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بالفي عام» .

٨- وأخبرني سيد الحفاظ هذا، أخبرني أبو الفتح - كتابة -، أخبرني أبو طاهر، أخبرني أبو الفرج، حدثني الحسن بن علي، حدثني صهيب بن عباد، حدثني أبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرئيل وقد نشر جناحيه، فإذا فيهما مكتوب على أحدهما: لا إله إلا الله، محمد النبي، وعلى الآخر: لا إله إلا الله علي الوصي».

٩- أخبرني شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني الحافظ أبو علي الحداد - إجازة -، أخبرني الأديب أبو يعلى عبد الرزاق بن عمر الطبراني، أخبرني الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أخبرني عبد الرحمن بن محمد، أخبرني القاسم بن علي الطائي، أخبرني إسماعيل بن أبان، أخبرني عبد الله بن مسلم الملائي، عن أبيه، عن إبراهيم، عن علقمة؛ والأسود، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ وهو في بيتي لما حضره الموت: «ادعوا لي حبيبي»؟ فدعوت أبا بكر فنظر إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووضع رأسه، ثم قال: «ادعوا لي حبيبي»؟ فقلت: ويلكم، ادعوا له علي بن أبي طالب، فرأيته ما يريد غيره، فلما رآه فرج الثوب الذي كان عليه، ثم أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه.

١٠- وذكر الإمام محمد بن أحمد بن علي بن شاذان، حدثني محمد ابن حميد الخراز، عن الحسن بن عبد الصمد، عن يحيى بن محمد بن القاسم القزويني، عن محمد بن الحسن الحافظ، عن أحمد بن محمد، عن هذبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبيه، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب عليه السلام سبعين

ألف ملك يستغفرون له ولحبيه إلى يوم القيامة».

١١- وذكر محمد بن أحمد بن علي بن شاذان هذا، أخبرني محمد بن حماد التستري، عن محمد بن أحمد بن ادريس، عن محمد بن عبد الله الإصبهاني، عن أبيه عن هشيم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يقعد علي بن أبي طالب على الفردوس - وهو جبل قد علا على الجنة -، وفوقه عرش رب العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنة، وتتفرق في الجنان، وهو جالس على كرسي من نور تجري بين يديه التسنيم، فلا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف فيدخل محبيه الجنة ومبغضيه النار».

١٢- وذكر محمد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرني الحسن بن أحمد ابن سختويه المجاور، عن محمد بن أحمد البغدادي، عن عيسى بن مهران، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء إسرافيل؛ ثم ميكائيل؛ ثم جبرئيل، وأول من أحبه من أهل السماء حملة العرش؛ ثم رضوان خازن الجنة؛ ثم ملك الموت، وأن ملك الموت يترحم على محبي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء».

١٣- وذكر محمد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرنا طلحة بن محمد النيشابوري، عن سابور بن عبد الرحمن، عن علي بن عبد الله، عن هشيم، عن شعبة، عن عدي بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليلة أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فرأيت نوراً ضرب به وجهي، فقلت لجبرئيل: ما هذا النور الذي رأيته؟

قال: يا محمد! ليس هذا نور الشمس ولا نور القمر، ولكن جارية من جوارى علي بن أبي طالب عليه السلام اطلعت من قصورها، فنظرت إليك وضحكت، فهذا النور خرج من فيها وهي تدور في الجنة إلى أن يدخلها أمير المؤمنين.

١٤- وذكر محمد بن أحمد بن شاذان هذا، حدثني أحمد بن محمد ابن موسى، عن محمد بن عثمان المعدل، عن محمد بن عبد الملك، عن يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لي: «يا أنس! ما حملك على أن لا تؤدي ما سمعت مني في علي بن أبي طالب؟ حتى أدركتك العقوبة، ولولا استغفار علي بن أبي طالب لك ما شمت رائحة الجنة أبداً، ولكن أبشر في بقية عمرك أن علياً وذريته ومحبيهم السابقون الأولون إلى الجنة وهم جيران أولياء الله، وأولياء الله: حمزة؛ وجعفر؛ والحسن؛ والحسين، وأما علي فهو الصديق الأكبر، لا يخشى يوم القيامة من أحبه».

١٥- وذكر محمد بن أحمد بن شاذان هذا، حدثني القاضي أبو محمد الحسن بن محمد بن موسى، عن علي بن ثابت، عن حفص بن عمر، عن يحيى بن جعفر، عن عبد الرحمن بن إبراهيم، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب علياً قبل الله صلاته وصيامه واستجاب دعاءه، إلا ومن أحب علياً أعطاه الله في كل عرق في بدنه مدينة في الجنة، إلا ومن أحب آل محمد آمن من الحساب والميزان والصراط، إلا ومن مات على حب آل محمد فانا كفيله بالجنة مع الأنبياء، إلا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله».

١٦- وذكر محمد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرني أحمد بن الفضل الأهوازي، أخبرني بكر بن أحمد، عن محمد بن علي، عن فاطمة بنت الحسين عليها السلام، عن أبيها؛ وعمها الحسن بن علي عليه السلام قالاً: «أخبرنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما دخلت الجنة رأيت فيها شجرة تحمل الحلي والحلل: أسفلها خيل بلق، وأوسطها حور العين، وفي أعلاها الرضوان، فقلت: يا جبرائيل! لمن هذه الشجرة؟ قال: هذه لابن عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، إذا أمر الله الخليفة بالدخول إلى الجنة يؤتى بشيعة علي حتى ينتهى بهم إلى هذه الشجرة، فيلبسون الحلي والحلل، ويركبون الخيل البلق، وينادي مناد: هؤلاء شيعة علي صبروا في الدنيا على الأذى فحسبوا اليوم».

١٧- وذكر محمد بن أحمد بن شاذان هذا، أخبرني محمد بن محمد ابن مرة، عن الحسن بن علي العاصمي، عن محمد بن عبد الملك، عن جعفر بن سليمان الضبعي، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: سئل سلمان الفارسي عن علي بن أبي طالب وفاطمة عليهما السلام فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عليكم بعلي بن أبي طالب فإنه مولاكم فأحبوه، وكبيركم فآكرموه، وعالمكم فاتبعوه، وقائدكم إلى الجنة فعززوه. إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فاطيعوه، أحبوه بحبي، وآكرموه بكرامتي. ما قلت لكم في علي إلا ما أمرني به ربي جلت عظمتة».

١٨- وأخبرنا القاضي الإمام عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي (ره)، أخبرنا القاضي الإمام أحمد بن عبد الرحمن، أخبرنا محمد بن إبراهيم، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ، أخبرنا محمد بن الحسين الخثعمي؛ وأبو

الطيب الوراق قالاً: أخبرنا محمد بن الوليد العقيلي، أخبرنا علي بن سليمان المصري، أخبرنا عياش، عن ابن لهيعة، عن الحرث بن يزيد، عن أبي علقمة - مولى بني هاشم - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم التفت إلينا فقال: «معاشر أصحابي! رأيت البارحة عمي حمزة بن عبد المطلب؛ وأخي جعفر بن أبي طالب، وبين أيديهما طبق من نبق فأكلا ساعة ثم تحوّل النبق عنباً، فأكلا ساعة ثم تحوّل العنب رطباً، فأكلا ساعة فدنوت منهما، فقلت: بابي أنتما، أي الأعمال وجدتما أفضل؟ قالاً: فدينك بالآباء والأمهات، وجدنا أفضل الأعمال: الصلاة عليك، وسقي الماء، وحبُّ علي بن أبي طالب عليه السلام».

١٩- وأنباني مهذب الأئمة أبو المظفر عبد الملك بن عليّ الهمداني، أخبرني شجاع بن المظفر، أخبرني أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، أخبرني الحاكم أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو بكر بن أبي دارم الكوفي الحافظ، أخبرني المنذر بن محمد بن المنذر القابوسي، حدّثني أبي، حدّثني عمي الحسين بن سعيد، عن أبان بن تغلب، عن نفيح بن الحرث، حدّثني أبو برزة قال: قال رسول الله ﷺ ونحن جلوس ذات يوم: «والذي نفسي بيده، لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يسأله الله تعالى عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله ممّا كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت». فقال عمر: فما آية حبكم من بعدكم؟ قال: فوضع يده على رأس عليّ وهو إلى جانبه (صلوات الله عليهما) وقال: «إنّ آية حبي من بعدي حبّ هذا».

٢٠- وأنباني مهذب الأئمة هذا، أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد المقرئ، أخبرنا والدي قال: قال أبو علي عبد الرحمن بن محمد النيشابوري:

أخبرني أحمد بن محمد البغدادي - من حفظه بالدينور -، أخبرنا محمد بن جرير الطبري، حدثني محمد بن حميد الرّازي، أخبرني العلاء بن الحسين الهمداني، أخبرني أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي، عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ - وسئل بأي لغة خاطبك ربك؟ - قال: «خاطبني بلغة علي بن أبي طالب فألهمت أن أقول: يارب! خاطبتني أم علي؟ فقال عز وجل: يا أحمد! أنا شيء لا كالأشياء، لا أقاس بالناس، ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب عليه السلام فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك».

٢١- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني أبو إسحاق القفال - باصفهان -، أخبرني أبو إسحاق بن خرشيد قال: أخبرني أبو سعيد أحمد بن زياد بن الأعرابي، أخبرني بخيع ابن إبراهيم، أخبرني أبو نعيم ضرار بن صرد، أخبرني علي بن هاشم، أخبرني محمد بن عبد الله الهاشمي، عن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم، عن عباد بن عبد الله، عن سلمان (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام».

٢٢- وأخبرني سيد الحفاظ الديلمي هذا - فيما كتب إلي - أخبرني أبي، أخبرني الميداني الحافظ، أخبرني أبو محمد الخلال، أخبرني محمد بن العباس، أخبرني الحسين بن علي الدهان، أخبرني محمد بن عبيد الكندي، أخبرني أبو هاشم محمد بن علي الدهني، أخبرني أحمد بن عمران، عن سفيان بن سعيد، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «قسمت الحكمة على عشرة أجزاء:

فأعطي عليُّ تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً.

٢٣- وأخبرني سيد الحفاظ هذا - فيما كتب إليّ -، أخبرني عبدوس بن عبد الله - إذناً -، عن الشريف أبي طالب الجعفري - باصبهان -، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الاصبهاني، أخبرني أحمد بن محمد بن عبد الله، أخبرني الحسين بن الهيثم، أخبرني محمد بن الصباح، أخبرني هشيم^(١)، عن حجاج بن ارطاة، عن عمرو بن شعيب، عن جده قال: قالت عائشة للنبي ﷺ: مَنْ خير الناس بعدك يا رسول الله؟ قال: «أبو بكر»، قالت: فَمَنْ خير الناس بعد أبي بكر؟ قال: «عمر».

فقلت فاطمة: «لم تقل في عليٍّ شيئاً؟ قال: عليٌّ نفسي فمن رأته يقول في نفسه شيئاً؟!»!

٢٤- وأخبرنا الشيخ الزاهد الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرني شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد الواعظ، أخبرني أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرني أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي، أخبرني محمد بن محمد بن سعد الهروي، أخبرني محمد بن عبد الرحمن، أخبرني أبو الصلت الهروي، أخبرني أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب».

٢٥- وبهذا الإسناد عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو جعفر بن محمد بن أحمد، أخبرني محمد بن مسلم بن دارة، أخبرني عبد الله بن موسى العبسي، أخبرني أبو عمرو الأزدي، عن أبي راشد، عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أراد أن ينظر إلى

(١) في رجال السند جملة مقدوح فيهم بالوضع أشهرهم هشيم.

آدم في علمه ؛ وإلى نوح في فهمه ؛ وإلى يحيى بن زكريا في زهده ؛ وإلى موسى بن عمران في بطشه ، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢٦- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو محمد أحمد بن عبد الله المزكي - إملأء - أخبرني أحمد ابن محمد بن حرب، أخبرني أبو طاهر أحمد بن عيسى بن محمد، أخبرني يحيى بن عبد الله العلوي - خال جعفر بن محمد -، أخبرني نوح بن قيس، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال: رأيتُ علياً عليه السلام صعد المنبر - بالكوفة - وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، متقلداً بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي أصبعه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقعد على المنبر وكشف عن بطنه وقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح علم جم، هذا سَقَطُ العلم، هذا لُعَابُ رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا ما زَقَّنِي رسول الله صلى الله عليه وآله زَقّاً من غير وحي أُوحي إليّ» .

فوالله، لو تُنِيت لي الوسادة، وجلست عليها، لافتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الله التوراة والإنجيل، فيقولوا: صدق عليٌّ قد أفتاكم بما أنزل فينا، وأنتم تتلون الكتاب فلا تعقلون» .

٢٧- وأخبرنا عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي، أخبرنا شمس القضاة أحمد بن عبد الرحمن بن إسحاق، أخبرنا الفقيه أبو سهل محمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن جعفر بن هارون الكوفي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن حامد التميمي، حدثني حميد بن مسعدة، أخبرني يونس بن أرقم، أخبرنا الجارود، عن عدي بن ثابت، عن ابن عباس (ره) قال: العلم ستة أسداس: فلعلي بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس،

وللناس سدس، ولقد شاركنا في سدسنا حتى هو أعلم به منا.

٢٨- أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أخبرنا الأستاذ الأمين أبو الحسن علي بن الحسين بن مردك الرّازي، أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى بن الحسين العاصمي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أبي صفوان الثقي، أخبرنا مومل بن إسماعيل، عن ابن عيينة، عن يحيى بن سعيد بن المسيب، قال: سمعت عمر يقول: اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب حياً.

٢٩- وبهذا الإسناد عن أبي سعد السّمان هذا، أخبرنا أبو القاسم عليّ ابن محمد البزاز - بقرأتي عليه -، أخبرنا عبد الباقي بن قانع، أخبرنا ابن أبي شيبه، أخبرنا جندل بن والقي، أخبرنا محمد بن عمر المازني، عن عباد الكلبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: قال عمر: كانت لأصحاب محمد عليه السلام ثمان عشرة سابقة: فخص علي منها بثلاث عشرة، وشركنا في خمس.

٣٠- أخبرنا الإمام الحافظ أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقري، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد الجويني قال: قرأت على أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان السعدي، أخبرنا لؤلؤ القيصري، أخبرنا إبراهيم بن محمد الصوفي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن شدّاد، حدثني محمد بن سنان الحنظلي، أخبرنا إسحاق بن بشر القرشي، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي عليه السلام أنّه قال «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ود - يوم الخندق - أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة».

٣١- أخبرنا سيّد الحفاظ أبو منصور - فيما كتّب إليّ من همدان -،

أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن فادشاه، أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن محمد القنطري، عن حرب بن الحسين، عن يحيى بن يعلى، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي! والذي نفسي بيده، لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بأحد من المسلمين إلا أخذ التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة».

٣٢- وأخبرنا شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني - فيما كتب إلي من همدان - أنبأنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو يعلى الأديب الطبراني، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أخبرنا محمد بن الحسن، أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا جعفر بن محمد بن سعيد، أخبرنا محول بن إبراهيم، أخبرنا أبو داود الطبري، أخبرنا عبد الأعلى التغلبي، عن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ - بطائر -، فوضع بين يديه فقال: «اللهم! اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» ففرع الباب فقلت: اللهم! اجعله رجلاً من الانصار، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: سبحان الله! سأل نبي الله ربه أن يأتيه بأحب خلقه إليه. قال: ففتحت الباب فلما دخل مسح رسول الله وجهه، ثم مسح رسول الله بوجه علي، ثم مسح وجه علي فمسحه بوجهه - فعل ذلك ثلاث مرات - فبكى علي، ثم قال: «ما هذا يا رسول الله؟ فقال: ولم لا أفعل بك هذا؟ وانت تسمع صوتي، وتؤدي عني، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي».

ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم! إني سألتك أن تأتيني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجئت به؛ اللهم! وإنه أحب خلقك إلي».

أخرج الحافظ ابن مردويه هذا الحديث بمائة وعشرين إسناداً، وقال أبو عبد الله الحافظ: صح - حديث الطير - وإن لم يخرجناه، يعني: البخاري ومسلماً.

٣٣- وذكر الإمام محمد بن أحمد بن شاذان، أخبرنا سهل بن أحمد، عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، عن هناد بن السري، عن محمد بن هشام، عن سعيد بن أبي سعيد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ دَعَاهُنَّ فَاجَبَنَهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِنَّ نَبَوْتِي وَوَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَبِلَتَاهُمَا، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أَمْرَ الدِّينِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِنَا، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِنَا، نَحْنُ الْمَحْلُونُ لِحَالِهِ، وَالْمَحْرُمُونَ لِحَرَامِهِ».

٣٤- وذكر ابن شاذان هذا، أخبرنا عبد الله بن يوسف، عن حامد بن محمد الهروي، عن علي بن محمد بن عيسى، عن محمد بن عكاشة، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن سلمة، عن خصيف، عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذكرت والله، أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلى القبلتين، وباع البيعتين، وأعطى السبطين - الحسن والحسين -، وردت عليه الشمس مرتين، بعدما غابت عن المقلتين، وجرد السيف تارتين، وهو صاحب الكرّتين؛ فمثله في الأمة مثل - ذي القرنين -، ذلك مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣٥- وأخبرني سيد الحفاظ - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني الرئيس أبو الفتح - كتابة -، أخبرني عبد الله بن إسحاق البغوي، أخبرني الحسن بن علي الغنوي، أخبرني محمد بن عبد الرحمن الذارع، أخبرني قيس بن حفص، حدثني علي بن الحسين العبدى، عن أبي هارون العبدى،

عن أبي سعيد الخدري : أن النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى علي في - غدير خم - أمر بما كانت الشجرة من شوك فقم^(١) وذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعه ، ثم رفعه حتى نظر الناس إلى بياض أبطيه (صلى الله عليه) ، ثم لم يتفرقا حتى نزلت هذه الآية : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ المائدة/ ٣ .

فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي ، والولاية لعلي ، ثم قال : اللهم ! وآل من وآله ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله» .

فقال حسان بن ثابت : يا رسول الله ! ائذن لي أقل ، قال : «قل ببركة الله» فقال حسان : مامشيخة قريش ! اسمعوا شهادة رسول الله ، ثم أنشأ يقول :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ	بَخُمٍّ وَاسْمَعِ بِالنَّبِيِّ مُنَادِيَا
أَلَسْتُ أَنَا مَوْلَاكُمْ وَوَلِيكُمْ؟	فَقَالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهَكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِينَا	وَلَا تَجِدُن فِي الْخَلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ : قُمْ يَا عَلِيُّ ! فَإِنِّي	رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي وَلِيًّا وَهَادِيَا

روي هذا الحديث بدون الأبيات من الصحابة : عمر ؛ وعلي ؛ والبراء ابن عازب ؛ وسعد بن أبي وقاص ؛ وطلحة بن عبيد الله ؛ والحسين بن علي ، وابن مسعود وعمار بن ياسر ؛ وأبوذر ؛ وأبو أيوب ؛ وابن عمر ؛ وعمران ابن حصين ؛ وبريدة بن الحصيب ؛ وأبو هريرة ؛ وجابر بن عبد الله ؛ وأبو رافع - مولى رسول الله - واسمه أسلم ؛ وحبشي بن جنادة ؛ وزيد بن شراحيل ؛ وجريز بن عبد الله ؛ وأنس ؛ وحذيفة بن أسيد الغفاري ؛ وزيد بن

(١) يعني : كنس .

أرقم؛ وعبد الرحمن بن يعمر الدؤلي؛ وعمرو بن الحمق؛ وعمر بن شرحبيل؛ وناجية بن عمر؛ وجابر بن سمرة؛ ومالك بن الحويرث؛ وأبو ذؤيب الشاعر؛ وعبد الله بن ربيعة (رضي الله عنهم).

وروى حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» من الصحابة: علي؛ وعمر؛ وعامر بن سعد؛ وسعد بن أبي وقاص؛ وأم سلمة؛ وأبو سعيد؛ وابن عباس؛ وجابر؛ وأبو هريرة؛ وجابر بن سمرة؛ وحبشي بن جنادة؛ وأنس؛ ومالك بن الحويرث؛ وأبو أيوب؛ ويزيد بن أبي أوفى؛ وأبو رافع؛ وزيد بن أرقم؛ والبراء؛ وعبد الله بن أبي أوفى؛ ومعاوية بن أبي سفيان؛ وابن عمر؛ وبريدة بن الحصيب؛ وخالد بن عرفطة؛ وحذيفة بن أسد؛ وأبو الطفيل؛ وأسماء بنت عميس؛ وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنهم)، وأخرجه الشيخان في «صحيحهما».

٣٦- وأنبأني مهذب الأئمة عبد الملك بن علي الهمداني، أخبرني أبو طالب عبد القادر بن محمد - إذناً -، أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك، أخبرنا الحسن بن علي البصري، أخبرنا الحسن بن راشد الطفاوي، أخبرنا قيس بن الربيع، أخبرنا سعد بن الخفاف، عن عطية، عن محدوج بن زيد الالهاني: أن رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين، ثم قال: «يا علي! أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي، أما علمت يا علي! أنني أول من يدعى بي - يوم القيامة - فأقوم عن يمين العرش وظله، فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش، ويكسون حلل خضراء من حلل الجنة.

الا وإنني أخبرك يا علي! إن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثم أنت أول من يدعى لقربتك مني ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي - وهو لواء الحمد -، فتسير به بين السماطين.

فأدم وجميع خلق الله يستظلون بظل لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة: سنانه ياقوتة حمراء، وقصبته فضة بيضاء، وزجه درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، والثالثة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأول - بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني - الحمد لله رب العالمين، والثالث - لا إله إلا الله محمد رسول الله.

طول كل سطر ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة، تسير بلوائي: الحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش، ثم تكسى حلة خضراء من الجنة، ثم ينادي مناد من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، أبشر يا علي! إنك تكسى إذا كسيت وتحبى إذا حبيت.

٣٧- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي فيما كتب إلي من همدان، أخبرني الحافظ عبدوس بن عبدالله كتابة، أخبرني أبو الفرج أحمد ابن سهل، أخبرني أبو العباس أحمد بن إبراهيم، أخبرني زكريا بن عثمان، أخبرني محمد بن زكريا الغلابي، أخبرني الحسن بن موسى، أخبرني عبد الرحمن بن القاسم الهمداني، أخبرني أبو حاتم محمد بن محمد الطالقاني، عن الخالص الحسن بن علي بن محمد، عن أبيه الناصح علي بن محمد بن علي، عن أبيه النقي محمد بن علي بن موسى، عن أبيه الرضا علي، عن أبيه الأمين موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر محمد، عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه البر الشهيد الحسين

ابن عليّ، عن أبيه المرتضى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن المصطفى محمد الأمين سيّد الأولين والآخرين عليه السلام أنّه قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا أبا الحسن! كَلِمَ الشمس فإنّها تكلمك؟ فقال عليّ عليه السلام: السّلامُ عليك، أيّها العبدُ المطيعُ لله! فقالت الشمسُ: وعليك السّلام، يا أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، يا عليّ! أنت وشيعتك في الجنّة، يا عليّ! أوّل مَنْ تنشق عنه الأرض محمدٌ ثمّ أنت، وأوّل مَنْ يحيى محمدٌ ثمّ أنت، وأوّل مَنْ يُكسى محمدٌ ثمّ أنت، فانكبّ عليّ ساجداً وعيناه تذرّفان دموعاً، فانكبّ عليه النبيّ عليه السلام، وقال: يا أخي وحبّبي! ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات».

٣٨- وأخبرني سيّد الحفاظ هذا - فيما كتّب إليّ من همدان -، أخبرني

أبو الفتح - كتابة -، أخبرني الشريف أبو طالب، أخبرني الحافظ بن مردويه، أخبرني إسحاق بن محمد، أخبرني أحمد بن زكريا، أخبرني ابن طهمان، أخبرني محمد بن خالد، أخبرني الحسن بن إسماعيل، عن أبيه، عن زيد بن المنذر، عن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله ينقله من صلب إلى صلب، حتّى أقرّه في صلب عبد المطلب، ثمّ أخرجه من صلب عبد المطلب، وقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله؛ وقسماً في صلب أبي طالب، فعليّ مني وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، فمن أحبّه فبحبي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه».

٣٩- وأخبرني سيّد الحفاظ هذا - كتابة -، أخبرني الميداني، أخبرني

الخلال: كتب إليّ محمد بن يزيد، أخبرني محمد، حدّثني محمد بن

إسماعيل، حدّثني الحسين بن موسى، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الخندق: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي عبيدة بن الحرث - يوم بدر -؛ وحمزة بن عبد المطلب - يوم أحد -، وهذا عليّ فلا تدعني فرداً وأنت خير الوارثين».

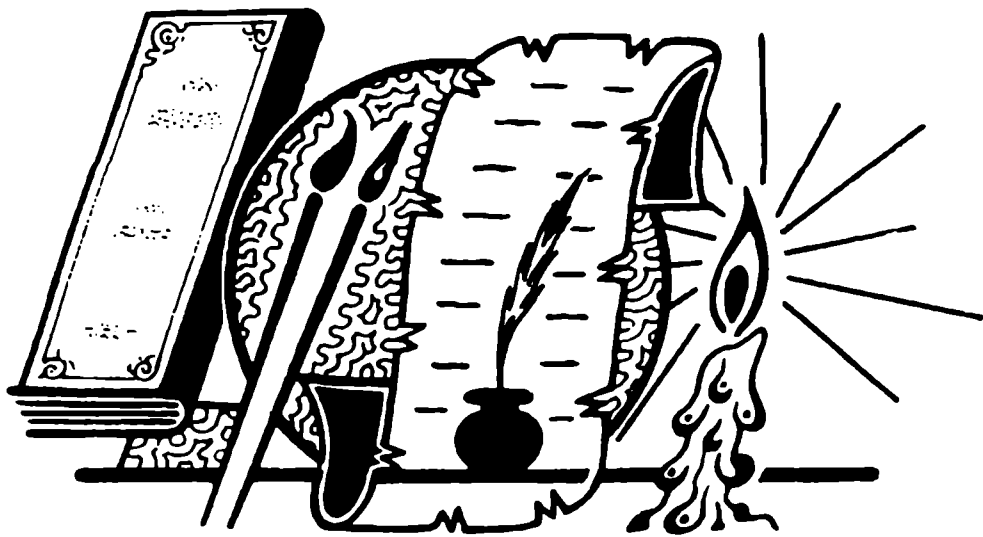
وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من أن يحملها هذا «الفصل» فمن أراد الاستقصاء فيها، والإحاطة بها، فعليه - بمجموعي - في فضائله الموسوم: «بالأربعين».



الفصل الخامس

في فضائل

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ



١- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد
العاصمي (ره)، أخبرنا شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي،
أخبرنا والذي شيخ السنّة أبو بكر أحمد بن الحسين الحافظ، أخبرنا أبو عبد
اللّه الحافظ، أخبرنا إبراهيم بن يحيى المزكى؛ وأبو الحسين بن يعقوب،
أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم: سمعتُ عبد الله بن محمد بن سليمان
ابن جعفر الهاشمي - يذكر -، عن أبيه، عن جدّه قال: ولدت فاطمة سنة -
إحدى وأربعين - من مولد النبي ﷺ.

وزعم محمد بن إسحاق بن يسار: أنّ فاطمة ولدت قبل أن يوحى إلى
النبي ﷺ، وكذلك سائر أولاده من خديجة (رضي الله عنها).

في روايتي عن الحافظ أبي منصور الديلمي - بروايته -، عن أبي علي
الحدّاد، عن أبي نعيم الحافظ في كتابه «معرفّة الصحابة»: أنّ فاطمة كانت
أصغر بنات رسول الله ﷺ سنّاً، ولدت وقريش تبني الكعبة، وكانت فيما
قبل تكنى: «أم أسماء».

٢- وبإسنادي، عن أحمد بن الحسين الحافظ، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بن المعز، أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الله، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي - في البصرة -، قال: حدثني أبي قال: حدثني علي بن موسى، حدثني موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إنما سميت ابنتي - فاطمة - لأن الله عز وجل فطمها وفطم من أحبها من النار»، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها».

٣- وأخبرنا الشيخ الإمام الثقة أبو بكر محمد بن عبد الله بن نصر الزاغوني - بمدينة السلام - منصرفي من السفارة الحجازية، أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسن محمد بن إسحاق الباقري، أخبرنا أبو عبد الله الحسين ابن الحسين بن علي بن بندار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي أحمد بن عامر، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: تُحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة، ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: يا عدل! يا جبار! أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله ﷺ: فيحكم الله لابنتي ورب الكعبة».

٤- وبهذا الإسناد: «قال رسول الله ﷺ: تُحشر ابنتي فاطمة، عليها

حَلَّة الكرامة قد عجت بماء الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثُمَّ تكسى أيضاً حَلَّة من حلل الجنة - وهي ألف حلة - مكتوب على كل حَلَّة بخط أخضر: ادخلوا ابنة محمد الجنة، على أحسن الصورة، وأحسن الكرامة، وأحسن المنظر، فتزف إلى الجنة كما تزف العروس، ويوكل بها سبعون ألف جارية».

٥- وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي (ره)، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، أخبرنا محمد بن جعفر الأنباري، أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، أخبرنا عبد الوهاب، أخبرنا عوف، عن عطية الطفاوي، أخبرنا أبي، عن أم سلمة - زوج النبي ﷺ قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي إذ أقبل علي وفاطمة بالسدة، فقال: «قومي عن أهل بيتي؟» فقامت ففتحيت في ناحية البيت قريباً.

فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين - وهما صبيان صغيران - فاخذ الصبيين فقبلهما ووضعهما في حجره، واعتنق علياً وفاطمة، ثُمَّ اغدف عليهم ببردة له، وقال: «اللهم! إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي»، قالت: فقلت: يا رسول الله! وأنا فقال: «وانت».

٦- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو علي الرودبادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن داسة، أخبرنا أبو داود، أخبرنا محمد ابن يونس، أخبرنا الليث بن سعد، حدثني عبد الله بن عبيد الله القرشي: أن المسور بن مخرمة حدثه: أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم من علي بن أبي طالب فلا

إذن لهم، ثم لا إذن له، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»^(١).

وسمعتُ - هذا الحديث - على الإمام الأجل ركن الإسلام أبي الفضل الكرماني في «أمالي» فخر القضاة الأرسابندي - برواية - المسور بن مخرمة أيضاً، وقال: هذا حديث متفق على صحته.

وسمعتُه أيضاً في - جامع أبي عيسى - بهذا السياق مختصراً، وفي رواية علي بن الحسين، عن المسور بن مخرمة، عن علي أنه خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت رسول الله، فقالت له: «إن قومك يتحدثون بأنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل».

قال المسور: فقام رسول الله ﷺ فسمعتُه يخطب حتى تشهد، ثم قال: «أما بعد - فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني، وأن فاطمة بضعة مني وأنا أكره أن يفتنوها، وأنه والله، لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبداً». فترك علي الخطبة، اجتمع الشيخان على صحته.

٧- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عمرو محمد ابن عبد الله الأديب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، أخبرني أبو كامل، أخبرني أبو عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة قالت: كنّا أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطيء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ

(١) هذا الحديث وما بعده وضعهما المسور ببذل بني أمية له المال، كما ذكر ذلك المرتضى في الشافي، وكيف يخطب علي على فاطمة وهي أجمل النساء وفتاة والله تعالى هو الذي زوجه بها في السماء؟! كما ذكر المصنف الروايات في ذلك، إن هذا لغريب!!

شيئاً فلما رآها رَحَّبَ بها، وقال: «مرحباً بابنتي» ثمَّ اجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمَّ سارها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارها ثانياً فضحكت، فقلنا لها: خصك رسول الله بين نسائه بالسرار، ثمَّ أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال رسول الله؟ فقالت: «ما كنتُ لأفشي على رسول الله سرّه»، فلما تُوفي رسول الله قلت لها: عزمت عليك بما لي من الحقِّ لما حدَّثتني ما قال رسول الله، قالت: «أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى فأخبرني: أن جبرائيل كان يعارضه القرآن في كلِّ سنة مرة، وأنه عارضه العام مرتين، وإنِّي لا أرى الاجل إلاَّ قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك»، قالت: فبكت بكائي الَّذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، فقال: يافاطمة! أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيِّدة نساء هذه الأمة فضحكت ضحكي الَّذي رأيت».

وفي - رواية - بنت طلحة، عن عائشة: أنَّها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله (صلى الله عليهما)، وكانت إذا دخلت عليه رَحَّبَ بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دَخَلَ عليها رحبت به وقامت إليه فأخذت بيده فقبلتها وأجلسته في مجلسها، ثمَّ ساق الحديث.

وسمعت - هذا الحديث - في جامع أبي عيسى، وزاد فيه عند قوله: فلما رآها رَحَّبَ بها، قالت عائشة: فلما مَرَضَ النبي ﷺ دَخَلَتْ فاطمة عليه فأكبت عليه فقبلته، ثمَّ رفعت رأسها فبكت، ثمَّ أكبت، ثمَّ رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إنِّي كُنتُ لاظنُّ إنَّ هذه من أعقل نساءنا، فإذا هي من النساء، ثم ساق الحديث.

٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا إسحاق ابن منصور، أخبرنا إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن منهال بن عمرو، عن زر بن حبیش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَاذَنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَسْلَمَ عَلَيَّ لَمْ يَنْزِلْ قَبْلَهَا، فَبَشَّرَنِي: أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

٩- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا محمد بن الحسن السَّراج، أخبرنا مطين، أخبرنا محمد بن العلا، أخبرنا معاوية بن هشام، عن عمرو بن غياث، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَحَرَمَهَا اللَّهُ وَذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ».

١٠- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا ابن بابويه، أخبرنا محمد بن عثمان، أخبرنا محمد بن عبد الله بن نمير، أخبرنا أبو مسلم - قائد الأعمش -، عن الأعمش، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَبْعُثُ الْأَنْبِيَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الدَّوَابِّ لِيُؤَافُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِهِمُ الْمُحْشَرِّ، وَيَبْعَثُ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَتِهِ، وَأُبْعَثُ عَلَى الْبَرَاقِ خَطُوهَا عِنْدَ أَفْصَى طَرْفِهَا، وَتَبْعُثُ فَاطِمَةُ أُمَامِي».

١١- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن الحسين العلوي (ره)، أخبرنا محمد بن عمر الأزدي، أخبرنا محمد بن يونس بن موسى، أخبرنا الحسين بن الحسن الفزاري، أخبرنا قيس بن الرُّبيع، عن سعد بن طريف، عن الأصْبَغ بن نباتة، عن أبي أيوب

الانصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع! نكسوا رؤوسكم وعضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد على الصراط، قال: فتمرّ معها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع».

وسمعت - هذا الحديث -، عن الشيخ الإمام عبد الحميد البراتقيني - مختصراً - في «أمالي» الريغدموني، برواية عليّ عليه السلام.

١٢- وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، أخبرني محمد بن الحسن بن فورك، أخبرني عبد الله بن جعفر، أخبرني يونس بن حبيب، أخبرني أبو داود الطيالسي، أخبرني أبو عوانة، عن عمرو بن أبي سلمة، عن أمّه، عن أسامة قال: مررتُ بعليٍّ والعبّاس وهما قاعدان في المسجد، فقالا: «يا أسامة! استأذن لنا على رسول الله ﷺ»، فقلت: يا رسول الله! هذا عليٌّ والعبّاس يستأذنان. فقال: «هل تدري ما جاء بهما؟» قلت: لا والله، ما أدري؟ قال: «لكنّي أدري ما جاء بهما فأذن لهما»، فدخلوا وسلّموا وقعدا وقالوا: «يا رسول الله! أيّ أهلك أحبُّ إليك؟» فقال ﷺ: «فاطمة».

١٣- وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا مكرم بن أحمد، أخبرنا أحمد بن يوسف، أخبرنا عبد المؤمن بن عليّ: حدّثني عبد السلام بن حرب، عن عبد الله بن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، أنّه دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة! والله، ما رأيت أحداً أحبُّ إلى رسول الله منك، والله، ما كان أحد من الناس بعد أبيك أحبُّ إليّ منك.

١٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، حدّثني أبو عبد الله الحافظ: حدّثني محمد بن يعقوب، حدّثني عبّاس بن محمد الدوري، حدّثني يحيى

ابن إسماعيل، حدَّثني محمد بن فضيل، عن العلاء بن المسيب، عن إبراهيم بن قيس، عن نافع، عن ابن عمر: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ثَانٍ إِذَا سَافَرَ كَانَ آخِرَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا فَاطِمَةً، فَإِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ كَانَ أَوَّلَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا فَاطِمَةً.

١٥- وبهذا الإسناد، عن أحمد هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ: حدَّثني محمد بن أحمد الفقيه - بمرو -، حدَّثني جعفر بن محمد النيسابوري - بمرو -، حدَّثني علي بن مهران، حدَّثني سلمة بن الفضل، حدَّثني محمد ابن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة: أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا ذَكَرَتْ فَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الَّذِي وَلَدَهَا».

وفي - رواية - أبي العلاء - وكان بينهما شيء -، فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! سَلِّهَا، فَإِنَّهَا لَا تَكْذِبُ.

١٦- وأنبأني الحافظ صدر الحفّاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد - الهمداني، أخبرني زاهر بن طاهر الكاتب، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا محمد بن أحمد، أخبرنا أحمد بن علي التميمي، أخبرنا إبراهيم بن سعيد، أخبرنا حسين بن محمد، عن عمرو بن ثابت، عن أبي فاختة، عن علي عليه السلام قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ ﷺ إِنِّي وَإِيَّاكَ وَهَذَا - يَعْنِي عَلِي - وَهَذَيْنِ - يَعْنِي الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ».

١٧- وأنبأني أبو العلاء هذا، أخبرنا محمد بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا سليمان بن أحمد، أخبرنا محمد ابن عبد الله، أخبرنا جرير بن الحسين، أخبرنا حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى/٢٣، قالوا: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: «عليّ وفاطمة وابناهما ﷺ».

١٨- وأخبرنا الإمام الأجل ركن الإسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد الكرماني، أخبرنا إمام الأئمة أبو بكر محمد بن الحسين الأرسابندي (ره)، أخبرنا القاضي الإمام أبو الحسن علي بن الحسين السعدي، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد، أخبرنا محمد بن محمد بن علي الطوسي، أخبرنا محمد بن إسحاق الثَّقفي، أخبرني الحسن بن يزيد الطحان، أخبرني عبد السلام بن حرب، عن داود بن أبي عوف، عن جميع ابن عمير قال: دخلت مع عليّ بن أبي طالب على عائشة، فسألت: أي الناس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة، قيل: فمن الرجال؟ قالت: زوجها.

وسمعت - هذا الحديث - أيضاً في جامع أبي عيسى، بهذا السياق إلا أنّه زاد في خبره: إنّ كان ما علمتُ صوّماً قوَّاماً - تعني عليّاً ﷺ.

١٩- وأخبرنا القاضي الأجل ظهير الإسلام أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي، أخبرنا أبو الفضل العباس بن أبي العباس الشفائي - قراءة عليه -، أخبرنا الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو محمد المزني، أخبرنا أبو يعلى الموصلي، أخبرنا سهل بن زنجلة الرّازي، أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرني ابن لهيعة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله: أنّ النبي ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتّى شقّ ذلك عليه، وطاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة شيئاً، فأتى فاطمة ﷺ فقال:

«يابنية! هل عندك شيء آكله فاني جائع؟ فقالت: لا، والله، بابي أنت وأمي».

فلما خرج من عندها بعثت إليها جاريتها برغيفين وقطعة لحم، فاخذته منها ووضعتة في جفنة لها وغطت عليها، وقالت: «لأوثرن بها رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي».

وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، وبعثت حسناً وحسيناً عليهما السلام إلى رسول الله فرجع إليها فقالت: «بابي أنت وأمي، قد آتانا الله بشيء فخبأته، قال: هلمي».

فأنته فكشفت عن الجفنة، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليه بهتت فعرفت أنها كرامة من الله تعالى، فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه، فقال ﷺ «أنى لك هذا بنية؟ قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء العالمين في نساء بني إسرائيل في وقتهم، فإنها كانت إذا رزقها الله تعالى فسئلت، قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب».

فبعث رسول الله ﷺ إلى عليٍّ فأكل رسول الله هو؛ وعليٌّ؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ وجميع نساء النبي؛ وأهل بيته جميعاً؛ وشبعوا وبقيت الجفنة كما هي، قالت فاطمة رضي الله عنها: «فأوسعت منها على جميع جيراني فجعل الله فيها البركة والخير، كما فعل الله عز وجل لمريم رضي الله عنها».

وسمعت - هذا الحديث، عن الشيخ الإمام عبد الحميد البرايقي - مختصراً - برواية جابر بن عبد الله أيضاً.

٢٠- أخبرنا جابر الله العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أخبرنا الأستاذ الأمين أبو الحسن علي بن مردك الرازي - بالري -، أخبرنا

الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسن السّمان الرّازي، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري - بقراءتي عليه -، أخبرنا عبد الله بن محمد الحلواني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد، أخبرنا هارون بن محمد، أخبرنا عثمان بن طلوت، أخبرنا بشر بن أبي عمرو، أخبرنا أبي، أخبرنا عبد الله بن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، أنّه دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة! إنّ الله، ما كان أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أعزّ عليّ منك، وفي رواية أخرى: أكرم عليّ بعد أبيك منك.

٢١- وذكر الإمام محمد بن أحمد بن عليّ بن شاذان، أخبرني الحسن ابن حمزة، عن علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمد ابن زياد، عن حميد بن صالح، عن جعفر بن محمد ﷺ قال: «حدّثني أبي، عن أبيه، عن الحسين ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: فاطمة بهجة قلبي، وإبناها ثمرة فؤادي، وبعلمها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربّي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلف عنهم هوى».

٢٢- وذكر محمد بن شاذان هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد بالمحمدية، عن الحسين بن جعفر، عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن عيسى، عن نصر بن حماد، عن شعبة بن الحجاج، عن أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد التوكل على الله فليحبّ أهل بيتي، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحبّ أهل بيتي، ومن أراد الحكمة فليحبّ أهل بيتي، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحبّ أهل بيتي، فوالله، ما أحبّهم أحد إلا ربح الدنيا والآخرة».

٢٣- وذكر محمد بن شاذان هذا، أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسن التيملي، عن علي بن العباس، عن بكار بن محمد، عن نصر بن مزاحم، عن زياد بن المنذر، عن زاذان، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «ياسلمان! مَنْ أَحَبَّ فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي، وَمَنْ أَبْغَضَهَا فهو في النار.

ياسلمان! حُبُّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت؛ والقبر؛ والميزان؛ والمحشر؛ والصراط؛ والحاسبة، فَمَنْ رَضِيتُ عَنْهُ ابنتي فاطمة رَضِيتُ عَنْهُ، وَمَنْ رَضِيتُ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ غَضِبْتُ عَلَيْهِ ابنتي فاطمة غَضِبْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَضِبْتُ عَلَيْهِ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ياسلمان! وِلٌّ لِمَنْ يَظْلِمُهَا وَيَظْلَمُ بِعَلِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا، وَوِلٌّ لِمَنْ يَظْلَمُ ذُرِّيَّتَهَا وَشِيعَتَهَا».

٢٤- وذكر ابن شاذان هذا، حَدَّثَنِي النقيب أبو الحسن محمد بن محمد الحسني، عن أحمد بن إبراهيم، عن محمد بن زكريا، عن العباس ابن بكار، عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن ابن عوف: «يا عبد الرحمن! أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَنِّي، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ، فَمَنْ قَاسَهُ بِغَيْرِهِ فَقَدْ جَفَانِي، وَمَنْ جَفَانِي آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ رَبِّي.

يا عبد الرحمن! إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً مَبِيناً، وَأَمَرَنِي أَنْ أُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ، مَا خَلَا عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بَيَانٍ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ فَصَاحَتَهُ كَفَصَاحَتِي، وَدِرَايَتَهُ كَدِرَايَتِي. وَلَوْ كَانَ الْحَلَمُ رَجُلًا لَكَانَ عَلِيًّا، وَلَوْ كَانَ الْعَقْلُ رَجُلًا لَكَانَ حَسَنًا، وَلَوْ كَانَ السَّخَاءُ رَجُلًا لَكَانَ حُسَيْنًا، وَلَوْ كَانَ الْحَسَنُ شَخْصًا لَكَانَ فَاطِمَةَ، بَلْ هِيَ أَعْظَمُ، إِنَّ فَاطِمَةَ

ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً».

٢٥- وذكر ابن شاذان هذا، أخبرني إبراهيم بن محمد الدَّارِي، عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن أحمد بن عليل، عن عبد الله بن داود الأنصاري، عن موسى بن عليّ القرشي، عن قنبر بن أحمد، عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النبي ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله! ما هذا النور؟ فقال: «بشارة أتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، فإنَّ الله زوج علياً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزَّ شجرة طوبى فحملت رقاعاً - يعني صكاكاً - بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كلِّ ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق فلا تلقي محباً لنا أهل البيت إلا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار، فأخي وابن عمي وابنتي، بهم فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار».

٢٦- وأخبرني الشيخ الصالح أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي - بمدينة السلام -، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود ابن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر بن عبد العزيز بن محمد الترياقى؛ وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الفورجي - ثلاثهم -، عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، أخبرنا علي بن قادم، أخبرنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن صبيح - مولى أم سلمة -، عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ: «أنا سلّم لمن سألتم، وحرب لمن حاربتم».

٢٧- وأنبأني الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء بن الحسن الهمداني،

أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد، أخبرنا إسماعيل بن مسعدة الجرجاني، أخبرنا حمزة بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن عدي الحافظ، أخبرنا عمر بن سنان، أخبرنا الحسن بن علي الأزدي، أخبرنا أبو عبد الله المفتي، أخبرنا عبد الرزاق، عن أبيه، عن مينا بن أبي مينا - مولى عبد الرحمن بن عوف - أنه قال: ألا تسألوني قبل أن تُشأب الأحاديث بالباطيل، قال رسول الله ﷺ: «أنا شجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها في جنة عدن، والأصل والفرع واللقاح والثمر والورق في الجنة؟»

ولاحد الشعراء في هذا المعنى قوله:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة	ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر	والشيعه الورق الملتف بالثمر
إنني بحبهم أرجو النجاة غداً	والفوز في زمرة من أفضل الزمر
هذا مقال رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر

٢٨- وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن محمد، أخبرنا الطبراني، أخبرنا علي بن عبد العزيز، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا ابن أبي عتبة، عن أبي الخطاب الهجري، عن محدوج الباهلي، عن جسة قالت: أخبرني أم سلمة قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى هذا المسجد، فقال بأعلى صوته: «ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب، ولا لحائض، إلا للنبي وأزواجه، وفاطمة وعلي، ألا بينت لكم أن تضلوا»^(١).

(١) في هذا الحديث زيادات لعلها من محدوج فإنه مجهول كما في التقريب.

٢٩- وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء، أخبرنا أبو عليّ الحدّاد، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا إبراهيم بن أحمد، أخبرنا جدّي أبو حصين، أخبرنا يحيى الحماني، أخبرنا قيس، عن عبد الله بن عمران، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيّب، عن عليّ عليه السلام أنّه قال لفاطمة عليها السلام: «ما خير النساء؟ قالت: أن لا يُرين الرجال ولا يرونهن» فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «إنّما فاطمة بضعة منّي».

٣٠- وبه، عن أبي نعيم هذا، أخبرنا سليمان بن أبي أحمد، أخبرنا عليّ بن سعيد، أخبرنا عبد الله بن عمر بن أبان، أخبرنا مسهر بن عبد الملك، أخبرنا عتبة أبو معاذ البصري، عن عكرمة، عن عمران بن الحصين قال: إنّني لجالس عند النبي ﷺ إذ أقبلت فاطمة فقامت بحذاء النبيّ مقابلة، فقال: «ادني يا فاطمة!» فدنت دنوة، ثمّ قال: «ادني يا فاطمة» فدنت حتّى قامت بين يديه.

قال عمران: فرأيتُ صفرةً قد ظهرت على وجهها وذهب الدم، فبسط رسول الله بين أصابعه ثمّ وضع كفّه بين ترائبها، ثمّ قال: «اللهمّ مشبع الجوعة، وقاضي الحاجة، ورافع الوضعة، لاتجع فاطمة بنت محمد» فرأيتُ صفرة الجوع قد ذهبت عن وجهها وظهر الدم، ثمّ سألتها بعد ذلك فقالت: «ما جعتُ بعد ذلك يا عمران»!

٣١- وبه، عن أبي نعيم هذا، أخبرنا أبو بكر بن خلّاد، أخبرنا محمد ابن يونس، أخبرنا حمّاد بن عيسى، أخبرنا جعفر، عن أبيه عليه السلام، عن جابر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: «سلامُ الله عليك أبا الريحانتين! أوصيك بريحانتي من الدُّنيا، فعن قليل ينهد ركناك، والله خليفتي عليك».

فلما قبض رسول الله ﷺ قال علي عليه السلام: «هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله».

فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام: «هذا الثاني الذي قال لي رسول الله ﷺ».

٣٢- وأخبرني الشيخ الإمام فخر الأئمة أبو الفضل بن عبد الرحمن الحفربندي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد العطار؛ وإسماعيل بن أبي نصر الصابوني؛ وأحمد بن الحسين البيهقي؛ قالوا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي، أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي، أخبرنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثني أبي، حدثني يزيد بن سنان، أخبرنا عتبة ابن رويم: سمعت أبا ثعلبة الخشني يقول: كان رسول الله إذا رجع من غزاة وسفر أتى المسجد فصلّى ركعتين، ثم ثنى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه، فلما رجع خرج من المسجد تلقت فاطمة عند البيت تلثم فاه وعيناها تبكي، فقال: «يابنية! ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله! أراك شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك؟ فقال: لا تبكي، فإن الله عز وجل بعث أباك لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أدخل الله عز وجل به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل».

٣٣- وأخبرني الإمام الحافظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن فادشاه [ح]؛ وأخبرنا أبو علي الحدّاد - مناولة -، أخبرنا أبو نعيم الحافظ قالوا: أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، عن عبد الله بن سعد الرقي، عن أحمد بن شيبه، عن أبي قتادة الحرّاني، عن سفيان الثوري، عن هشام بن

عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: كُنْتُ أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئاً مَا كُنْتُ أَرَاكَ تَفْعَلُهُ مِنْ قَبْلُ؟
فَقَالَ: «يَا حَمِيرَاءُ! إِنَّهُ لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَوَقَفْتُ عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ لَمْ أَرَ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً هِيَ أَحْسَنَ حَسَنًا وَلَا أَبْضَرَ مِنْهَا وَرَقَةً، وَلَا أَطْيَبَ ثَمَرَةً، فَتَنَاوَلْتُ ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرَتِهَا فَأَكَلْتُهَا فَصَارَتْ نَظْفَةً فِي صُلْبِي، فَلَمَّا هَبَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَاقَعَتْ خَدِيجَةُ فَحَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ، فَإِذَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمِمْتُ رَائِحَةَ فَاطِمَةَ.

يَا حَمِيرَاءُ! إِنَّ فَاطِمَةَ لَيْسَتْ كَنَسَاءِ الْآدَمِيِّينَ وَلَا تَعْتَلُ كَمَا يَعْتَلُّنَ».

وأورد - هذا الحديث - أبو عبد الله في «المستدرک» مختصراً، عن سعد ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْلَةُ أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ أَتَانِي جِبْرَائِيلُ بِسَفَرَجَلَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ فَأَكَلْتُهَا فَعَلَقَتْ خَدِيجَةُ بِفَاطِمَةَ، فَكُنْتُ إِذَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمِمْتُ رُقْبَةَ فَاطِمَةَ».

٣٤- وأخبرني سيّد الحفاظ أبو منصور هذا - فيما كَتَبَ إِلَيَّ مِنْ هَمْدَانِ -، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَلَاءِ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْمُؤَدَّبُ وَوَالِدِي (رِه) بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِمَا قَالَا: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَجَلِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ ابْنُ عَلِيٍّ بْنُ بِلَالٍ الْفَقِيه، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ عَيْسَى، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَاطِمَةَ كِسَاءً مِنْ أَوْبَارِ الْأَبْلِ وَهِيَ تَطْحَنُ فَبَكَى، وَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ! اصْبِرِي عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا، لَنَعْمَ الْآخِرَةُ غَدًا» قَالَ: فَتَزَلَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآيَةُ ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضِي﴾ الضحى/ ٥.

٣٥- وأخبرني سيّد الحفاظ هذا - فيما كَتَبَ إِلَيَّ -، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ

الحسن بن أحمد الحدّاد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، عن محمد بن عمر السلفي، عن أبيه، عن محمد بن موسى، عن الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة! زوجتك سيّداً في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين».

لما أراد الله عز وجل أن أملكك أمر جبرائيل فقام في السّماء الرابعة وصف الملائكة صفوفاً، ثمّ خطب عليهم فزوجك من عليّ، ثمّ أمر الله شجر الجنان فحمل الحلي والحلل فثرت على الملائكة، فمن أخذ منهم شيئاً أكثر مما أخذه غيره افتخر به إلى يوم القيامة».

٣٦- أخبرنا عين الأئمة أبو الحسن عليّ بن أحمد الكرباسي، أخبرنا القاضي الإمام أحمد بن عبد الرحمن الريغدموني، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الثعالبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر البغدادي - بمرو -، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي - بواسط -، حدّثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدّثني أبي موسى بن جعفر، حدّثني أبي جعفر بن محمد، حدّثني أبي محمد بن عليّ، حدّثني أبي عليّ ابن الحسين، حدّثني أبي الحسين بن عليّ، حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أتاني ملك الموت، فقال: يا محمد! إنّ الله يقرأ عليك السّلام، ويقول: قد زوجت فاطمة من عليّ فزوجها منه، وقد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدرّ والياقوت والمرجان، وإنّ أهل السّماء قد فرحوا بذلك، وسيولد لهما ولدان سيّدا شباب أهل الجنة، فابشر يا محمد! فإنّك خير الأوّلين والآخرين».

٣٧- وأخبرني ثقة الحفاظ أبو داود محمود بن سليمان بن محمد الهمداني - فيما كتب إليّ من همدان -، أخبرني أبو بكر محمد بن عبد

الباقى ؛ ويحيى بن الحسن البناء - ببغداد - قالاً : أخبرنا القاضي الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن المهدي بالله ، أخبرنا أبو حفص عمر ابن أحمد بن عثمان بن شاهين الواعظ ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر ابن شاذان - في تربة نزلها عند حفيرة الخيزران - ، أخبرنا أحمد بن محمد بن مهران ، حدثني مولاى الحسن بن علي - صاحب العسكر - ، حدثني أبي علي ابن محمد ، حدثني أبي محمد بن علي ، حدثني أبي علي بن موسى ، حدثني أبي موسى بن جعفر ، حدثني أبي جعفر بن محمد ، حدثني أبي محمد بن علي ﷺ قال : «حدثني جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله تعالى آدم وحواء تبخترا بالجنة ، وقالوا : ما خلق الله خلقاً أحسن منا ، فبينما هما كذلك إذا هما بصورة جارية لم ير الراؤون أحسن منها ، لها نور شعشعاني يكاد يطفىء الابصار ، على رأسها تاج ، وفي أذنيها قرطان ، فقالوا : يارب ! ما هذه الجارية ؟ قال : صورة فاطمة بنت محمد سيد ولدك ، فقالوا : ما هذا التاج على رأسها ؟ قال : هذا بعلها علي بن أبي طالب ﷺ ، فقالوا : ما هذا القرطان ؟ قال : إبناهما الحسن والحسين ، وجد ذلك في غامض علمي قبل أن أخلقكما بالفى عام .

٣٨- وأخبرني سيد الحفاظ - فيما كتب إلي - قال : ومما سمعته في «المفاريدي» باسنادي ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : «لو لم يكن علي ما كان لفاطمة كفؤ» .

قال : ومما سمعته في «المفاريدي» باسنادي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «يا علي ! إن الله تعالى زوجك فاطمة ، وجعل صداقها الأرض ، فمن مشى عليها مبغضاً لها مشى حراماً» .

٣٩- قال سيد الحفاظ هذا : وأخبرنا أبو الفتح بن عبد الله - كتابة -

أخبرنا أبو الفضل بن عبدان، أخبرنا علي بن الحسن الرازي، أخبرنا أحمد ابن محمد، أخبرنا عباد بن يعقوب، أخبرنا يحيى بن سالم، عن إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقبل عرض^(١) وجه فاطمة وبين ثديها.

٤٠- وبه، عن أبي الفضل بن عبدان، أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا الحسين بن علي الصوفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن مخلد، أخبرنا يحيى بن حماد، أخبرنا أبو عوانة، عن العلاء بن المسيب، عن إبراهيم، عن يعيش، عن نافع، عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قبل رأس فاطمة، وقال: «فداك أبوك كما كنت فكوني».

٤١- قال سيد الحفاظ هذا (جزاه الله عنا خيراً): وأخبرنا محيي السنة عبدوس بن عبد الله - اجازة - أخبرنا أبو طاهر، أخبرنا محمد بن إبراهيم العاصمي، أخبرنا المفضل بن محمد، أخبرنا توبة بن علوان، أخبرنا شعبة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس قال: لما أن كانت ليلة زُفت فيها فاطمة إلى علي بن أبي طالب، كان النبي ﷺ قد أمها، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها يُسبحون الله ويقدسونه، حتى طلع الفجر.

٤٢- وبه، عن محيي السنة هذا، أخبرنا أبو طاهر الحسين بن علي، أخبرنا المفضل بن الفضل، أخبرنا محمد بن سهل، أخبرنا عبد الله بن محمد البلوي، حدثني إبراهيم بن عبد الله، حدثني أبي، عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «دخل رسول الله ﷺ على علي وفاطمة وأخذ بعضادتي

(١) كذا في النسخة ولعله عارضي وجه فاطمة.

الباب، وقال: السَّلام عليكم، يا أهل بيت الرحمة! وموضع الرسالة، ومنزل الملائكة، يا بنية! إِنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى اطلع على أهل الأرض اطلاعةً فاختارَ أباك، فجعله نبياً، ثُمَّ اطلع الثانية، فاختار منهم زوجك علياً، فجعله لي أخاً ووصياً، ثُمَّ اطلع الثالثة، فاختارَكَ وأُمَّكَ، فجعلكما سيِّدتي نساء العالمين، ثُمَّ اطلع الرابعة، فاختار ابنك فجعلهما سيِّدي شباب أهل الجنة.

فقال العرش: أي ربِّي، ابني نبيِّكَ، وابني وصيَّ نبيِّكَ، زيني بهما فهما يوم القيامة في ضفتي العرش بمنزلة الشنقين من الوجه، ومَدَّ رسول الله ﷺ شحمتي أذنيها حتى احمرتا.

٤٣- وبه، عن محيي السنَّة هذا، أخبرنا الشَّريف المفضل بن محمد الجعفري - بأصبهان - في سكة الخوز، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، أخبرنا عبد الباقي بن قانع، أخبرنا محمد بن زكريا بن دينار، أخبرنا عمير بن عمران، أخبرنا سليمان بن عمرو النخعي، عن ربعي ابن خراش، عن حذيفة قال: رأيتُ رسول الله ﷺ آخذٌ بيد الحسين بن عليٍّ، فقال: «أيُّها النَّاس! جدُّ الحسين أكرم على الله من جدِّ يوسف بن يعقوب، وأنَّ الحسين في الجنة، وأباه في الجنة، وأمه في الجنة، وأخاه في الجنة، ومحَبَّهُم في الجنة، ومحَبٌّ محَبَّهُم في الجنة».

٤٤- وبه، عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، أخبرنا عبد الله بن محمد ابن عيسى، أخبرنا الحسين بن معاذ بن حرب، أخبرنا عبد الحميد بن بحر، أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليٍّ عليه السلام، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «في الجنة درجة تدعى - الوسيلة - فإذا سألتُم الله تعالى فاسألوه لي الوسيلة، قالوا: يا رسول الله! مَنْ يسكن معَكَ فيها؟ قال: عليٌّ وفاطمة؛

والحسن؛ والحسين».

٤٥- قال سيّد الحفاظ هذا (جزاه الله عنا خيراً): أخبرنا والدي (ره)، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمر البزاز، أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى، أخبرنا صالح بن أحمد الحافظ، أخبرنا القاسم بن أبي صالح، أخبرنا إبراهيم بن الحسين، أخبرنا سويد بن سعيد، أخبرنا محمد بن عمر الكلاعي، أخبرنا عامر الشعبي، عن ميمونة بنت الحرث: أن النبي ﷺ قال لها: «أذهبي بهذا الصاع إلى فاطمة تطحنه لنا».

فبينما هي تطحن إذ غلبتها عينها فذهب بها النوم، فقال نبي الله ﷺ: «قد أبطأ علينا طعامنا فانظري ما حبسها»؟

فذهبت ميمونة فاطلعت من الباب فإذا الرحي تدور وإذا فاطمة نائمة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: رأيتُ فاطمة نائمة والرحي تدور، فقال: «ما أحد يديرها؟» قالت: ما أحد يديرها، فقال: «رحم الله - جل جلاله - أمته حيث رأى ضعفها، فأوحى الله إلى الرحي فدارت» فجاءت ميمونة إلى طعامها وقد فرغ الرحي من طحنه.

٤٦- قال سيّد الحفاظ هذا: وأخبرني والدي (ره)، أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين المقرئ - بقزوين -، أخبرنا الحسن بن الحسين الراشدي، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا أبو بكر الشعفي - ببغداد - حدثنا سمانة بنت حمدان بن موسى، حدثني أبي، حدثني عمرو بن زياد الثوباني، أخبرنا عبد العزيز بن محمد، حدثني زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أن مات ولدي من خديجة أوحى الله إليّ أن أمسك عن خديجة وكنت لها عاشقاً، فسألتُ الله أن يجمع بيني وبينها، فأتاني جبرئيل في - شهر رمضان ليلة جمعة لأربع وعشرين -، ومعه

طبق من رطب الجنة، فقال لي: يا محمد! كل هذا وواقع خديجة الليلة، ففعلت فحملت بفاطمة، فما لثمت فاطمة إلا وجدت ريح ذلك الرطب، وهو في عترتها الى يوم القيامة».

٤٧- أخبرني شهاب الدين أبو النجيب سعد بن عبد الله - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرنا الحافظ أبو علي الحسن بن أحمد الحداد - إذناً -، أخبرنا الأديب أبو يعلى عبد الرزاق بن عمر الطبراني، أخبرنا الإمام الحافظ طراز المحدثين أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أخبرنا سليمان بن أحمد، أخبرنا محمد بن موسى، أخبرنا الحسن بن كثير، أخبرنا سليمان بن عقبة، أخبرنا عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا رسول الله! أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟»، قال: فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز علي منها، وكأنني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وأن عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيلاً وجعفرأ في الجنة، إخواناً على سرر متقابلين لا ينظر أحدهم في قفا صاحبه».

٤٨- وأخبرني أبو النجيب هذا - فيما كتب إلي - بإسناده عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، أخبرنا إبراهيم بن أبان بن رسته، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله، أخبرنا عبد الرحمن بن حماد، أخبرنا أبو عبد الرحمن المدني، عن محمد بن علي، عن أبيه عليه السلام أنه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام، ثم ذكر أن فاطمة سألت من رسول الله ﷺ خادماً... إلى أن قال: «ثم غزا رسول الله ﷺ ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه فأمسك امرأتين: إحداهما شابة والأخرى امرأة قد دخلت في السن ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة وأخذ

بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة، وقال: يا فاطمة! هذه لك ولا تضربيهما، فإنني رأيتها تصلي وأن جبرئيل نهاني أن أضرب المصلين، وجعل رسول الله يوصيها بها، فلما رأت فاطمة ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله ﷺ، وقالت: يا رسول الله! عليّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله بالبكاء وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم».

٤٩- وبهذا الإسناد، عن [ابن] مردويه هذا، أخبرنا عثمان بن محمد البصري، حدثنا محمد بن الحسين: سمعت الحسن بن عبد العزيز: سمعت عبيد الله القواريري يقول: اختلف أصحابنا - يعني - يحيى بن سعيد؛ وعبد الرحمن بن مهدي، في - عائشة وفاطمة - أيتها أفضل؟ فأرسلوني إلى عبد الله بن داود الخريبي، فسأله، فقال: أمّا فاطمة فإن النبي ﷺ قال: «إنما فاطمة بضعة مني»، ولم أكن أفضل على بضعة من رسول الله أحداً.

٥٠- أنبأني الإمام فخر الأئمة أبو الفضل الحفربندي، أخبرنا الحسن بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم بن أحمد؛ وإسماعيل بن أبي نصر؛ وأحمد بن الحسين قالوا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا عبد الله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس بن مالك قال: سألت أمي عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقالت: كانت كالقمر ليلة البدر، أو كالشمس كفر عاماً^(١) إذا خرجت من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله ﷺ شبهاً، كانت والله، كما قال الشاعر:

بيضاء وتسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل أسحم

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل أو كالشمس كفرها الغمام.

فكانها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مُظلم
 ٥١- أخبرنا سيد الحفاظ الديلمي - فيما كتب إلي من همدان - أخبرنا الحسن بن محمد المقرئ - إذناً -، أخبرنا عبد الرزاق بن عمر، أخبرنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، حدثني محمد بن إبراهيم، حدثني إبراهيم بن إسماعيل، حدثني محمد بن خلف، حدثني محمد بن أبي السري، حدثني عبد الرزاق بن معمر، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أهل الجنة في الجنة ينعمون، وأهل النار في النار يُعذبون، إذ لاهل الجنة نور ساطع فيقول بعضهم لبعض: ما هذا النور؟ لعله رب العزة اطلع فنظر إلينا، فيقول لهم رضوان: لا، ولكن عليّ ﷺ مازح فاطمة ﷺ فتبسمت فأضاء ذلك النور من ثناياها».

٥٢- قال سيد الحفاظ: وأخبرنا محيي السنة أبو الفتح عبدوس بن عبد الله الهمداني - إجازة -، حدثنا القاضي أبو نصر شعيب بن علي، حدثنا موسى بن سعيد، حدثنا الوليد بن علي، حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا علي بن عياش، عن فضيل، عن عطية، عن أبي سعيد قال: لما نزلت آية: ﴿وَأَتَاكَ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ الاسراء/٢٦، دعا رسول الله ﷺ فاطمة ﷺ فأعطاهَا «فدكاً».

٥٣- قال سيد الحفاظ هذا: أخبرنا محيي السنة هذا إجازة، أخبرنا أبو الفرج، حدثنا عبد الرحمن بن أحمد، حدثنا أبو علي الدقيقي، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا إسماعيل بن موسى، حدثنا عمر بن سعيد، حدثني عبد العزيز؛ ويحيى بن سليم؛ وسليمان الأعمش، عن عطاء بن السائب - دخل حديث بعضهم في بعض -، عن علي ﷺ، وابن عباس (ره) قالوا: «لما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء بلغ السماء الرابعة، وهي من

ذهب صفراء اسمها «الماهون»، وخازنها مومن بالليل، وفيها ادريس النبي، وذكر فيها قصة مريم وقصرها؛ وآسيا بنت مزاحم وقصرها؛ وخديجة بنت خويلد وقصرها، إلى أن بلغ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فذكر قصرها. قالوا: فرأى سبعين قصرًا من مرجانة حمراء، مكللة باللؤلؤ، أبوابها وحيطانها وأسرتها من عرق واحد.

٥٤- وحدثنا أخي الإمام الأجل سراج الدين شمس الأئمة إمام الحرمين أبو الفرج محمد بن أحمد المكي - إملأء - (جزاه الله عني خيراً)، حدثنا القاضي الإمام الأجل جمال القضاة أبو الفتح المظفر بن أحمد بن عبد الواحد - بحلوان -، في شهر الله المبارك رمضان سنة عشر وخمسمائة، أخبرنا الشيخ الفقيه أبو بكر محمد بن علي الحلواني في جامع حلوان في جمادى الأولى سنة أربع وستين وأربعمائة، أخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي - بمكة - حرسها الله سنة خمس وخمسين وأربعمائة - قراءة عليها - وأنا حاضر أسمع.

[ح] وأخبرني بهذا الحديث عالياً قاضي القضاة نجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي فيما كتب إلي من همدان، بروايته عن الإمام نور الهدى أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي بروايته عن الكريمة فاطمة بنت أحمد بن محمد المروزي بمكة حرسها الله، بهذا الإسناد هذه السياقة، قيل لها: أخبركم الشيخ الإمام أبو علي زاهر بن أحمد، حدثنا معاذ بن يوسف الجرجاني، حدثنا أحمد بن محمد بن غالب، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا نمير، عن مجالد، عن ابن عباس قال: خرج أعرابي من - بني سليم - يبتدئ في البرية، فإذا هو بضرب قد نفر من بين يديه، فسعى وراءه حتى اصطاده، ثم جعله في كفه وأقبل يزدلف نحو

النبي ﷺ فلما وقف بازائه ناداه: يا محمد! يا محمد! وكان من أخلاق رسول الله ﷺ إذا قيل له: يا محمد! قال: «يا محمد!»، وإذا قيل له: يا أحمد قال: «يا أحمد»، وإذا قيل له: يا أبا القاسم قال: «يا أبا القاسم»، وإذا قيل له: يا رسول الله قال «ليكن وسعديك»، ويتهلل وجهه. فلما أن ناداه الأعرابي: يا محمد يا محمد! قال النبي ﷺ: «يا محمد يا محمد»، فقال له: أنت الساحر الكذاب الذي ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أكذب منك؟ أنت الذي تزعم أن لك في هذه الخضراء إلهاً بعث بك إلى الأسود والابيض؟ فواللات والعزى، لولا أني أخاف أن يسميني قومي «العجول» لضربتك بسيفي هذا ضربة أقتلك فيها فأسود بك الأولين والآخرين؟

فوثب إليه عمر بن الخطاب ليبطش به، فقال له النبي ﷺ: «اجلس أبا حفص! فقد كاد الحليم أن يكون نبياً»، ثم التفت النبي إلى الأعرابي، فقال له: «يا أخا بني سليم أهكذا تفعل العرب؟ يتهمون علينا في مجالسنا ويجاهروننا بالكلام الغليظ، يا أعرابي والذي بعثني بالحق نبياً، إن أهل السماء السابعة ليسمونني «أحمد الصادق»، يا أعرابي أسلم تسلم من النار، ويكون لك مالنا، وعليك ما علينا، وتكون أخانا في الإسلام». قال: فغضب الأعرابي وقال: واللات والعزى، لا أؤمن بك يا محمد! أو يؤمن هذا الضب، ورمى بالضب عن كفه، فلما وقع الضب ولى هارباً، فناده النبي ﷺ «أيها الضب أقبل إلي»، فأقبل الضب ينظر إلى النبي، فقال له النبي: «أيها الضب من أنا؟ فإذا هو ينطق بلسان فصيح ذرب غير متلكىء، ويقول: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. فقال له النبي: «من تعبد؟ فقال: أعبد الله عز وجل الذي فلق الحبة، وبرأ

النسمة، واتخذ إبراهيم خليلاً، واصطفاك يا محمد حبیباً، ثم أطبق على فم الضب فلم يحر جواباً، فلما نظر الاعرابي إلى ذلك، قال: واعجبا ضبٌ اصطدته من البرية، ثم أتيت به في كمي لا يفقه، ولا ينقه، ولا يعقل، يكلم محمداً بهذا الكلام، ويشهد له بهذه الشهادة، لا أطلب أثراً بعد عين، مدّ يمينك فانا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فاسلم وحسن إسلامه، ثم أنشأ شعراً في ذلك وقال:

فبوركت مهدياً وبوركت هادياً	ألا يا رسول الله! أنك صادقٌ
عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا	شرعت لنا دين الحنيفة بعدما
إلى إنسها والجن لبيك داعياً	فيا خير مدعو! ويا خير مرسل
فأصبحت فينا صادق القول زاكياً	أتيت ببرهان من الله واضح
وبوركت مولوداً وبوركت ناشياً	فبوركت في الأحوال حياً وميتاً
أتيناك نرجو أن ننال العواليا	ونحن أناس من سليم وأننا

قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال: «علموا الاعرابي سوراً من القرآن» فلما علم الاعرابي شيئاً من القرآن، قال له النبي ﷺ: «هل لك شيء من المال؟» قال: والذي بعثك بالحق نبياً، إن بني سليم أربعة آلاف رجل مافيهم أفقر مني، ولا أقل مالاً، فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال لهم: «من يحمل الاعرابي على ناقة وأنا أضمن له على الله ناقة من نوق الجنة؟»

فوثب عبدالرحمن بن عوف فقال: فداك أبي وأمي، عندي ناقة حمراء عشراء، فقال النبي ﷺ: «ألا أصف لك الناقة التي تعطاها بدلاً من ناقة الاعرابي؟» قال: بلى، فداك أبي وأمي، فقال: «يا عبد الرحمن! ناقة من ذهب أحمر، قوامها من العنبر، ووبرها من الزعفران، وعيناها من

ياقوت احمر، وعنقها من زبرجد أخضر، وسنامها من كافور أشهب، ودفتها من الدر وخطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها قبة من درة بيضاء يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، تطير بك في الجنة».

ثم التفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «من يتوج الاعرابي وأنا أضمن له على الله تاج التقى؟» فوثب إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «فداك أبي وأمي، وما تاج التقى؟» فذكر صفته فنزع علي عليه السلام عمامته فعمم بها الاعرابي، ثم التفت النبي ﷺ فقال: «من يزود الاعرابي وأنا أضمن له على الله زاد التقوى؟» فوثب إليه سلمان وقال: فداك أبي وأمي، وما زاد التقوى؟ فقال: «ياسلمان إذا كان آخر يوم من الدنيا لقنك الله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن أنت قلتها لقيتني ولقيتك، وإن أنت لم تقلها لم تلقني ولم ألقك أبداً».

قال: فمضى سلمان حتى طاف تسعة أبيات من بيوت رسول الله (صلوات الله عليه) فلم يجد عندهن شيئاً، فلماً ولى راجعاً نظر إلى حجرة فاطمة، فقال: إن يكن خير فمن منزل فاطمة، ففرع الباب فأجابته من وراء الباب: «من بالباب؟» فقال: أنا سلمان الفارسي، فقالت: «وما تريد؟» فشرح لها قصة الاعرابي والضرب وما ضمنه النبي ﷺ لزاده، فقالت: «ياسلمان والذي بعث بالحق محمداً نبياً، إن لنا ثلاثاً ما طعمنا، وأن الحسن والحسين قد اضطربا علي من شدة الجوع، ثم رقدا كأنهما فرخان متوفان، ولكن ياسلمان لا ارد الخير يأتي، خذ درعي هذا ثم امض به إلى شمعون اليهود، وقل له: تقول فاطمة بنت محمد: أقرضني عليه صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، أردته عليك إن شاء الله تعالى».

فأخذ سلمان الدرع، وأتى به إلى شمعون اليهودي، فأخذ شمعون

الدرع وجعل يقلبه في كفه وعيناه تذرفان بالدموع، وهو يقول: يا سلمان هذا هو الزهد في الدنيا، هذا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في «التوراة»، فانا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه، ودفع لسلمان صاعاً من تمر، وصاعاً من شعير، فاتى به سلمان إلى فاطمة فطحته بيدها واختبرته، وأتت به إلى سلمان، وقالت له: «خذه وامض به الى النبي ﷺ»، فقال سلمان: يا فاطمة خذي منه قرصاً تعللين به الحسن والحسين؟ فقالت: «يا سلمان! هذا شيء أمضيته لله عز وجل، فلنأخذ منه شيئاً»، فاخذه سلمان وأتى النبي، فلما نظره ﷺ قال: «يا سلمان من أين لك هذا؟» قال: من منزل ابنتك فاطمة.

قال: وكان النبي ﷺ لم يطعم طعاماً منذ - ثلاث -، فقام حتى أتى حجرة فاطمة فقرع الباب، وكان إذا قرع الباب لا يفتح له إلا فاطمة فلما فتحت له نظر إلى صفرة وجهها وتغير حدقتها، فقال: «يابنية! ما الذي أراه من صفرة وجهك، وتغير حدقتيك؟» قالت: «يا أبة إن لنا - ثلاثاً - ما طعمنا، وأن الحسن والحسين اضطربا علي من شدة الجوع، ثم رقدا كأنهما فرخان متوفان».

قال: فنبههما النبي ﷺ وأجلس واحداً على فخذه اليمين، وواحداً على فخذه الأيسر، وأجلس فاطمة بين يديه، واعتنقهم، فدخل علي بن أبي طالب فاعتنق النبي من ورائه، ثم رفع النبي طرفه إلى السماء، وقال: «إلهي وسيدي ومولاي هؤلاء أهل بيتي، اللهم فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، ثم وثبت فاطمة إلى مخدعها فصفت قدميها وصلّت ركعتين، ثم رفعت باطن كفيها إلى السماء، وقالت: «إلهي وسيدي هذا نبيك محمد؛ وهذا علي ابن عم نبيك؛ وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك،

إلهي! فانزل علينا مائدة كما أنزلتها على - بني إسرائيل - أكلوا منها وكفروا بها، اللهم فانزلها فإننا بها مؤمنون».

قال ابن عباس: فوالله، ما استتمت الدعوة إلا وهي ترى جفنة من ورائها يفوح قنارها، وإذا قنارها أذكى من المسك الأذفر فاحتضتها، وأتت بها إلى النبي ﷺ؛ وعلي؛ والحسن؛ والحسين ﷺ فلما نظرها علي، قال: «يا فاطمة أنى لك هذا؟» ولم يكن يعهد عندها شيئاً، فقال النبي: «كُل يا أبا الحسن ولا تسَل، الحمد لله الذي لم يمتني حتى رزقني ولداً مثله، مثل مريم ﴿كَلِمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾» آل عمران/ ٣٧.

قال: فأكل النبي؛ وعلي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين ﷺ، وخرج النبي وتزود الأعرابي فاستوى على راحلته، وأتى بني سليم وهم يومئذ أربعة آلاف رجل، فلما حلَّ في وسطهم، ناداهم بأعلى صوته: قولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

فلما سمعوا هذه المقالة أسرعوا إلى سيوفهم فجرّدوها، وقالوا: صبوت إلى دين محمد الساحر الكذاب؟ فقال لهم: والله، يا بني سليم ما هو بساحر ولا كذاب، إنّ إله محمد خير إله، وإنّ محمداً خير نبي أتته جائعاً فاطعمني، وعارياً فكساني، وراجلاً فحملني، ثمّ شرح لهم - قصة الضب - وما قاله، وقال لهم: يامعشر بني سليم أسلموا تسلموا من النار، فأسلم ذلك اليوم أربعة آلاف رجل - وهم أصحاب الرايات الخضراء حول رسول الله ﷺ.

٥٥- وروي في «المراسيل» أن - الحسن والحسين - كان عليهما ثوبان خلقان وقد قرب العيد، فقالا لأُمهما فاطمة: إنّ بني فلان خيطت لهم ثياب

فاخرة للعيد، أفلا تخيطين يأماًه لنا ثياباً للعيد؟ فقالت لهما: يخاط لكما إن شاء الله. فلما جاء العيد جاء جبرائيل بقميصين من حلل الجنة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: «ما هذان يا أخي يا جبرائيل؟» فأخبره بقول الحسن والحسين لفاطمة، وبقول فاطمة: «يخاط لكما إن شاء الله»، قال جبرائيل: فلما سمع الله قولها قال: «لا تكذبين فاطمة بقولها فقد شئت».

٥٦- وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أول شخص يدخل عليّ الجنة

فاطمة، مثلها في هذه الأمة كمثل مريم بنت عمران في بني إسرائيل».

٥٧- وأخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي -

فيما كتب إليّ من همدان - (جزاه الله خيراً)، أخبرنا محيي السنة أبو الفتح عبدوس بن عبد الله الهمداني كتابة، أخبرنا أبو منصور، أخبرنا عليّ بن مكّي، أخبرنا القاسم، أخبرنا إبراهيم، أخبرنا إسماعيل بن بنت السدي، أخبرنا بشر بن الوليد الهاشمي، أخبرنا عبد النور المسمعي، عن شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم بن علي، عن مسروق قال: لما قدم علينا عبد الله بن مسعود - الكوفة - قلنا له: حدثنا عن رسول الله ﷺ فذكر الجنة، ثم قال: سأحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ.

فلم أزل أطلب الشهادة للحديث فلم أرزقها، سمعته يقول في - غزوة تبوك - ونحن نسير معه، يقول: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي ففعلت، فقال لي جبرائيل: إن الله قد بنى جنة عدن من لؤلؤ قصب رطب، بين كل قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشدرة بالذهب، فلبنة من در، ولبنة من ياقوت، ولبنة من زبرجد، ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها وحيطت بالأنهار، وجعل الأنهار قباباً قد شعبت بسلاسل الذهب، وحفّت بأنواع الشجر، وبين كل غصنين بيت، وجعل في كل أريكة من درّة بيضاء

غشاؤها السندس والاستبرق، وفُرشت أرضها بالزعفران وفتيق المسك والعنبر، وجعل في كل قبة حوراء، والقبة لها مائة باب على كل باب جاريتان وشجرتان، وفي كل قبة مفرش وكتاب مكتوب حول القباب - آية الكرسي - فقلت: يا جبرائيل! لمن بنى الله هذه الجنة؟ فقال: هذه جنة بناها الله لعلي وفاطمة ابنتك، سوى جناهما تحفة لهما أتخفها الله بها يا محمد.

٥٨- وأخبرني الإمام شهاب الإسلام أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني الحافظ سليمان بن إبراهيم - فيما كتب إلي من أصبهان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة -، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، فيما أذن لي قال: حدثت عن جعفر بن محمد بن مروان، أخبرنا أبي، أخبرنا سعيد بن محمد الجرمي، أخبرنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن حبة، عن علي بن أبي طالب قال: «غسلت النبي في قميصه فكانت فاطمة تقول: إرثي القميص فإذا شمته غشي عليها، فلما رأيت ذلك غيبت».

٥٩- وبهذا الإسناد، عن الحافظ أبي بكر هذا، أخبرنا عبد الله بن إسحاق، أخبرنا محمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن زياد، أخبرنا شرقي بن قطامي^(١)، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: لما بلغ فاطمة أن أبا بكر أظهر منعها «فدكاً» لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكنت فورتهم،

(١) في السند، الشرقي بن قطامي طعن فيه ابن حجر في الميزان فالحديث مزيد فيه.

افتتحت كلامها بحمد الله والثناء عليه، ثم قالت: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ التوبة/١٢٨، فإن تعزوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، فبلغ الرسالة، صادعاً بالندارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً لحدتهم، يجذد الأصنام، وينكث الهام ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وتمت كلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، نهزة الطامع ومذقة الشارب، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، حتى استنقذكم الله ورسوله، بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب، وفغرت فاعرة، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفي، حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويطفئ عادية لهبها بسيفه، وأنتم في رفاهية آمنون، وادعون حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، اطلع الشيطان رأسه، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، إنما زعمتم خوف الفتنة، ﴿ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ التوبة/٤٩، ثم لم تلبثوا حيث تسرون حسوا في ارتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى، وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ المائدة/٥٠.

يامعشر المسلمين أبتز إرث أبي؟ أباي الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي،

لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مرحولة مخطومة، تلقاك يوم حشرك، فنعم

الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون﴾ الجاثية/ ٢٧. ثم انكفات الى قبر أبيها تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

فلما فرغت من مقالتها، حمد الله أبو بكر، وصلى على نبيه، ثم قال: يا خير النساء! ويا ابنة خير الأنبياء! والله، ما تجاوزت رأي أبيك رسول الله، ولا خالفت أمره، إن الرائد لا يكذب أهله، إني أشهد الله وكفى به شهيداً، إني سمعت رسول الله يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والنبوة»؟

قالت: فلما سمعت فاطمة ذلك رضيت وانصرفت، قالوا: ولما أفضى الأمر إلى عليّ عليه السلام تكلم معه أن يرد «فدكاً»، فقال: «معاذ الله، إني لاستحي أن أرد شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر»، وأبى أن يردّها.

٦٠- أخبرني الإمام الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني -

إجازةً بهمدان -، أخبرنا الحسن بن أحمد المقرئ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد ابن الصباح، حدثنا علي بن هاشم، عن كثير النوا، عن عمران بن حصين: أن النبي ﷺ قال لي: ألا تنطلق بنا نعود فاطمة فانها تشتكي؟ قلت: بلى، فانطلقنا حتى إذا انتهينا إلى بابها فسلم واستأذن، فقال: أدخل أنا ومن معي؟ قالت: نعم، ومن معك يا ابتاه فوالله، ما عليّ إلا عبادة، فقال لها: اصنعي بها كذا، واصنعي بها كذا، وعلمها كيف تسترها؟ فقالت: والله، ما على رأسي من خمار، فاخذ خلق ملاءة كانت عليه فقال: اختمري بها، ثم أذنت لنا فدخلنا، فقال: كيف تجدينك يا بنية؟ قالت: إني وجعة، وإني

ليزيدني أنه مالي طعام آكله، قال: يا بنية أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ فقالت: يا أبتِ فإين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء العالمين، أم والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة.

٦١- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - فيما كتب إليّ من همدان- (جزاه الله خيراً)، أنبأنا الحسن بن أحمد المقرئ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عبد الجبار بن العلا، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ماريت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله إلا يوماً افترت بطرف نابها.

٦٢- وقال: ومكثت بعد رسول الله ستة أشهر.

٦٣- وقال الحسن: ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة عليه السلام كانت تقوم حتى تتورم قدماها.

٦٤- قيل: ولما دفن رسول الله رجعت فاطمة إلى بيتها واجتمع إليها نساؤها فقالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون، انقطع عنا والله خير السماء»، ثم أنشأت تقول:

اغبر آفاق البلاد وكورت	شمس النهار واظلم العصران
والارض من بعد النبي حزينه	أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها	ولتبكه مضر وكل يمان
نفسى فداؤك ما لرأسك مائلاً	ماوسدوك وسادة الوسنان

ووقفت على قبره فقالت:

ماضر من قد شم تربة أحمد	أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها	صبت على الأيام صرن لياليا

٦٥- أخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر بن

أبي علي كتابة، أخبرنا الإمام أبو الحسين النقيب بن زيد بن الحسن البيهقي، أخبرنا علي بن محمد الحسني، حدثنا الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر بن علي الحسني، أخبرنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسن الحسني، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الحسني، أخبرنا محمد بن أبي عمار، حدثنا محمد بن خلف، حدثنا محمد بن إسماعيل، عن أحمد بن نوح، عن يحيى ابن علي، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن أبيه علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم إلا فاطمة فإنه نزل تزويجها من السماء».

٦٦- وأخبرنا العالم الاوحد أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي (ره)، عن مشايخه الثلاثة: القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي؛ وأبي نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى؛ وأبي بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي ثلاثهم، عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن؛ وإسحاق بن منصور قالا: حدثنا محمد ابن يوسف، عن إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال، عن زر، عن حذيفة قال: سألتني أُمِّي قالت: متى عهدك بالنبى؟ فقلت: مالي عهد به منذ كذا وكذا، فنالت مني فقلت: دعيني آتي النبي فأصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك، فأتيت النبي فصليتُ معه المغرب، فصلّى حتى صلى العشاء، ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا أحذيفة؟ قلت: نعم، قال: ما حاجتك؟ غفر الله لك ولأمك، ؛إن هذا ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني: بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة».

٦٧- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي (ره) قال: أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أحمد بن الحسين البيهقي، حدثنا أبو الحسين بن بشران - ببغداد -، أخبرنا محمد بن عمرو، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا أبو النصر، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن أمه سلمى قالت: اشتكت فاطمة بنت رسول الله ﷺ شكواها التي قبضت فيها، فكنت امرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيته في شكواها تلك، فخرج عليّ لبعض حاجته، فقالت: يا أماه اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها غسلاً فاغتسلت كأحسن ما رأيته تغتسل، ثم قال: يا أماه اعطيني ثيابي الجدد، فأعطيتها فلبستها، ثم قالت: يا أماه قدمي فراشي وسط البيت، ففعلت فاضطجعت واستقبلت القبلة، وجعلت يديها تحت خدها، ثم قالت: يا أماه إني مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها، فجاء عليّ فأخبرته، فقال: والله، لا يكشفها أحد، فدفنها بغسلها.

٦٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو حازم العبدري الحافظ، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن عمير الدمشقي، حدثنا عبد الله بن حمزة الزبيري، حدثنا عبد الله بن رافع، عن محمد بن موسى، عن عون بن محمد الهاشمي، عن أمه، عن أسماء بنت عميس: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أوصت أن يغسلها زوجها عليّ، فغسلها هو وأسماء بنت عميس.

قال أحمد بن الحسين: وهذا أشبه، لأن غسل الميت في مذاهب أهل العلم إنما يجب بالوفاة، فلا يقوم الغسل قبلها مقامه.

٦٩- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، حدثنا جدي يحيى بن الحسن، حدثنا بكر بن عبد الوهاب، حدثنا محمد بن عمر الواقدي، حدثنا عمر بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس قال: كانت فاطمة مرضت مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت أحمل على السرير ظاهراً؟ فقالت: أسماء: لا، لعمرى، ولكن أصنع لك نعشاً كما رأيته يصنع - بأرض الحبشة -، قالت: فأرنيه، فأرسلت أسماء إلى جرائد رطبة فقطعت من الأسواق، وجعل على السرير نعشاً، وهو أول نعش كان، فتبسّمت فاطمة وما رأيته متبسمة بعد أبيها (صلوات الله عليه) إلا يومئذٍ، ثم حملناها فدفناها ليلاً.

٧٠- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - فيما كتب إليّ من همدان -، أنبأنا الحسن بن أحمد المقرئ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا محمد بن موسى المخزومي، عن عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أمه أم جعفر [ح] وعن عبادة بن المهاجر، عن أم جعفر: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: يا أسماء! إنني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته - بالحبشة -؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله؟ لا تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فغسليني أنت وعليّ، ولا يدخل عليّ أحد، فلما توفيت غسلها عليّ وأسماء.

٧١- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو اليمان، أخبرني شعيب، عن الزهري، حدثني عروة: أن عائشة أخبرته قالت: عاشت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعده ستة أشهر، فلما توفيت دفنها علي بن أبي طالب ﷺ ليلاً، ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلى عليها علي. واختلفت الروايات في وقت وفاتها، ففي رواية: أنها بقيت بعد رسول الله ﷺ شهرين، وفي رواية: ثلاثة أشهر، وفي رواية: مائة يوم، وفي رواية: ثمانية أشهر.

٧٢- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن الجهمي، حدثنا الحسين ابن الفرّج، حدثنا محمد بن عمر قال: توفيت فاطمة بنت محمد (صلوات الله عليهما) لثلاث ليال خلون من شهر رمضان، وهي بنت تسع وعشرين أو نحوها.

٧٣- وذكر أبو عبد الله بن مندة الأصبهاني في كتاب المعرفة: أن علياً تزوج فاطمة - بالمدينة - بعد سنة من الهجرة، وابتنى بها بعد ذلك بنحو من سنة، وولدت لعلي: الحسن؛ والحسين؛ والمحسن؛ وأم كلثوم الكبرى؛ وزينب الكبرى.

٧٤- قال محمد بن إسحاق: توفيت ولها من العمر ثمان وعشرون سنة، وقيل: سبع وعشرون سنة، وفي رواية: أنها ولدت على رأس سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، فيكون سنّها على هذا ثلاثاً وعشرين

سنة، والأكثر على أنها كانت بنت تسع وعشرين سنة أو ثلاثين سنة.
 ٧٥- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني أحمد بن عبيد الأسدي - بهمدان -، حدثني إبراهيم بن الحسين، حدثني إسماعيل بن أبي أويس، حدثني موسى بن جعفر بن محمد ابن علي، عن أبيه، عن جده محمد بن علي، عن أبيه، عن علي عليه السلام : «أن فاطمة لما توفي رسول الله ﷺ كانت تقول: وأبتاه! من ربه ما أدناه، وأبتاه جنان الخلد مثواه، وأبتاه! يكرمه ربه إذا أتاه، وأبتاه! الربُّ والرسُلُ يسلمون عليه إذا يلقاه». ولما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) يرثيها:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
 وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل
 وذكر الحاكم: أن فاطمة عليها السلام لما ماتت أنشأ علي عليه السلام يقول:

نفسي على زفراتها محبوسة ياليتها خرجت مع الزفرات
 لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

٧٦- أخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أنبأني الرئيس أبو الفتح عبدوس بن عبد الله السبائي بهمدان إذناً، حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن، حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، حدثنا الزبير بن بكار، عن محمد بن الحسن، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن صالح - مولى التوأمة - : أن عبد الله ابن الحسن بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي، فقال هشام لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد! كم بلغت فاطمة بنت رسول الله ﷺ من السن؟ فقال: بلغت ثلاثين، فقال للكلبي: مات قول؟ فقال: بلغت خمساً

وثلاثين، فقال هشام لعبد الله: ألا تسمع ما يقول الكلبي وقد عني بهذا الامر؟ فقال عبد الله بن الحسن: يا أمير المؤمنين! سلني عن أُمِّي فأنا أعلم بها، وسل الكلبي عن أُمِّه فهو أعلم بها.

٧٧- وذكر وهب بن منبه، عن ابن عباس فصلاً طويلاً في وفاة فاطمة عليها السلام، كتبنا منه ما هو المقصود من ذلك.

ذكر أن أعرابياً جاء من الشام وابن عباس كان في المسجد الحرام يفتي الناس، فسأله عن أبناء رسول الله ﷺ وبناته، فأخبره أن أبناءه كانوا خمسة: القاسم؛ والطاهر؛ والمطهر؛ والطيب؛ وهم من خديجة (رضي الله عنها) وإبراهيم من مارية؛ وبناته كن أربعاً: زينب؛ ورقية؛ وأم كلثوم؛ وفاطمة؛ وكن أيضاً من خديجة، وكلهم مات في حياته (صلوات الله عليه) إلا فاطمة فإنها بقيت أربعين يوماً من بعده.

قال: ولما جاء فاطمة الأجل لم تحتم ولم تصدع، ولكن أخذت بيدي الحسن والحسين فذهبت بهما إلى قبر النبي ﷺ فأجلستهما عنده، ثم وقفت فصلت بين المنبر والقبر ركعتين، ثم ضمتهما إلى صدرها والتزمتهما، وقالت: يا ولدي اجلسا عند أبيكما ساعة، وعليّ يصلي في المسجد، ثم رجعت نحو المنزل فحملت ما فضل من حنوط النبي ﷺ فاغتسلت به ولبست فضل كفنه، ثم نادى: يا أسماء! وهي امرأة جعفر الطيار، فقالت لها: لبيك، يا بنت رسول الله، فقالت: تعاهديني فإني أدخل هذا البيت فأضع جنبي ساعة، فإذا مضت ساعة ولم أخرج فنادينني ثلاثاً فإن أجبتك وإلا فاعلمي أنني لحقت برسول الله ﷺ، ثم قامت مقام رسول الله في بيتها فصلت ركعتين، ثم جللت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها.

وقيل: بل ماتت في سجدتها، فلما مضت ساعة أقبلت أسماء،

فنادت : يا فاطمة الزهراء! يا أم الحسن والحسين! يا بنت رسول الله يا سيدة نساء العالمين! فلم تجب، فدخلت فإذا هي ميتة.

فقال الاعرابي : كيف علمت وقت وفاتها يا ابن عباس؟ قال : أعلمها أبوها، ثم شقت أسماء جيبها، وقالت : كيف اجترئ فاخبر ابني رسول الله بوفاتك، ثم خرجت فتلقاها الحسن والحسين، فقالا : أين أمنا؟ فسكتت فدخل البيت فإذا هي ممتدة فحركها الحسين فإذا هي ميتة، فقال : يا أخاه أجرك الله في أمنا، وخرجوا يناديان : يا محمداه! اليوم جدد لنا موتك إذ ماتت أمنا ثم أخبر علياً وهو في المسجد فغشي عليه حتى رش عليه الماء، ثم أفاق فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة الزهراء فرآها وعند رأسها أسماء تبكي، وتقول : وإيتامى محمداه! كنا نتعزى بفاطمة ﷺ بعد موت جدكما، فبمن نتعزى بعدها؟ ثم كشف علي ﷺ عن وجهها فإذا برقعة عند رأسها فنظر فيها، فإذا فيها : «بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، يا علي! أنا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لاكون لك في الدنيا والآخرة، فأنت أولى بي من غيرك، فحنطني وكفني وغسلني بالليل، وصل عليّ وادفني بالليل ولا تعلم أحداً، وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام الى يوم القيام».

فلما جن الليل غسلها عليّ ووضعها على السرير وقال للحسن : إدع لي أبا ذر، فدعاه فحملها إلى المصلّى، فصلّى عليها، ثم صلّى ركعتين ورفع يديه الى السماء، ونادى : هذه بنت نبيك فاطمة أخرجها من الظلمات إلى النور، فأضاءت الأرض ميلاً في ميل، فلما أراد أن يدفنها نودي من

بقعة من البقيع : إليّ إليّ فقد رفع تربتها، فنظر فإذا بقبر محفور، فحمل السرير إليه فدفنها.

فلما رجع عليّ؛ والحسن؛ والحسين، جلس عليّ وقال : يا ارض! أستودعك وديعتي هذه بنت رسول الله فنودي منها : يا علي أنا أرفق بها منك فارجع ولاتهم، فرجع وانسد القبر واستوى في الارض فلم يعلم أين كان إلى يوم القيامة؟

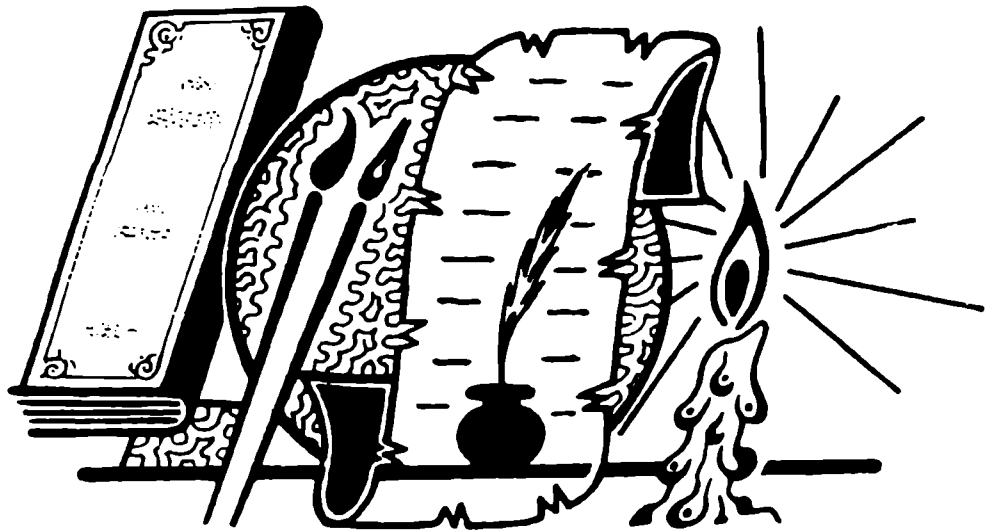
٧٨- وذكر الثقة وهو الذي جاء في المشاهير : أنها دفنت بين العشاء والمغرب، وشهد بها أبو بكر؛ وعمر؛ والزبير؛ وابن عوف؛ وناس من الصحابة، فقال عليّ لأبي بكر : تقدم فصلّ عليها، فقال أبو بكر : ما كنت لأصلي على فاطمة وعليّ حاضر، فقال عليّ : والله، لا يصلي عليها غيرك؟ فتقدم أبو بكر وصلى عليها^(١) ودفنوها ليلاً.



(١) هذه الرواية موضوعة إذ المعروف أنها لم يصل عليها غير أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدم.

الفصل السادس

في فضائل الحسن والحسين عليهما السلام



١- أخبرنا الإمام الزَّاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي ،
أخبرنا أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي ، أخبرنا والذي أحمد بن
الحسين ، أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي ، أخبرنا أبو عبد الله العكبري ، أخبرنا
أبو القاسم عبد الله بن محمد ، حدَّثني عمِّي ، حدَّثنا الزبير بن بكار قال : ولد
الحسن بن علي للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة .

وفي - رواية - قتادة : ولدت فاطمة حسناً بعد «أحد» بسنتين ، وكان
بين وقعة «أحد» وقُدوم النبي ﷺ ستان وستة أشهر ونصف ، فولدت
الحسن لأربع سنين وستة أشهر ونصف من مقدمه .

وهذه الرواية تخالف أكثر الروايات في التواريخ ، فإنَّهم اتفقوا على
أن الحسن ولد سنة ثلاث من الهجرة .

٢- وبهذا الإسناد ، عن أحمد بن الحسين هذا ، أخبرنا أبو القاسم
الحسن بن محمد المفسر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد ، حدَّثنا
أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي - بالبصرة - ، حدَّثني أبي ،

حدَّثني علي بن موسى، حدَّثني أبي موسى بن جعفر، حدَّثني أبي جعفر بن محمد، حدَّثني أبي محمد بن علي، حدَّثني أبي علي بن الحسين عليه السلام قال: «حدَّثني أسماء بنت عميس، قالت: قُبِلَتْ جدَّتكَ فاطمة بالحسن والحسين، فلما ولد الحسن جاءني النبي ﷺ، فقال: يا أسماء! هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي ﷺ، وقال: يا أسماء! ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا لي الولد بخرقة صفراء، فلففته في خرقة بيضاء، ودفعته إلى النبي ﷺ فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعلي: أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنتُ لأسبقك باسمه يارسول الله! كنت أحب أن أسميه -حرباً-، فقال النبي ﷺ: ولا أنا أيضاً أسبق باسمه ربي عز وجل فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال: السلام عليك يا محمد! العليُّ الأعلى يقرئك السلام، ويقول: عليُّ منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبيَّ بعدك، سم ابنك هذا باسم -ابن هارون-، قال: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبر، قال: لساني عربي، قال: سمه الحسن، قالت أسماء: فسمّاه الحسن، فلما كان يوم سابعه عَقَّ عنه النبي ﷺ بكبشين أملحين، فأعطى القابلة فخذاً، وحلق رأسه وتصدَّقَ بوزن الشعر ورقاً، وطلّى رأسه بالخلوق، ثم قال: يا أسماء! الدم من فعل الجاهلية.

قالت أسماء: فلما كان بعد حول من مولد الحسن ولدت الحسين فجاءني النبي ﷺ، فقال: يا أسماء! هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: فقلت: فداك أبي وأُمِّي! ممَّ بكائك؟ قال: علي ابني هذا، قلت: إنَّه ولد الساعة، قال: يا أسماء! تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء! لا تخبري فاطمة بهذا فإنَّها قريبة عهد بولادته، ثم قال

لعليّ: أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنتُ لأسبقك باسمه يارسول الله! وقد كنتُ أحبُّ أن أسميه - حرباً -، فقال النبيُّ ﷺ: ولا أنا أسبق باسمه ربّي عزّ وجلّ، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد! العليُّ الأعلى يقرئك السلام ويقول: عليّ منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبيّ بعدك، سم ابنك باسم - ابن هارون -، قال: ما اسم ابن هارون؟ قال: شبير، قال: لساني عربي يا جبرئيل! قال: سمّه حسيناً، قالت أسماء فسمّاه الحسين، فلما كان يوم سابعه عتق النبيُّ ﷺ عنه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً، وحلق رأسه؛ وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطفى رأسه بالخلوق وقال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

٣- وبهذا الإسناد، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه سمي حسناً يوم سابعه، واشتق من اسم حسن الحسين، وذكر أنّه لم يكن بينهما إلا الحمل.

٤- وبذلك الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو محمد الخراساني، حدّثنا أبو بكر بن أبي العوأم، حدّثنا أبي، حدّثنا جرير بن عبد الحميد، عن شبيب بن نعيم، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت: «قال رسول الله ﷺ: كلُّ بني أمّ ينتمون إلى عصة إلا ولد فاطمة فانا أبوهم وعصبتهم».

وتقدّم في - الباب -، عن جابر بن عبدالله مثله.

٥- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي، حدّثنا الحسين بن محمد بن زياد، حدّثنا عمر بن عليّ عليه السلام قال: يكنى الحسن بن عليّ أبا محمد، ويكنى الحسين بن عليّ أبا عبد الله.

٦- أخبرنا أبو الحسين بن بشران العدل - ببغداد -، أخبرنا أبو عمرو بن

السما، حَدَّثَنَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ - هُوَ ابْنُ بَهْدَلَةَ -، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ الْعَامِرِيِّ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ فَقَالَ: يَا يَحْيَى! أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ وَلَدَ عَلِيٍّ مِنْ فَاطِمَةَ وَلَدَ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَمْتَنِي تَكَلَّمْتُ! قَالَ: فَانْتَ آمَنٌ، فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، اقْرَأْ عَلَيْكَ كِتَابَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدِينَا﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الْإِنْعَامُ/ ٨٤-٨٥، وَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحَهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعِذْرَاءِ الْبَتُولِ، وَقَدْ نَسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: مَا دَعَاكَ إِلَى نَشْرِ هَذَا وَذِكْرِهِ؟ فَقُلْتُ: مَا اسْتَوْجِبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عِلْمِهِمْ لِيَبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ. قَالَ: صَدَقْتَ، فَلَا تَعُدْ إِلَى ذِكْرِ هَذَا وَلَا نَشْرِهِ.

٧- وجاء هذا - الحديث - مرسلًا، أطول من هذا، عن عامر الشعبي أنه قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَخَشِيتُ فَقَمْتُ فَتَوَضَّأْتُ وَأَوْصَيْتُ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا نَطَعَ مَنْشُورٌ وَسَيْفٌ مَسْلُورٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ: لَا تَخَفْ، فَقَدْ أَمْنَتْكَ اللَّيْلَةُ وَغَدَا إِلَى الظَّهْرِ، ثُمَّ أَجْلَسَنِي وَأَشَارَ فَأَتَيْتُ بِرَجُلٍ مَقِيدٍ بِالْكَبُولِ وَالْأَغْلَالِ فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الشَّيْخَ يَقُولُ: إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَانَا ابْنِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلْيَأْتِنِي بِحُجَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ لَاضْرِبْنِي عَنْقَهُ، فَقُلْتُ: يَجِبُ أَنْ يَحْلَ قَيْدُهُ فَإِنَّهُ إِنْ أَحْتَجَّ فَلَا مَحَالَةَ يَذْهَبُ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَجَّ فَالسَّيْفُ لَا يَقْطَعُ هَذَا الْحَدِيدَ، فَحَلَّوْا قَيْدَهُ وَكَبُولَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ فَحَزَنْتُ لَهُ، وَقُلْتُ: كَيْفَ يَجِدُ عَلَى ذَلِكَ حُجَّةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: أَتَنِي بِحُجَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى مَا دَعَيْتَ وَإِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَكَ، فَقَالَ: أَنْتَظِرْ، فَسَكْتُ سَاعَةً وَقَالَ لَهُ: مِثْلُ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَنْتَظِرْ، فَسَكْتُ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُ: مِثْلُ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ

من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب إلى قوله تعالى: وكذلك نجزي المحسنين﴾ وسكت ثم قال للحجاج: اقرأ ما بعده، فقرأ: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس﴾ الانعام/ ٨٤-٨٥، ثم قال سعيد: كيف يليق عيسى هاهنا؟ فقال: إنه كان من ذريته، فقال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن بنت فنسب إليه على بعده، فالحسن والحسين أولى أن ينسبا إلى رسول الله ﷺ لقربهما منه، فأمر له بعشرة آلاف دينار وأمر بأن يحملوها معه إلى داره وأذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت، قلت في نفسي: قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن لاني كنت أظن أنني أعرفها فإذا أنا لا أعرفها، فاتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشرة عشرة ويتصدق بها، ويقول: هذا كله بركة الحسن والحسين ﷺ لئن كنا أغمنا واحداً فقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله تعالى ورسوله.

٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أخبرنا عبدالله بن جعفر الأصبهاني، عن يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثني قيس، حدثنا أبو إسحاق، عن هاني بن هاني، عن عليّ ﷺ قال: «كان الحسن أشبه الناس بالنبي من وجهه إلى سرته، وكان الحسين أشبه الناس بالنبي من سرته إلى قدمه».

وسمعت - هذا الحديث - أيضاً في - جامع أبي عيسى - بهذا السياق.

٩- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا حجاج بن منهال؛ وأبو عمرو الخوصي، حدثنا مهدي بن ميمون،

أخبرني محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب، عن أبي نعيم قال: كنت عند ابن عمر فسأله رجلٌ عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقد سمعت رسول الله يقول: «هما ريحانتي من الدنيا».

وأخرجه البخاري في «الصحيح»، وقال: «هما ريحاني»، وفي رواية - شعبة -: كنتُ عند ابن عمر فسُئِلَ عَنِ المحرم يقتل الذباب؟ فقال: يا أهل العراق! تسألوني عن المحرم يقتل الذباب، وقد قتلتُم ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد قال رسول الله: «هما ريحاناي من الدنيا».

وسمعت - هذا الحديث - في - جامع أبي عيسى - على هذا السياق.

١٠- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو الحسين بن بشران - ببغداد - أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن أبي سويد، عن عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة - خولة بنت حكيم - امرأة - عثمان بن مظعون -: أن النبي ﷺ خرج وهو محتضن أحد ابني بنته، وهو يقول: واللّه، إنكم لتجهلون وتجنون وتبخلون، وإنكم لمن ريحان الله.

قال الفراء: الريحان في كلام العرب - الرزق.

١١- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثني بن نمير، حدثني حجاج بن دينار الواسطي، عن جعفر بن إياس، عن عبد الرحمن، عن ابن مسعود، عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل:

يا رسول الله! إنك تحبهما؟ فقال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني».

١٢- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو، حدثنا الحسن بن سلام، حدثنا عبدالله بن موسى، حدثنا علي بن صالح، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فأرادوا أن يمنعوهما، فلما قضى الصلاة ضمهما إليه وقال: «من أحبني فليحب هذين».

١٣- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبدالله الحافظ، أخبرني محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا خالد ابن مخلد، حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، عن عبدالله بن أبي بكر بن زيد، أخبرني مسلم بن أبي سهل، أخبرني الحسن بن أسامة بن زيد بن حارثة، أخبرني أبي أسامة قال: طرقت رسول الله ﷺ ذات ليلة لبعض الحاجة، فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل على شيء لا أدري ماهو؟ فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشف فإذا حسن وحسين على ركبتيه، فقال: «هذان ابناي وابنا بنتي، اللهم! تعلم أنني أحبهما فأحبهما، اللهم تعلم أنني أحبهما فأحبهما».

وسمعت - هذا الحديث - برواية أسامة في - جامع أبي عيسى - إلا أنه زاد في آخره: «وأحب من يحبهما»، وقال بمكان «على ركبتيه» «على وركيه».

١٤- وأخبرنا جار الله العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدثنا الأستاذ الأمين أبو الحسن علي بن الحسين بن مردك الرازي، أخبرنا الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان،

أخبرنا أبو زكريا أحمد بن محمد الصوفي - بقراءتي عليه بدمشق -، حدثنا أحمد بن محمد العمركي، حدثنا محمد بن معاذ الهروي، حدثنا أحمد الفريابي، حدثنا عمرو بن جرير البجلي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن ابن مسعود، عن أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ: «أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

وسمعت - هذا الحديث - في «الصحاح» وعلى الإمام الأجل ركن الإسلام أبي الفضل الكرماني في «أمالي» فخر القضاة الأرسابندي بروايته ابن عباس.

١٥- وبهذا الإسناد، عن أبي سعيد السمان هذا، أخبرنا أبو سعد عبدالله بن محمد بن بدر - بقراءتي عليه -، حدثنا أحمد بن محمد القطان، حدثنا عبد الكريم بن أبي الهيثم، حدثنا الحسين بن عبدالله بن حرب، حدثنا عمر بن عطية العوفي، عن أبي سعيد: أن النبي ﷺ كان ذات يوم يصلي إذ جاء الحسن والحسين، فوثبا على ظهر نبي الله ﷺ وهو ساجد، فتناولهما نبي الله وأخذهما أخذاً رقيقاً حتى وضعهما بأزائه، قال: فلقد رأيتهما أمامينا، فقال: ورأيت أبا بكر يحملهما على عنقه مما قد علم من حب رسول الله إياهما.

١٦- وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السمان هذا، أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبدالله الحمدوني - بقراءتي عليه -، حدثنا أبو حاتم محمد بن عيسى، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس، حدثنا سعيد بن سلام، حدثنا عمر بن سعيد، عن أبي مليكة، عن عقبة بن الحرث قال: صليت مع أبي بكر العصر، فخرج وهو بيني وبين علي بن أبي طالب عليه السلام فمررنا بصبيان يلعبون فيهم: الحسن بن علي، فأخذه أبو بكر فاحتمله وجعل يقول: بأبي شبيه

بالنبي، ليس شبيهاً بعلي، وعلي عليه السلام يضحك من قول أبي بكر.

وأخرج هذا الحديث أبو عبدالله الحافظ في «المستدرک» بهذا السياق.

١٧- وبهذا الإسناد عن أبي سعد السّمان هذا، أخبرنا أبو محمد

النخشي - بقرأتي عليه بمصر -، حدّثنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدّثنا أحمد

ابن حازم، حدّثنا جعفر بن عون، حدّثنا أسامة بن زيد، عن عبد الرحمن

الاصبهاني قال: جاء الحسن بن عليّ إلى أبي بكر وهو على منبر رسول

الله عليه السلام فقال: «انزل عن مجلس أبي» قال: صدقت، إنه مجلس أبيك، ثمّ

أجلسه في حجره وبكى، فقال عليّ: «والله، ما هذا عن أمري؟» قال:

صدقت، والله ما اتهمتک.

١٨- وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السّمان هذا، أخبرنا قاضي القضاة

- بقرأتي عليه -، أخبرنا أبو القاسم بن أبي صالح - بقرأة والدي وأنا حاضر

أسمع -، حدّثنا إبراهيم بن الحسين بن عليّ، حدّثنا موسى بن إسماعيل

المنقري، حدّثنا وهيب بن خالد، حدّثنا جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام: «أنّه

قدم على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فكسا الناس وراحوا في الحلل

وعمر بين القبر والمنبر، وناس جلوس، وناس يأتون يسلمون عليه،

ويدعون له، فخرج حسن وحسين من بيت فاطمة يتخطيان الناس، وكان

بيت فاطمة في جوف المسجد ليس عليهما من تلك الحلل شيء وهما بين

عينيه، فقال للناس: والله، ما هناني أن أكسوكم! قالوا: لم يا أمير المؤمنين!

كسوت رعتك وأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس

عليهما شيء، كبرت عنهما، وصغرا عنها.

ثمّ كتّب إلى صاحب اليمن: أن ابعث إليّ حلّتين للحسن والحسين،

وعجل فبعث إليه بحلتين وكساهما».

١٩- وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السَّمان هذا، أخبرنا أبو محمد الحسن بن عثمان - ببغداد بقراءتي عليه -، حدَّثنا الحسن بن محمد، حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدَّثنا إبراهيم بن بشار، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عمرو، عن أبي جعفر ﷺ: «إِنَّ عَمْرَئًا دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ وَأَرَادَ أَنْ يَفْرُضَ لِلنَّاسِ، قَالَ: بِمَنْ أَبْدَأُ؟ قَالُوا: بِنَفْسِكَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ: قَدْ أَنْكَرْتُمُونِي، فَبَدَأَ بَنِي هَاشِمٍ فَفَرَضَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ.

وفي رواية - الليث بن سعد -، قالوا: بِمَنْ نَبْدَأُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! أَبُكَ فَإِنَّكَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: بَلْ رَسُولُ اللَّهِ الْإِمَامُ، فَابْدَأُوا بِرَهْطِهِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبُ حَتَّى يَدْعَى عَمْرٌ فِي بَنِي عَدِي.

٢٠- وأخبرني العالم الأوحِد أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، عن محمود بن القاسم الأزدي، وأبي نصر الترياقى؛ وأبي بكر الغورجي، عن أبي محمد الجراحي، عن العباس المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدَّثنا الحسين بن حريث، حدَّثنا علي بن الحسين بن واقد، حدَّثني أبي، حدَّثني عبد الله بن بريدة: سمعت أبي بريدة يقول: بَيْنَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَتَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾» التَّغَابُنُ/ ١٥ نظرت هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتَ حَدِيثِي وَرَفَعْتَهُمَا».

٢١- وذكر الإمام محمد بن أحمد بن علي بن شاذان، حدَّثنا محمد بن علي بن الفضل، عن محمد بن القاسم، عن عباد بن يعقوب، عن موسى

ابن عثمان، عن الأعمش، حدثني أبو إسحاق، عن الحرث؛ وسعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أنا وارككم على الحوض، وأنت يا علي السّاقى؛ والحسن الذائد؛ والحسين الأمر، وعلي بن الحسين الفارط، ومحمد بن علي النّاشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبين والمبغضين وقامع المنافقين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوّجهم الحور العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به، والمهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى».

٢٢- وذكر ابن شاذان هذا، حدثنا القاضي المعافى بن زكريا، عن عبدالله بن محمد البغوي، عن يحيى الحماني، عن محمد بن الفضيل، عن الكلبي، عن ابن صالح، عن ابن عباس، قال: كنت جالسا بين يدي رسول الله ﷺ ذات يوم، وبين يديه: علي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليهما السلام إذ هبط جبرائيل ومعه تفاحة، فحيى بها النبي فتحيى بها، وحيى علي بن أبي طالب بها فتحيى بها وقبلها، وردّها إلى رسول الله فتحيى بها، وحيى بها الحسن فتحيى بها وقبلها، وردّها إلى رسول الله فتحيى بها، وحيى بها الحسين فتحيى بها وقبلها، وردّها إلى رسول الله فتحيى بها، وحيى بها فاطمة فتحيى بها وقبلتها، وردّها إلى رسول الله فتحيى بها الرابعة، وحيى بها علي بن أبي طالب فتحيى بها.

ولما هم أن يردّها إلى رسول الله سقطت التفاحة من بين أنامله، فانفلقت نصفين، فسطع منها نور حتى بلغ السماء الدنيا، فإذا عليها سطران مكتوبان: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَحِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى،

وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين سبطي رسول الله، وأمان لمحبيهم يوم القيامة من النار.

٢٣- وذكر ابن شاذان هذا، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، حدثني علي بن علي بن سنان الموصلي، عن أحمد بن محمد بن صالح، عن سلمان بن محمد، عن زياد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلامة، عن أبي سلمى - راعي إبل رسول الله ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليلة أُسري بي إلى السماء، قال لي الجليل جلّ وعلا: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ البقرة/٢٨٥، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد! مَنْ خلفت في أمّتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم، يارب! قال: يا محمد! إنّي اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشقت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد.

ثم اطلعت الثانية فاخترت علياً وشقت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي، يا محمد! إنّي خلقتك؛ وخلقت علياً؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ والأئمة من ولده، من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض، فَمَنْ قبلها كان عندي مِنَ المؤمنين، وَمَنْ جحدها كان عندي مِنَ الكافرين.

يا محمد! لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ماغفرت له حتّى يقرّ بولايتكم.

يا محمد! أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم، يارب، فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا: بعلي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ وعليّ ابن الحسين؛ ومحمد بن عليّ؛ وجعفر بن محمد؛ وموسى بن جعفر؛

وعليّ بن موسى؛ ومحمّد بن عليّ؛ وعليّ بن محمّد؛ والحسن بن عليّ؛ والمهدي، في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم - يعني المهدي - كأنه كوكب دري.

قال: يا محمّد! هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي، إنه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي.

٢٤- وذكر ابن شاذان هذا، حدّثنا أبو الطيب محمّد بن الحسين التيملي، عن محمّد بن عبد الله، عن يحيى الحماني، عن هشيم، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مررت ليلة أُسري بي بشيء من ملكوت السماء، وعلى شيء من ملكوت الحجب فوقها، إلّا وجدتها مشحونة بكرام ملائكة الله تعالى، يناجونني: هنيئاً لك يا محمّد! فقد أُعطيت ما لم يُعطه أحد قبلك، ولا يعطاه أحد بعدك، أُعطيت عليّ بن أبي طالب أخاً؛ وفاطمة زوجته ابنة؛ والحسن والحسين أولاداً؛ ومحبيهم شيعة، يا محمّد! إنك أفضل النبيّين؛ وعليّاً أفضل الوصيّين؛ وفاطمة سيّدة نساء العالمين؛ والحسن والحسين أكرم من دَخَلَ الجنان من أولاد المرسلين، وشيعتهم أفضل من تضمنته عرصات القيامة، واشتملت عليه غرف الجنان وقصورها ومنتزهاتها، فلم يزالوا يقولون ذلك في مصعدي ومرجعي، فلولا أنّ الله حَجَبَ عنهم آذان الثقلين، لم يبقَ أحدٌ إلّا سمعهم».

٢٥- وذكر محمّد بن شاذان هذا، أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد، عن الحسين بن محفوظ، عن أحمد بن إسحاق، حدّثنا الغطريف، عن عبد السلام - بصنعاء اليمن -، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر عبد الله بن عبد الرحمن قال: سمعت عثمان بن عفان قال: سمعت عمر

ابن الخطاب قال : سمعت أبا بكر بن أبي قحافة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ نُورِ وَجْهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَلَائِكَةً يَسْبِّحُونَ وَيُقَدِّسُونَ، وَيَكْتُبُونَ ثَوَابَ ذَلِكَ لِحَبِيبِهِ وَمَحَبَّتِي وَلَدِهِ».

٢٦- وذكر ابن شاذان هذا، حدَّثني القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا - في جامع الرصافة -، عن محمد بن علي بن عبد الحميد بن زيار بن يحيى القرشي، عن عبد الرزاق، عن صدقة العبسي، أخبرنا زاذان، عن سلمان قال : أتيت النبي ﷺ فسلمت عليه، ثم دخلت على فاطمة فقالت : «يا أبا عبد الله! هذان الحسنان جائعان يبكيان، فخذ بأيديهما وأخرج بهما إلى جدّهما» فأخذت بأيديهما وحملتهما حتى أتيت بهما إلى النبي ﷺ فقال : «مالكما يا حبيبي؟» فقالا : نشتهي طعاماً، يا رسول الله! فقال النبي ﷺ : «اللَّهُمَّ! أطعمهما - ثلاثاً -» فنظرت فإذا مفرجلة في يدي رسول الله ﷺ شبهتها بقلّة من قلال هجر أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ففركها بيده وصيرها نصفين، ودفع إلى الحسن نصفاً وإلى الحسين نصفاً، فجعلت أنظر إلى النصفين في أيديهما وأنا أشتهيهما، فقال لي : «يا سلمان! لعلّك تشتهيهما؟» قلت : نعم، قال : «يا سلمان! هذا طعام من الجنة لا يأكله أحد حتى ينجو من الحساب، وإنّك لعلّك خير إن شاء الله».

٢٧- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدَّثنا محمد بن يعقوب، حدَّثنا الحسن بن علي الحفار، حدَّثنا عبيد الله بن موسى، حدَّثنا كامل بن العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة العشاء، وكان إذا سجد وثب الحسن والحسين على

ظهره، فإذا أراد أن يرفع رأسه أخذهما بيده فوضعهما وضعا رفيقا، حتى إذا عادَ عادا، حتى قضى صلاته فوضع واحداً على فخذه الايمن، والآخر على فخذه الآخر.

فقلت إليه وقلت: يا رسول الله! ألا أذهب بهما، قال: «لا»، فبرقت برقة، فقال: «الحقا بأمكما» فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا.

٢٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر الرزاز، حدثنا محمد بن إسحاق بن صالح؛ ومحمد بن عبيد قالا: حدثنا عمرو بن مرزوق، أخبرنا سهم المازني: سمعتُ الحسن يُحدث، عن عتبة بن غزوان قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي الضحى إذ جاء الحسن والحسين فركبا ظهره، فانصرف ووضعهما في حجره، وجعلَ يقبلُ هذا مرةً ويشم هذا مرةً، فقال القوم: أتجهما يا رسول الله؟ فقال: «ومالي لا أحبُّ ريحانتي من الدنيا! أما إنهما سيلقيان من بعدي من البلاء كذا وكذا».

٢٩- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو أحمد بن عديّ الحافظ، أخبرنا أبو يعلى، حدثنا محمد ابن مرزوق، حدثني حسين الأشقر، حدثنا علي بن هاشم أو هشيم، عن ابن أبي رافع، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: رأيتُ الحسن والحسين على عاتقي رسول الله، فقلت: نعم الفرس تحتكما؟ فقال: «ونعم الفارسان هما».

٣٠- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن محمد الصيرفي، حدثنا أبو الاحوص، حدثنا يزيد بن موهب، حدثنا مسروح أبو شهاب، عن سفيان الثوري، عن أبي

الزبير، عن جابر - ح - قال أبو عبد الله الحافظ : وحدثنا محمد بن صالح، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا مسروح أبو شهاب، عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يمشي على أربع وعلى كتفه، وفي رواية - ابن مصفى - وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنما».

وذكر الحاكم شيخ الإسلام الحتيمي : أن السيد إسماعيل الحميري نظم - هذا الحديث - في قصيدة طويلة بمدحهما فقال :

أتى حسناً والحسين الرسول وقد برزا ضحوة يلعبان
فضمهما وتغذاهما وكانا لديه بذاك المكان
ومرّ وتحتهما منكباه فنعم المطية والراكبان

٣١- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا علي بن أحمد ابن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا أحمد بن علي، حدثنا أحمد بن حاتم الطويل، حدثنا تليد بن سليمان، عن أبي الجحاف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال : نظر النبي ﷺ إلى علي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليه السلام، فقال : «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم».

وفي رواية - زيد بن أرقم - : جاء النبي ﷺ إلى بيت فاطمة فأخذ بعضادتي الباب وفي البيت : علي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليه السلام فقال : «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم».

٣٢- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن النضر، حدثنا عياش ابن عبد العظيم العنبري، حدثنا النضر بن محمد، حدثني عكرمة بن عمار،

حدثني أياس بن سلم، عن أبيه قال: لقد قدت نبي الله ﷺ؛ والحسن؛ والحسين على بغلته الشهباء، حتى أدخلتهم حجرة النبي: هذا قدامه، وهذا خلفه، وأخرجه مسلم في «الصحيح».

٣٣- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو الصقر أحمد بن الفضل الكاتب، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا سعيد بن كثير، حدثنا الفضل بن مختار، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيم أحد لآخر إلا للحسن والحسين وذريتهما».

قال أحمد بن الحسين: أبان بن أبي عيَّاش متروك؛ والفضل ضعيف، قال: وفي رواية - أبي أمامة - قال: قال رسول الله ﷺ: «يقوم الرجل للرجل إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحد»، قال: وهذه أيضاً رواية ضعيفة.

٣٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن الحسن الحسيني، أخبرنا أبو حامد الشرقي، حدثنا أبو الأزهر حدثنا أبو النضر، حدثنا ورقاء، عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة، فأنصرف وانصرفت معه، فجاء إلى فناء فاطمة، فنادى الحسن، فنادى: «أين لكع أثم لكع؟» فلم يجبه أحد، فأنصرف وانصرفت معه فجاء إلى فناء عائشة فقعد فجاء الحسن.

قال أبو هريرة: ظننت أن أمه قد حبسته لتجعل في عنقه السخاب، فلما جاء التزمه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحب» - ثلاث مرات -.

٣٥- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا عبدالله بن محمد الفاكهي، أخبرنا أبو يحيى عبدالله بن أحمد، أخبرنا خلاد بن يحيى، أخبرنا هشام بن سعد، أخبرنا نعيم بن المحمر قال: قال أبو هريرة: ما رأيتُ الحسن بن علي عليه السلام إلا فاضت عيناياه دموعاً، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً وأنا في المسجد، فأخذ بيدي فاتكأ عليّ حتى جئنا - سوق بني قينقاع -، فنظر فيه ثم رجعت معه حتى جلس في المسجد فاحتبى، ثم قال لي: «ادع لكع»، قال: فاتاه - حسن - يشتدُّ حتى وقع في حجره، ثم جعل يقول ويده في حية رسول الله ﷺ وجعل رسول الله يفرح، ثمَّ يدخل فمه في فمه، ويقول: «اللَّهُمَّ! إني أحبه فأحبه - ثلاث مرات يقولها -».

وسمعت - هذا الحديث - من قوله: «اللَّهُمَّ! إني أحبه فأحبه» - في جامع أبي عيسى - ولم يذكر فيه: «ثلاث مرات».

٣٦- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا الخضر بن أبان، حدثنا أزهر السَّمان، عن ابن عون، عن أبي محمد عمير بن إسحاق، عن أبي هريرة ولقي الحسن بن علي عليه السلام فقال: رأيتُ النبي ﷺ قبل بطنك، فاكشف الموضع الذي قبله رسول الله حتى أقبله؟ قال: فكشف له الحسن قبله.

٣٧- وبهذا الإسناد قال: أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل قال: أخبرنا أبو عبدالله الصفار، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا علي بن عابس، عن يزيد بن أبي زياد، عن البهي - مولى الزبير - قال: تذاكرنا: مَنْ أشبه النَّاسَ به من أهله - يعني بالنبي ﷺ، فدخل علينا عبدالله بن الزبير، فقال عبد الله: أنا أحدثكم بأشبه أهله به، وأحبهم

إليه - الحسن بن عليّ - فقد رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبتَه - أو قال : ظهره - فما ينزله حتّى هو الذي ينزل ، ولقد رأيته وهو يجيء وهو راکع فيفرج له رجله حتّى يخرج من الجانب الآخر .

٣٨- وبهذا الإسناد، قال : أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير المحاربي - بالكوفة -، حدثنا محمد بن علي الشيباني، حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا جعفر بن عون، عن معاوية بن أبي مزرد، عن أبيه، عن أبي هريرة قال : بصرت عيناى هاتان، وسمعت أذناى هاتان، رسول الله ﷺ آخذاً بيدي - الحسن والحسين -، وهو يقول : «ترقه عين بقه» .

قال : فيضع الغلام قدمه على قدم النبيّ، فيرفعه إلى صدره، قال : ثمّ قال له : «افتح فاك» ففتح فاه فقبله النبيّ، ثمّ قال : «اللهمّ ! إني احبه فأحبه» .

ورواه غيره فزاد فيه : «حزقه حزقه، ترقه عين بقه» - يريد ضعفه، وشبه عينه في الصغر بعين بقه .

٣٩- وبهذا الإسناد، أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا أبو ميسرة، حدثنا وهب بن بقية، حدثنا خالد بن عبد الله، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يلدع لسانه للحسن، فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش إليه، فقال له عبيّة بن بدر : ألا أراك تضع هذا بهذا، فوالله، إنه ليكون لي ابن، قد خرج وجهه، وما قبلته قط .

فقال له رسول الله ﷺ : «مَنْ لا يرحم لا يُرحم» .

٤٠- وسمعت مثل هذا الحديث، عن الإمام الأجل ركن الإسلام أبي الفضل بن محمد الكرمانى، بروايته عن الإمام الأجل فخر القضاة محمد

ابن الحسين الارسابندي، عن الحافظ أبي محمد التميمي، عن أبي عمرو عبد الواحد بن محمد، عن أبي عبد الله محمد بن مخلد بن حميد بن الربيع، عن هشيم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يقبل: إما حسناً أو حسيناً، فقال: تقبله ولي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم؟

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مِنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ».

هذا الحديث صحيح أخرجه مسلم في «صحيحه»، وفي رواية الزبير:

قال رسول الله ﷺ: «إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ فَمَا ذَنْبِي».

٤١- وبالإسناد - الذي مرّ آنفاً، عن أحمد بن الحسين هذا، قال:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن أبي طالب، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، حدثنا إسرائيل، عن الحسن: سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن عليّ إلى جنبه، وهو يلتفت إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلَحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

أخرجه البخاري في «الصحيح»، وفي الباب، عن جابر بن عبد الله.

٤٢- وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن

يعقوب، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا يعلى بن عبيد، حدثنا عبد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد، عن عمير قال: لقد حجّ - الحسن بن علي - خمساً وعشرين حجة ماشياً، وأنّ النجائب لتقاد معه.

قال: وفي رواية أخرى: ولقد قاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات،

حتى أنّه يُعْطِي الْخُفَّ وَيُمْسِكُ النُّعْلَ.

٤٣- وبهذا الإسناد قال: أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان، أخبرنا

أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا علي بن مرة، حدثني أبي، حدثني نجيح القصاب قال: رأيت - الحسن بن علي - يأكل، وبين يديه كلب كلما أكل لُقمةً طرح للكلب مثلها، فقلتُ له: يا بن رسول الله! ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ فقال: «دعه، إني لاستحيي من الله عز وجل أن يكون ذو روح، ينظر في وجهي، وأنا آكل ثم لا أطعمه».

٤٤- أنبأني الإمام الحافظ صدر الحقاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، أخبرنا الحسن بن أحمد المقرئ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا محمد بن نوح بن حرب، حدثنا نير بن ميمون البصري، حدثنا عباد بن صهيب، حدثنا سلمان بن المغيرة، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «فَخُرَاتِ الْجَنَّةِ عَلَى النَّارِ، فَقَالَتْ: أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَالَتِ النَّارُ: بَلْ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَالَتْ لَهَا الْجَنَّةُ اسْتَفْهَامًا: وَمِمَّ؟ قَالَتْ: لَأَنْ فِيَّ: الْجَبَابِرَةَ؛ وَفِرْعَوْنَ؛ وَغَمْرُودَ، فَأُسَكَّتَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهَا: لَا تَخْضَعَنَّ لِأَزِينِ رُكْنِيكَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَمَا سَتُ كَمَا تَمِيسُ الْعُرُوسُ فِي خَدْرَهَا».

٤٥- وأنبأني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا محمود بن إسماعيل الأصبهاني، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا سلمان بن أحمد الطبراني، حدثنا محمد بن حيان المازني، حدثنا كثير بن يحيى، حدثنا سعيد بن عبد الكريم بن سليط الجعفي، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي فاختة، عن علي بن أبي طالب قال: «دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَسْقَى الْحَسَنُ فَقَامَ إِلَى مَنِيحَةٍ لَنَا بِكِيَّةٍ، فَنَضَّ مِنْهَا ثُمَّ جَاءَ بِالْإِنَاءِ فَقَامَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ يَسْتَسْقِيهِ، فَقَالَ: أَخُوكَ اسْتَسْقَى قَبْلَكَ يَشْرَبُ ثُمَّ تَشْرَبُ. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: كَأَنَّهُ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: مَا هُوَ بِأَحَبِّهُمَا إِلَيَّ؟ وَإِنَّمَا

هما عندي ليمكن واحد، وإني وإياك وهما وهذا الراقد لفي مكان واحد».

٤٦- وبهذا الإسناد، عن الطبراني، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا

أحمد بن رشيد بن خثيم، حدثنا عمي سعيد بن خثيم، حدثنا مسلم الملائني، عن حبة العرني؛ وأبي البختري، عن سلمان قال: كُنَّا حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فجاءت - أم أيمن -، فقالت: يا رسول الله! ضَلَّ - الحسن والحسين -، قال: وذلك راد النهار (يقول: ارتفاع النهار). فقال رسول الله ﷺ: «قوموا، فاطلبوا ابني»، فاخذ كل رجلٍ تجاه وجهه، فاخذتُ نحو النبي، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى سَفْحَ الْجَبَلِ وَإِذَا - الحسن والحسين عليه السلام -، ملتزق كل واحدٍ منهما صاحبه، وإذا شجاع قائمٌ على ذنبه، يخرجُ من فيه شبه النار.

فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً إلى رسول الله، ثم انسابَ فَدَخَلَ بَعْضُ الْجَحْرَةِ، ثُمَّ أَتَاهُمَا فَافْرَقَ بَيْنَهُمَا وَمَسَحَ وَجُوهَهُمَا، وقال: «بأبي وأمي أنتما، ما أكرمكما على الله تعالى؟» ثم حَمَلَ أَحَدَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ الْيَمِينِ، وَالْآخَرَ عَلَى عَاتِقِهِ الْإِسْرَ، فَقُلْتُ: طوبى لكما! نعم المطية مطيتكما، فقال ﷺ: «وَنِعَمَ الرَّاكِبَانِ هُمَا، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا».

٤٧- وأنباني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا زاهر بن طاهر، أخبرنا

محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا محمد بن محمد الحيري، أخبرنا محمد بن الموصلي، حدثنا بشر بن الوليد، عن محمد بن طلحة، عن الأعمش، عن عطية بن سعد، عن أبي سعيد: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ، أَخْبَرَنِي: أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَاَنْظُرُوا مَا تَخْلِفُونِي فِيهِمَا».

٤٨- وبإسناده الذي تقدم عن الطبراني، حدثنا علي بن عبد العزيز،

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحسن بن أبي جعفر، حدثنا علي بن زيد ابن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل في الدجال».

٤٩- وأنبأني الحافظ أبو العلاء هذا، أخبرنا عبد القادر بن محمد البغدادي، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس، أخبرنا محمد بن معروف، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا علي بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس قال: انتجد^(١) الحسن والحسين عند النبي ﷺ فجعل يقول: «هيه، يا حسن! خذ يا حسن!» فقالت عائشة: تعين الكبير على الصغير؟ فقال: «إن جبرئيل يقول: خذ يا حسين!».

وسمعت - هذا الحديث - على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، رواه عن أنس بن مالك - بهذا السياق.

٥٠- وبإسناده، عن السيد أبي طالب، بإسناده إلى علي قال: «اصطرع - الحسن والحسين - بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله: هيه، يا حسن! فخذ حسينا، فقالت فاطمة: تستنهض الكبير على الصغير؟ فقال: هذا جبرئيل يقول: هيه يا حسين! فخذ حسناً، فلم يصرع واحد منهما صاحبه».

٥١- قال أبو العلاء: وأخبرنا أبو علي الحداد قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا الطبراني، حدثنا الحسين بن إسحاق، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين قال: تزوج

(١) انتجد: بمعنى استبق أي تسابقا في عدو أو صراع.

الحسن بن عليّ امرأة فارس إلى مائة جارية مع كل جارية ألف درهم .
 ٥٢- وبه ، عن الطبراني ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ،
 عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن الحسن بن
 سعد ، عن أبيه قال : متع الحسن امرأتين بعشرين ألفاً وزقاق من عسل ،
 فقالت إحداهما - وأراها الحنفية - : متاعٌ قليلٌ من حبيب مفارق .

٥٣- وأنباني الحافظ أبو العلاء هذا ، أخبرنا محمد بن محمد الفقيه ،
 أخبرنا محمد بن أحمد المعدل ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن ، أخبرنا أحمد
 ابن سليمان ، أخبرنا الزبير بن بكار ، حدثني إبراهيم بن حمزة ، عن إبراهيم
 ابن عليّ الرافعي ، عن أبيه ، عن جدته زينب بنت أبي رافع قالت : أتت
 فاطمة بنت محمد ﷺ بابنها إلى رسول الله في شكواه التي توفي فيها
 فقالت : «يا رسول الله ! هذان ابناك فورثهما شيئاً؟ فقال : أما حسن فإن له
 هبتي وسؤددي ، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي» .

٥٤- قال : وفي روايتي ، عن السيد الحافظ أبي منصور الديلمي
 بإسناده إلى - أم أيمن - قالت : قال رسول الله ﷺ : «نحلتُ هذا الكبير
 المهابة ، ونحلتُ الصغير المحبة والرضا» .

٥٥- قال أبو العلاء : وأخبرنا عبد القادر بن محمد البغدادي ، أخبرنا
 الحسن بن عليّ الجوهري ، أخبرنا محمد بن العباس ، أخبرنا أحمد بن
 معروف ، أخبرنا حسين بن محمد ، أخبرنا محمد بن سعد ، أخبرنا مسلم بن
 إبراهيم ، أخبرنا ديلم بن غزوان ، حدثنا وهب بن أبي ذبي الهنائي ، عن أبي
 حرب - أو أبي الطفيل - قال : قال الحسن بن عليّ : «ما بين جابلقا وجابرسا
 رجل جدّه نبيّ غيري ، ولقد سقيت السمّ مرتين» .

٥٦- وبه ، عن الحسن بن عليّ الجوهري ، أخبرنا أحمد بن جعفر

القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا جرير، عن عبد الرحمن بن عوف: أن معاوية قال: رأيت رسول الله ﷺ يَمصُّ لسانه - أو قال: شفته - يعني: الحسن بن علي، وأنه لم يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله.

٥٧- وأخبرنا الشيخ الفقيه العدل الحافظ أبو بكر محمد بن عبدالله بن نصر الزاغوني - بمدينة السلام - منصرفي من السفرة الحجازية، أخبرنا الشيخ الجليل الإمام أبو الحسن محمد بن إسحاق الباقرحي، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن علي بن بNDAR، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر بن سليمان - ببغداد - في باب المحوّل، حدثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى ابن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي ابن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة أخذت بحجرة الله، وأخذت يا علي! بحجرتي، وأخذ ولدك بحجرتك، وأخذ شيعته ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا؟»

قال أبو القاسم: سألت أبا العباس ثعلباً عن الحجرة، فقال: هو السبب.

٥٨- وبهذا الإسناد قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة كنت وولدك على خيل بلق، متوجين بالدر والياقوت، فيأمر الله بكم إلى الجنة، والناس ينظرون».

٥٩- وأخبرني الإمام الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن

شيرويه الديلمي - فيما كَتَبَ إِلَيَّ مِنْ همدان -، أخبرنا أبو علي المقرئ، أخبرنا أبو نعيم الأصبهاني، أخبرتُ عن الحسين بن الحكم الحيري، حدثنا حسن بن حسين العرنى، حدثني عيسى بن عبدالله بن عمر بن علي، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: «مأسماني الحسن والحسين يا أبتى! حتى تُوفي رسول الله ﷺ كانا يقولان لرسول الله: يا أبتى! وكان الحسن يقول لي: يا أبا الحسين! وكان الحسين يقول لي: يا أبا الحسن!».»

٦٠- وأخبرني سيد الحفاظ هذا - فيما كَتَبَ إِلَيَّ -، أخبرني والدي، أخبرني أبو خلف عبد الرحيم بن محمد الفقيه - بالري -، -وسألني أن لا أبذله-، حدثني أبو الفتح عبيد بن مردك الرّازي، -وسألني أن لا أبذله-، حدثني يوسف بن عبدالله - بآردبيل -، -وسألني أن لا أبذله-، حدثني الحسين بن صدقة الشيباني، -وسألني أن لا أبذله-، أخبرني أبي؛ وسليمان ابن نصر، -وسألاني أن لا أبذله-، حدثني إسحاق بن سيار، -واستحلفني أن لا أبذله-، حدثني عبدالله بن موسى، -واستحلفني أن لا أبذله-، حدثني الأعمش، -واستحلفني أن لا أبذله-، حدثني مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا ميزان العلم؛ وعليّ كفتاه؛ والحسن والحسين خيوطه؛ وفاطمة علاقته؛ والأئمة من أمتي عموده، يوزن فيه أعمال المحبين لنا، والمبغضين لنا».

٦١- وأخبرني سيد الحفاظ هذا - فيما كَتَبَ إِلَيَّ -، أخبرني الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن زنجويه بزنجان سنة خمسمائة، أخبرني الحسين بن الغلابي، أخبرني أحمد بن جعفر القطيعي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، أخبرني أبي، عن حياة بن شريح، عن بقیة، عن بحير بن سعيد، عن خالد بن معدان، عن المقدام بن معدي كرب قال: قال

رسول الله ﷺ: «الحسن مني والحسين من علي».

٦٢- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرني محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد بن فادشاه [ح]؛ وأخبرني عليّ مناوله، عن أبي نعيم قالا: أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن رشد بن حميد بن عليّ البجلي، عن ابن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين يوم القيامة عن جنبي عرش الرحمن بمنزلة الشنفين من الوجه».

قال: والشنف: القرط المعلق في الأذن.

٦٣- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبد الله - إجازة -، أخبرنا الشريف أبو طالب المفضل بن محمد الجعفري، أخبرنا الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن مردويه، حدثني جدّي، حدثني محمد بن عليّ، حدثني عليّ بن شهرمرد، حدثني جعفر بن أحمد، حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، عليّ وليّ الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضهم لعنة الله».

٦٤- قال (جزاه الله عني خيراً): أخبرنا أبو عليّ الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا محمد بن جعفر، حدثني عليّ بن محمد، حدثنا عبد الله بن الحسن، حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، حدثنا كرام بن مسعر بن كرام، عن أبيه، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«نحن بني عبد المطلب سادات أهل الجنة: أنا؛ وعلي؛ وحمزة؛ وجعفر؛ والحسن؛ والحسين؛ والمهدي».

٦٥- قال (جزاه الله عني خيراً): ومما سمعته في «المفاريد»، بإسنادي عن علي؛ وابن عباس قالا: «قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

٦٦- قال (جزاه الله عني خيراً): أخبرني الحسين بن أحمد، أخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا يحيى بن محمد الحناني، حدثنا عثمان بن عبدالله القرشي، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي! ادن مني وضع خمسك في خمسي، يا علي! خلقت أنا وأنت من شجرة: أنا أصلها؛ وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، من تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة».

٦٧- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرنا أبو علي، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن محمد القنطري، بإسناده إلى أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي! أول من يدخل الجنة أربعة: أنا؛ وأنت؛ والحسن؛ والحسين؛ وذراينا خلف ظهورنا؛ وأزواجنا خلف ذراينا؛ وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا».

٦٨- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرنا أبو الفتح بن عبدالله - كتابة - أخبرنا المفضل الجعفري، حدثنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا محمد بن عبدالله ابن سعيد، حدثنا عبدالله بن أحمد بن عامر، حدثني أبي أحمد بن عامر الطائي، حدثني علي بن موسى، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين،

حدَّثني أبي الحسين، حدَّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: يا علي! أعطيت ثلاث خصال، فقلت: فداك أبي وأمي! ما أعطيت؟ قال: أعطيت صهراً مثلي، وأعطيت زوجة مثل فاطمة، وأعطيت ولدين مثل الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين».

وسمعت هذا الحديث في «الصحيفة» من طريق ابن الزاغوني.

٦٩- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرنا أبو الفتح هذا - كتابة -، حدَّثنا أبو طاهر الحسين بن عليّ بن سلمة من «مسند» زيد بن علي عليه السلام، حدَّثنا الفضل بن الفضل بن عباس، حدَّثنا محمد بن سهل، حدَّثنا عبدالله ابن محمد البلوي، حدَّثني إبراهيم بن عبيد الله، حدَّثني أبي، عن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة، أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت، ويراني؛ ويرى عليّاً وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين؛ فإن كان يحبُّنا، قلت: ياملك الموت! ارفق به، فإنه كان يحبُّني وأهل بيتي، وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي، قلت: ياملك الموت! شدد عليه، فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي، لا يحبُّنا إلا مؤمن، ولا يبغضنا إلا منافق شقي».

٧٠- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرني والدي، حدَّثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الإمام، أخبرنا قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الاسدآبادي، حدَّثنا أبو حاتم أحمد بن الحسن بن هارون - بالري -، حدَّثنا عبدالله بن محمد البغدادي، حدَّثنا محمد بن سهل مولى عمر بن عبدالعزيز، حدَّثنا عمرو بن عبد الجبار، عن أبيه، عن موسى بن جعفر، عن

أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام: «أن النبي ﷺ كان إذا عطس، قال له علي: أعلى الله ذكرك يا رسول الله! وإذا عطس علي عليه السلام قال له رسول الله ﷺ: أعلى الله عقبك يا علي».

٧١- قال (جزاه الله عني خيراً): وأخبرني والدي، أخبرنا أبو الفتح إسماعيل بن عثمان - بروجرد -، أخبرنا أبو الفرج الحسن بن علي التميمي - بالكرج -، حدثنا أبو يعقوب يوسف بن مكي الزنجاني - بهمدان في الجامع -، حدثنا أبو بكر محمد بن سلمان - ببغداد -، قال: قرئ على هلال ابن العلاء الرقي - وأنا أسمع -، حدثني أبي، عن الدراوردي، عن مكحول، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «اهتدوا بالشمس، فإذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر، فإذا غاب القمر فاهتدوا بالزهرة، فإذا غابت الزهرة فاهتدوا بالفرقدين»، فقيل: يا رسول الله! ما الشمس؟ وما القمر؟ وما الزهرة؟ وما الفرقدان؟ قال: «الشمس أنا؛ والقمر علي؛ والزهرة فاطمة؛ والفرقدان الحسن والحسين».

٧٢- أخبرنا شهاب الإسلام أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني - فيما كتب إلي من أصبهان -، حدثنا الحافظ أبو بكر بن مردويه، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا يحيى بن هاشم، حدثنا زياد بن المنذر، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي عليه السلام قال: «إن لكل شيء ذروة، وأن ذروة الجنان الفردوس في بطنان العرش، فيها قصران من لؤلؤتين: واحدة بيضاء، وواحدة صفراء، وأن في البيضاء: لسبعين ألف قصر - مسكن محمد وآل محمد -، وأن في الصفراء: لسبعين ألف قصر

- مسكن إبراهيم وآل إبراهيم-، فإذا صليتم على محمد وآل محمد، فصلوا على إبراهيم وآل إبراهيم.

٧٣- وبهذا الإسناد، عن أبي بكر بن مردويه، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا جندل بن والقي، حدثنا محمد بن حبيب، عن إبراهيم بن حسن، عن زياد بن المنذر، عن عبد الرحمن بن مسعود، عن عويم، عن سلمان قال: انزلوا آل محمد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعين.

٧٤- أخبرنا الإمام الزاهد برهان الدين أبو الحسن علي بن الحسن الغزنوي - بمدينة السلام في داره سلخ ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وخمسائة-، أخبرنا الشيخ الإمام أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي، وأخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي - في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة -، أخبرنا أبو القاسم حمزة ابن يوسف السهمي الرجل الصالح، أخبرنا أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو علي الحسين بن عفير بن حماد بن زياد العطار - بمصر -، حدثنا أبو يعقوب يوسف بن عدي بن رزيق بن إسماعيل الكوفي التميمي، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي، حدثني سليمان بن مهران الأعمش في - حديث طويل -، وهو «حديث الخنوط والكفن»، كتبنا منه ما هو اللائق بهذا الباب.

قال: حدثنا أمير المؤمنين المنصور أبو جعفر، قال: حدثني والدي، عن أبيه، عن جدّه، قال: كنت ذات يوم جالسا عند رسول الله ﷺ إذ أقبلت فاطمة - بنته -، فدخلت عليه فقالت: «يا أبا! إن الحسن والحسين

خرجنا من عندي آنفاً، وما أدري أين هما؟ فقد طار عقلي، وقلق فؤادي،
وقل صبري»، وبكت وشهقت حتى علا بكاءها، فرحمها ورق لها، وقال:
«لا تبكي، يافاطمة! فوالذي نفسي بيده، إن الذي خلقهما هو الطف بهما
منك، وأرحم بصغرهما منك».

ثم قام من ساعته، ورفع يديه إلى السماء، وقال «اللهم! إنهما ولداي
وقرة عيني، وثمره فؤادي، وانت أرحم بهما وأعلم بموضعهما، يا لطيف!
بلطفك الخفي، أنت عالم الغيب والشهادة، اللهم! إن كانا أخذاً برآ وبحراً
فاحفظهما وسلمهما حيثما كانا، وحيثما توجَّها».

فما استتم رسول الله دعاءه، حتى هبط جبرئيل من السماء، ومعه
عظماء الملائكة وهم يؤمنون على دعاء النبي، فقال جبرئيل: يا حبيبي!
يا محمد! لا تحزن، ولا تغتم، وابشر فإن لديك فاضلان في الدنيا،
وافضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما نائمان في حظيرة - بني
النجار - قد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما، فلما قال جبرئيل ذلك، سرى
عنه، وقام ومعه أصحابه، وهو فرح حتى أتوا حظيرة - بني النجار -، فإذا
الحسن والحسين نائمان، وإذا الحسين معانق للحسن، وإذا الملك الموكل قد
وضع أحد جناحيه في الأرض، وطأ تحتها يقيهما من حر الأرض،
وجللها بالجناح الآخر، غطاء يقيهما حر الشمس، فانكبَّ عليهما النبي ﷺ
يقبلهما واحداً فواحداً، ويمسحهما بيده حتى أيقظهما من نومهما، فلما
أيقظهما حمل النبي الحسن على عاتقه، وحمل جبرئيل الحسين على ريشة من
جناحه، حتى خرجا بهما من الحظيرة، والنبي ﷺ يقول: «والله لأشرفنكما
اليوم كما شرفكما الله تعالى في سماواته».

فبينما النبي وجبرائيل يمشيان حاملين لهما، وقد تمثل جبرائيل - بدحية

الكلبي -، إذ أقبل أبو بكر، فقال: يا رسول الله! ناولني أحد الصبيين أخفف عنك أو عن صاحبك، وأنا أحفظه حتى أوديه إليك، فقال له: «لا، يا أبا بكر! دعهما، فنعم الحاملان نحن، ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما».

فجاءا يحملانهما وأبو بكر معهما حتى أتوا بهما إلى -مسجد المدينة-، وأقبل بلال، فقال رسول الله ﷺ: «هلم، يا بلال! وناد في الناس واجمعهم لي في المسجد». فلما اجتمعوا قام على قدميه، وخطب الناس بخطبة أبلغ فيها، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ومستحقه.

ثم قال: «يامعشر المسلمين! هل أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإن جدَّهما محمد؛ وجدتهما خديجة بنت خويلد: سيِّدة نساء أهل الجنة، وأوَّل من سارعت إلى تصديق ما أنزل الله على نبيه محمد، وإلى الإيمان بالله وبرسوله، يامعشر المسلمين! هل أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟» قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإنَّ أباهما علي بن أبي طالب: يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وأمَّهما فاطمة بنت رسول الله شرفها الله في سماواته وأرضه».

ثمَّ قال: «يامعشر المسلمين! هل أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإنَّ خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله»، ثمَّ قال: «يامعشر المسلمين! هل أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: «عليكم بالحسن والحسين، فإنَّ عمَّهما جعفر ذو الجناحين: الطيار مع الملائكة في الجنة؛ وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب»، ثم قال: «اللهم! إنك تعلم أنَّ الحسن والحسين في الجنة؛ وجدَّهما في الجنة؛

وجدتهما في الجنة؛ وأباهما في الجنة؛ وأمهما في الجنة؛ وخالهما في الجنة؛ وخالتهما في الجنة؛ وعمهما في الجنة؛ وعمتهما في الجنة؛ ومن يحبهما في الجنة؛ ومن يبغضهما في النار.

٧٥- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، حدثنا الرئيس أبو الفتح بن عبدالله الهمداني - كتابة -، حدثنا الإمام عبدالله بن عبدان، حدثنا أبو عبدالله نافع بن علي، حدثنا علي بن إبراهيم القطان، حدثنا أحمد بن حماد الكوفي، حدثنا محمد بن زيدان الهاشمي، حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن الموصللي، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، عن سفيان بن سعيد الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ الرحمن/١٩، قال: علي وفاطمة، ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ الرحمن/٢٠ قال: ود لا يتباغضان ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ الرحمن/٢٢ قال: الحسن والحسين.

٧٦- وأخبرني المبارك بن محمد السقطي - بقراءتي عليه بدير العاقول -، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله - ببغداد -، حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا أصبغ بن الفرّج، حدثنا عبدالله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحرث: أن بكر بن سودة حدثه، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن عبدالله بن عمر، قال: دخل الحسن والحسين على عائشة -، وعليها خمارها، فشقته نصفين: ووشحت الحسن بأحدهما؛ والحسين بالآخر، ودفعت إليهما ديناراً، فانطلقا إلى النبي ﷺ، فقال لهما «يا ولدي من بركما بهذا؟» قالا: «دفعته إلينا أمنا عائشة»، فقال رسول الله: «صدقتما، هي أمكما وأم أمكما بر الله من بركما، وقطع من قطعكما، ووصل من وصلكما».

قال: في روايتي في «فضائل الصحابة»، عن مسروق، عن عائشة، أنها قالت: فوالله، ما صنعت وما سمعت من رسول الله ﷺ أحب. قال احسب قالت: أحب إلي من الدنيا وما فيها.

٧٧- وأخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر - كتابة -، أخبرنا الإمام زيد بن الحسين البيهقي، أخبرنا النقيب علي بن محمد الحسيني، أخبرنا السيد الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر الحسيني، أخبرنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الحسيني، حدثنا أحمد بن محمد البغدادي، حدثنا عبد العزيز بن إسحاق، حدثنا علي بن محمد النخعي، حدثني سليمان بن إبراهيم، حدثني نصر بن مزاحم، حدثني إبراهيم بن الزبرقان، حدثنا أبو خالد الواسطي، حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «لما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه والبيت غاص بمن فيه قال: «ادعوا لي - الحسن والحسين -، فجاءا فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، فجعل علي يرفعهما عن وجه رسول الله، ففتح عينيه وقال: دعهما يتمتعا مني وأتمتعُ منهما، فستصيبهما بعدي أثره. ثم قال: أيها الناس! قد خلّفتُ فيكم: كتاب الله؛ وسنتي؛ وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب الله تعالى كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أما إنَّ ذلك لن يفرق حتى اللقاء على الخوض».

٧٧- وروى يزيد بن أبي حبيب؛ والحرث بن يزيد؛ وابن هبيرة، قالوا: اجتمع عند معاوية: عمرو بن العاص؛ وعتبة بن أبي سفيان؛ والوليد بن عقبة؛ والمغيرة بن شعبة؛ فقالوا لمعاوية: أرسلنا إلى الحسن لنسب أباه ونصغره بذلك؟ فقال: إني أخاف أن لا تتصروا منه، واعلموا أنني إن أرسلت إليه أمرته أن يتكلم كما تتكلمون، قالوا: افعل، فوالله،

لنخزينه اليوم.

فأرسل إليه يدعو، والحسن لا يدري لما دعاه، فلما قعد، تكلم معاوية فقال: إنني لم ادعك، ولكن هؤلاء أزعجونني حتى أرسلت إليك وهم دعوك ليخبروك: إن - عثمان - قُتلَ مظلوماً، وإنَّ أباك قتله، فاسمع منهم، ثم أجبه، ولا تمنعك هييتي أن تجيبهم بلسانك كله.

فقال له الحسن: ألا أعلمتني حتى أجيء بعدتهم من بني عبدالمطلب وما بي أن أكون مستوحشاً إلى أحد، فإنَّ الله لمعي اليوم، وفيما قبل اليوم، وفيما بعده، فليتكلموا أسمع منهم.

فتكلم - عمرو بن العاص -، فقال: إنكم - بني عبد المطلب - لم يكن الله ليعطيكم الملك: بقتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء، أنت يا حسن! تحدث نفسك أن تكون أمير المؤمنين، وليس عندك عقل ذلك، ولا رايه، فكيف تراك سلبته؟ وتركت أحق قريش، وذلك من سوء عمل أباك، فإننا دعوناك لنسبك وأباك، ثم لا ترد علينا شيئاً مما نقول، فإن كنت تراني كذبتُ فرد عليّ وإلا فاعلم بأنك وأباك من شر خلق الله - فقضى خطبته -.

ثم تكلم - عتبة بن ابي سفيان - فقال: إنكم - بني عبد المطلب - قتله عثمان، فوالله، إنَّ لنا فيكم دم عثمان، وإنَّ في الحق أن نقتلك به، فاما أبوك فقد تفرَّد الله به، وكفانا إياه، وأما أنت، فوالله، ما علينا إن قتلناك - بعثمان - حرج ولا إثم - فقضى خطبته -.

ثم تكلم الوليد بن عقبة فقال: أنتم - بني عبد المطلب - كنتم أحوال عثمان، فنعم الولدُ كان لكم، وكنتم أصهاره، فنعم الصهر كان لكم، يعطيكم حقكم، ثم كنتم أول من حنق عليه وحسده، وكنتم قتلته، فكيف

ترون الله طالب دمه - فقضى خطبته -.

ثم تكلم - المغيرة بن شعبة -، فقال: إِنَّ عَلِيًّا نَاصِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَاجْلِبَ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَأَرَادَ قَتْلَهُ، فَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ كَرِهَ أَنْ يَبَايَعَ - أبا بكر - حَتَّى أَتَى بِهِ قُودًا، ثُمَّ نَازَعَ - عُمَرَ - حَتَّى هَمَّ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ، ثُمَّ طَعَنَ عَلِيَّ - عُثْمَانُ - حَتَّى قَتَلَهُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُلْطَانًا لَوْلِيِ الْمَقْتُولِ فِي كِتَابِهِ الْمَنْزِلُ، فَمَعَاوِيَةُ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَوْ قَتَلْنَاكَ وَأَخَاكَ كَانَ مِنَ الْحَقِّ، فَوَاللَّهِ مَا - دَمٌ وَلَدَ عَلِيٍّ - عِنْدَنَا بِخَيْرٍ مِنْ - دَمِ عُثْمَانَ -، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ فِيكُمْ الْمَلِكَ مَعَ النَّبِيِّ - فَقَضَى خُطْبَتَهُ -.

فَتَكَلَّمَ - الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ -، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى أَوَّلَكُمْ بَأَوَّلِنَا، وَآخَرَكُمْ بآخِرِنَا، اسْمَعُوا مِنِّي مَقَالَتِي، وَأَعِيرُونِي فَهْمَكُمْ، وَبِكِ أَبْدَأُ يَامَعَاوِيَةُ! فَوَاللَّهِ، مَا هَؤُلَاءِ سَبُونِي؟ وَلَكِنَّكَ يَامَعَاوِيَةُ! سَبَبْتَنِي فَحْشًا، وَخَلَقًا سِيئًا، وَبَغِيًّا عَلَيْنَا، وَعَدَاوَةً لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَأَيْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنِّي وَإِيَاهُمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَوْلَنَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ، مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِمَا تَكَلَّمُوا بِهِ.

وَلَكِنْ بِكَ يَامَعَاوِيَةُ! أَبْدَأُ، فَاسْمَعْ مِنِّي، وَلِيَسْمَعْ الْمَلَأُ، فَاسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَلَأُ: وَلَا تَكْتُمُوا حَقًّا عَلِمْتُوهُ، وَلَا تَصَدِّقُوا بَاطِلًا إِنْ نَطَقَتْ بِهِ، أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي تَشْتُمُونَهُ صَلَّى الْقَبْلَتَيْنِ كُلْتِيَهُمَا، وَأَنْتَ يَامَعَاوِيَةُ! كَافِرٌ بِهِمَا تَرَاهُمَا ضَلَالًا، وَتَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَبَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ كُلْتِيَهُمَا - بَيْعَةَ الْفَتْحِ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ -، وَأَنْتَ يَامَعَاوِيَةُ بِالْأُولَى كَافِرٌ، وَبِالْثَّانِيَةِ نَاكِثٌ.

ثُمَّ أَنْشَدَكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَعَنَكُمْ يَوْمَ «بَدْرٍ» وَمَعَ عَلِيٍّ رَايَةَ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَلَعَنَكُمْ يَوْمَ «الْأَحْزَابِ» وَمَعَ عَلِيٍّ رَايَةَ النَّبِيِّ

والمؤمنين، وَمَعَكَ يامعاوية! راية المشركين من - بني أمية -؟ فعليّ بذلك يفلج الله حجته، ويحقُّ الله دعوته، وينصر دينه، ويصدق حديثه، وعليّ بذلك رسول الله راض عنه والمسلمون عنه راضون.

ثُمَّ أُنشِدَكُمْ الله، هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ حاصر - أهل خيبر - فبعث - عمر بن الخطاب - براية المهاجرين؛ وبعث - سعد بن معاذ - براية الانصار؟ فاما سعد فجيء به جريحاً، واما عمر فجاء يجبن أصحابه حتَّى قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله؛ ويحبُّ الله ورسوله، ثُمَّ لا ينشئ حتَّى يفتح الله له إن شاء الله، فتعرَّض لها: أبوبكر؛ وعمر؛ ومن ثمَّ المهاجرين والانصار، وعليّ يومئذ أرمم شديد الرَّمْد، فدعاه رسول الله فتفل في عينيه وأعطاه الراية، وقال: اللهم! قه الحرَّ والبرد، فلم ينشئ حتَّى فتح الله له، واستنزلهم على حكم الله، وحكم رسوله، وانت يومئذ يامعاوية! مشرك بمكة عدوُّ الله ولرسوله.

ثمَّ أُنشِدَكُمْ الله، هل تعلمون أنَّ عليّاً ممن حرَّم الشهوات من أصحاب محمد ﷺ فانزل الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المائدة/٨٧، وأما أنت يامعاوية! فلا أذكر لك إلا حقاً قد علمته، وعلمه أصحابك الذين حولك، إِنَّكَ كُنتَ ذات يوم تسوق بأبيك، ويقود به أخوك - هذا القاعد - وهو على جملٍ أحمر بعدما عمي أبو سفيان، فلعن رسول الله ﷺ الجمل؛ وراكبه؛ وقائده؛ وسائقه؛ وكان أبوك الراكب؛ وأخوك القائد؛ وانت السائق.

ثُمَّ أُنشِدَكُمْ الله، هل تعلمون أنَّ معاوية كان يكتب بين يدي رسول الله ﷺ فأرسل إليه ذات يوم ليكتب إلى - بني خليل -، فقالوا: إِنَّهُ يَأْكُل، فقال: لا أشبع الله بطنه؟ وأُنشِدَكَ الله يامعاوية! هل تعرف تلك الدعوة في أكلك،

ونهمتك، ورغبتك؟ ثم أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:

أولهن: يوم خرج إلى المدينة فلعهن.

والثانية: يوم العير حين طردها ليحرزها من رسول الله.

والثالثة: يوم أحد إذ قال: (اعلِ هُبْلِ اعلِ هُبْلِ) فقال رسول الله: الله

أعلى وأجل، فقال: (إنَّ لنا عزى ولا عزى لكم)، فقال رسول الله: الله مولانا ولا مولى لكم، فلعهن الله يومئذ ورسوله والمؤمنون.

والرابعة: يوم الأحزاب حين جاء أبو سفيان بجميع قريش، فأنزل الله

آيتين في - سورة الأحزاب - كل آية منها يسمي - أبا سفيان وأصحابه -: الذين كفروا.

والخامسة: يوم الهدي معكوفاً أن يبلغ محله، إذ رددم رسول الله ﷺ

أنتَ ومشركو قريش عن المسجد الحرام، فرجع لم يقض نسكه، وكَم يطف بالبيت.

والسادسة: يوم جاء أبو سفيان بجميع قريش؛ وعيينة بن حصن

بجميع غطفان، فلعن رسول الله ﷺ القادة والاتباع.

والسابعة: يوم حملوا على رسول الله ﷺ وهموا به في «الثنية» وهم

اثنا عشر رجلاً: سبعة من بني أمية؛ وخمسة من سائر الناس، وقد كان من

حقك يامعاوية! أن تستحي من كتابك إلى أبيك حين أراد أن يسلم وأنت

كافر، فكتبت إليه:

يا صخر! لا تسلمن طوعاً فتفضحننا بعد الذين بيدر أصبحوا مزقاً

جدي وعمي وخال الأمِّ يالهم قوماً وحنظلة المهدي لنا الأرقا

لا تركنن إلى أمر تقلدنا والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أيسر من قول الصباة لنا خلي معاونة العزى لنا فرقا
فهل تستطيع يامعاوية! أن ترد شيئاً مما قلت .

وأما أنت ياعمرو بن العاص! فما أحسبك إلا لزنية، احتج فيها -
خمسة من قريش - كلهم يزعم: أنك ابنه، فغلب عليك جزار قريش، الأهم
حسباً؛ وأشرهم منصباً، وأعظمهم لعنة، ثم قُمتَ خطيباً فقلت: أنا شاني
محمد ﷺ، فأنزل الله عز وجل في «كتابه»: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر/٢ .
ثم هجوتَ نبي الله ﷺ بسبعين بيتاً، فقال: اللهم! إني لا أحسن
الشعر، فalcنه بكل بيت لعنة، ثم كنتَ في - أصحاب السفينة - الذين أتوا
النجاشي يكذبون جعفرأ عنده، فكذبك الله بغيطك، فانتَ عدو - بني
هاشم - في الجاهلية والإسلام، فلستُ ألومك على ذلك، ولا أعاتبك عليه،
وبعد فانتَ القاتل في مسيرك إلى النجاشي:

يقولون لي: أين هذا المسير وما السير مني بمستنكر
فقلت: دعوني فإنني امرؤ أريد النجاشي في جعفر
لا كويه عنده كية أقيم بها نخوة الأصعر
ولا أنثني عن بني هاشم بما استطعت في الغيب والمحضر

وأما أنت ياعتبة! فما أنتَ بحصيف فأجيئك، ولا عاقل فأعاتبك،
وما فيك من خير يرجي، ولا من شر يتقى، وما أنتَ وأمك إلا سواء، فأما
وعيدك لي بالقتل، أفلا قتلت الذي وجدته على فراشك وشركك في
عرسك، ولو كنتَ قاتلاً أحداً لقتلته، ثم أمسكتها عندك من بعد ما كان من
بغيها ما كان، ووالله، ما ألومك على سبك علياً؛ وقد قتل - خالك -
مبارزة؛ واشترك هو وحمزة في قتل جدك فقتلاه.

وأما أنت يا بن أبي معيط! فوالله، ما ألومك إن سببت علياً، وقد جلدك في الخمر ثمانين، وحدك في الزنا مثلها، وقتل أباك صبراً بأمر رسول الله ﷺ، وهو يقول لرسول الله، ولقریش: علام أقتل؟ فقال له رسول الله: لعداوتك لله ولرسوله، فقال: من للصبيّة؟ فقال: النار، وقتل، فانت من - صبيّة النار -، وكيف تسبُّ علياً ومن حولك يعلمون أن علياً مؤمن، وأنت كافر فاسق؟ وكيف تسبُّ رجلاً سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات، ورضي عنه في عشر آيات وسمّاك تعالى في «القرآن» فاسقاً؟ حتى قال فيك شاعر المسلمين وفيه، طبقاً لقول الله تعالى:

انزل الله في الكتاب علينا	في عليٍّ وفي الوليد بيانا
فتبوا الوليد حادث فسق	وعلي تبواً الإيماننا
ليس من كان مؤمناً عمرك الله	كمن كان فاسقاً خوّاًنا
سوف يدعى الوليد بعد قليل	وعلي إلى الجزاء عيانا
فعليّ يجزى هناك جنانا	ووليد يجزى هناك هوانا

ثمّ إنّما أنت عالج من - أهل صفورية -، وأقسم بالله لانت أكبر من أهلك الذي تدّعي له.

وأما أنت يا مغيرة! فإنما مثلك مثل البقة قالت للنخلة: استمسكي فإني أريد أن أنزل عنك؛ فقالت: والله، ما شعرت بوقوعك عليّ، فكيف أهتم بنزولك عني، فقل لي: على أي الخصال تسبُّ علياً: لبعده من رسول الله ﷺ، أم لسوء بلائه في الإسلام، أم لرغبته في الدنيا، أم لجوره في الأحكام؟ فإن قلت بواحدة منهن، فقد كذبتك الله ورسوله.

فأما زعمك: أن علياً قتل - عثمان - فلست من ذلك في شيء، وأما قولك: في الملك، فإن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿وان أدري لعله فتنة لكم

ومتاع إلى حين ﴿الأنبياء/١١١﴾، ويقول تعالى: ﴿وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾ الآية . الاسراء/١٦» .

ثمَّ إِنَّهُ ﷺ نفّض رداءه وقام، فقال معاوية لأصحابه: ذوقوا وبال أمركم، فقالوا: والله، ما ذقنا مثل ما ذقت، فقال: ألم أقل لكم: إنكم لم تنتصروا من الرجل فلا أتعتموني إذ نهيتكم، ولا انتصرتم إذ فضحكم، والله، ما قام حتّى أظلم عليّ البيت، وهممت أن أبطش به؛ فليس فيكم خير اليوم، ولا قبل اليوم، ولا بعده.

وسمع - مروان بن الحكم - ما لقي - معاوية - وأصحابه من - الحسن -، فأتى معاوية فوجد عنده عمرأ؛ والوليد بن عقبة؛ وعمرو بن عثمان؛ وعتبة؛ والمغيرة؛ فسألهم عما بلغه من أمر الحسن؟ فقالوا: قد كان ذلك، فقال لهم مروان: أفلا أحضرتموني؟ فلو حضرت لسببته وأهل بيته سباً تتغنّى به الإماء والعبيد؟ فقالوا له: الآن لم يفتك شيء، لما يعلمون من ذرابة لسان مروان وفحش منطقه، فأرسل إليه معاوية، فأتى - الحسن - فجلس على السرير بين - معاوية وعمرو - فقال معاوية: ما أرسلت إليك، ولكن مروان أرسل إليك، فقال مروان: أنت، يا حسن! السّاب رجال قريش؟ فوالله، لأسبّنك وأباك وأهل بيتك سباً تتغنّى به الإماء والعبيد؟

فقال الحسن: «الحمد لله ما زادك الله يامروان! بما خوفت إلا طغياناً، كما قال الله عز وجل: ﴿ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾ الاسراء/٦٠، ألسنت أنت وذريتك يامروان! الشجرة الملعونة في القرآن الكريم؟ سمعت رسول الله ﷺ يلعنك - ثلاث مرات» .

فكبر معاوية، وخرّ ساجداً، وكان ذلك نصرة للحسن بن علي ﷺ ثم قاموا وتفرقوا، ولبعض شعراء أهل البيت ﷺ فيهم من المدح:

إليكم كلُّ مَنْقَبَةٍ تؤولُ إذ ما قيل : جدّكم الرّسولُ
وفِيكم كلُّ مكرمةٍ تجلّى إذا ما قيل : أمكم البتول
فلا يبقى لما دحكم كلامٌ إذا تمّ الكلامُ فما يقولُ

٧٩- وذكر الشعبي : أن - عبدالله بن جعفر - دخلَ على - معاوية - ،
وعنده - يزيد - ، فجعل يزيد يعرض بعبدالله بن جعفر في كلامه ، وينسبه
إلى الإسراف ، فقال عبدالله ليزيد : إني لأرفع نفسي عن جوابك ولو كلّمني
صاحب السرير لأجبتَه .

فقال معاوية : كأنك تظنُّ أنك أشرف منه؟ قال : أي والله ، ومنك
ومن أبيك وجدك .

فقال معاوية : ما كنت أحسب أحداً في عصر - حرب - يزعمُ أنه أشرف
منه !

فقال عبد الله : بلى ، إنَّ أشرف من - حرب - من كفاً عليه إناؤه ،
وأجاره إذ ألبسه رداءه .

فقال معاوية : صدقت يا أبا جعفر ! وقضى حوائجه فخرج .
قال الشعبي : ومعنى قول عبد الله : أشرف منه مَنْ كفاً عليه إناؤه ،
وأجاره إذ ألبسه رداءه هو أنَّ - حرب بن أمية - كان إذا كان في سفره ،
وعرضت له ثنية أو عقبة ، تنحى فلا تجوز الناس حتّى يجوزها .

فجاء غلام من - بني تميم - ثمَّ من - بني أسد - ، فقبل له : قف ، حتّى
يجوز - حرب - ، قال : ومن حرب؟ ثمَّ تقدّمه ، ونظر إليه حرب ، فتهدّده
وقال : سيمكنني الله منك إن دخلت مكة ، ثمَّ إن - التميمي - بعد ذلك بدت
له حاجة بمكة ، فسأل عن أعزِّ أهل مكة ، فقبل له : عبد المطلب بن هاشم ،
فخرج إليه وأناخ راحلته - ببابه - ، فقبل : ادخل الدار ، فقال : ما أردتُ دون -

عبد المطلب -، فخرج إليه - الزبير بن عبد المطلب -، فقال: مالك؟ إن كنت مستجيراً آجرناك، وإن كنت طالب قري قريناك، فانشأ يقول:

لا قيت حرباً بالثنية مقبلاً	والصبح أبلج ضوؤه للساير
فاصات بي: قف وانتم ليروعني	ودعا بدعوة معلن بشعار
فتركته خلفي وجزت أمامه	وكذا كنت أكون في الأسفار
فمضى يهدّني الوعيد ببلدة	فيها الزبير كمثّل ليث ضار
فتركته كالكلب ينبج حوله	وأيت قرم مكارم ونجار
ليثاً هزبراً يُستجار بقربه	رحب المباءة مكرماً للجار
وحلفت بالبيت العتيق وركنه	وبزمزم والحجر ذي الاستار
إنّ الزبيـر لمانعي بمهـدٍ	عضب المهزّة صارم بتار

فقال الزبير: قد آجرتك، وأنا ابن عبد المطلب، فسر أمامي، فإننا - بني عبد المطلب -، إذا أجرنا رجلاً لم نتقدّمه، فمضى بين يديه، والزبير في أثره فلقيه - حرب -، فقال: التميمي! وربّ الكعبة؟ ثم شدّ عليه، فاخترط الزبير سيفه، ونادى في إخوته، فمضى حرب يسرع المشي، والزبير في أثره حتّى صار إلى دار عبد المطلب، فلقيه - عبد المطلب - خارجاً من الدار.

فقال: مهيم^(١) يا حرب! فقال: ابنك الزبير، فقال: ادخل الدار، فدخل فكفا عليه جفنة - هاشم - التي كان يهشم فيها الثريد، وتلاحق - بنو عبد المطلب - بعضهم على أثر بعض، فلم يجسروا أن يدخلوا دار عبد المطلب، فاحتبوا بحمائل سيوفهم، وجلسوا على الباب، فخرج - عبد المطلب -، فلما نظر إليهم سرّه ما رأى منهم، ثمّ دخل إلى حرب، فقال له: قم واخرج.

(١) مهيم كلمة بمعنى ما وراءك وهي وزان مريم والميم الثانية ساكنة.

فقال: يا أبا الحرث هربت من واحد، وأخرج إلى عشرة؟ فقال: خذ ردائي هذا فالبسه، وأخرج.

فلبسه وأخرج، فرفعوا رؤوسهم فلما نظروا إلى رداء أبيهم فكسوا رؤوسهم فمضى حرب. فذلك، معنى قوله: إن أشرف من حرب من كفا عليه إناءه، وأجاره إذ ألبسه رداءه.

٨٠- وقال - معاوية - لعقيل بن أبي طالب: يا بني هاشم! إني أرى فيكم خصلة ما تعجبني؟ قال: وما هي؟ قال: أرى فيكم ليناً، قال: أجل، والله، في غير ضعف، وعزاً في غير كبر، وأما أنتم يا بني أمية! فإن فيكم ليناً تحته غدر، وكبراً فيه كفر.

٨١- قيل: كان - العباس - الذي يسمّى: السقاء - يوم كربلاء -، وزينب - ولدا علي (عليه السلام) - صغيرين، وكانا عند أبيهما: العباس عن يمينه؛ وزينب عن شماله، فالتفت إلى العباس، وقال: «قل: واحد» فقالها، فقال: «قل: اثنين» فقال: إني أستحي أن أقول اثنين باللسان الذي قلت به: واحد، فقبل - علي - عينيه.

والتفت إلى - زينب -، فقالت له زينب: يا أبتاه! أتحبنا؟ قال: «نعم، أولادنا أكبادنا»، فقالت: يا أبتاه! حبّان لا يجتمعان في قلب مؤمن: حبّ الله، وحبّ الأولاد، فإن كان لا بدّ فالشفقة لنا، والحبّ لله خالصاً، فازداد لهما حباً.

وقيل: بل القائل الحسين.

٨٢- وقال الحسن: «مَنْ لم يعرف سوء ما اتينا^(١)، كان شريك من

أساء إلينا».

(١) لعله شرف ما أوتينا أو يصرف سوء.

٨٣- وجاء في «الآثار»: إنَّ جبرئيل كان يأتي إلى رسول الله ﷺ في صورة - دحية الكلبي -، فهبط إليه ذات يوم، وجلس عنده، إذ دخل الحسن والحسين، فادخلا أيديهما في كمّ جبرئيل، وكانا يظنان أنَّه دحية، فالتفت جبرئيل إلى رسول الله ﷺ، وسأله عن فعلهما؟ فقال: «إذا دخل - دحية - وهما عندي، يدفع لهما تفاحتين، فلذلك ادخلا أيديهما في كمّيك»، فرفع - جبرئيل - جناحه، وأخذ من الفردوس تفاحتين، فدفعهما إلى - الحسن والحسين - إكراماً لهما من الله تعالى.

٨٤- وروي: أنَّ الحسن بن علي عليه السلام دخل على معاوية وهو مضطجع على سريرته، فسلم عليه، فقام إليه وصافحه، ثمَّ اضطجع فجلس الحسن عند رجله، فقال: يا أبا محمد ألا تعجب من أم المؤمنين عائشة تزعم: أنني لستُ أهلاً للخلافة.

فقال الحسن: «أوعجتَ ممّا قالت؟» قال: بلى، كلَّ العجب، فقال الحسن: «فاعجب من ذلك جلوسي عند رجلِك وأنت مضطجع؟» فاستحى معاوية، وقام وأقبل عليه، ثم قال له: أقسمت عليك، كم عليك من الدين؟ قال له: «مائة ألف»، فقال: يا غلام! احمل معه ثلاثمائة ألف.

فلما خرج قال له ابنه يزيد: يا أبة! إنَّه استقبلك بكل مكروه وأعطيته ما أعطيته؟ فقال: يا بني إنَّ الحقَّ، والله، حقَّهم وأخذناه، أفلا نردفهم يا بني! على دابتهم التي ركبناها.

٨٥- وروي في «المراسيل» أنَّ الحسن والحسين - كانا يكتبان، فقال الحسن للحسين: «خطي أحسن من خطِّك»، فقال الحسين: «بل، خطي أحسن». فقالا لأُمهما - فاطمة -: «احكمي بيننا: مَنْ أحسن منَّا خطأ؟»

فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما بتفضيل خط أحدهما على الآخر، فقالت لهما: «سلا أباكما علياً» فسألاه فكره أن يؤذي أحدهما، فقال: «سلا جدك»، فسألاه فقال ﷺ: «لا أحكم بينكما حتى أسأل جبرئيل»، فلما جاء جبرئيل قال: لا أحكم بينهما، ولكن إسرافيل يحكم، فقال إسرافيل: لا أحكم بينهما ولكن أسأل الله تعالى أن يحكم بينهما.

فقال الله تعالى: «لا أحكم بينهما، ولكن أمهما فاطمة تحكم بينهما»، فقالت - فاطمة -: «أحكم بينهما، يارب!» وكانت لها قلادة فقالت: «أنا أنثر بينكما هذه القلادة، فمن أخذ من جواهرها أكثر، فخطه أحسن»، فشرتها وكان جبرئيل وقتئذٍ عند قائمة العرش، فأمره الله أن يهبط إلى الأرض، وينصف الجواهر بينهما، كيلا يتأذى أحدهما ففعل ذلك - جبرئيل - إكراماً لهما وتعظيماً.

فالعجب من أقوام (لعنهم الله تعالى) قتلوا أحدهما بالسم، والآخر بالسيف، وهما ذانك الرجلان، وللحسين في الفخر:

من كان يبأى بجداً	فإن جدي الرسول
أو كان يبأى بأماً	فإن أُمِّي البتول
أو كان يبأى بزور	فزورنا جبرئيل
فنحن لم نبأ إلا	بما يطاع الجليل

٨٦ - وروي أن معاوية كتب إلى - مروان -، وهو عامله على المدينة أن

يخطب - ليزيد - بنت عبدالله بن جعفر، على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيين - بني هاشم وبني أمية -، فبعث مروان إلى عبدالله بن جعفر يخطب إليه، فقال عبد الله: إن أمر نساتنا إلى - الحسن - ابن عليّ فاخطب إليه، فأتى مروان - الحسن - خاطباً، فقال له الحسن:

«اجمع من أردت»، فأرسل مروان فجمع الحيين بني هاشم وبني أمية، وتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب زينب بنت عبد الله ابن جعفر ليزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق، وقضاء دينه بالغاً ما بلغ، وعلى صلح الحيين بني هاشم وبني أمية، ويزيد بن معاوية كفؤ من لا كفؤ له، ولعمري، لمن يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبط يزيد بكم، فيزيد ممن يستسقى بوجهه الغمام، ثم سكت.

فتكلم - الحسن - فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما ما ذكرت من حكم أبيها في الصداق، فإننا لم نكن لنرغب عن سنة رسول الله ﷺ في أهله وبناته، وأما قضاء دين أبيها فمتى قضت نساؤنا بمهورهن ديون آبائهن؟! وأما صلح الحيين: فنحن عاديनाكم لله وفي الله، فلا نصالحكم للدنيا، وأما قولك: يزيد كفؤ من لا كفؤ له، فأكفاؤه اليوم أكفاؤه بالأمس، لم يزد سلطانه، وأما قولك من يغبطنا بيزيد أكثر ممن يغبطه بنا، فإن كانت الخلافة قادت النبوة^(١) فنحن المغبوطون، وإن كانت النبوة قادت الخلافة فهو المغبوط بنا، وأما قولك: إن الغمام يستسقى بوجه يزيد فإن ذلك لم يكن إلا لآل رسول الله ﷺ، وقد رأينا أن نزوجها من ابن عمها - القاسم بن محمد ابن جعفر - وقد زوجتها منه، وجعلت مهرها ضيعتي التي لي بالمدينة، وقد أعطاني بها معاوية عشرة آلاف دينار، ولها فيها غنى وكفاية».

فقال مروان: أغدراً يا بني هاشم؟! فقال الحسن: «واحدةً بواحدة».

وكتب مروان بذلك الى معاوية، فقال معاوية: خطبنا إليهم فلم يفعلوا، ولو خطبوا إلينا لما ردونا.

(١) كذا في الاصل فعليه يعني أن الخلافة تابعة للنبوة والنبوة قائمة لها إن صحت العبارة.

ولمنصور الفقيه (ره) :

إذا فخرت بنو الإسلام يوماً
قضيت لها كما اقضي عليها
على من ليس فيهم من رسول
بأن خيارها ولد البتول

وللصاحب (رحمه الله) :

لآل محمد أصبحتُ عبداً
أناس حل فيهم كل خير
وآل محمد خير البرية
مواريث النبوة والوصية

٨٧ - وروي أن معاوية نظر إلى الحسن بن علي عليه السلام وهو بالمدينة، وقد احتفَّ به خلقٌ من قريش يعظمونه، فتداخله حسد فدعا أبا الأسود الدؤلي؛ والضحاك بن قيس الفهري، فشاورهما في أمر - الحسن - والذي يهم به من الكلام.

فقال له أبو الأسود: رأي أمير المؤمنين أفضل، وأرى ألا يفعل، فإنَّ أمير المؤمنين لن يقول فيه قولاً إلا أنزله سامعوه منه به حسداً، ورفعوا به صعداً، والحسن يا أمير المؤمنين! معتدل شبابه، احضر ما هو كائن جوابه، فإخاف أن يردَّ عليك كلامك، بنوافذ تردع سهامك، فيقرع بذلك ظنبوبك ويبيدي به عيوبك، فإذا نكلامك فيه صار له فضلاً وعليك كلا، إلا أن تكون تعرف له عيباً في أدب، أو وقية في حسب، وأنَّه لهو المهذب، قد أصبح من صريح العرب، في عز لبابها، وكريم محتدها، وطيب عنصرها، فلا تفعل يا أمير المؤمنين!

وقال الضحاك بن قيس الفهري: امض يا أمير المؤمنين! فيه برأيك، ولا تنصرف عنه بدائك، فإنَّك لو رميته بقوارص كلامك، ومحكم جوابك، لذلَّ لك كما يذلُّ البعير الشارف من الإبل.

فقال: أفعل، وحضرت الجمعة فصعد معاوية على المنبر، فحمد الله

وأثنى عليه وصلى على نبيه، وذكر علي بن أبي طالب فتنقصه.

ثم قال: أيها الناس! إن صبيّة من قريش، ذوي سفه وطيش، وتكدر من عيش، أتعبتهم المقادير، فاتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد وألستهم مبارك، فباض وفرخ في صدورهم، ودرج في نحورهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، وأعمى عليهم السبل، وأرشدهم إلى البغي والعدوان، والزور والبهتان، فهم له شركاء وهو لهم قرين * ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً * النساء/٣٨، وكفى لهم مؤدباً، والمستعان الله.

فوثب الحسن بن علي وأخذ بعصا دتي المنبر، فحمد الله وصلى على نبيه، ثم قال: «أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، أنا ابن من بُعث إلى الجن والإنس، أنا ابن من بُعثَ رحمةً للعالمين».

فلما سمع كلامه معاوية غاظه منطقه، وأراد أن يقطع عليه، فقال: يا حسن! عليك بصفة الرطب، فقال الحسن: «الريح تلقحه، والحر ينضجه، والليل يبرده ويطيبه، على رغم أنفك يا معاوية!»!

ثم أقبل على كلامه، فقال: «أنا ابن المستجاب للدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب، ويقرع باب الجنة، أنا ابن من قاتلت الملائكة معه ولم تقا تل مع نبي قبله، أنا ابن من نصر على الأحزاب، أنا ابن من ذل له قريش رغماً».

فقال معاوية: أما إنك تحدث نفسك بالخلافة ولست هناك.

فقال الحسن: «أما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه، ليست

الخليفة لِمَنْ خالف كتاب الله وعطل السنّة، انما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به، وكأنه انقطع عنه وبقيت تبعاته عليه».

فقال معاوية: مافي قريش رجل إلا ولنا عنده نعم جزيلة، ويد جميلة.

قال: «بلى، مَنْ تعزّزت به بعد الذلّة، وتكثرت به بعد القلّة». فقال معاوية: مَنْ أولئك؟ يا حسن! قال: «مَنْ يُلْهِيكَ عن معرفته».

ثم قال الحسن: «أنا ابنُ مَنْ ساد قريش شاباً وكهلاً، أنا ابنُ مَنْ ساد الورى كرمأً ونبلاً، أنا ابنُ مَنْ ساد أهل الدنيا بالجود الصادق، والفرع النباسق، والفضل السابق، أنا ابنُ مَنْ رضاه رضى الله وسخطه سخطه، أفهل لك أن تساميه؟ يا معاوية!» فقال: أقول لا تصديقاً لقولك.

فقال له الحسن: «الحقُّ أبلجٌ، والباطلُ لجلجٌ، وكَم يندم مَنْ ركبَ الحقَّ، وقد خابَ من ركبَ الباطلَ ﴿والحقُّ يعرفه ذوو الألباب﴾».

ثُمَّ نزل معاوية، وأخذ بيد الحسن، وقال: لا مرحباً بمن ساءك.

٨٨- وروي: أَنَّ أحدَ العلويين قال - ليحيى بن معاذ -: ما تقول فينا؟

قال: ما أقول في طينة عجنت بماء النبوة، وغرست بتربة الرسالة، فهل ينفع منها إلا أريج الندى، وعبير التقوى، فأمرَ العلويُّ فملاً فمهُ درأً.

٨٩- وقيل: كان - للحسن بن علي عليه السلام - شاة تعجبه، فوجدها يوماً

مكسورة الرجل، فقال للغلام: «من كسرَ رجلها؟» قال: أنا، قال: «لم؟» قال: لا غمّك، قال الحسن: «لأفرحنك، أنتَ حرّ لوجه الله تبارك وتعالى». وفي رواية أخرى: قال: لا غمّ من أمركَ بغمي، يعني: أن الشيطان أمره أن يغمّه.

٩٠- وذكر «الجاحظ» - فصلاً طويلاً - في كتاب «الزعر والنخل» في -

مدح قريش وبني هاشم خاصة -، فمما قال في - بني هاشم - : العرب كالبدنة، وقريش روحها، وهاشم سرُّها ولبابها، وموضع غاية الدين منها، وهاشم ملح الأرض، وزينة الدنيا، وجبهة العالم، والسنام الاضخم، والكاهل الاعظم، ولباب كلِّ جوهر كريم، وسرُّ كلِّ عنصر شريف، والطينة البيضاء والمغرس المبارك، وهم الركن الوثيق، معدن الفهم، وينبوع العلم، وثهلان ذو الهضبات في الحلم، والسيف الحسام في العزم، مع الاناة والحزم، والصفح عن الجرم، والقصد بعد المعرفة والمغفرة بعد القدرة، وهم الانف المقدم، والسنام الاكرم، والعز المشمخر والصيانة والسؤدد، كالماء الذي لا ينجسه شيء، وكالشَّمْس لا تخفى بكلِّ مكان، وكالذهب لا يُعرف بنقصان، وكالنجم للحيوان، وكالماء البارد للظمآن.

منهم الثقلان؛ والاطيبان؛ والسبطان؛ والشهيدان؛ وأسد الله؛ وذو جناحيها وسيد الوادي؛ وساقى الحجيج؛ وسيد البطحاء؛ والحبر؛ والبحر؛ فالانصار انصارهم؛ والمهاجرون مَنْ هاجرَ معهم؛ والصديق من صدَّقهم؛ والفاروق مَنْ فرَّق بين الحق والباطل بهم؛ والحواري حوارِيهم؛ ولا خير إلا فيهم أولهم أو معهم أوليهم، وكيف لا يكونون كذلك؟ ومنهم: رسول الله رب العالمين؛ وإمام الاولين والآخرين؛ ونخبة المرسلين؛ وخاتم النبيين، الذي لم تتم لنبى نبوة إلا بعد التصديق به، والبشارة بمجيئه، الَّذي عَمَّ برسالته مابين الخافقين، وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون، وأقسم الله تعالى بحياته في القرآن فقال: ﴿لَعمرُك إنَّهُم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر/٧٢، وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/٤، فلا عظم أعظم ممّا عظم الله تعالى، ولا صغر أصغر ممّا صغره الله، ولا عظيم أعظم، ولا فخر، ولا أسنى، ولا أكبر، من ممدوح

مادحه الله، وناقل مديحه وراويه جبرئيل، والممدوح محمد، والمديح القرآن.

فَمَنْ أَفْخَرُ مِنْ قَوْمِ صَاحِبِ هَذَا النِّعَتِ مِنْهُمْ؟ وَمَنْ أَفْخَرُ مِنْ عَمِّهِ وَبَنِي عَمِّهِ؟ وَمَنْ وَلَدُهُ وَوَلَدُ وَلَدِهِ؟

٩١- وقيل: افْتَخَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ، فَقَالَ الْأُمَوِيُّ لِلْهَاشِمِيِّ: اذْهَبْ، فَسَلْ أَهْلَكَ وَاذْهَبْ فَاسْأَلْ أَهْلِي، فَاتَى الْأُمَوِيُّ عَشِيرَتَهُ، فَسَأَلَ عَشْرَةَ مِنْهُمْ فَأَمَرُوا لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَاتَى الْهَاشِمِيُّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَتَى - الْحَسَنَ - فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، ثُمَّ أَتَى - الْحُسَيْنَ - فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: «لَا أَسَاوِي أَخِي فِي الْفَضْلِ».

فَجَاءَ الْأُمَوِيُّ بِمَا أَعْطَاهُ أَهْلُهُ، وَجَاءَ الْهَاشِمِيُّ بِمَا أَعْطَاهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَغَضِبَ الْأُمَوِيُّ فَرَدَّهَا عَلَى أَصْحَابِهَا فَقَبِلُوهَا، وَرَدَّهَا الْهَاشِمِيُّ عَلَى أَصْحَابِهَا فَلَمْ يَقْبَلُوهَا، فَكَانَتِ الْآخِرَةُ أَشَدَّ عَلَى الْأُمَوِيِّ مِنَ الْأُولَى.

٩٢- أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو جَعْفَرٍ الْجَمْعِيُّ - كِتَابَةً -، أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْحُسَيْنِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبِيهَقِيُّ، أَخْبَرَنَا السَّيِّدُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ، حَدَّثَنَا السَّيِّدُ الْإِمَامُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيِّ (رَه)، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ الْحُسَيْنِيِّ، حَدَّثَنَا النَّاصِرُ لِلْحَقِّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا قَطْرِي الْحَشَابُ، عَنْ مَدْرِكُ بْنُ رَاشِدٍ، قَالَ: كُنَّا فِي حَيْطَانِ لَابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهما السلام فَطَافَا بِالْبُسْتَانِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: «أَعِنْدَكَ غَدَاءٌ يَا مَدْرِكُ؟» فَقُلْتُ لَهُ: طَعَامُ الْغُلَمَانِ، فَجِئْتُهُ بِخَبْزٍ وَمِلْحٍ جَرِيشٍ وَطَاقَاتٍ بِقَلِّ فَاكَلْ، ثُمَّ جِئْتُ بِطَعَامِهِ وَكَانَ كَثِيرَ الطَّعَامِ طَيِّبِهِ،

فقال: «يامدرك! اجمع غلمان البستان»، فجمعتهم فاكلوا، ولم ياكل، فقلت له: في ذلك، فقال: «ذاك كان عندي أشهى من هذا».

ثُمَّ تَوَضَّأَ ثُمَّ جِيءَ لَهُ بِدَابَتِهِ، فَامْسَكَ - ابْنُ عَبَّاسٍ - لَهُ بِالرَّكَابِ وَسَوَى عَلَيْهِ، ثُمَّ مَضَى فَجِيءَ بِدَابَةِ - الْحُسَيْنِ - فَامْسَكَ - ابْنُ عَبَّاسٍ - لَهُ بِالرَّكَابِ وَسَوَى عَلَيْهِ، ثُمَّ مَضَى.

فقلت لابن عباس: أنتَ أَسْنُ مِنْهُمَا، أَفْتَمْسَكَ لِهَما؟ قال: يالكع! أما تدري مَنْ هَذان؟ هَذان ابنا رسول الله ﷺ، أوليسَ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَمْسَكَ لِهَما وَأُسَوِيَ عَلَيْهِما.

٩٣- أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ رُكْنُ الْأَيْمَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ مِيكَائِيلَ الْبَرِاقِعِينِي، حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ مَنْصُورٍ السَّائِي - إِمْلَاءً -، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِي، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عَثْمَانَ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ ابْنِ مُحَمَّدٍ النَّسْفِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْبَرْزَدِي، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، عَنْ سَعْدَانَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَائِعًا، لَا يَقْدِرُ عَلَى مَا يَأْكُلُ، فَقَالَ لِي: «هَاتِ رِدَائِي؟» فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: «إِلَى فَاطِمَةَ ابْنَتِي فَأَنْظُرِي إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَيَذْهَبُ مَا بِي مِنْ جُوعٍ»، فَخَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ! أَيْنَ ابْنَايَ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! خَرَجَا مِنْ الْجُوعِ وَهُمَا يَبْكِيَانِ».

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلِبِهِمَا، فَرَأَى أَبَا الدَّرْدَاءَ فَقَالَ: «يَا عُوَيْر! هَلْ رَأَيْتَ ابْنِي؟» قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُمَا نَائِمَانِ تَحْتَ ظِلِّ حَائِطٍ - بَنِي جَدْعَانَ -، فَاَنْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُمَا وَهُمَا يَبْكِيَانِ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمْعَ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: دَعْنِي أَحْمِلُهُمَا.

فقال : «يا أبا الدرداء! دعني أمسح الدموع عنهما، فوالذي بعثني نبياً، لو قطرت قطرة في الأرض لبقيت الجماعة في أمتي إلى يوم القيامة»، ثم حملهما وهما يبكيان وهو يبكي.

فجاء جبرئيل، فقال: السّلام عليك يا محمد!، ربّ العزّة يقرؤك السّلام ويقول: ما هذا الجزع؟ فقال: «يا جبرئيل! ما أبكي من جزع، بل أبكي من ذلّ الدّنيا»، فقال جبرئيل: إنّ الله تعالى يقول: أيسرّك أن احوّل لك - أحداً - ذهباً، ولا ينقص لك ممّا عندي شيء؟ قال: «لا»، قال: «لم؟» قال: «لأنّ الله لم يحب الدّنيا ولو أحبّها لما جعل للكافر أكلة».

فقال جبرائيل: يا محمد! ادع بالجفنة المنكوسة التي في ناحية البيت، فدعا بها فلما حملت إذا فيها ثريد ولحم كثير، فقال: كل يا محمد! واطعم ابنك وأهل بيتك، قال: فاكلوا وشبعوا، ثمّ أرسل بها إلى أبي بكر الصديق فاكلوا وشبعوا، وهي على حالها.

فقال أبو بكر: ما أعظم بركة هذه الجفنة! فرفعت عنهم، فقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحقّ، لو سكت لتداولها فقراء أمتي إلى يوم القيامة».

٩٤- وأخبرنا الشيخ الإمام عبد الحميد هذا، حدّثني الإمام الزاهد مسعود بن الحسين الكسائي - إملاءً -، حدّثني الإمام أبو نصر أحمد بن المهذب، حدّثني الفقيه أبو سهل عبد الكريم بن عبد الرحمن، حدّثني القاضي أبو سعيد الخليل بن أحمد بن الخليل، حدّثني أبو العباس الثقفى، حدّثني سعيد بن يحيى الأموي، حدّثني أبو معاوية، حدّثني إسماعيل؛ ومسلم، عن الحسن، عن أبي بكر قال: رأيتُ - الحسن والحسين - يثبان على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصليّ، فيمسكهما بيده حتى يرفع صلبه،

ويقومان على الأرض، فلما انصرف اجلسهما في حجره، ومسح رأسيهما، ثم قال: «إنَّ ابنيَّ هذين ريحائتا من الدنيا، وهذا يعني: - الحسن - سيد، وأرجو أن يصلح الله به فتين عظيمتين من المسلمين في آخر الزمان».

أخرج البخاري آخر الحديث وهو قوله عليه السلام «إنَّ ابني هذا سيد» بدون قوله: «في آخر الزمان».

٩٥- وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني إسرائيل، عن ميسرة، عن المنهال، عن زر، عن حذيفة قال: قالت لي أُمي: متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وآله؟ قلت: مالي عهد به منذ كذا وكذا، فذهبت تنال مني، قلت: دعيني حتى أذهب إليه فلا أدعه حتى يستغفر لي ويستغفر لك، فاتيت النبي صلى الله عليه وآله فصليت معه المغرب، ثم قام يصلي حتى صلى العشاء فخرج، فتبعته فإذا عارض قد عرض له، ثم خرج فتبعته.

فقال: «يا حذيفة! هل رأيت العارض الذي عرض لي؟» قلت: نعم، قال: «ذلك ملك من الملائكة، استأذن ربه فسلم علي، وبشرني - بالحسن والحسين -: أنهما سيّدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة».

فذكرت له حاجتي، فقال: «اللهم! اغفر لحذيفة ولأُمه»، قلت: ورويت - هذا الحديث - في فضائل فاطمة عليها السلام في - جامع أبي عيسى الترمذي - بالفاظ قريبة برواية - حذيفة - أيضاً.

٩٦- وذكر الثقة: أن مروان بن الحكم شتم الحسن بن علي عليه السلام فلماً فرغ، قال الحسن: «إني، والله، لا أمحو عنك شيئاً، ولكن موعذك الله،

فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشدُّ نعمةً مني».

٩٧- وقال رجل من - أهل الشام - قدمت المدينة بعد - صفين -، فرأيت رجلاً حضرنّا، فسألت عنه، فقليل: الحسن بن عليّ، فحسدتُ عليّاً أن يكون له ابن مثله، فقلتُ له: أنت ابن أبي طالب؟ قال: «أنا ابن ابنه».

فقلتُ له: بك وبأبيك، فشتمته وشتمت أباه؟ وهو لا يردّ شيئاً، فلما فرغت أقبل عليّ، قال: «أظنّك غريباً، ولعلّ لك حاجة، فلو استعنت بنا لأعناك، ولو سألتنا لأعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك».

قال الشّامي: فولّيت عنه، وما على الأرض أحد أحبّ إليّ منه، فما فكرت بعد ذلك فيما صنع وفيما صنعت إلاّ تصاغرت إلى نفسي.

٩٨- وروي: أن غلاماً - للحسن - جنى جناية توجب العقاب، فأمر به أن يضرب، فقال: يامولاي! والعافين عن النّاس، قال: «عفوتُ عنك» قال: والله يحبُّ المحسنين، قال: «أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما أعطيتك».

٩٩- وروي: أن الحسن والحسين - خرجا لحاجة لهما فجاعا وعطشا، فمرّاً بعجوزٍ في خباء لها، فقالا: «هل من شراب؟» قالت: نعم، فأناخا عليها، وليس لها إلاّ شويهة.

فقالت: احلبوها، وامتدقوا لبنها، ففعلوا فقالا: «هل من طعام؟» فقالت: لا، إلاّ عتزنا هذه فليذبحها أحدكم حتّى أصنع لكم، فذبحاها فشوت وأكلا وقالوا عندها حتّى أبردوا، ثم قالوا: «نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا سالمين فالمني بنا، فإنّا صانعون بك خيراً»، ثمّ

انصرفا وأقبل زوجها، فقال: أين عتزننا؟ فأخبرته الخبر فضربها حتى شجها، وقال: تذبحين عتزي لأعبد لا تدرين عنهم، تقولين: نفر من قريش، حتى ألباتهما الحاجة إلى المدين، فدخلت العجوز ومعهما زوجها فأبصرها - الحسن - فعرفها فقال لها: «تعرفيني»، قالت: لا، فذكر لها العنز، فقالت: بأبي وأمي، فلأنت ذاك؟ قال: «نعم، أفما لقيت صاحبي؟» قالت: لا، فأمر أن يشتري لها من شياه الصدقة ألف شاة، وأعطاه ألف دينار، وبعث بها مع رسول إلى - الحسين -، فسأل عما أعطاه - الحسن -، فأعطاه ألف شاة وألف دينار أيضاً.

١٠٠- وروي: أن - مروان - قال يوماً لابن أبي عتيق وهو - محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر - إني مشغوف ببغلة - الحسن بن علي -، فقال له: إن دفعتها إليك! أتقضي لي ثلاثين حاجة؟ قال: نعم، قال: فإذا اجتمع الناس عندك العشيّة فإني آخذ في مناقب قريش، وأمسك عن - الحسن -، فلمني علي ذلك.

فلما أخذ القوم مجالسهم تلك العشيّة أخذ في أوليّة قريش، فقال له مروان: أولاً تذكر مناقب أبي محمد، فله في هذا ماليس لأحد؟ فقال ابن أبي عتيق: إنّنا كنا في ذكر الأشراف، ولو كنّا في ذكر الأنبياء لقدّمنا أبا محمد.

فلما خرج - الحسن - ليركب بغلته تبعه ابن أبي عتيق، فقال له الحسن وتبسم: «ألك حاجة؟» قال: نعم، هذه البغلة، فنزل عنها الحسن من ساعته، وقال: «هي لك فخذها»، فأخذها.

١٠١- وقيل إن معاوية قدم المدينة، وجلس للعطاء، فكان يعطي ما بين خمسين ألف إلى مائة ألف، فأبطأ عليه الحسن، فلمّا كان آخر النهار دخل

عليه، فقال معاوية: أبطأت علينا يا أبا محمد! لعلك أردت أن تبخلنا، ثم قال: اعطه، يا غلام! مثل ما أعطيت اليوم أجمع، ثم قال: خذها! يا أبا محمد، وأنا ابن هند. فقال الحسن: «لقد رددتها عليك، وأنا ابن فاطمة».

١٠٢- أخبرنا الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني -إجازة-، أخبرنا عبد الخالد بن محمد اليوسفي، أخبرنا الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس الخراز، أخبرنا أحمد بن معروف الخشاب، أخبرنا حسين بن محمد، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا ابن عبيد هو -محمد بن عبيد-، عن مجالد، عن الشعبي؛ وعن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه؛ وعن أبي السفر، وغيرهم، قالوا: بايع أهل العراق بعد عليّ عليه السلام ابنه الحسن، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، وارتكبوا العظيم، وابتزوا الناس أمورهم، فإننا نرجو أن يُمكن الله منهم، فسار -الحسن- إلى -أهل الشام-، وجعل على مقدمته -قيس بن سعد بن عباد- في إثني عشر ألفاً، وكان يسمّون: «شرطة الخميس»، وقال غيرهم: وجه إلى أهل الشام -عبيد الله بن عباس- ومعه قيس بن سعد، حتى نزلا «مسكن» و«الأنبار» وناحيتهما، وسار -الحسن- فنزل «المدائن»، وأقبل -معاوية- في أهل الشام يريد الحسن، حتى نزل «جسر منبج» فبينا الحسن بالمدائن، إذ نادى مناد في عسكره: ألا إن -قيس بن سعد- قد قُتل، قال: فاشتد الناس على حجرة الحسن، فانتهبوها حتى انتهب فسطاطه وجواريه، وأخذوا رداءه من ظهره، وطعنه رجل من -بني أسد-، يقال له «ابن اقيصر» بخنجر مسموم في إتيته، فتحول من مكانه الذي انتهب فيه متاعه، ونزل «الابيض» قصر كسرى وقال: «عليكم لعنة الله من أهل قرية، فقد علمت أن لا خير فيكم، قتلتم أبي بالامس، واليوم تفعلون بي هذا».

ثمَّ دعا - عمرو بن سلمة الأرحبي -، وكتبَ معه إلى معاوية بن أبي سفيان، يسأله الصلح، ويسلم له الأمر، على أن يسلم له ثلاث خصال: يسلم له بيت المال فيقضي منه ديونه، ومواعيده التي عليه، ويتحمل منه هو ومن معه من عيال أبيه وولده وأهل بيته، وأن لا يسب علياً وهو يسمع، وأن يحتملَ إليه خراج «فسا» و «دار أبجرد» من أرض فارس كلَّ عام إلى المدينة ما بقي.

فأجابه معاوية إلى ذلك وأعطاه ما سأل.

ويقال: بل أرسل الحسن - عبدالله بن الحرث بن نوفل - إلى معاوية حتَّى أخذ له ما سأل، وأرسلَ معاوية عبدالله بن عامر بن كريز؛ وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدا - المدائن - إلى الحسن بن علي، فأعطياه ما اراد ووثقا له، فكتبَ إليه الحسن: «أن أقبل»، فأقبل من «جسر منبج» إلى «مسكن» في خمسة أيام، ودخل في اليوم السادس، فسلمَ إليه الحسن الأمر، وبايعه ثم سارا جميعاً حتَّى قدما «الكوفة» فنزل الحسن «القصر» ونزل معاوية «النخيلة» فاتاه الحسن في عسكره غير مرَّة، ووفى معاوية للحسن بيت المال، وكان فيه يومئذ ستة ألف ألف درهم فاحتملها الحسن، وتجهَّز بها هو وأهل بيته إلى المدينة وكفَّ معاوية عن سبِّ عليٍّ والحسن يسمع، ودس معاوية إلى - أهل البصرة -، فطردوا وكيل الحسن، وقالوا: لا تحمل «فسا» إلى غيرنا، يعنون - خراج فسا؛ ودار أبجرد - فأجرى معاوية للحسن كلَّ سنة ألف ألف درهم، وعاش الحسن بعد ذلك عشرين سنين.

١٠٣- وأخبرني أبو العلاء هذا، بإسناده عن محمد بن سعد، أخبرني

موسى بن سعد، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدَّثنا عون بن موسى:

سمعت هلال بن حباب، يقول: جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في - قصر المدائن -، فقال: يا أهل العراق! لو لم تذهل عنكم نفسي لثلاث خصال لذهلت: لمقتلكم أبي؛ ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي - أو قال: ردائي عن عاتقي، وإنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمته وتحاربوا من حاربته، فإني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا»، ثم نزل ودخل القصر.

١٠٤- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن محمد [ح] وأنبأني أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا الطبراني، حدثنا أبو خليفة، حدثنا علي بن المديني، حدثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي قال: شهدت - الحسن بن علي - حين صالحه معاوية، فقال له معاوية: إذا كان ذا فقم وتكلم وأخبر الناس: إنك سلّمت هذا الأمر إليّ، أو تركت هذا الأمر لي.

فقام وخطب الناس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، قال الشعبي: وأنا أسمع، ثم قال: «أما بعد - فإن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً لأمري كان أحق به مني ففعلت ذلك، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين».

قال: وفي - رواية الزهري -: أن الحسن قال: «أما بعد، أيها الناس! فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وأن لهذا الأمر مدة، والدنيا دُول، والباقي يعرف بعضها من بعض».

قال: وفي - رواية رباح بن الحرث - قال: سمعت الحسن بن علي وهو

يخطب - بالمدائن - الناس ، فقال : «الآن أمر الله واقع وإن كره الناس ، وإنني ما أحبُّ أن يكون لي من أمر أمة محمد ﷺ مثقال حبة من خردل ، يهراق فيه ملؤ محجمة من دم ، إذ علمت ما ينفعني مما يضرني ، وإنني لا أجدي لأحد لي ولكم ، فالحقوا بطمأنيتكم» - يعني بأمنكم .

وروي : أن الحسين قال للحسن : «والله ، لا أرضى بصنيعك هذا ، تصالح معاوية وتسلم إليه الأمر» ، فغضب الحسن وقال : «والله ، ما هممت بأمر إلا خالفتني فيه ، أولست تعلم أن أبي أوصى بهذا الأمر لي»؟ قال : «نعم» ، فقال الحسن : «لقد هممت أن أدخلك بيتاً ، وأطبقه عليك حتى أصنع ما أريد» ، فسكت الحسين ، ثم قال : «أنت سيدنا وكبيرنا ، نقضك نقضنا ، وإبرامك إبرامنا ، فاصنع ما بدا لك» .

١٠٥ - وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي ، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البیهقي ، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البیهقي ، حدثنا أبو عبدالله الحافظ ، أخبرنا محمد بن عبدالله - ببغداد - ، حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا موسى ، عن محمد بن إسماعيل ، حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثنا يوسف بن مازن الراسبي ، قال : قام رجل إلى الحسن بن علي فقال : يامسود وجه المؤمنين ! فقال الحسن : «لا تؤنبنني رحمك الله فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً فرجلاً ، فساء ه ذلك فنزلت : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر / ١ ، نهر في الجنة و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ﴿القدر / ١-٣﴾ ، يملكه بنو أمية» ، قال : فحسبنا ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص .

وفي رواية أخرى : أن سفيان بن الليل يكنى : «أبا عامر» قال للحسن

ابن عليّ: السّلام عليك، يامذل المؤمنين! فقال: «ياأبا عامر! إني لم أذلّ المؤمنين، ولكن كرهت أن أقتلهم في طلب الملك».

١٠٦- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين ابن المفضل، أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بشّار، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة، عن يزيد بن خمير: سمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفيّر يحدث، عن أبيه قال: قلت للحسن بن عليّ: إنّ النّاس يزعمون أنّك تُريد الخلافة، قال: «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون منّ سالم، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أثيرها بأبساس أهل الحجاز».

وزاد فيه «غندر»، عن «شعبة»: «وحقن دماء أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

١٠٧- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرني أبو عبدالله الحافظ، أخبرني طاهر بن محمد، حدثنا إبراهيم بن حماد، حدثنا عباس ابن محمد الدوري، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: كُنّا عند الحسن بن عليّ، فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال: «لقد سقيت السمّ مراراً، فما سقيته مثل هذه، ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعود».

فقال له الحسين: «ياأخي! من سقاك! فقال: ما تُريد إليه؟ أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال: إن كان الذي أظنّ فالله أشدّ نقمة له منك، وإن كان غيره فما أحبُّ أن يؤخذ بي بريء».

قال: وفي رواية أخرى، عن عمير بن إسحاق، قال الحسن بن عليّ: «كان لنا طبيب يختلف إلينا، فدس إليه شربة فسقانيها، فلقد رأيتني دخلت

الخلاء فلفظتُ كبدي، فسلوني قبل أن لا تجدوني».

١٠٨- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أنباني أبو عبدالله الحافظ، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن بالويه، حدثني أحمد بن علي، حدثني عبيد بن الصباح، حدثني جرير، عن مغيرة قال: أرسل - معاوية - إلى - جعدة بنت الاشعث بن قيس - : إني مُزَوِّجُكِ بيزيد على أن تُسمي - الحسن -، وبعث إليها بمائة ألف درهم ففعلت، فسوغها المال، ولم يُزوجها، فخلفَ عليها رجل من - آل طلحة - فأولدها، وكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام، عيروهم، وقالوا: يابن مسممة الأزواج!

قال مغيرة بن مقسم: توفي الحسن بن علي ﷺ، وسعد بن أبي وقاص في إسبوع واحد، وكانوا يقولون: إنه سقاهاما جميعاً.

وأورد - هذا الحديث - الإمام عبد الكريم بن محمد بن حمدان في «تاريخه»، وزاد فيه: بعث إليها بمنديل ملطخ بالسّم، وقال: إذا جامعك فامسحي بهذا المنديل فرجه، ففعلت ذلك وكان فيه هلاكه، فبعث إليها معاوية بخمسين ألف درهم، وقال لابنه يزيد: لا بد لك أن تنكحها، فقال: كلا، والله، إنها فعلت بالحسن بن علي ما فعلت، فما خطري عندها؟

١٠٩- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن الحسين الحسني، أخبرنا عبدالله بن محمد، سمعت أحمد بن سعيد، سمعت السندي، سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي يقول: لما اشتد بسفيان المرض، جزع جزعاً شديداً فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز - وكان شيخاً عاقلاً -، فقال: يا أبا عبد الله! ما هذا الجزع؟ تقدم على ربِّ عبدته ستين سنة صمتَ له، وصليت له، وحججت له، أرايتك لو كان لك عند رجل يد، اليس كنتُ تُحبُّ أن تلقاه حتى يكافئك؟ قال: فسري عنه.

قال أحمد بن سعيد: حدث بهذا السندي، ونحن مع أبي نعيم، فقال أبو نعيم: لما اشتد المرض - بالحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام - جزع، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد! ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن يفارق روحك جسدك، فتقدم على أبويك - علي وفاطمة -، وعلى جدك - النبي وخديجة - (صلوات الله عليهم)، وعلى أعمامك - حمزة وجعفر -، وعلى أخوالك - القاسم والطيب المطهر وإبراهيم -، وخالاتك - رقية وأم كلثوم وزينب -، قال: فسري عنه.

وقال رقية بن مصقلة: لما نزل بالحسن بن علي عليه السلام الموت قال: «أخرجوا فراشي إلى صحن الدار»، فأخرج فقال: «اللهم! إني أحاسب نفسي عندك، فإني لم أحسب بمثلها».

١١٠- وأخبرني أبو العلاء الحافظ - بهمدان - إجازة، أخبرنا إسماعيل ابن أحمد، أخبرنا محمد بن هبة الله، أخبرنا علي بن محمد، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثني يوسف بن موسى، حدثني سلم بن أبي حبة، حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «لما حضر الحسن بن علي عليه السلام الموت، بكى بكاءً شديداً، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي؟ إنما تقدم على: رسول الله؛ وعلي؛ وفاطمة؛ وخديجة؛ فهم ولدوك، وقد أخبرك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: إنك سيد شباب أهل الجنة، وقد قاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجاً» وإنما أراد أن يطيب نفسه، قال: فوالله، مازاده إلا بكاءً وانتحاباً، وقال: يا أخي! إني أقدم على أمرٍ عظيم، وهولٍ لم يقدم على مثله قط».

١١١- وبالإسناد الذي تقدم، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو

عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن سليمان، حدثنا مسدد، حدثنا أمية، حدثنا سلام بن مسكين، عن عمران بن عبد الله، عن سعيد بن المسيب قال: رأى الحسن بن عليّ كأن بين عينيه: ﴿قل هو الله أحد﴾ الاخلاص/١، فاستبشر بذلك أهله، وقالوا: هذه هي الخلافة. فقال سعيد: لئن صدقت رؤياه، إن هذا إلا عبد حضر أجله، فما لبث إلا يسيراً حتى مات.

وقيل: بل رأى ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ الضحى/١.

١١٢- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أنبأني أبو عبدالله الحافظ، أخبرني يحيى بن محمد العنبري، حدثني محمد بن النضر، حدثني يحيى بن حكيم، حدثني عثمان بن عمر، حدثني ابن عون، عن عمير بن إسحاق - وساق حديثاً طويلاً إلى أن قال -: فأوصى الحسن بن عليّ أن يدفن مع رسول الله ﷺ فمنع ذلك مروان بن الحكم، وركبت مواليه بالسلح، وجعل مروان يقول: يارب هيجاهي خير من دعة، أيدفن عثمان في أقصى البقيع، ويدفن الحسن في بيت النبي؟ والله، لا يكون ذلك، وأنا أحمل السيف.

وكادت الفتنة أن تقع، وأبى الحسين إلا أن يدفنه مع النبي ﷺ فقال له عبدالله بن جعفر: عزمت عليك بحقي أن لا تكلم بكلمة، فمضى به إلى البقيع فانصرف ودفن الحسن في قبر فاطمة بنت رسول الله في البقيع.

١١٣- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إليّ من همدان-، أنبأني أبو عليّ الحدّاد، أخبرني أبو نعيم الحافظ، حدثنا محمد بن عليّ، حدثنا أبو عروبة الحرّاني، حدثنا سليمان ابن عمر، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق قال: دخلت

أنا ورجل على الحسن بن علي عليه السلام نعوذه، فقال: «يا فلان! سلني» فقال: لا، والله، لانسألك حتى يعافيك الله، ثم نسألك.

قال: ثم دخل إلى الخلاء ثم خرج إلينا، وقال له: «سلني قبل أن لا تسألني»، قال: بل يعافيك الله فأسألك، قال: «قد ألقيت طائفة من كبدي، وإني قد سقيت السم مراراً فلم أسقَ مثل هذه المرة».

ثم دخلت عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، والحسين عند رأسه، قال له: «يا أخي! من تتهم؟ قال له: «لتقتله؟ قال: «نعم»، قال: إن يكن الذي أظن، فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإن لم يكن فما أحبُّ أن يُقتل بي بريء ثم فضى.

١١٤- وأخبرني صدر الحفظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني -إجازةً بها-، أخبرني عبد القادر بن محمد البغدادي، أخبرني الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرني محمد بن العباس، أخبرني محمد بن معروف، أخبرني حسين بن محمد بن فهم، أخبرني محمد بن سعد، أخبرني يحيى بن حمّاد، حدثني أبو عوانة، عن حصين، عن أبي حازم قال: لما احتضر الحسن قال للحسين: «ادفوني عند أبي يعني: النبي ﷺ إلا أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء فلا تهريقوا في دماً، ادفوني عند مقابر المسلمين».

قال: فلما قبضَ تسليح الحسين، وجميع مواليه، فقال له أبو هريرة: انشدك الله ووصية أخيك، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم وبينهم دماً، قال: فلم يزل به حتى رجعوا، قال: ثم دفنوه في بقيع الغرقد. فقال أبو هريرة: أرايتم لو جيء بآبن مؤمن ليدفن مع أبيه فمنع، أكانوا قد ظلموه؟ فقالوا: نعم، قال: فهذا ابن نبي الله قد جيء به ليدفن مع أبيه. وذكر عبد الكريم بن محمد بن حمدان في «تاريخه» هذا الحديث،

وزاد فيه: فقال أبو هريرة: أئمنع الحسن أن يدفن مع النبي ﷺ وقد سمعته يقول: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة»؟!

فقال مروان: دعنا منك، فلقد ضاع حديث رسول الله إن كان لا يحفظه غيرك؛ وغير أبي سعيد الخدري، وإنَّما أسلمت أنت أيام «خير». فقال: بلى، أسلمتُ أيام خير، ولكن لزمْتُ رسول الله ولم أفارقه، حتَّى عرفت مَنْ أحبَّ ومن أبغض، ومن نفى ومن قرَّب.

١١٥- وأخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، عن شيخ القضاة، عن أبيه أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن المفضل، حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «قُتِلَ عليّ عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين، وماتَ لها الحسن؛ وقتل لها الحسين عليه السلام».

١١٦- وذكر الزبير بن بكار: إنَّ الحسن بن عليّ عليه السلام ولد للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، ومات ليلال خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين.

١١٧- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا محمد بن أحمد المحبوبي - بمرو -، حدثنا سعيد بن مسعود، حدثنا عبدالله بن موسى، أخبرنا سفيان، عن سالم بن أبي حفصة: سمعتُ أبا الحازم يقول: إني لشاهد يوم مات الحسن بن عليّ فرأيت الحسين بن عليّ عليه السلام يقول لسعيد بن العاص، ويطعن في عنقه: «تقدم فلولا أنها سنة ما قدمت». وكان سعيد أميراً على المدينة.

١١٨- وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو الحسين الأدمي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق، حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا

سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن بن علي جعل مروان يبكيه، فقال له الحسين: «أتبكيه؟ وأنت كنت تجرعه ما تجرعه؟» فقال: إني كنتُ أفعل ذلك إلى أحلم من هذا - يعني الجبل -.

١١٩- وذكر في كتاب «نزهة الظرف وبستان الطرف»: أن رجلاً قال للحسن البصري: يا أبا سعيد! أمعاوية أحلم أم الحسن؟ فقال: بل الحسن، فقال: إنما أعني معاوية الذي كان أمير المؤمنين؟ فقال: وهل كان ذلك إلا حماراً نهاقاً؟

١٢٠- وقيل: ولما مات الحسن بن علي قام - محمد بن الحنفية - على قبره فقال: رحمك الله، أبا محمد! لئن عززتني حياتك، فقد هدتني وفاتك، ولنعم البدن بدن تضمّن روحك، ولنعم الكفن كفن تضمّن بدنك، وكيف لا تكون كذلك؟ وأنت: سليل الهدى، وحليف التقى، وخامس أهل الكساء، وابن الخيرة سيّدة النساء، وأبوك الذائد عن الحوض غداً، وجدك النبي محمد المصطفى، غذتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطبت حياً وميتاً، فإنك والحسين غداً سيّدا شباب أهل الجنة، ثم ضرب بيده إلى - الحسين - فقال: قم، بابي أنت وأمي! فعلى أبي محمد السلام.

١٢١- وقيل: لما أتى معاوية نعيه بعث إلى ابن عباس، وهو لا يعلم الخبر، فقال له: هل عندك خبر من المدينة؟ قال: لا، قال معاوية: أتاني نعي الحسن، وأظهر سروراً، فقال ابن عباس: إذن، لا ينسا في أجلك، ولا يسد حفرتك.

قال: أحسبه ترك صبية صفاراً، قال: كلنا كان صغيراً فكبر، قال: وأحسبه بلغ الستين، قال: أمثل مولده يجهل؟ قال معاوية: لو قال قائل:

إنَّكَ أصبحت سيد قومك، قال: أما وأبو عبدالله الحسين حي فلا .
فلما كان من غد، أتى يزيد بن معاوية ابن عباس، وهو في المسجد يعزي، فجلس بين يديه جلسة المعزي، وأظهر حزنه، فلما نهض أتبعه ابن عباس بصره، وقال: إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش .

١٢٢- وروي: أنه لما أتى نعي الحسن عزي معاوية ابن عباس فاسترجع ابن عباس ثلاثاً، ثم قال: إنه والله، يامعاوية! لم يمهل من أجلك، ولم يدفن في حفرتك، ولقد رزئنا بمن كان خيراً منه، فكفانا الله فقده، ولم يضيعنا بعده، يعني: النبي ﷺ، ثم قال: والله، لا أقيم ببلدة يشمت فيها بموت ابن رسول الله ﷺ .

١٢٣- أخبرنا صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني -بها إجازة-، أخبرنا عبد القادر بن محمد البغدادي، أخبرنا الحسن بن عليّ الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن معروف، حدثنا حسين بن محمد، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لما جاء معاوية نعي الحسن بن علي استأذن ابن عباس على معاوية، وكان ابن عباس قد ذهب بصره، وكان يقول لقائده: إذا دخلت بي على معاوية فلا تقدني، فإن معاوية يشمت بي، فلما جلس ابن عباس، قال معاوية: لا خبرنه بما هو أشدّ عليه من أن أشمت به، ثم قال له: يا ابن عباس! هلك الحسن بن عليّ، فقال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعرف ابن عباس: أنه شامت به، فقال: أم والله، يامعاوية! لا يسد حفرتك ولا تخلد، ولقد أصبنا بأعظم منه فجبرنا الله بعده، ثم قام .

قال معاوية: لا، والله، ما كلمت أحداً قط أعدّ جواباً، ولا أعقل من

ابن عباس ، فقال الفضل بن عباس يذكر ذلك ، ويرثي الحسن :

أصبح اليوم ابن هند شامتاً	ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة الله عليه إنما	طالما أشجى ابن هند وأرن
استراح اليوم منه بعده	إذ ثوى رهناً لأحداث الزمن
فارتع اليوم ابن هند آمناً	إنما يقمص بالعرير السمن
لست بالباقي فلا تشمت به	كلّ حيٍّ بالمنايا مرتهن
يا ابن هند إن تذق كأس الردى	تك في الدهر كشيء لم يكن

وقال الحسين يرثي أخاه الحسن :

أأدهن رأسي أم أطيب محاسني	ورأسك معفور وأنت تريبُ
وأستمتع الدنيا بشيء أحبه	بلى ، كل ما أدنى إليك حبيبُ
فلا زلت أبكي ماتغت حمامة	عليك وما هبت صبا وجنوبُ
وما هملت عين من الماء قطرة	وما خضر في دوح الحجاز قضيبُ
بكائي طويل والدموع غزيرة	وأنت بعيدٌ والمزارُ قريبُ
وليس حريباً مَنْ أُصيبَ بماله	ولكن من وارى أخاه حريبُ
غريبٌ وأطراف البيوت تحوطه	ألا كلّ مَنْ تحت التراب غريبُ
فلا يفرح الباقي ببعد الذي مضى	فكلُّ فتى للموت فيه نصيبُ

وقال بعض الشعراء :

تعز بمن قد مضى أسوة	فإنّ العزاء يسلي الحزن
بموت النبي وقتل الوصي	وذبح الحسين وسمّ الحسن

الفصل السابع

في فضائل الحسين عليه السلام الخاصة به



١- أنبأني الإمام الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد
الهمداني، أخبرنا عبد القادر بن محمد اليوسفي، أخبرنا الحسن بن علي
الجوهري، حدثنا محمد بن العباس الخراز، أخبرنا محمد بن معروف
الخشاب، أخبرنا حسين بن محمد بن فهم، أخبرنا محمد بن سعد، قال :
علقت فاطمة بالحسين عليه السلام خمس ليالٍ من ذي القعدة لسنة ثلاث من
الهجرة، وكان بين ذلك وبين ولادة الحسن عليه السلام خمسون ليلة .

وولد الحسين في ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، وكنيته
«أبو عبد الله»، فولد الحسين - علياً الأكبر - قُتِلَ مع أبيه - بالطّف - لا بقية له،
وأُمّه آمنه بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأُمّها ابنة أبي
سفيان بن حرب، وفيها يقول حسان بن ثابت الأنصاري :

أطافت بنا شمسُ النهار فَمَنْ رَأَى مِنْ النَّاسِ شمساً بالعشاء تطيفُ
أبو أمّها أو في قريش بذمة وأعمامها أما سألت ثقيفُ

وعلياً الأصغر، وله العقب من ولد الحسين، وأمه أم ولد، وآخر لابقية
له، وأُمّه السلافة امرأة من بلي بن عمرو بن الحرث بن قضاة، وفاطمة؛

أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وعبد الله؛ قتل مع أبيه الحسين، وسكينة أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس من - بني ثور - بن كلب، وفي الرباب وسكينة يقول الحسين ﷺ:

«لعمرك، إنني لأحبُّ داراً تقيم بها سكينة والربابُ
أحبُّهما وأبذلُّ جُلِّ مالي وليس للائمي فيها عتابُ
ولست لهم وإن رغبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني الترابُ»

٢- وأنبأني الشيخ الإمام فخر الأئمة أبو الفضل بن عبد الرحمن الحفربندي، أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العطار؛ وإسماعيل بن أبي نصر الصابوني؛ وأحمد بن الحسين البيهقي، قالوا: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا الحسين ابن علي الحافظ، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، حدثنا حسين بن زيد العلوي، عن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن جدّه عليّ ﷺ قال: «إنَّ رسول الله ﷺ أمر فاطمة ﷺ، فقال: زني شعر الحسين وتصدَّقْ بوزنه فضةً، وأعطى القابلة رجل العقيقة».

٣- وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل ابن عياش، حدثنا عطاء بن عجلان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أم الفضل قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أرضع الحسين بن علي بلبن ابن كان لي، يقال له: «قثم» فتناوله رسول الله، وناولته إياه فبال عليه، فأهويت بيدي إليه، فقال: «لاتزرمي^(١) ابني» ورشّه بالماء.

(١) أي لا تقطعي عليه بوله بتقديم الزاء المعجمة على الراء المهملة.

قال ابن عباس: بول الغلام الذي لم يأكل يرش، وبول الجارية يغسل.

٤- وجاء في «المرسل»: أن فاطمة عليها السلام جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: ضاع مني الحسين فلا أجده، فقام النبي صلى الله عليه وآله وقد اغرورقت عيناه، وذهب ليطلبه فلقيه يهودي، فقال: يا محمد! مالك تبكي؟ فقال: «ضاع ابني»، فقال: لا تحزن، فإني رأيته على تل كذا نائماً، فقصدته عليه السلام واليهودي معه، فلما قرب من التل رأى ضباً بفمه غصن أخضر وارق يروحه به، فلما رأى الضب النبي، قال له - بلسان فصيح -: السلام عليك، يا زين القيامة! وشهد له بالحق، وكان معه حسل صغير له، فقال: لم أر أهل بيت أكثر بركة من أهل بيتك، لأن ولدي ضاع مني لثلاث سنين، فطفت عليه أطلبه فلم أجده، فلما رأيت ولدك آنفاً وجدته، فانا أكافئه.

وقال الحسل^(١): يا رسول الله! أخذني السيل فأدخلني البحر، ثم ضربت بي الامواج إلى جزيرة كذا، فلم أجد سبيلاً ومخرجاً حتى هبت ريح فاخذتني وألقني عند أبي.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «من تلك الجزيرة إلى هنا ألف فرسخ»، فأسلم اليهودي بذلك، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله.

٥- أخبرنا جابر الله العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدثنا الأستاذ الأمين أبو الحسن علي بن الحسين بن مردك الرازي، حدثنا الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السَّمان، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الكرجي - بمكة - بقراءتي عليه، حدثنا أحمد بن كامل القاضي، حدثنا عبد الملك بن محمد، حدثني أبي، حدثني حماد بن زيد،

(١) الحسل: ولد الضب.

حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري، حدثني عبيد بن حسين، حدثني الحسين ابن علي عليه السلام قال: «أتيت عمر بن الخطاب وهو يخطب على المنبر، فقلت له: انزل من منبر أبي، فقال: منبر أبيك، والله، لا منبر أبي».

قال: ثم قال: من علمك هذا؟ قلت: «ما علمني أحد»، فقال: لا تزل تأتينا.، فجئت يوماً وهو خال بمعاوية وابن عمر على الباب، فرجعت فلقيني، فقال: ألم أقل لك تأتينا؟ قلت: «قد جئت وأنت خال بمعاوية، وابن عمر على الباب». قال: أفانت مثل ابن عمر، وهل أنبت علي رؤوسنا الشعر إلا الله، ثم أنتم، إذا جئت فلا تستأذن.

٦- وذكر الإمام محمد بن أحمد بن علي بن شاذان، حدثني أحمد بن محمد بن الجراح، حدثني القاضي عمر بن الحسن، حدثني آمنة بنت أحمد ابن ذهل بن سليمان الأعمش، قالت: حدثني أبي، عن أبيه، عن سليمان ابن مهران، عن محمد بن كثير، حدثني أبو خثيمة، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «بي انذرتم، ثم بعلي بن أبي طالب اهتديتم، وقرأ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد/٧، وبالحسن أعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون، ألا وإنَّ الحسين بابٌ من أبواب الجنة، من عانده حرم الله عليه رائحة الجنة».

٧- وذكر ابن شاذان هذا، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي العلوي الطبري، عن أحمد بن عبد الله، حدثني جدي أحمد بن محمد، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمرو بن أذينة، حدثني أبان بن أبي عيَّاش، عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان المحمدي قال: دخلت على النبي ﷺ وإذا الحسين على فخذه وهو يقبل عينيه، ويلثم فاه، ويقول: «إنك سيد ابن سيد أبو سادة، إنك إمام ابن إمام أبو أئمة، إنك حجة ابن حجة أبو حجج،

تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم».

٨- أخبرنا الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حدثنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمد ابن صالح، حدثنا الحسين بن الفضل، حدثنا عثمان بن مسلم، حدثنا وهيب، حدثنا عبدالله بن عثمان، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى العامري: أنه خرج رسول الله ﷺ إلى طعام دُعيَ له، فاستقبل في طريق - حسينا - يلعبُ فأراد أن يأخذه، فطفق الصبي يفرُّ ههنا مرة وههنا مرة، فجعل رسول الله يضا حكه حتى أخذه.

قال: فوضع إحدى يديه تحت قفائه والأخرى تحت ذقنه، ووضع فاه على فيه، فقبله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط».

وسمعتُ هذا الحديث أيضا في - جامع أبي عيسى - مختصراً، من قوله: «حسين مني إلى آخر الحديث».

٩- وذكر أحمد بن الحسين - برواية أخرى - عن يعلى العامري، فقال: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

١٠- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، حدثني أبي، عن أبيه أبي ليلى، قال: كنا عند النبي ﷺ فجاء الحسين وأقبل يتمرغ عليه، فرفع قميصه وقبل زبيبه.

١١- وبهذا الإسناد قال: أخبرنا جامع بن أحمد الوكيل، أخبرنا محمد بن الحسن المحمد آبادي، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا موسى بن

إسماعيل، حدثنا حماد، أخبرنا ابن عون، عن أبي محمد عمير بن إسحاق: أن أبا هريرة قال للحسين عليه السلام: ارفع قميصك عن بطنك، حتى أقبل حيث رأيت النبي ﷺ يقبل، فرفع قميصه فقبل سرته.

قال: والمعروف عن ابن عون في هذا الحديث الحسن عليه السلام.

١٢- وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، أخبرنا عبدالله ابن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير، حدثنا أبي، حدثنا ربيع، عن عبد الرحمن بن سابط قال: كنت مع جابر، فدخل الحسين بن علي، فقال جابر: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»، فأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقوله.

١٣- وبهذا الإسناد قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي، أنشدنا عبدالله بن إبراهيم النحوي للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

اغن عن المخلوق بالخالق	تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله	فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه	فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه	زلت به النعلان من حالق

١٤- وبهذا الإسناد قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا الأصمعي: بلغنا عن ابن عون قال: كتب الحسن للحسين يعتب عليه في إعطائه الشعراء، فكتب إليه: «إن خير المال ما وفي به العرض».

١٥- وبهذا الإسناد قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: سمعت الحافظ الزبير بن عبد الواحد، سمعت: ابن أحمد بن زكريا، سمعت إسماعيل بن

يحيى المزني، سمعت: الشافعي يقول: مات ابن للحسين عليه السلام فلم يُر به كآبة، فعوتب على ذلك، فقال: إنا أهل بيت نسال الله عزّ وجل فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا».

١٦- وبهذا الإسناد، قال: أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد ابن حبيب - بنيسابور سنة أربعمائة-، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي - بالبصرة-، حدثني أبي، حدثني علي بن موسى، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين عليه السلام: «إنّ أباه الحسين بن عليّ دخل المستراح، فوجد لقمة ملقاة، فدفعها الى غلام له، فقال: يا غلام! اذكرني في هذه اللقمة إذا خرجت، فاكلها الغلام، فلما خرج الحسين قال: يا غلام! اللقمة؟ قال: أكلتها يامولاي! قال: أنت حرّ لوجه الله تعالى، فقال له رجل: أعتقته ياسيدي! قال: نعم، سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ وجدَ لقمة ملقاة: فمسح منها ما مسح، وغسل منها ما غسل، وأكلها لم يسغها في جوفه حتّى يعتقه الله من النار، وكَم أكن لاستعبد رجلاً أعتقه الله من النار».

١٧- وأنبأني الإمام الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، أخبرنا محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا محمد بن المثني، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي إدريس، حدثنا المسيب بن نجبة، قال: قال علي عليه السلام: «الا أحدثكم عن خاصة نفسي وأهل بيتي؟ قلنا: بلى، قال: «أما حسن: فصاحب جفنة وخوان، وفتى من الفتيان،

ولو قد التقت حلقتا البطان لم يَغْن عنكم في الحرب حباله عصفور^(١).
 وأما عبدالله بن جعفر: فصاحب ظل ولا يغرنكم ابنا عباس.
 وأما أنا وحسين فإننا منكم وأنتم منا، في حديث طويل لا يتعلق بما
 نحن فيه.

١٨- وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه
 الديلمي - فيما كتب إلي من همدان-، قال: ومما سمعتُ من «المفاريذ» أن
 حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسين أعطي من الفضل ما لم
 يعطه أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم
 خليل الرحمن».

١٩- قال: وأخبرني والدي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن
 الميداني الحافظ - إجازة -، أخبرني محمد بن عبد الملك الفقيه القزويني،
 حدثني محمد بن ميسرة القزويني، حدثني وصيف بن عبدالله القزويني
 - وكان ثقة أميناً -، حدثني إسماعيل بن محمد المقرئ، حدثني جعفر بن
 محمد الرازي، حدثني الحسن بن شجاع البلخي، حدثني سعيد بن سليمان
 الواسطي، حدثني أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة
 قالت: رأيت رسول الله ﷺ يحل إزار الحسين، فقلت: ما هذا؟ يا رسول
 الله! فقال: «ألبسه هدية ربي، ألا إن ربي أهدى إليه مدرعة، وأن لحمتها من
 زغب جناح جبرئيل».

قال جعفر بن أحمد الرازي: قال أبو زرعة - يوماً وقد كتبنا هذا
 الحديث-: إن كان في الدنيا حديث يستأهل أن يكتب بالذهب فهذا.

(١) كيف يقول علي هذا وكان هو واخوه يبادران في حروبه ويقول: املكوا عني هذين
 الغلامين؟!

٢٠- أنبأني الإمام فخر الأئمة أبو الفضل الحفربندي، أخبرنا الإمام الحسين بن أحمد، أخبرنا أبو القاسم بن أحمد؛ وإسماعيل بن أبي نصر؛ وأحمد بن الحسين، قالوا: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد ابن أحمد، حدثنا حسن بن علي بن شبيب، حدثنا أبو عبيدة، عن فضل بن عياض، حدثنا مالك بن شعبي، حدثنا هشام بن سعد، حدثنا نعيم بن عبدالله المجر، عن أبي هريرة قال: ما رأيت الحسين بن علي إلا فاضت عيناى دموعاً، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي واتكأ عليّ فانطلقت معه حتى جاء سوق - بني قينقاع - فطاف ونظر ثم رجع ورجعت معه.

قال: وما كلمني، ثم جلس في المسجد واحتبى، فقال: «ادع لي لكع» فأتني - بحسين - يشتدّ حتى وقع في حجره، ثم أدخل يده في لحية رسول الله ﷺ فجعل رسول الله يفتح فم الحسين، ويدخل فمه فيه، ويقول: «اللهم! إني أحبه فأحبه».

وأورد هذا الحديث أحمد بن الحسين في «فضائل الحسن عليه السلام»، فلذلك كتبناه في فضائله هناك.

٢١- وأخبرني الإمام الأجل مجد الدين قوام السنّة أبو الفتوح محمد ابن أبي جعفر الطائي - فيما كتب إليّ من همدان -، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي - سنة اثنتين وخمسمائة بباب المدينة بمرو في الجامع -، أخبرنا الإمام حقّاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن محمد - بهراة -، أخبرنا أبو عليّ أحمد بن محمد بن عليّ، حدثنا عليّ بن خشرم: سمعتُ يحيى بن عبدالله بن بشير الباهلي، حدثنا ابن المبارك أو غيره - شك

الباهلي-، قال: بلغني أن معاوية قال ليزيد: هل بقيت لذة من الدنيا لم تنلها؟ قال: نعم، أم أبيها - هند بنت سهيل بن عمرو-، خطبتها وخطبها - عبدالله بن عامر بن كريز-، فتزوجته وتركنتي.

فأرسل معاوية إلى - عبدالله بن عامر- وهو عامله على البصرة، فلما قدم عليه، قال: انزل عن أم أبيها لولي عهد المسلمين يزيد، قال: ما كنت لأفعل؟ قال: أقطعك البصرة، فإن لم تفعل عزلتك عنها، قال: وإن.

فلما خرج من عنده، قال له مولاه: امرأة بامرأة، أترك البصرة بطلاق امرأة؟ فرجع إلى معاوية فقال: هي طلاق، فردّه إلى البصرة، فلما دخل تلقته «أم أبيها» فقال: استتري؟ فقالت: فعلها اللعين، واستترت.

فقال: فعّد معاوية الأيام حتى إذا انقضت العدة وجّه أبا هريرة يخطبها ليزيد، وقال له: أمهرها بألف ألف، فخرج أبو هريرة فقدم المدينة، فمرّ بالحسين بن عليّ ﷺ، فقال: «ما أقدمك المدينة يا أبا هريرة»؟ قال: أريد البصرة أخطب «أم أبيها» لولي عهد المسلمين «يزيد»؟ قال: «فترى أن تذكرني لها»؟ قال: إن شئت، قال: قد شئت؟ فقدم أبو هريرة البصرة، فقال لها: يأم أبيها! إن «أمير المؤمنين» يخطبك لولي عهد المسلمين يزيد، وقد بذل لك في الصداق ألف ألف، ومررت بالحسين بن عليّ فذكرك، قالت: فما ترى يا أبا هريرة! قال: ذلك إليك، قال: فشقة قبلها رسول الله ﷺ أحب إليّ.

قال: فتزوجت - الحسين بن عليّ-، ورجع أبو هريرة فأخبر معاوية، قال: فقال له: يا حمار! ليس لهذا وجهناك؟ قال: فلما كان بعد ذلك حجّ عبدالله بن عامر فمر بالمدينة، فلقي الحسين بن عليّ، فقال له: يا بن رسول الله! تاذن لي في كلام أم أبيها، فقال: إذا شئت، فدخل معه البيت واستأذن على أم أبيها فأذنت له، ودخل معه الحسين، فقال لها عبدالله بن عامر: يأم

أبيها! ما فعلت الوديعة التي استودعتك؟ قالت: عندي، يا جارية! هاتي سبط كذا، فجاءت به ففتحتته وإذا هو مملوء لثاليء، وجوهر يتلألا، فبكى ابن عامر.

فقال الحسين: ما يبكيك؟ فقال: يا بن رسول الله! أتلومني على أن أبكي على مثلها في ورعها وكمالها ووفائها؟ قال: «يا بن عامر! نعم المحلل كنتُ لكما، هي طلاق»، فحجَّ فلماً رجع تزوجَ بها.

٢٢- قلتُ: وأورد هذه الحكاية أبو العلاء الحافظ، وساقها عن الحسن ابن عليٍّ، على ما أخبرني -إجازةً-، قال: أخبرني عبد القادر بن محمد اليوسفي، أخبرني الحسن بن عليٍّ الجوهري، أخبرني محمد بن العباس، أخبرني أحمد بن معروف الخشاب، أخبرني حسين بن محمد، أخبرني محمد ابن سعد، أخبرني عليٌّ بن محمد، عن الهذلي، عن ابن سيرين، قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وكان أبا عذرتها، ثم طلقها فتزوجها عبدالله بن عامر بن كريز، ثم طلقها فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها ليزيد بن معاوية، فلقيه الحسن بن علي، فقال: «أين تريد؟» قال: أخطب هند بنت سهيل ليزيد بن معاوية، قال: «فاذكرني لها»، فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر، فقالت: اختر لي، قال: اختارُ لك الحسن فتزوجها.

قال: فقدم عبدالله بن عامر المدينة، فقال للحسن: إنَّ لي عندها وديعة، فدخل إليها والحسن معه، وجلست بين يديه فرقَّ ابن عامر، فقال الحسن: «ألا أنزل لك عنها، فلا أراك تجد محلاً خيراً لكما مني؟» فقال: وديعتي، فأخرجت سبطين فيهما جوهر ففتحهما وأخذ من كل واحدة قبضة وترك الباقي.

وكانت تقول: سيدهم حسن، وأسماهم ابن عامر، وأحبهم إلي عبد الرحمن بن عتاب.

وفي رواية - حماد -، عن علي بن زيد: أنها شاورت أبا هريرة، فقال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقبل فاه، فإن استطعت أن تقبلي مقبل رسول الله ﷺ فافعلي.

٢٣- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني الرئيس أبو الفتح بن عبدالله النسائي الهمداني - كتابة -، حدثني الإمام أبو الفضل عبدالله بن عبدان، حدثني شعيب بن علي القاضي، حدثنا موسى بن سعيد الفراء، حدثنا الحسين بن عمر الثقي، حدثنا أبي عمر بن إبراهيم، حدثنا عبد الكريم بن يعقوب الجعفي، عن جابر، عن أبي الشعثاء، عن بشر بن غالب، قال: لقيت أبا هريرة وقد لقي الحسين بن علي عليه السلام فسمعتة وهو يقول له وكان يطوف بالبيت: ستملكون أبا عبدالله سنين حسنة، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، لا يملكون سنة إلا ملكتم سنتين، ولا شهراً إلا شهرين، ولا يوماً إلا يومين، وقد رأيتك على ذراعي النبي ﷺ وقد خضبتكما دماً، حيث لفك في خرقتك، وقطع سرتك، وحنكك بتمرة، وتفل في فيك، وتكلم بكلام لست أدري ماهو؟، وذلك لأن فاطمة سبقتة بقطع الحسن فامرها أن لا تسبقه فأرسلت بك إليه.

٢٤- أخبرنا العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدثنا الفقيه الإمام أبو علي الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزادي - بالري -، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين بن علي السمان، حدثنا عمي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان الرازي، أخبرنا

عبد الرحمن بن أحمد - بقراءتي عليه -، حدثنا عبدالله بن أحمد الفارسي، حدثنا أحمد بن بديل، حدثنا وهب بن إسماعيل، حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام، عن جابر، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَعَطَشَ فَطَلَبَ لَهُ النَّبِيُّ مَاءً فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَعْطَاهُ لِسَانَهُ فَمَصَّهُ حَتَّى رَوَى.

٢٥- وروى في «المراسيل» أن - شريحاً - قال: دخلتُ مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا الحسين بن عليٍّ فيه ساجد يعفر خده على التراب، وهو يقول: «سيدي! ومولاي! المقامع الحديد خلقت أعضائي، أم لشرب الحميم خلقت أمعائي؟ إلهي! لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنك بكرمك، ولئن حبستني مع الخاطئين لأخبرنهم بحبي لك، سيدي! إن طاعتك لاتنفعك، ومعصيتي لا تضرّك، فهب لي مالا ينفعك، واغفر لي مالا يضرّك، فإنك أرحم الراحمين».

٢٦- وقيل: تهاجر - الحسن والحسين - فأراد قوم أن يصلحوا ما بينهما فسألوا الحسين أن يبدأ بالحسن، فقال: «إنَّ أبا محمد - يعني: الحسن -، أكبر مني، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مامن اثنين تهاجرا ثم بدأ أحدهما بمصالحة الآخر إلا كانت درجته أعلى من درجة الآخر، وإنِّي لا أحبُّ أن تكون درجتي أعلى من درجة أخي، فأخبروا الحسن بذلك، فقال: صدق»، فقام إليه وبدأ بالسَّلام عليه.

٢٧- وقيل: سأل رجل الحسين حاجةً، فقال له: «يا هذا! سؤالك إياي يعظم لديّ، ومعرفتي بما يجب لك يكبر عليّ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله قليل، وما في ملكي وفاء بشرك، فإن قبلت بالميسور، دفعت عني مرارة الاحتيال لك، والاهتمام بما أتكلف من واجب حقك».

فقال الرجل: أقبل، يا بن رسول الله! اليسير، وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فدعا الحسين بوكيله، وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها، ثم قال له: «هات الفاضل من الثلاثمائة ألف؟» فاحضر خمسين ألفاً، قال: «فما فعلت الخمسمائة دينار؟» قال: هي عندي، قال: «أحضرها»، قال: فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل، وقال: «هات من يحملُ معك هذا المال، فأتاه بالحمالين فدفع إليهم الحسين رداءه لكراء حملهم، حتى حملوه معه. فقال مولى له: والله، ما بقي عندنا درهم واحد، فقال: «لكني أرجو أن يكون لي بفعلي هذا أجر عظيم».

٢٨- وقيل: خرج الحسن عليه السلام إلى سفر فاضل طريقه ليلاً، فمرّ براعي غنم فنزل عنده فألطفه وبات عنده، فلما أصبح دكّه على الطريق.

فقال له الحسن: «إني ماضٍ إلى ضيعتي، ثمّ أعودُ إلى المدينة»، ووقّت له وقتاً، وقال له: تأتيني به، فلما جاء الوقت شغل الحسن بشيءٍ من أموره عن قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبداً لرجل من أهل المدينة، فصار إلى الحسين وهو يظنه الحسن، فقال: أنا العبد الذي بتَ عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت، وأراه علامات عرف الحسين أنّه الحسن، فقال الحسين له: «لِمَ أنت يا غلام؟» فقال: لفلان، فقال: كم غنمك؟ قال: ثلاثمائة، فأرسل إلى الرجل فرغبه حتّى باعه الغنم والعبد، فأعتقه ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه، وقال: «إن الذي بات عندك أخي، وقد كافأتكَ بفعلك معه».

٢٩- وقال الحسن البصري: كان الحسين بن عليّ سيّداً زاهداً ورعاً صالحاً ناصحاً حسن الخلق، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستانه، وكان في ذلك البستان غلام له، اسمه «صاف» فلما قرب من البستان رأى الغلام

قاعداً يأكل خبزاً، فنظر الحسين إليه وجلس عند نخلة مستتراً لا يراه، فكان يرفع الرغبة فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه الآخر، فتعجب الحسين من فعل الغلام، فلما فرغ من أكله قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم! اغفر لي واغفر لسيدي، وبارك له كما باركت على أبويه برحمتك يا أرحم الراحمين!.

فقام الحسين وقال: يا صافي! فقام الغلام فرعاً وقال: ياسيدي! وسيد المؤمنين! إني مارأيتك فاعف عني، فقال الحسين: «اجعلني في حلٍّ يا صافي! لاني دخلت بستانك بغير إذنك»، فقال صافي: بفضلِكَ ياسيدي! وكرمك وسؤددك تقول هذا، فقال الحسين: «رأيتك ترمي بنصف الرغبة للكلب، وتأكل النصف الآخر فما معنى ذلك؟»، فقال الغلام: إنَّ هذا الكلب ينظر إليَّ حين آكل، فاستحي منه ياسيدي! لنظره إليَّ، وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء فانا عبدك، وهذا كلبك، فأكلنا رزقك معاً.

فبكى الحسين وقال: «أنت عتيق لله، وقد وهبتُ لك ألفي دينار، بطيبة من قلبي»، فقال الغلام: إن اعتقتني فانا أريد القيام ببستانك، فقال الحسين: «إنَّ الرجل إذا تكلم بكلام فينبغي أن يصدقه بالفعل، فانا قد قلت: دخلتُ بستانك بغير إذنك، فصدقت قولي، ووهبت البستان وما فيه لك، غير أن أصحابي هؤلاء جاؤا لاكل الثمار والرطب، فاجعلهم أضيافاً لك، وأكرمهم من أجلي أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك وأدبك»، فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك، فانا قد سبلته لأصحابك وشيعتك.

قال الحسن: فينبغي للمؤمن أن يكون كنافلة رسول الله ﷺ^(١).

(١) النافلة: الذرية من الاحفاد والاسباط.

٣٠- وذكر السيد أبو طالب، بإسنادي إليه، عن محمد بن محمد بن العبا، عن علي بن شاکر، عن عبدالله بن محمد الضبي، عن يحيى بن سعيد، عن عبدالله بن إبراهيم، عن أبي رافع قال: كنت ألاعبُ الحسين عليه السلام وهو صبي بالمداحي^(١)، فإذا أصابت مدحاتي مدحاته، قلت: احملني، قال لي: «ويحك، أتركب ظهراً حمله رسول الله» فأتركه، وإذا أصابت مدحاته مدحاتي، قلت: لا أحملك كما لا تحملني.

قال: «أما ترضى أن تحمل بدنأ حمله رسول الله؟» قال: فأحمله.

٣١- وروي: أن الحسين بن علي عليه السلام حجَّ خمساً وعشرين حجة ماشياً، وكان يجالس المساكين، ويقرأ: «إن الله لا يحب المتكبرين» ومرَّ على صبيان معهم كسرة، فسألوه أن يأكل معهم فأكل، ثمَّ حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم، وقال: «إنهم أسخى مني، لأنهم بذلوا جميع ما قدروا عليه، وأنا بذلتُ بعض ما أقدر عليه».

٣٢- وروي: أن أعرابياً من البادية قصد الحسين عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: «يا أعرابي! فيم قصدتنا؟» قال: قصدتك في دية مسلمة إلى أهلها، قال: «أقصدت أحداً قبلي؟» قال: عتبة بن أبي سفيان، فأعطاني خمسين ديناراً فرددتها عليه، وقلت: لا أقصدنَّ من هو خير منك، وأكرم. فقال عتبة: ومن هو خير مني وأكرم لا أمَّ لك؟ فقلت: إما الحسين بن علي وإما عبدالله بن جعفر، وقد أتيتك بدءاً لتقيم بها عمود ظهري، وتردني إلى أهلي.

فقال الحسين: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، وتجلَّى بالعظمة، مافي ملك بن بنت نبيك إلا مأتا دينار فأعطه إياها يا غلام! وإنني أسألك عن

(١) المدحاة: خزفة يلعب بها الصبيان.

ثلاث خصال إن أنت أجبتني عنها أتممتها خمسمائة دينار، وإن لم تجبني الحقك فيمن كان قبلي». فقال الاعرابي: أكل ذلك احتياجاً إلى علمي، أنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة؟ فقال الحسين: «لا، ولكن سمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول: أعطوا المعروف بقدر المعرفة»، فقال الاعرابي: فسل، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فقال الحسين: ما أنجى من الهلكة؟ فقال: التوكل على الله، فقال: ما أروح للمهم؟ قال: الثقة بالله، فقال: أي شيء خير للعبد في حياته؟ قال: عقل يزينه حلم، فقال: فإن خانه ذلك، قال: مال يزينه سخاء وسعة، فقال: فإن أخطاه ذلك، قال: الموت والفناء خير له من الحياة والبقاء، قال: فناول الحسين خاتمه، وقال: بعه بمائة دينار، وناوله سيفه، وقال: بعه بمائتي دينار، واذهب فقد أتممت لك خمسمائة دينار، فأنشأ الاعرابي يقول:

قلقتُ وما هاجني مقلقُ	وما بي سقام ولا موبق
ولكن طربت لآل الرسول	ففاجأني الشعر والمنطق
فأنت الهمام وبدر الظلام	ومعطي الأنام إذا أملقوا
أبوك الذي فاز بالمكرمات	فقصر عن وصفه السبق
وأنت سبقت إلى الطيبات	فأنت الجواد وما تلحق
بكم فتح الله باب الهدى	وباب الضلال بكم مغلق

وجاءت هذه الحكاية بالفاظ أخرى، فروي: أن هذا الاعرابي سلم على الحسين بن علي، فسأله حاجة، وقال: سمعتُ جدك رسول الله ﷺ يقول: «إذا سألتكم حاجة فاسألوها من أحد أربعة: إما من عربي شريف؛ أو مولى كريم؛ أو حامل القرآن؛ أو ذي وجه صبيح. فاما العرب - فشرفت بجدك؛ واما الكرم - فدأبكم وسيرتكم؛ واما

القرآن - ففي بيوتكم نزل ؛ وأما الوجه الصريح - فإني سمعتُ جدَّك رسول الله ﷺ يقول : «إذا أردتم أن تنظروا إلي فانظروا إلى الحسن والحسين» .

فقال الحسين له : «ما حاجتك؟» فكتبها على الأرض ، فقال له الحسين : «سمعتُ أبي علياً عليه السلام يقول : قيمة كلِّ امرئ ما يحسنه ؛ وسمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول : المعروف بقدر المعرفة ، فأسألك عن ثلاث خصال ، فإن أجبتني عن واحدة ، فلك ثلث ما عندي ؛ وإن أجبتني عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي ؛ وإن أجبتني عن الثلاث ، فلك كلُّ ما عندي ؛ وقد حملت إليَّ صرة مختومة ، وأنت أولى بها» .

فقال : سَلْ ، عما بدا لك ، فإن أجبتُ وإلاّ تعلمتُ منك ، فأنت من أهل العلم والشرف ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

فقال الحسين : أي الأعمال أفضل؟ قال : الإيمان بالله ، والتصديق برسوله ، قال : فما نجاة العبد من الهلكة؟ فقال : الثقة بالله ، قال : فما يزين المرء؟ قال : علم معه حلم ، قال : فإن أخطأه ذلك؟ قال : فمالٌ معه كرمٌ ، قال : فإن أخطأه ذلك؟ قال : ففقر معه صبر ، قال : فإن أخطأه ذلك؟ قال : فصاعقة تنزل عليه من السماء فتحرقه .

فضحك الحسين عليه السلام ، ورمى له بالصرة ، وفيها ألف دينار ، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم ، وقال : «يا أعرابي ! اعطِ الذهب إلى غرمائك ، واصرف الخاتم في نفقتك» ، فأخذ ذلك الأعرابي ، وقال : «اللّه أعلم حيث يجعل رسالته» .

وجاءت رواية أخرى ، بسندي المتّصل : أن أعرابياً جاء إلى الحسين بن عليّ ، فقال له : يا بن رسول الله ! إني قد ضمننت دية كاملة ، وعجزت عن أدائها ، فقلت في نفسي : أسأل أكرم الناس ، وما رأيتُ أكرم من أهل بيت

رسول الله ﷺ .

فقال الحسين : «يا أخا العرب ! أسألك عن ثلاث مسائل ، فإن أجبتَ عن واحدة أعطيتك ثلث المال ، وإن أجبتَ عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال ، وإن أجبتَ عن كلِّ أعطيتك المال كله» .

فقال الاعرابي : يا بن رسول الله ! أمثلك يسأل من مثلي ، وأنت من أهل العلم والشرف؟

فقال الحسين : بلى ، سمعتُ جدي رسول الله يقول : المعروف بقدر المعرفة . فقال الاعرابي : سَل عما بدا لك ، فإن أجبتُ ، وإلاّ تعلمتُ الجواب منك ، ولا قوة إلا بالله .

فقال الحسين : «أي الأعمال أفضل؟ فقال : الإيمان بالله ، قال : فما النجاة من الهلكة؟ قال : الثقة بالله ، قال : فما يزين الرجل؟ قال : علم معه حلم ، قال : فإن أخطأه ذلك؟ قال : فمالٌ معه مروءة ، قال : فإن أخطأه ذلك؟ قال : ففقر معه صبر ، قال : فإن أخطأه ذلك؟ قال : فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه .

فضحك الحسين ، ورمى بصرة إليه فيها ألف دينار ، وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم ، وقال له : «يا أعرابي اعطِ الذهب لغرمائك ، واصرف الخاتم في نفقتك» فأخذ الاعرابي ذلك منه ومضى وهو يقول : «الله أعلمُ حيث يجعل رسالته» .



الفصل الثامن

في اخبار

رسول الله ﷺ عن الحسين وأحواله



١- أخبرنا جاز الله العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، حدثنا الإمام الفقيه أبو علي الحسن بن عليّ بن أبي طالب الفرزادي بالري، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين بن علي السمان، حدثنا عمي الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن عليّ بن الحسين السمان الرازي، أخبرنا أبو عبد الله الجعفي بالكوفة - بقراءتي عليه-، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد، حدثنا عباد بن يعقوب، أخبرنا عليّ بن هاشم، عن موسى الجهني، عن صالح بن أربد النخعي، قال: قال رسول الله ﷺ لأُم سلمة (رضي الله عنها): «اجلسي على الباب فلا يلجن عليّ أحد»، فجاء الحسين وهو وحف^(١).

قال: فذهبت أم سلمة تناوله فسبقها، قالت أم سلمة: فلما طال عليّ خفت أن يكون قد وجد عليّ، فتطلعت من الباب، فوجدته يُقلّبُ بكفيه شيئاً، والصبيُّ نائم على بطنه ودموعه تسيل. فلما أمرني أن أدخل، قلت:

يا نبي الله! إن ابنك جاء فذهبتُ أتناوله فسبقني، فلما طال عليَّ خفتُ أن تكون قد وجدت عليَّ، فتطلعتُ من الباب فوجدتك تقلب بكفيك [تعني شيئاً] ودموعك تسيلُ والصبيُّ نائمٌ على بطنك.

فقال: «إن جبرئيل أتاني بالتربة التي يُقتلُ عليها، وأخبرني أن أمتي تقتله».

٢- وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حدثنا أبو عبدالله الحافظ - إملاءً -، أخبرنا محمد بن عليّ الجوهري، حدثنا أبو الاحوص، حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، عن شداد بن عبد الله، عن أم الفضل بنت الحرث: أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إني رأيتُ حلمًا منكرًا الليلة؟

قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيتُ كأن قطعةً من جسدي قطعت ووضعت في حجري.

فقال رسول الله ﷺ: «رأيتُ خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً، فيكون في حجري». فولدت فاطمة الحسين، فكان في حجري، كما قال رسول الله ﷺ، فدخلتُ يوماً على رسول الله فوضعت في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهريقان الدموع، فقلت: يا نبي الله! بابي أنت وأمي مالك؟

فقال: «أتاني جبرئيل، فأخبرني أن أمتي ستقتلُ ابني هذا»، فقلت: هذا، فقال: «نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء».

قال وفي - رواية أم سلمة -: «أخبرني جبرئيل أن هذا يُقتل بأرض

العراق - يعني : الحسين -، فقلت : يا جبرائيل ! أرني تربة الأرض التي يُقتل بها؟ قال : فهذه تربتها .

٣- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي المقرئ، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، حدثني أبي عبد الوهاب بن حبيب، حدثني إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن عمارة بن يزيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أجلس - حسيناً - على فخذه، فجاء جبرئيل إليه، فقال : هذا ابنك؟ قال : «نعم»، قال : أما إن أمتك ستقتله بعدك؟ فدمعت عينا رسول الله، فقال جبرئيل : إن شئت أريتك الأرض التي يُقتل فيها؟ قال : «نعم»، فأراه جبرئيل تراباً من تُراب الطَّف .

٤- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، أخبرني خلف بن محمد البخاري، حدثني صالح بن محمد الحافظ، حدثني محمد بن يحيى الذهلي، حدثني سعيد بن عبد الملك، حدثني عطاء بن مسلم، عن أشعث - يعني : ابن سحيم -، عن أبيه، عن أنس - يعني ابن الحرث -، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إنَّ ابني هذا - يعني : الحسين -، يُقتل بأرض العراق، فمن أدركه منكم فلينصره»، قال : فَقُتِلَ أنس بن الحرث مع الحسين بن علي عليه السلام .

٥- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد، حدثني إبراهيم بن عبد الله بن الحجاج، حدثني حجاج بن نصير، حدثني قرّة بن خالد، حدثني عامر بن عبد الواحد، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال : ما كُنَّا نَشْكُ أهل البيت، وهم متوافرون : أنَّ الحسين بن علي يُقتل بالطف .

٦- وأنباني الإمام صدر الحفاظ أبو العلاء الحسين بن أحمد الهمداني، أخبرني زاهر بن طاهر الكاتب، أخبرني محمد بن عبد الرحمن الخبزوردي، أخبرني محمد بن أحمد بن حمدان الخيري، أخبرني أحمد بن علي بن المشي، حدثني شيبان، حدثني عمارة بن زاذان، حدثني ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: استأذن ملك، - القطر والمطر - ربه أن يزور النبي ﷺ فأذن تعالى له، وكان في يوم أم سلمة، فقال النبي: «يأ أم سلمة! احفظي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد».

قال: «بينما هي على الباب، إذ جاء - الحسين بن علي - فافتحم الباب فدخل، فجعل النبي ﷺ يلتزمه ويقبله، فقال الملك: أتجبه؟ قال: «نعم»، قال: «إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه؟ قال: «نعم»، فقبض قبضة من المكان الذي يُقتل فيه، فأراه انجاء بسهولة أو تراب أحمر، فاخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها.

قال ثابت: «فكنا نقول: إن - الحسين - يقتل، فقتل في «كربلاء».

٧- وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء هذا، أخبرنا محمد بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا سليمان بن أحمد اللخمي، أخبرنا الحسن بن عباس الرازي، حدثنا سليم بن منصور بن عمار، حدثنا أبي [ح]، قال سليمان بن أحمد: وحدثني أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي، حدثني عمرو بن بكير القعيني، حدثني مجاشع بن عمرو، قالوا: حدثنا عبدالله بن لهيعة، عن أبي قبيل، حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص: أن معاذ بن جبلة أخبره قال: خرج علينا رسول الله ﷺ مصفر اللون، فقال: «أنا محمد أوتيت جوامع الحكم فواتحها وخواتمها فاطيعوني مادمت، بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم: بكتاب الله عز وجل

أحلوا حلاله وحرّموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم بالروح والراحة، كتابٌ من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلّما ذهب رُسُلُ جاء رُسُلُ، تناسخت النبوة، فصارت ملكاً، رحم الله من أخذها بحقها، وخرج منها كما دخلها، أمسك يامعاذ! واحص.

قال: فلما بلغت خمسة بالاحصاء، قال: «يزيد! لا بارك الله في يزيد»، ثمّ ذرفت عيناه بالدموع، ثم قال: «نعي إليّ الحسين، ثمّ أتيت بتربته، وأخبرت بقتله؛ وقاتله أو قتلته، والذي نفسي بيده، لا يقتل بين ظهрани قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً، ثم قال: آه لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف، أمسك يامعاذ!»

فلما بلغت عشرة قال: «الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته، يسل الله سيفه فلا غماد له، ويختلف الناس فكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه -، ثم قال: وبعد العشرين والمائة موت سريع؛ وقتل ذريع؛ فيه هلاكهم، ويلى عليهم رجل من ولد العباس».

٨ - وبهذا الإسناد، عن سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا إسماعيل بن أبان، حدثنا حيان بن علي، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه عليه السلام، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري».

٩ - وبهذا الإسناد، عن سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن يحيى بن أبي سمينة، حدثنا يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن عطاء بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن شيبان بن

محزوم - وكان عثمانياً - قال : إني لَمَعَ عليٌّ إذ أتى كربلاء ، فقال : « يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء ، إلا شهداء بدر » .

فقلت : بعض كذباته ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلَ حِمَارٍ مَيِّتٍ ، فَقُلْتُ لَغَلَامِي : خذ رَجُلَ هَذَا الْحِمَارِ ، فَأَوْتِدْهَا فِي مَقَامِهِ ، وَعَيْنُهَا ، ثُمَّ ضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرْبَانَهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ انْطَلَقْتُ وَمَعِيَ أَصْحَابُ لِي ، فَإِذَا جِثَّةُ الْحُسَيْنِ عَلَى رَجُلِ ذَاكَ الْحِمَارِ ، وَإِذَا أَصْحَابُهُ رِبْضَ حَوْلِهِ .

١٠ - وذكر شيخ الإسلام الحاكم الجشمي : أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لما سار إلى « صفين » نزل « بكربلاء » ، وقال لابن عباس : « أتدري ماهذه البقعة ؟ » قال : لا ، قال : « لو عرفتها لبكيت بكائي » ، ثم بكى بكاءً شديداً ، ثُمَّ قَالَ : « مالي ولآل أبي سفيان ؟ » ثم التفت إلى - الحسين - ، وقال : « صبراً يا بني ! فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده » .

١١ - وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في « تاريخه » بأسانيد له كثيرة ، عن رسول الله ﷺ منها : ما ذكر من حديث ابن عباس ؛ ومنها : ما ذكر من حديث أم الفضل بنت الحرث - حين أدخلت حسيناً على رسول الله ، فاخذه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وبكى ، وأخبرها : بقتله إلى أن قال : ثُمَّ هَبَطَ جَبْرِئِيلُ فِي قَبِيلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، قَدْ نَشَرُوا أَجْنَحَتَهُمْ ، يَبْكُونَ حَزْناً عَلَى الْحُسَيْنِ ؛ وَجَبْرِئِيلُ مَعَهُ قَبْضَةٌ مِنْ تَرَبَةِ الْحُسَيْنِ تَفُوحُ مَسْكَاً أَذْفَرُ ؛ فَدَفَعَهَا إِلَى النَّبِيِّ وَقَالَ : يَا حَبِيبَ اللَّهِ ! هَذِهِ تَرَبَةٌ وَلَدِكَ الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ ؟ وَسَيَقْتُلُهُ اللَّعْنَاءُ بِأَرْضِ كَرْبَلَاءَ .

فقال النبي : « حبيبي جبرئيل وهل تفلح أمة تقتل فرخي وفرخ ابنتي ؟ » فقال جبرئيل : لا ، بل يضربهم الله بالاختلاف ، فتختلف قلوبهم والستهم آخر الدهر .

١٢- وقال شرحبيل بن أبي عون: إن الملك الذي جاء إلى النبي ﷺ إنما كان - ملك البحار -، وذلك أن ملكاً من ملائكة الفرديس نزل إلى البحر، ثم نشر أجنحته عليه، وصاح صيحة قال فيها: يا أهل البحار! البسوا ثياب الحزن، فإن فرخ محمد مقتول مذبوح، ثم جاء إلى النبي فقال: يا حبيب الله! تقتل على هذه الأرض فرقتان من أمتك: أحدهما ظالمة متعدية فاسقة تقتل فرخك الحسين ابن ابنتك بأرض - كرب وبلاء -، وهذه التربة عندك، وناولته قبضة من أرض «كربلاء»، وقال له: تكون هذه التربة عندك حتى ترى علامة ذلك، ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض أجنحته، فلم يبق ملك في سماء الدنيا إلا شم تلك التربة، وصار لها عنده أثر وخبر.

قال: ثم أخذ النبي تلك القبضة التي أتاه بها الملك، فجعل يشمها ويبكي، ويقول في بكائه: «اللهم! لا تبارك في قاتل ولدي، وأصله نار جهنم» ثم دفع تلك القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين - بشاطئ الفرات -، وقال: «يا أم سلمة! خذي هذه التربة إليك، فإنها إذا تغيرت وتحولت دماً عبيطاً، فعند ذلك يقتل ولدي الحسين».

فلما أتى على الحسين من ولادته سنة كاملة، هبط على رسول الله ﷺ اثنا عشر ملكاً: أحدهم على صورة الأسد، والثاني: على صورة الثور، والثالث: على صورة التين، والرابع: على صورة ولد آدم، والثمانية الباقون: على صور شتى، محمرة وجوههم، قد نشروا أجنحتهم، وهم يقولون: يا محمد! سينزل بولدك الحسين منازل بهابيل من قابيل، وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل.

قال: ولم يبق في السماء ملك إلا ونزل على النبي يعزيه بالحسين، ويخبره: بشواب ما يُعطى، ويعرض عليه تربته، والنبي يقول: «اللهم!

أخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتعه بما طلبه».

١٣- وقال المسور بن مخرمة: ولقد أتى النبي ﷺ ملك من ملائكة الصفيح الأعلى، لم ينزل إلى الأرض منذ خلق الله الدنيا، وإنما استأذن ذلك الملك ربه، ونزل شوقاً منه إلى رسول الله ﷺ فلما نزل إلى الأرض، أوحى الله عز وجل إليه: أيها الملك! أخبر محمداً بأن رجلاً من أمته يقال له: «يزيد» يقتل فرحك الطاهر وابن الطاهرة - نظيرة البتول مريم ابنة عمران -، فقال الملك: إلهي! وسيدي! لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي إلى نبيك، فكيف أخبره بهذا الخبر؟ ليتني لم أنزل عليه، فنودي الملك من فوق رأسه: أن امض لما أمرت.

فجاء وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله! إني استأذنت ربي في النزول إليك، فليت ربي دق جناحي ولم آتك بهذا الخبر، ولكني مأمور يانبي الله! اعلم أن رجلاً من أمتك يقال له: يزيد يقتل فرحك الطاهر ابن فرحتك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، ولم يمتع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معافصة على أسوء عمله، فيكون من أصحاب النار.

قال: ولما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان، خرج النبي في سفر، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك، فقال: «هذا جبرئيل، يخبرني عن أرض - بشاطئ الفرات - يقال لها «كربلاء» يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة»، فقبل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: «رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه، وكأني أنظر إلى منصرفه ومدفنه بها، وقد أهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه»، يعني: ليس في قلبه ما يكون بلسانه

من الشهادة .

قال : ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ مَغْمُومًا ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَخَطَبَ وَوَعِظَ وَالْحُسَيْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ الْحَسَنِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ ، وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَهَذَانِ أَطَائِبُ عِثْرَتِي ، وَخِيَارُ ثَرِيَّتِي وَأُرُومَتِي ، وَمَنْ أَخْلَفَهُمَا فِي أُمْتِي ، اللَّهُمَّ ! وَقَدْ أَخْبَرَنِي جِبْرِئِيلُ : بِأَنَّ وَلَدِي هَذَا مَقْتُولٌ مَخْذُولٌ ، اللَّهُمَّ ! فَبَارِكْ لِي فِي قَتْلِهِ ، وَاجْعَلْهُ مِنْ سَادَاتِ الشَّهَدَاءِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ ! وَلَا تَبَارِكْ فِي قَاتِلِهِ وَخَاذِلِهِ» .

قال : فَضَجَّ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ بِالْبُكَاءِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : «أَتَبْكُونَ وَلَا تَنْصُرُونَهُ؟ اللَّهُمَّ ! فَكُنْ لَهُ أَنْتَ وَلِيًّا وَنَاصِرًا» .

١٤- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَيَّامٍ يَسِيرَةٍ إِلَى سَفَرٍ لَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ ، مُحَرَّمُ الْوَجْهِ ، فَخَطَبَ خُطْبَةً بَلِيغَةً مُوجِزَةً ، وَعَيْنَاهُ تَهْمَلَانِ دُمُوعًا ، قَالَ فِيهَا : «أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي خَلَفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ ؛ وَعِثْرَتِي ؛ وَأُرُومَتِي ؛ وَمَزَاجَ مَائِي ؛ وَثَمَرَتِي ؛ وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، أَلَا وَإِنِّي أَنْتَظِرُهُمَا ، أَلَا وَإِنِّي أَسْأَلُكُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَا أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَسْأَلُكُمْ بِهِ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، فَانْظُرُوا لَا تَلْقُونِي عَلَى الْحَوْضِ وَقَدْ أَبْغَضْتُمْ عِثْرَتِي ، وَظَلَمْتُمْهُمْ .

أَلَا وَإِنَّهُ سَتَرَدُّ عَلَيَّ فِي الْقِيَامَةِ - ثَلَاثَ رَايَاتٍ - مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ : رَايَةُ سُودَاءٍ مَظْلَمَةٍ : فَتَقِفُ عَلَيَّ ، فَأَقُولُ : مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَنْسُونَ ذِكْرِي ، وَيَقُولُونَ : أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأَقُولُ : أَنَا أَحْمَدُ نَبِيِّ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، فَيَقُولُونَ : نَحْنُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا أَحْمَدُ ! فَأَقُولُ لَهُمْ : كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي فِي أَهْلِي وَعِثْرَتِي وَكِتَابِ رَبِّي؟ فَيَقُولُونَ : أَمَّا الْكِتَابُ - فَضَيَعْنَاهُ وَمَزَقْنَاهُ ؛ وَأَمَّا

عترتك - فحرصنا على أن نبذهم عن جديد الأرض، فأولّي وجهي عنهم، فيصдرون ظماءً عطاشاً مسودةً وجوههم.

ثم ترد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى، فأقول لهم: مَنْ أنتم؟ فيقولون كالقول الأول، بأنهم من أهل التوحيد، فإذا ذكرت لهم اسمي عرفوني، وقالوا: نحنُ أمّتُك، فأقول له: كيف خلّفتُموني في الثقلين: الأكبر والأصغر؟ فيقولون: أما الأكبر - فخالفناه، وأما الأصغر - فخذلناه ومزّقناهم كل ممزق، فأقول لهم: إليكم عني، فيصдرون ظماءً عطاشاً مسودةً وجوههم.

ثم ترد عليّ راية أخرى تلمع نوراً، فأقول لهم: مَنْ أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحنُ أمة محمد، ونحنُ بقية أهل الحق الذين حملنا كتاب ربنا فحللنا حلاله، وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذرية محمد فنصرناهم بما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا مَنْ ناوَاهم، فأقول لهم: ابشروا، فإنا نبيكم محمد، ولقد كُنتم في دار الدنيا كما وصفتم، ثم أسقيهم من حوضي فيصдرون رواءاً.

ألا وإن جبرئيل قد أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي - الحسين - بأرض كرب وبلاء، ألا فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر.

قال: ثم نزل عن المنبر، ولم يبقَ أحدٌ من المهاجرين والانصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول حتّى إذا كان في أيام - عمر بن الخطاب - وأسلم كعب الأحبار، وقدم المدينة جعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان، وكعب يحدثهم بأنواع الملاحم والفتن.

فقال كعب لهم: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً وهو الفساد الذي ذكره الله تعالى في الكتب، وقد ذكره في «كتابكم» في قوله:

«ظهر الفساد في البر والبحر» الروم/٤١، وإنما فُتِحَ بقتل «هابيل»، ويختم بقتل «الحسين بن علي».

١٥- وأخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، عن شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، حدثنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرنا خلف بن محمد البخاري، حدثنا صالح بن محمد الحافظ، حدثنا أحمد بن حيان المصيبي، حدثنا عيسى بن يونس السبيعي، عن الأعمش، عن نشيط أبي فاطمة قال: جاء مولاي أبو هرثمة من «صفين» فأتيناه فسلمنا عليه، فمرت شاة وبعرت، فقال: لقد ذكرتني هذه الشاة حديثاً، أقبلنا مع - عليّ -، ونحن راجعون من صفين فنزلنا «كربلاء» فصلّى بنا الفجر بين شجرات، ثم أخذ بعرات من بحر الغزال، ففتها في يده، ثم شمها فالتفت إلينا، وقال: «يقتل في هذا المكان قوم يدخلون الجنة بغير حساب».

١٦- وبهذا الإسناد، عن أبي عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان بن عُيينة، عن عبدالله بن عبدالله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، قال: خرجت مع الحسن بن علي من الحمام فبينما هو جالس يحك ظفره من الحناء، إذ أتت اضبارة من الكتب، فما نظر في شيء منها حتى دعا الخادم - بالمخضب والماء - فآلقها فيه، ثم دلّكها، فقلت: يا أبا محمد! ومن أين هذه الكتب؟ قال: «من العراق، من عند قوم لا يقصرون عن باطل، ولا يرجعون إلى حق».

قال سفيان: فزادني غير عبدالله في - هذا الحديث -، أنه قال: «أما إني لست أخشاهم على نفسي، ولكني أخشاهم على ذاك»، وأشار إلى الحسين.

١٧- وأخبرنا عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي، حدثنا القاضي الإمام أبو نصر أحمد بن عبد الرحمن الريحدموني - سنة خمس وثمانين وأربعمائة -، حدثني والدي، حدثني الفقيه أبو شعيب صالح بن محمد بن صالح السخاوي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الباقي، أخبرني أبي، أخبرني يوسف بن الجراح، حدثنا أبو الاحوص القاضي البصري - بعكبراء وهو من ولد حماد -، أتيته ومعنا أبو العباس الهمداني، وجماعة من الرازيين، منهم: أبو القاسم بن أبي زرعة الرازي، فمما روى لنا هذا الحديث.

حدثني محمد بن عبيد الله بن محمد العجلي ثم التيمي، حدثني أبي، حدثني وكيع بن الجراح، حدثني محمد بن سهل - خال ولد أبي صالح السمان -، عن مولى لابن عباس اسمه - خالد بن نافع -، قال: سمعت ابن عباس يقول^(١): أخذ بيدي علي بن أبي طالب ﷺ وقال: «يا عبد الله بن عباس! كيف بك إذا قُتلنا، وولغت الفتنة في أولادنا، وسبيت ذرارينا كما تسبى الأعاجم؟» قال: فقلت: أعيدك بالله، يا أبا الحسن! يا بن عم! لقد كلمتني بشيء ساءني، وما ظننت أنه يكون هذا؟ أما ترى الإيمان ما أحسنه! والإسلام ما أزينه! أتراهم فاعلين ذلك بنا؟ لعلها أمة غير هذه الأمة، قال: «لا، والله، بل هذه الأمة».

قال: فأمرض قلبي وساءني فصرت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته على استحياء وخوف، قلت: - وشاركتني بالحديث ميمونة - وكانني أريد بالحديث إياها.

فقال النبي: «الله أكبر! من أخبرك بذلك؟» فقلت إنه حدثني - يعني:

(١) هذا الحديث سنده مظلم ولفظه مضطرب فهو من الموضوعات أو المزيد فيها.

عليّاً، فقال لي رسول الله: «أنت عليّاً فادعه»، فإذا هو بالباب، وإذا هو عند ميمونة فسلم فأمره بالقعود، وقال له: «يا حبيبي! مالي أراك متغيراً لونك؟» قال: «خيراً! يا رسول الله» قال: «لعلك ذكرت أمراً فأحزنك»، قال: «قد كان ذلك» قال: «إنَّ عبد الله حدثَّ عنك بما حدثَّ، فمن أين قلت لقد أمرضت قلبي وأحزنتني؟»

قال: «إنَّ ابتك - فاطمة - أخبرتني أنها رأت رؤيا أقلقنتني، عندما قصتها عليّ، فقال ﷺ: «ماهي؟» قال: «إنها أخبرتني كأن الشمس انكسفت، وأن قمرين طلعا فقاما مقامها، قالت: فقلت: فما بال الشمس انكسفت؟ فقلت لي: هذه الشمس رسول الله يموت، وأن هذين القمرين - أبو بكر وعمر - يقومان مقامه بالدين، ويسوسان الأمة، وطلع نجم زاهر بينهما كان وضيئاً، فإذا خمد القمران أزهَرَ هذا بنوره، وأمدّهما هذا بضوئه، فما هو إلا أن لبث قليلاً حتَّى ذهب أحد القمرين ذات اليمين، فقلت: إلى أين ذهب هذا فقد كان وضيئاً؟ فقلت: إلى حيث ذهبت الشمس، ثُمَّ ما لبثَ القمرُ الآخر حتَّى صار أحمر، ثم انكسف وغاب، والنجم طالع زاهر نوره لا ينقص بل يزيد نوره، فقلت: أوه! إلى أين ذهب الآخر، فقلت لي: ذهب إلى حيث ذهبت الشمس وأخوها، فقلت: ما القمران اللذان غابا؟ فقلت: صاحبا رسول الله والخليفتان بعده، فبينما أنا أسأل عن ذلك، إذ طلع قمر آخر بين القمرين مثل حسنهما، ثم اجتمعت النجوم كلّها عليه وذلك القمر الزاهر طلع معه نجمان آخران بقربه يزهران كزهر النجم، ولقد اعجبت منهما ولقد مددت يدي إليهما، فجاءاني وجاء الأول بينهما، ثُمَّ ضممتهما إلى صدري فما هو إلا أن تفرقا على القرب مني، إذا اشتقت فمالي إليهما سبيل، وكانت النجوم قد اشتبكت فنظرت

فيها، فإذا هم يزهررون، وأقام القمر على ذلك ماشاء، وكانوا يقصدونه مرة، ويتأخرون عنه مرة، ثم صار أحدهما ملازماً له حتى مارأيتُ إلا أن الطالع الأكبر منهم قد أفل وهو الذي قد طلع بعد ذهاب ذينك، فقلت: ما هذا؟ فقل لي: هذا رجل يملك الدنيا، ثم يُقتل ويتفرق عنه من رأيت من قومه، فقلت: إن هذا لعجب ولقد وافاني أحدُ تلك النجوم حتى دخل إلى بيتي فرأيتَه محزوناً خامداً نوره فكلّمته وكَلَّمَنِي، فقلت: مالك؟ فقال لي: لا أحسن الكلام، ثم بكى، فقلت: مم بكائك؟ فقال: إن صاحبي يُقتل وولدك يقتلون ظلماً، كما قُتل اللذان رأيت ظلماً، وأنه سيكون بعدك فتنة، وأنه يؤخذ منك ولدك وولد ولدك، فلولا أن الله يُريد أن لا يهلك العباد كلهم لرجمهم كما رجم قوم لوط بالحجارة».

قال: فقام رسول الله، وقمتُ معه، وبيده علي حتى دخل على فاطمة، فقامت مستقبلة له وهي تبكي، فضمّها إلى صدره وقبلها في رأسها وهو يبكي، وسألها عن الرؤيا؟ فأخبرته فقال: «إن عشت سترين، غير أنك لا تعيشين، وسيعيش زوجك ويرى ذلك أنه قد نزل علي في هذه الليلة ألف ملك، يعزوني في نفسي وفيك، وإنك لا تعيشين من بعدي إلا يسيراً، والذي رأيت من الاقمار، هم كما رأيت - أبو بكر وعمر -، والقمر الثالث: رجلٌ من بعدهما مني، هو شيخ قريش وأوسعها حلماً وأفضلها سخاءً وأكثرها عطاءً، يا علي! لا تختلف عليه بذلك.

أخبرني حبيبي وإنك ستراه في مقامك هذا - فطلع عثمان بن عفان -، وأن ولدك يُقتل، وأن ذريتك تقتل، وتحمل نسائي وبناتي إلى الشام، والملائكة بذلك يخبروني، وجاءني جبرئيل يقرؤك السلام، ويقرئ علياً السلام، ويعزيني فيكما وفي وليكما، ولا تسكن الفتنة إلا بكما، وأن الله

تعالى وعدكما الأجر والثواب، ولك عنده فضيلة ليست لغيرك، لصبرك واحتسابك على ما أبلاك، وأبلى ولدك بعدك، وأنه ليعطيك قلماً من نور فتقعد على حوضي وبين يديك ولدان من نور، فكل من أراد الشرب من الناس، والصديقين غير المرسلين، والشهداء - البحرين والبريين -، تكتب لهم برق من نور فيأخذه الولدان، وتملاً أواني من نور فيسقون أولئك بإذنك، وإذا أذن لأحد منهم أن يذهب إلى الجنة كتبت له رقعة إلى -رضوان- فهي جوازه حتى يدخله الجنة فعليك السلام من بعدي، وأنت الوصي على أزواجي، والخليفة على كتابي، وكتاب ربي وسنتي، فلا تكن من القاعدين، ولا الكسلين، وإن الله قد منعك من حرام الدنيا ولم يجعل لها عليك سبيلاً، ولا على ولدك، وجعل قوتكم قدراً منها ليقول الحساب، ووهب لمن تمسك بسيرتك، واعتقد بحبك، ونصر ولدك، شفاعتك والنظر إليك جزاء بما كانوا يكسبون لا يصرفون عنها، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم، وإن كانت لهم حاجة عند ربهم في آبائهم وأزواجهم وأولادهم قضاهم؛ فبشر أمتي وعرفها ذلك، فإن السعيد يقبل والشقي يحرم». انتهى.

١٨- وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - فيما كتب إليّ -

من همدان -، أخبرنا أبو منصور محمد بن إسماعيل الأشقر - بقراءتي عليه بداره في أصبهان -، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن الحسين بن فادشاه، أخبرنا الطبراني [ح] وأخبرني أبو علي الحداد - مناولة -، أخبرني أبو نعيم الحافظ، أخبرني الطبراني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن الحسين المقرئ - فيما كتب إليّ من قزوین سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة -، أخبرني أبو القاسم بن أبي المنذر الخطيب، أخبرني علي بن إبراهيم، أخبرني محمد بن يزيد؛ وابن ماجه القزويني؛ بإسنادهما إلى الحسين بن علي عليه السلام قال: «قال لي رسول

الله ﷺ: يا حسين! آخر شربة من الدنيا تشربها من ماء تشربها على ظمأ.
 ١٩- وروي: أن النبي ﷺ لما دخل الجنة ليلة المعراج، رأى فيها قصرين من ياقوتين: إحداهما خضراء؛ والأخرى حمراء، فسأل جبرئيل عنهما، فقال: أسأل رضوان عنهما، فسأل رضوان، فقال: الخضراء للحسن؛ والحمراء للحسين، فقال: «يارضوان! لم خلق الله الخضراء للحسن؛ والحمراء للحسين؟» فقال رضوان: إن الحسن تقتله أمتك بالسم فيصير أخضر؛ والحسين تقتله أمتك بالسيف فيتلطخ بدمه فيصير أحمر، فأعلم الله قصريهما بهاتين العلامتين، فبكى رسول الله، فقال الله: يا محمد! لم تبكي؟ وأن دموعك لا قيمة لها عندي^(١)، ولكن إن رضيت أن تحفظهما ولا شفاعة لك يوم القيامة فعلنا، فقال رسول الله: «بل الشفاعة أحب إليّ يارب، وإن قتلت قرّة عيني معهما فاطمة».

٢٠- وذكر عبد الله بن المبارك: أن يحيى الحضرمي كان صاحب مطهرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلما سار إلى صفين وحاذى «نينوى» وهو منطلق إلى «صفين»، نادى: «صبراً أبا عبد الله! صبراً أبا عبد الله!» وهو بشط الفرات، فقلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: «دخلت على رسول الله ﷺ، وعيناه تفيضان، فقلت: بابي وأمي أنت! ما لعينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرئيل آنفاً فأخبرني إن الحسين يقتل بالفرات، وقال: فهل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فقبض قبضة من ترابٍ وأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضت».

وقيل: لما أتى جبرئيل بالتربة إلى رسول الله ﷺ من موضع يهراق فيه دم أحد ولديه، ولم يخبره باسمه، شمها، وقال: «هذه رائحة ابني

(١) أي عزيزة غالية لا ثمن لها.

الحسين»، وبكى، فقال جبرئيل: صدقت.

٢١- وذكر أبو عليّ السلامي البيهقي في «تاريخه»: أن النبي ﷺ قال

للحسين بن عليّ عليه السلام: «إنّ لك في الجنة درجة لا تنالها إلا بالشهادة».

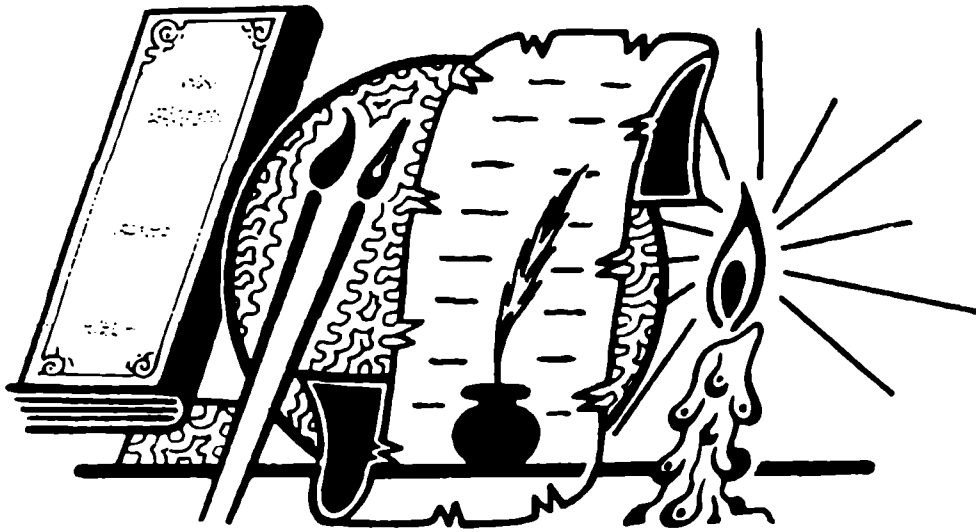
قال السلامي: فكان يعلم وقت اجتماع العسكر عليه أنه مقتول،

فصبر ولم يجزع حتى نال الشهادة (عليه أفضل السّلام).



الفصل التاسع

في بيان ما جرى
بينه وبين الوليد بن عتبة ومروان
بن الحكم بالمدينة في حياة معاوية وبعد وفاته



١- أخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إليّ من همدان -، أخبرنا الرئيس محيي السنة أبو الفتح بن عبد الله كتابة، أخبرنا الشيخ العدل أبو الفرج علي بن محمد، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثني من أدرك - مروان بن الحكم -، أنه خطب الناس على المنبر، ليدعو إلى - يزيد بن معاوية -، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فجلس على قوائم المنبر، فقال: لا، ولا نعمة عين لك، أدين الهرقلية كلّما ذهب واحد جاء آخر، هلك أبو بكر فترك ولداهم أطيب وأكثر من ولد معاوية، ثمّ نحاهما عنهم وجعلها إلى رجل من بني عدي بن كعب، ثم هلك عمر بن الخطاب فترك ولداهم أطيب وأكثر من ولد معاوية، فنحاهما عنهم وجعلها شورى بين الناس.

قال: وقالت عائشة: يا مروان! أما والله، إنكم للشجرة الملعونة التي ذكر الله في القرآن.

٢- وذكر هذه القصة - الإمام أحمد بن أعثم الكوفي (ره) في «تاريخه» أطول من هذه. قال: كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة يزيد، ويخبره في كتابه: إن أهل - مصر والشام والعراق - قد بايعوا. فأرسل مروان إلى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الطاعة وحض عليها، وذكر الفتنة وحذر منها، ثم قال في بعض كلامه: أيها الناس! إن أمير المؤمنين قد كبر سنه، ودق عظمه، ورق جلده، وخشي الفتنة من بعده، وقد أراه الله رأياً حسناً، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون لكم من بعده مفزعاً، يجمع الله به الألفة، ويحققن به الدماء، وأراد أن يكون ذلك عن مشورة منكم، وتراض، فماذا تقولون؟

قال: فقال الناس من جانب: إنا ما نكره ذلك إذا كان رضا، فقال مروان: فإنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين - وهو ابنه يزيد -، قال: فسكت الناس، وتكلم عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله، وكذب من أمرك بهذا، والله، ما يزيد بمختار، ولا رضا، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية.

وقال في غير هذا الموضع: في يزيد الخمرور، يزيد القروود؛ يزيد الفهود، فقال مروان: إن هذا المتكلم هو الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ الاحقاف/١٧.

قال: فغضب عبد الرحمن، وقال: يا بن الزرقاء! أفينا تتأول القرآن، وأنت الطريد ابن الطريد؟ ثم بادر إليه فاخذ برجله، وقال: أنزل، يا عدو الله! عن منبر رسول الله، فليس مثلك من يتكلم على أعواده.

قال: فضجّت - بنو أمية - في المسجد، وبلغ ذلك عائشة، فخرجت

من منزلها متلفعة - بملاءة - لها، ومعها نسوة من قريش، حتى دخلت المسجد، فلما نظر إليها - مروان - كأنه فزع من ذلك، فقال: سألتك بالله، يأم المؤمنين! إن قلت إلا حقاً. فقالت عائشة: لا أقول إلا حقاً، أشهد لقد لعن رسول الله أباك، ولعنك فانت فضض من لعنة رسول الله، وأنت الطريد ابن الطريد، أتكلم أخي - عبد الرحمن - بما تكلمه، فسكت مروان، ولم يرد عليها شيئاً، وتفرق الناس.

وكتب مروان إلى معاوية يخبره بما كان من عبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قرأ معاوية كتاب مروان أقبل على جلسائه، وقال: عبد الرحمن شيخ قد خرف، وذهب عقله، ونحن أن نكف ونحتمل ما كان منه، فليس هذا من رأيه، ولكن رأي غيره.

٣- أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - كتابةً -، أخبرنا محمود ابن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن فادشاه [ح] وأخبرنا أبو علي الحداد إجازةً، أخبرنا أبو نعيم، قالوا: أخبرنا الطبراني، عن أحمد بن رشدين المصري، عن محمد بن سفيان الحضرمي، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل: أن ابن موهب أخبره: أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مروان فكلمه في حوائجه، وقال: اقض حاجتي، يا أمير المؤمنين! فوالله، إن مؤنتي لعظيمة، إنني أصبحت أبا عشرة، وأخا عشرة، وعمّ عشرة، فلما أدبر مروان، قال معاوية لابن عباس - وكان جالساً معه على سريرته -: أنشدك الله، يا ابن عباس! أما تعلم أن رسول الله قال: «إذا بلغ - بنو الحكم - ثلاثين رجلاً: اتخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة، كان هلاكهم أسرع من التمرة.

فقال ابن عباس: اللهم! نعم، ثم قال: أنشدك الله يا ابن عباس! أما

تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا، فقال: «أبو الجبابرة الأربعة»، فقال ابن عباس: اللهم! نعم.

٤- وبهذا الإسناد، عن الطبراني أيضاً، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن إسحاق بن إبراهيم، عن يزيد بن ربيعة، عن أبي الأشعث، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت - بني مروان - يتعاورون على منبري، فسأني ذلك، ورأيت بني العباس يتعاورون على منبري فسرى ذلك عني».

٥- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - كتابةً -، أخبرني زاهر ابن طاهر الشحامى، أخبرني عبد الرحمن بن محمد، أخبرني أحمد بن محمد بن حمدان، أخبرني أبو العلاء الموصلي، عن مصعب بن عبد الله، عن أبي حازم، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ في النوم - بني الحكم بن أبي العاص - ينزون على منبري، كما تنزو القردة»، فأصبح كالمتهبط، فما روي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك، حتى مات.

٦- وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي: أن معاوية لما حجَّ حجته الأخيرة ارتحل من «مكة» فلما صار - بالابواء - ونزلها، قام في جوف الليل لقضاء حاجته، فاطلع في - بشر الابواء - فلما اطلع فيها اقشعر جلده، وأصابته اللقوة في وجهه، فأصبح وهو لما به مغموم، فدخل عليه الناس يعودونه، فدعوا له وخرجوا من عنده، وجعل - معاوية - يبكي لما قد نزل به، فقال له مروان بن الحكم: أجزعت يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا يا مروان! ولكنني ذكرتُ ما كنتُ عنه عزوفاً، ثم إني بكيت في إحني، وما يظهر للناس مني، فاخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان من دفعي حق علي بن أبي

طالب عليه السلام، وما فعلت - بحجر بن عدي - وأصحابه، ولولا هواي من يزيد لا بصرتُ رشدي، وعرفت قصدي.

قال: ولما أخذ البيعة - ليزيد - أقبل عليه، فقال: يا بني! أخبرني الآن ما أنت صانع في هذه الأمة؟ أتسير فيهم بسيرة - أبي بكر الصديق - الذي قاتل أهل الردّة، وقاتل في سبيل الله، حتى مضى والنّاس عنه راضون؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إني لا أطيق أن أسير بسيرة أبي بكر، ولكن آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله.

فقال: يا بني! أتسير فيهم بسيرة - عمر بن الخطاب - الذي مصر الأمصار، وفتح الديار، وجنّد الأجناد، وفرض الفروض، ودوّن الدواوين، وجبى الفيء، وجاهد في سبيل الله، حتى مضى والنّاس عنه راضون؟ فقال يزيد: لا أدري ما صنع عمر؟ ولكن آخذ الناس بكتاب الله والسنة.

فقال معاوية: يا بني! أفتسير فيهم بسيرة ابن عمك - عثمان بن عفّان - الذي أكلها في حياته، وورثها بعد مماته، واستعمل أقاربه، فقال يزيد: قد أخبرتك يا أمير المؤمنين! إنّ الكتاب بيني وبين هذه الأمة: به آخذهم، وعليه أقتلهم.

قال: فتتنفس معاوية الصعداء، وقال: إني من أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، ودفعت حق - عليّ بن أبي طالب -، وحملت الوزر على ظهري، وإني لخائف أنّك لا تقبل وصيتي فتقتل خيار قومك، ثم تغزو حرم ربك فتقتلهم بغير حق، ثم يأتي الموت بغتة، فلا دُنيا أصبت، ولا آخرة أدركت.

يا بني! إني جعلتُ هذا الملك مطعماً لك ولولدك من بعدك، وإني موصيك بوصية فاقبلها، فإنك تحمد عاقبتها، وإنك بحمد الله صارمٌ

حازم، انظر أن تثبَّ على أعدائك كوثوب الهزبر البطل، ولا تجبن كجبن الضعيف النكل، فإنني قد كفيتك الحلَّ والترحال، وجوامع الكلم والمنطق، ونهاية البلاغة، ورفع المؤنة، وسهولة الحفظ، ولقد وطأت لك يابني البلاد، وذللت لك رقاب العرب الصعاب، وأقمتُ لك المنار، وسهلتُ لك السبل، وجمعتُ لك اللجينَ والعقيان، فعليك يابني! من الأمور بما قرب مأخذه، وسهل مطلبه، وذر عنك ما اعتاص عليك، واعلم يابني! أن سياسة الخلافة لا تتم إلا بثلاث: بقلبٍ واسع؛ وكفٍ بسيط؛ وخلقٍ رحيب، وثلاثٍ أخرى: علم ظاهر؛ وخلق طاهر؛ ووجه طلق، ثم تردف ذلك بعشرٍ أخرى: بالصبر؛ والأناة؛ والتودد؛ والوقار؛ والسكينة؛ والرزانة؛ والمروءة الظاهرة؛ والشجاعة؛ والسخاء؛ والاحتمال للرعية بما تحب وتكره.

ولقد علمت يابني! أنني قد كنتُ في أمر الخلافة جائعاً شبعان، بشما شهوان، أصبح عليها جزعاً، وأمسي هلعاً، حتّى أعطاني الناس ثمرة قلوبهم، وبادروا إلى طاعتي، فادخل يابني! من هذه الدنيا في حلالها، واخرج من حرامها، وانصف الرعية، واقسم فيهم بالسوية، واعلم يابني! أنني أخاف عليك من هذه الأمة - أربعة نفر - من قريش: عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبد الله بن عمر؛ وعبد الله بن الزبير؛ وشبيه أبيه الحسين بن عليّ.

فأما - عبد الرحمن بن أبي بكر - فإنه إذا صنع أصحابه صنع مثلهم، وهو رجلٌ همته النساء، ولذة الدنيا، فذره يابني! وما يريد، ولا تأخذ عليه شيئاً من أمره، فقد علمت ما لأبيه من الفضل على هذه الأمة، وقد يحفظ الولدُ في أبيه.

وأما - عبد الله بن عمر - فإنه رجلٌ صدق، وحش من الناس، قد أنس بالعبادة، وخلا بالوحدة، فترك الدنيا وتخلّى منها، فهو لا يأخذ منها

شيئاً، وإنما تجارته من الدنيا كتجارة أبيه - عمر بن الخطاب -، فاقراً عليه يابني! منك السلام، وابعث إليه بعطاياه موفرة مهنة.

وأما - عبدالله بن الزبير - فما أخوفني منه عتاً، فإنه صاحب خلل في القول، وزلل في الرأي، وضعف في النظر، مفرط في الأمور، مقصر عن الحق، وأنه ليجشو لك كما يجشو الأسد في عرينه، ويراوغك روغان الثعلب، فإذا امكنته منك فرصة لعب بك كيف شاء، فكن له يابني! كذلك واحذه كحذو النعل بالنعل، إلا أن يدخل لك في الصلح والبيعة، فأمسك عنه، واحقن دمه، وأقمه على ما يريد.

وأما - الحسين بن علي - فأوه أوه يايزيد! ماذا أقول لك فيه؟ فاحذر أن تتعرض له إلا بسبيل خير، وامدد له حبلاً طويلاً، وذره يذهب في الأرض كيف يشاء، ولا تؤذِهِ، ولكن ارعد له وأبرق، وإياك والمكاشفة له: في محاربة بسيف، أو منازعة بطعن رمح، بل أعطه وقربه وبجله، فإن جاء إليك أحد من أهل بيته فوسع عليهم وارضهم، فإنهم أهل بيت لا يسعهم إلا الرضا والمنزلة الرفيعة.

وإياك يابني! أن تلقى الله بدمه، فتكون من الهالكين، فقد حدثني - ابن عباس -، فقال: حضرت رسول الله ﷺ عند وفاته، وهو يجود بنفسه، وقد ضمَّ الحسين إلى صدره، وهو يقول: «هذا من اطائب أرومتي، وأبرار عترتي، وخيار ذريتي، لا بارك الله فيمن لم يحفظه من بعدي»، قال ابن عباس: ثم أغمي على رسول الله ساعة، ثم أفاق فقال: «يا حسين! إن لي ولقاتلك يوم القيامة مقاماً بين يدي ربي، وخصومة، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصماً لمن قاتلك يوم القيامة.

يابني! فهذا حديث ابن عباس، وأنا أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه

قال: «أتاني يوماً حبيبي جبرئيل، فقال: يا محمد! إن أمتك تقتل ابنك -حسيناً- وقاتله لعين هذه الأمة»، ولقد لعن النبي ﷺ قاتل حسين مراراً، فانظر يا بُني! ثم انظر أن تتعرض له بأذى، فإنه مزاج ماء رسول الله، وحقه والله، يا بُني! عظيم، وقد رأيتني كيف كنتُ أحتمله في حياتي، وأضع له رقبتني، وهو يجبهني بالكلام القبيح الذي يوجع قلبي، فلا أجيبه ولا أقدر له على حيلة، لأنه بقية أهل الله بأرضه في يومه هذا، وقد أعذر من أنذر.

ثم أقبل - معاوية - على - الضحاك بن قيس الفهري؛ ومسلم بن عقبة المري - وهما من اعظم قواده، وهما اللذان كانا يأخذان البيعة ليزيد، فقال لهما: اشهدا على مقالتي هذه، فوالله، لو فعل بي الحسين وفعل، لاحتملته، ولم يكن الله تعالى يسألني عن دمه، أفهمت عني يا بُني! ما أوصيتك به؟

قال: قد فهمت يا أمير المؤمنين! ثم قال معاوية: وانظر إلى - أهل الحجاز - فإنهم أصلك، وفرعك فأكرم من قدمَ عليك منهم، ومن غاب عنك فلا تجفهم ولا تعقهم، وانظر إلى - أهل العراق - فإنهم لا يحبونك أبداً، ولا ينصحونك، ولكن دارهم ما أمكنك واستطعت، وإن سالوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل واحد أيسر عليك، وأخف من أن يشهروا عليك مائة ألف سيف، وانظر يا بُني - أهل الشام -، فإنهم بطانتك وظهارتك، وقد بلوتهم وخبرتهم وعرفت نياتهم، وهم: صبر عند اللقاء، حماة في الوغى، فإن دار بك أمرٌ من عدوٍ يخرج عليك فانتصر بهم، فإذا أصبت منهم حاجتك فارددهم إلى بلادهم يكونوا بها إلى وقت حاجتك إليهم.

قال: ثم تنفّس الصعداء، ثم غشي عليه، فلم يفق من غشيته يومه

ذلك، فلما أفاق قال: **«جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ»** الإسراء/ ٨١، ثم جعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يارب عذاباً لا صبر لي بالعذاب
أو تجاوز فانت ربّ رحيم عن مسيء ذنوبه كالتراب
ثم التفت إلى أهل بيته وقرابته وبني عمه، فقال: اتقوا الله حق تقاته،
فإنّ تقوى الله جنة حصينة، وويل لمن لم يتق الله من عذابه، واليم عقابه،
ثم قال: اعلموا أنني كنتُ بين يدي رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو يقلّم
أظفاره، فأخذت القلامه، وأخذت بمشقص من شعره على الصفا، وجعلتها
في قارورة هي عندي، فاجعلوا أظفاره وشعره في فمي وأذني وصلّوا عليّ
وواروني في حفرتي، وذروني وربّي فإنّه غفور رحيم.
ثم انقطع كلامه فلم ينطق بشيء^(١).

قال: وكان يزيد خرج من يومه ذلك إلى «حوران» موضع من الشام
ليتصيد هنالك، وقال للضحّاك بن قيس: انظر، لاتخف عليّ شيئاً من أمر
أمير المؤمنين، فتوفي معاوية في غد ذلك اليوم، وليس يزيد عنده، فكان
ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وتوفي - بدمشق - يوم الأحد لا يام خلت
من شهر رجب سنة ستين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

قال: ثمّ خرج الضحّاك بن قيس من دار معاوية وهو لا يكلم أحداً،
والاكفان معه، فدخل المسجد الأعظم، ونودي له في الناس، فصعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنّ أمير المؤمنين معاوية بن أبي
سفيان قد ذاق الموت، وشرب كأس الحتف، وهذه أكفانه، نحن مدرجوه
فيها، ومدخلوه قبره، ومخلون بينه وبين عمله، فمن كان منكم يريد أن

(١) هذا الخبر يناقض ما بعده من كون يزيد بحوران.

يشهدهُ فليحضر بين الصلاتين، ولا تقعدوا عن الصلاة عليه، ثم نزل عن المنبر، وكتب إلى يزيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لبس رداء البقاء، وكتب على عباده الفناء، فقال عز وجل: ﴿كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿الرحمن/٢٦-٢٧﴾، لعبد الله يزيد أمير المؤمنين من الضحاك بن قيس: أما بعد، فكتابي إلى أمير المؤمنين: كتاب تهنئة؛ ومصيبة، فأما - التهنئة - فالخلافة التي جاءتك عفواً، وأما - المصيبة - فموت أمير المؤمنين معاوية فإننا لله وإنا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي هذا فالعجل العجل لتأخذ الناس بيعة أخرى جديدة، ثم كتب في أسفل «كتابه» هذين البيتين:

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه وخلفت فانظر بعده كيف تصنع؟
أقمنا على المنهاج واركب محجةً سداداً فأنت المرتجى حين نفزعُ
فلما ورد الكتاب على يزيد وقراه، وثبَ باكياً، وأمر بأسراج دوابه، وسار يريد «دمشق» فصار إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية، وخرج الناس إلى استقباله، فلم يبق أحد يطيق حمل السلاح إلا ركب وخرج، حتى إذا قُرب من دمشق جعل الناس يتلقونه ويبكون، ويبكي معهم، وأمين ابن خريم الأسدي بين يديه ينشده ويقول:

رمى الحدثان نسوة آل حرب	بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً	وردَّ وجوههن البيض سودا
وإنك لو سمعت بكاء هند	ورملة إذ يلطمن الخدودا
بكيت بكاء موجهة بحزن	أصاب الدهر واحداها الفريدا
فصبراً يابني حرب! تعزوا	فمن هذا الذي يرجو الخلودا؟

تلقفها يزيد عن أبيه ودونكها معاوي عن يزيدا
أديروها - بني حرب - عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا
فإن دُنياكم بكم اطمأنت فأولوا أهلها خلقاً جديدا
وإن عصفت عليكم فاعصفوها عصاراً تستقم لكم شديدا
ثم نزل يزيد في قبة خضراء لأبيه، وهو معتم بعمامة خزر سوداء،
متقلد بسيف أبيه، فلما دخل نظر، فإذا قد فرش له فيها فرش كثير، بعضه
على بعض، فرقى عليها بالكرسي، وصعد حتى جلس على تلك الفرش،
فدخل الناس عليه يهنونه بالخلافة ويعزونه، وهو يقول: نحنُ أهل الحق،
وأنصار الدين فابشروا يا أهل الشام! فإن الخير لم يزل فيكم، وسيكون
بينكم وبين أهل العراق ملحمة، فإني رأيتُ في منامي قبل ثلاث ليال، كأنَّ
بيني وبين أهل العراق نهراً يطرده بالدم العبيط، ويجري جرياً شديداً،
وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر، فلم أقدر على ذلك، حتى
جاءني - عبيد الله بن زياد - فجازه بين يدي وأنا أنظر إليه .

فأجابه أهل الشام وقالوا: امض بنا يا أمير المؤمنين! حيث شئت،
فنحنُ بين يديك، وسيوفنا هي التي عرفها أهل العراق في يوم «صفين»،
فقال لهم: أنتم لعمرى، كذلك، ثم قال: أيها الناس! إن معاوية كان عبداً
من عباد الله، أنعم الله عليه، ثم قبضه إليه، وهو خير ممن كان بعده، ودون
من كان قبله، ولا أزيكه على الله، فهو أعلم به مني، فإن عفا عنه فبرحمته،
وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليتُ هذا الأمر من بعده ولست أقصر عن طلب
حق، ولا اعتذر من تفريط في باطل، وإذا أراد الله شيئاً كان .

فصاح الناس من كل جانب: سمعنا وأطعنا، يا أمير المؤمنين!

قال: وبايعه الناس كلهم، وبائعوا ابنه - معاوية بن يزيد - بعده،

وفتح بيوت الأموال، فأخرج لأهل الشام أموالاً جزيلةً وفرقها عليهم، وكتبَ إلى جميع البلاد بأخذ البيعة له، فكان على المدينة يومئذ مروان بن الحكم فعزله وولى مكانه ابن عمه - الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وكتب إليه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبدالله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة :

أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عبيد الله أكرمه واستخلفه ومكن له، ثُمَّ قبضه إلى روحه وريحانه ورحمته وثوابه، عاش بقدر ومات بأجل، وقد كان عهداً إلي وأوصاني : أن أحذر - آل أبي تراب - وجراتهم على سفك الدماء، وقد علمت يا وليد أن الله تعالى منتقم للمظلوم عثمان بن عفان من آل أبي تراب بآل سفيان، لأنهم أنصار الحق وطلاب العدل، فإذا وردَ عليك كتابي هذا، فخذ البيعة لي على جميع أهل المدينة .

قال : ثُمَّ كَتَبَ - صحيفة صغيرة - كأنها أذن فارة فيها :

أما بعد - فخذ الحسين ؛ وعبدالله بن عمر ؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وعبدالله بن الزبير، بالبيعة أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه والسلام .

٧- أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان-، أخبرني زاهر بن طاهر النيسابوري، أخبرني عبد الرحمن بن محمد الخسروردي، أخبرني أحمد بن محمد بن حمدان، أخبرني أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، عن الحكم بن موسى، عن الوليد ابن مسلم، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط، حتى يكون أول من

يثلمه رجل من بني أمية يقال له : يزيد» . قال الحافظ : وأخرج هذا الخبر الحافظ ابن أبي أسامة ؛ وابن منيع في «مسنديهما» .

٨ - أخبرني أبو منصور هذا، أخبرنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، أخبرنا العتابي، أخبرنا أبو بكر بن عاصم، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثني أبي، حدثني عوف، عن المهاجر بن مخلد، عن أبي العالية، عن أبي ذرٍّ، أنه قال ليزيد بن معاوية : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «أول من يُبدل ديني رجل من بني أمية» .

٩ - قال أحمد بن أعثم الكوفي : فلما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقراه، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون، يا ويح الوليد! ممن أدخله في هذه الامارة؟ مالي وللحسين بن فاطمة؟ ثمَّ بعث إلى مروان فدعاه وأقرأه الكتاب فاسترجع مروان، ثمَّ قال : يرحم الله أمير المؤمنين معاوية، فقال له الوليد : أشر عليَّ برأيك في أمر هؤلاء القوم، فقال مروان : أرى أن تبعث إليهم الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم وضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بذلك، وثبَّ كل واحدٍ منهم، وأظهر الخلاف، ودعا الى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلهم مالا قبل لك به ومالا تقوم به، إلا عبدالله بن عمر فإنه لا أراه ينازع في هذا أحد، إلا أن تاتيه الخلافة فيأخذها عفواً، فذر عنك ابن عمر، وابعث الى الحسين بن علي؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبدالله بن الزبير، فادعهم إلى - البيعة -، مع اني أعلم أن الحسين خاصة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبداً، ولا يرى له عليه طاعة، ووالله، إنني لو كنت بموضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب عنقه كائناً في ذلك ما كان .

فأطرق الوليد برأسه إلى الأرض ساعة، ثم رفع رأسه، وقال: ليت الوليد لم يولد، ولم يكن شيئاً مذكوراً، ثم دمعت عيناه، فقال له مروان: أيها الأمير! لا تجزع مما ذكرت لك، فإن - آل أبي تراب - هم الأعداء من قديم الدهر، ولا يزالون، وهم الذين قتلوا عثمان، وهم الذين ساروا إلى أمير المؤمنين معاوية فحاربوه، وبعد فإنني لست آمن أيها الأمير! إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة، أن تسقط منزلتك من أمير المؤمنين يزيد؟

فقال له الوليد: مهلاً، ويحك دعني من كلامك هذا، وأحسن القول في - ابن فاطمة - فإنه بقيّة ولد النبي، ثم بعث الوليد إلى الحسين بن علي؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر؛ وعبد الله بن عمر؛ وعبد الله بن الزبير؛ فدعاهم وأقبل إليهم رسوله، وهو عمرو بن عثمان -، فلم يصب القوم في منازلهم، فمضى نحو - المسجد - فإذا هم عند قبر النبي ﷺ فسلم عليهم، ثم قال: الأمير يدعوكم فصيروا إليه.

فقال الحسين: «نفعل ذلك إذا نحن فرغنا من مجلسنا إن شاء الله».

قال: فانصرف الرسول إلى الوليد وأخبره بذلك، وأقبل - عبد الله بن الزبير - على - الحسين - فقال: يا أبا عبد الله! إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإنني قد أنكرت بعثه إلينا ودعائه إيانا في مثل هذا الوقت، أفترى لماذا بعث إلينا؟

فقال له الحسين: «أنا أخبرك: أظن أن معاوية قد مات، وذلك إنني رأيت البارحة في منامي كأن معاوية منكوس، ورأيت النار تشتعل في داره، فتأولت ذلك في نفسي أن قد مات معاوية». فقال ابن الزبير: فاعلم أن ذلك كذلك، فماذا ترى نصنع يا أبا عبد الله! إن دُعينا إلى - بيعة يزيد -.

فقال الحسين: «أما أنا فلا أباع أبداً، لأن الأمر كان لي بعد أخي

الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وكان حلف لآخي الحسن: أن لا يجعل الخلافة لاحد من ولده، وأن يردّها عليّ إن كنتُ حياً، فان كان معاوية خرج من دنياه ولم يف لي، ولا لآخي بما ضمن، فقد جاءنا ما لا قرار لنا به، أتظن أبا بكر! أنني أبايع ليزيد، ويزيد رجلٌ فاسق، معلن بالفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ونحن بقية آل الرسول، لا، والله، لا يكون ذلك أبداً.

قال: فينا هما كذلك في المحاورة إذ رجع الرسول فقال: أبا عبد الله! إن الأمير قاعد لكما خاصة، فقوموا إليه، فزبره الحسين وقال: «انطلق إلى أميرك لا أم لك، فمن أحب أن يصير إليه منا فإنه صائر إليه، فأما أنا فإنني أصير إليه الساعة إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله».

فرجع الرسول أيضاً إلى الوليد، فقال: أصلح الله الأمير، أما الحسين ابن عليّ خاصة، فإنه صائر إليك في أثري فقد أجاب، فقال مروان: غدر، والله الحسين، فقال الوليد: مهلاً، فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئاً ثم لا يفعل.

قال: ثم إن الحسين أقبل على من معه، وقال: «صيروا إلى منازلكم، فإنني صائر إلى الرجل فأنظر ما عنده، وما يريد؟»، فقال له ابن الزبير: جعلت فداك! إني خائفٌ عليك أن يحبسوك عندهم، فلا يفارقونك أبداً، دون أن تباع أو تقتل.

فقال الحسين: «إني لستُ أدخل عليه وحدي، ولكنني أجمع إلي أصحابي وخدمي وأنصاري وأهل الحق من شيعتي، ثم أمرهم أن يأخذ كل واحدٍ منهم سيفه، مسلواً تحت ثيابه، ثم يصيرون بازائي، فإذا أنا أومأت إليهم، وقلت: يا آل الرسول! ادخلوا، فعلوا ما أمرتهم به، فأكون على

الامتناع دون المقادة والمذلة في نفسي، فقد علمت، واللّه أنه جاء من الأمر ما لا أقوم به، ولا أقرّ له، ولكن قدر اللّه ماضٍ، وهو الذي يفعل في أهل بيت رسول اللّه ما يشاء ويرضى».

ثم قام وصارَ إلى منزله، فدعا بقاء فتطهر واغتسل، وصلى ركعتين، ودعا ربه بما أحبّ أن يدعو به، فلما انفتل من صلاته أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته، وأعلمهم شأنه، وقال: «كونوا بباب هذا الرجل، فإني ماضٍ إليه ومكلمه، فإن سمعتم صوتي وكلامي قد علا مع القوم، وصحت بكم: يا آل الرسول! فاقحموا بغير إذن، ثمّ اشهروا السيوف ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تخشون فضعوا سيوفكم فيهم، واقتلوا من أراد قتلي».

ثمّ خرج الحسين من منزله وفي يده قضيب رسول اللّه ﷺ وهو في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته، فوقفهم على باب الوليد، ثمّ قال: «انظروا ما أوصيتكم به، فلا تعدوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء اللّه»، ثمّ دخل على الوليد فسلم عليه بالإمرة، وقال: كيف أصبح الأمير اليوم؟ وكيف حاله؟ فردّ عليه الوليد ردّاً حسناً، ثمّ أدناه وقربه، ومروان هنالك جالس، وقد كان بين مروان والوليد منافرة ومنازعة، فلما نظر الحسين إلى مروان جالساً في مجلس الوليد، قال: «أصلح اللّه الأمير، الصلاحُ خير من الفساد، والصلةُ خير من الشحنة، وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمدُ للّه الذي أصلح ذات بينكما»، فلم يجيباه في هذا بشيء، فقال الحسين: هل وردَ عليكم من معاوية خبر، فإنه كان عليلاً، وقد طالت علته، فكيف هو الآن، فتأوّه الوليد وتنفس الصعداء، وقال: يا أبا عبد اللّه! أجرك الله في معاوية، فقد كان لكم عمّ صدق ووالي عدل، لقد ذاق الموت،

وهذا كتاب أمير المؤمنين يزيد .

فقال الحسين : «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعظم الله لك الاجر أيها الأمير!، ولكن لماذا دعوتني؟» فقال : دعوتك للبيعة التي قد اجتمع الناس عليها، فقال الحسين : «أيها الأمير! إن مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وإنما يجب أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، فإذا دعوت الناس غداً إلى البيعة دعوتنا معهم، فيكون الأمر واحداً»، فقال الوليد : أبا عبد الله! والله، لقد قلتَ فأحسنْتَ القول، وأجبتَ جواب مثلك، وهكذا كان ظني بك، فانصرف راشداً، وتأتينا غداً مع الناس .

فقال مروان : أيها الأمير! إن فارقك الساعة ولم يبايع، فإنك لم تقدر منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينك وبينه، فاحبسه عندك، ولا تدعه يخرج، أو يبايع وإلا فاضرب عنقه .

فالتفت إليه الحسين وقال : «ويلي عليك، يا ابن الزرقاء! أتامر بضرب عنقي، كذبت والله، ولؤمت، والله لو رام ذلك أحد لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، فإن شئت ذلك فرم أنت ضرب عنقي إن كنت صادقاً» ثم أقبل الحسين على الوليد، فقال : «أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة؛ ومختلف الملائكة؛ ومهبط الرحمة؛ بنا فتح الله وبنا ختم؛ ويزيد رجل فاسق شارب خمر؛ قاتل نفس؛ معلن بالفسق، فمثلي لا يُبايع لمثله ولكن نصبح وتصبحون؛ وننظر وتنظرون أينأ أحق بالخلافة والبيعة؟»

قال : وسمع من بالباب صوت الحسين، وقد علا فهموا أن يقتحموا عليهم بالسيوف، ولكن خرج إليهم الحسين، فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وذهب إلى منزله .

فقال مروان للوليد : عصيتني أيها الأمير! حتى أفلت الحسين من

يديك، أم والله، لا تقدر منه على مثلها أبداً، والله، ليخرجنَّ عليك وعلى أمير المؤمنين فاعلم ذلك، فقال الوليد لمروان: ويحك، إنك قد أشرت عليَّ بقتل الحسين، وفي قتله: ذهاب ديني ودنياي، والله، إني لا أحبُّ أن أملك الدنيا بأسرها شرقها وغربها وإني قتلت - الحسين بن فاطمة -، والله، ما أظن أحداً يلقي الله يوم القيامة بدمه إلا وهو خفيف الميزان عند الله، لا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

قال: وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصحٌ فاطعني ترشد وتسدد، فقال: «وما ذاك؟ قل أسمع»، فقال: إني أرشدك لبيعة يزيد، فإنها خير لك في دينك وفي دنياك، فاسترجع الحسين، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد، ثم قال: يامروان! أترشدني لبيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق، لقد قلتَ شططاً من القول وزلاً، ولا ألومك فإنك - اللعين - الذي لعنك رسول الله، وأنت في صلب أبيك - الحكم بن العاص -، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عني ياعدو الله! فإننا أهل بيت رسول الله، الحقُّ فينا ينطقُ على السنتنا، وقد سمعتُ جدِّي رسول الله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فأبقروا بطنه، ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما أمروا، فابتلاهم بابنه يزيد».

فغضب مروان من كلام الحسين فقال: والله، لا تفارقني حتى تباع ليزيد صاغراً، فإنكم - آل أبي تراب - قد ملئتم شحناً، واشربتم بغض - آل أبي سفيان -، وحقيق عليهم أن يبغضوكم.

فقال الحسين: «إليك عني، فإنك رجسٌ، وإني من أهل بيت الطهارة قد أنزل الله فينا: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» الاحزاب/٣٣، فنكس رأسه ولم ينطق. ثم قال له الحسين: «ابشر، يا ابن الزرقاء! بكل ما تكره من رسول الله، يوم تقدم على ربك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد»، فمضى مروان الى الوليد وأخبره بمقالة الحسين. قال: وكان - عبدالله بن الزبير - مضى إلى مكة حين اشتغلوا بمحاورة الحسين، وتنكب الطريق، فبعث الوليد بثلاثين رجلاً في طلبه، فلم يقدروا عليه، فكتب الوليد إلى يزيد يخبره بما كان من أمر ابن الزبير؛ ومن أمر الحسين، وأنه لا يرى عليه طاعة ولا بيعة.

فلما ورد الكتاب على يزيد غضب غضباً شديداً، وكان إذا غضب احوّلت عيناه، فكتب إلى الوليد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة

أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة ثانية على - أهل المدينة - تأكيداً منك عليهم، وذر عبدالله بن الزبير فإنه لن يفوتنا، ولن ينجو منا أبداً مادامنا أحياء، وليكن مع جواب كتابي هذا رأس الحسين، فإن فعلت ذلك، جعلتُ لك أعنة الخيل، ولكَ عندي الجائزة العظمى؛ والحظ الاوفر، والسلام.

فلما ورد الكتاب على الوليد أعظم ذلك، وقال: واللّه، لا يراني الله، وأنا قاتل الحسين بن رسول الله ﷺ، ولو جعل لي يزيد الدنيا وما فيها.

قال: وخرج الحسين من منزله ذات ليلة وأتى قبر جده ﷺ فقال: «السلامُ عليك يا رسول الله! أنا الحسين بن فاطمة، فرحك وابن فرختك،

وسبطك والثقل الذي خلفته في أمتك، فاشهد عليهم، يا نبي الله! انهم قد خذلوني، وضيعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى القاك - صلى الله عليك. ثم صف قدميه، فلم يزل راکعاً ساجداً.

قال: وارسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر: أخرج من المدينة أم لا؟ فلم يصب في منزله، فقال: الحمد لله إذ خرج ولم يبتلني الله في دمه، قال: ورجع الحسين إلى منزله عند الصبح.

وذكر الثقة، عن أبي سعيد المقبري، أنه قال: رايتُ الحسين يدخل مسجد المدينة معتمداً على رجلين يميناً وشمالاً، حين ورد خبر وفاة معاوية فسمعتة ينشد:

لاذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم أعطي مخافة الموت كفاً والمنايا يرصدنني أن أحيدا
قال أبو سعيد: فعلمتُ حين سمعت ذلك منه أنه سيمتنع.

رجعنا إلى حديث ابن أعثم الكوفي، قال: فلما كانت الليلة الثالثة خرج إلى القبر أيضاً، فصلّى ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: «اللهم! إن هذا قبر نبيك محمد ﷺ، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم! إني أحب المعروف وأنكر المنكر، وإني أسألك يا ذا الجلال والإكرام! بحق هذا القبر ومن فيه إلا اخترت لي من أمري ما هو لك رضى، ولرسولك رضى، وللمؤمنين رضى».

ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فاغشى، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله، وبين يديه ومن خلفه، فجاء حتى ضم الحسين إلى صدره، وقبل بين عينيه، وقال: «حبيبي يا حسين! كاني أراك عن قريب مرملاً بدمائك،

مذبوحاً بارض كربلاء، بين عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة؟ وما لهم عند الله من خلاق، حبيبي يا حسين! إن أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة».

قال: فجعل الحسين في منامه ينظر إلى جده محمد ﷺ ويسمع كلامه، ويقول له: «يا جداه! لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك وأدخلني معك إلى قبرك»، فقال له النبي ﷺ: «يا حسين! لا بدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك من الثواب العظيم، فإنك؛ وأباك؛ وأمك؛ وأخاك؛ وعمك؛ وعمّ أبيك، تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة».

قال: فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً، فقصر رؤياه على أهل بيته؛ وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في شرق ولا غرب قوم أشد غمماً من أهل بيت رسول الله ولا أكثر باكية ولا باكية. قال: وتهيأ الحسين ﷺ، وعزّم على الخروج من المدينة، ومضى في جوف الليل إلى قبر أمه، فصلّى عند قبرها وودعها، ثم قام من قبرها، وصار إلى قبر أخيه الحسن ﷺ ففعل كذلك، ثم رجع إلى منزله في وقت الصبح، فأقبل إليه أخوه - محمد بن الحنفية -، فقال له: يا أخي! فديتك نفسي أنت أحب الناس إلي وأعزهم عليّ، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري، وكبير أهل بيتي، ومن وجب طاعته في عنقي، لأن الله تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من سادات أهل الجنة، إني أريد أن أشير عليك فأقبل مني.

فقال له الحسين: «قل، يا أخي! ما بدا لك؟» فقال: أشير عليك أن تتنحى بنفسك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما استطعت، وأن تبعث رسلك إلى الناس فتدعوهم إلى بيعتك، فإن بايعك الناس حمدت الله على ذلك، وقمت فيهم بما كان يقومه رسول الله، والخلفاء الراشدون المهديون من بعده، حتى يتوفاك الله وهو عنك راضٍ، والمؤمنون عنك راضون، كما رضوا عن أبيك وأخيك، وإن اجتمع الناس على غيرك حمدت الله على ذلك وسكت ولزمت منزلك، فإني خائفٌ عليك أن تدخل مصرًا من الأمصار، أو تأتي جماعة من الناس فيقتتلون، فتكون طائفة منهم معك، وطائفة عليك فتقتل بينهم.

فقال له الحسين: «يا أخي! فإلى أين أذهب؟» قال: تخرج إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها، فذاك الذي تحب، وإن تكن الأخرى خرجت إلى -بلاد اليمن- فإنهم أنصار جدك وأبيك وأخيك، وهم أراف وأرق قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنت بك -أرض اليمن- فذاك، وإلا لحقت بالرمال، وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال له الحسين: «يا أخي! والله، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية، قد قال النبي ﷺ: اللّهم! لا تبارك في يزيد، فقطع محمد الكلام وبكى، فبكى معه الحسين ساعة، ثم قال: «يا أخي! جزاك الله عني خيراً، فلقد نصحت، وأشرت بالصواب، وأرجو أن يكون رأيك موفقاً مسدداً، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك: أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، ممن أمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت، يا أخي! فلا عليك أن تقيم في -المدينة- فتكون لي عيناً عليهم،

ولا تخف عليَّ شيئاً من أمورهم». ثم دعا الحسين عليه السلام بدواة وبياض، وكتب فيها هذه الوصية لأخيه محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أوصى به - الحسين بن علي بن أبي طالب - إلى أخيه - محمد ابن علي - المعروف «بابن الحنفية»، إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد عليه السلام أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين.

فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا، صبرت حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين. هذه وصيتي إليك، يا أخي! وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليك، وعلى من اتَّبع الهدى، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ثم طوى الحسين كتابه هذا، وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد، ثم ودَّعه وخرج في جوف الليل يُريد «مكة» في جميع أهل بيته، وذلك لثلاث ليال مضين من شهر شعبان سنة ستين، فلزم الطريق الأعظم فجعل يسير وهو يتلو هذه الآية: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ القصص / ٢١.

فقال له ابنُ عمه - مسلم بن عقيل بن أبي طالب - : يا بن رسول الله! لو عدلنا عن الطريق، وسلكنا غير الجادة، كما فعل - عبدالله بن الزبير - كان عندي خير رأي، فإني أخاف أن يلحقنا الطلب.

فقال له الحسين: «لا، والله يا بن عم! لا فارقت هذا الطريق أبداً، أو أنظر إلى أبيات مكة ويقضي الله في ذلك ما يُحب ويرضى».

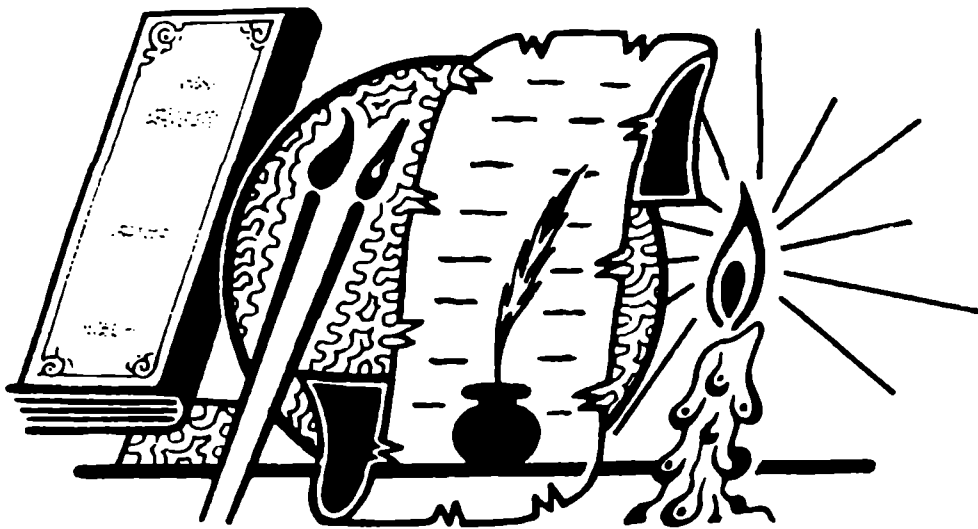
فبينما - الحسين - كذلك بين - مكة والمدينة - إذ استقبله - عبدالله بن مطيع العدوي -، فقال له: أين تُريد؟ يا أبا عبد الله! جعلني الله فداك، فقال: «أما في وقتي هذا، فإني أريد مكة فإذا صرتُ إليها استخرت الله في أمري بعد ذلك» فقال له عبدالله بن مطيع: خار الله لك، يا بن رسول الله! فيما قد عزمت عليه، غير أنني أُشيرُ عليك بمشورة فاقبلها مني، فقال له الحسين: «وما هي؟ يا بن مطيع! فقال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك - أهل الكوفة - فإنَّ فيها قُتلَ أبوك؛ وطعن أخوك بطعنة كادت أن تأتي على نفسه فيها، فالزم الحرم فانت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله، لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك!».

فودعه الحسين ودعا له بالخير، وسار حتى وافى مكة فلما نظر إلى جبالها من بعيد، جعل يتلو هذه الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ القصص/٢٢، انتهى.



الفصل العاشر

في ماجرى من أحوال الحسين عليه السلام مدة
مقامه بمكة وما ورده من كتب أهل الكوفة
وارسال مسلم بن عقيل الى الكوفة ومقتله بها عليه السلام



١- قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي : ولما دخل الحسين مكة، فرحَ به أهلها فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه غدوة وعشية، وكان قد نزل بأعلى مكة وضرب هناك فسطاطاً ضخماً، ونزل - عبدالله بن الزبير - داره «بقيعان» .

ثم تحوّل الحسين إلى - دار العباس - حوله إليها - عبدالله بن عباس -، وكان أمير مَكَّة من قبل - يزيد - يومئذ - عمر بن سعد بن أبي وقاص -، فأقام الحسين مؤذناً يؤذن رافعاً صوته فيصلي بالناس، وهاب ابن سعد أن يميل الحجاج مع الحسين لما يرى من كثرة اختلاف الناس إليه من الآفاق، فانحدر إلى المدينة، وكتبَ بذلك إلى - يزيد -، وكان - الحسين - أثقل خلق الله على عبدالله بن الزبير لانه كانَ يطمعُ أن يتابعه أهل مكة، فلما قدم الحسين اختلفوا إليه وصلوا معه، ومع ذلك فقد كان عبدالله يختلف إليه بكرة وعشية ويصليّ معه .

قال : وبلغ أهلُ الكوفة : إن الحسين صار إلى مكة، وأقام الحسين بمكة

بأقي شهر شعبان ؛ وشهر رمضان ؛ وشوال ؛ وذو القعدة ، وبمكة يومئذ -
 عبدالله بن عباس ؛ وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، فاقبلا جميعاً وقد عزموا أن
 ينصرفا إلى المدينة ، حتى دخلا على الحسين ، فقال عبدالله بن عمر : يا أبا عبد
 الله ! اتق الله ، رحمك الله الذي إليه معادك ، فقد عرفت عداوة هذا البيت
 لكم ؛ وظلمهم إياكم ؛ وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية ، ولست
 آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلوك ، ويهلك فيك
 بشر كثير ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «حسين مقتول ، فلئن خذلوه
 ولم ينصروه ليخذلنهم الله إلى يوم القيامة» ، وأنا أشير عليك أن تدخل في
 صلح ما دخل فيه الناس ، وتصبر كما صبرت لمعاوية من قبل ، فلعلَّ الله أن
 يحكم بينك وبين القوم الظالمين .

فقال له الحسين : «يا أبا عبد الرحمن ! أنا أبايع يزيد ، وأدخل في
 صلحه ، وقد قال رسول الله ﷺ فيه وفي أبيه ما قاله» .

فقال ابن عباس : صدقت ، يا أبا عبد الله ! قد قال النبي : «مالي
 وليزيد ، لا بارك الله في يزيد ، فإنه يقتل ولدي ، وولد ابنتي الحسين بن
 علي ، فوالذي نفسي بيده ، لا يقتل ولدي بين ظهرائي قوم فلا يمنعون ، إلا
 خالف الله بين قلوبهم والسننهم» ، ثم بكى ابن عباس وبكى معه الحسين .
 ثم قال له : «يا ابن عباس ! أتعلم أني ابن بنت رسول الله ؟» فقال :
 اللهم ! نعم ، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنت رسول الله غيرك ، وإن
 نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصيام والزكاة ؛ التي لا تُقبل إحداهما
 دون الأخرى .

فقال الحسين : «يا ابن عباس ! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت
 رسول الله من وطنه وداره ؛ وموضع قراره ومولده ؛ وحرَمَ رسوله ؛

ومجاورة قبره؛ ومسجده؛ وموضع مهاجرته وتركوه خائفاً مرعوباً: لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى وطن، يريدون بذلك قتله، وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذ دون الله ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده.

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم، إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ﷺ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﷻ التوبة/٥٤، ﷻ يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﷻ النساء/١٤٢ و١٤٣، فعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت أبا عبد الله! فإنك رأسُ الفخار، ابن رسول الله، وابن وصيه، وفرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظن يا ابن رسول الله بأن الله غافل عما يعمل الظالمون، وأنا أشهد أن من رَغِبَ عن مجاورتك ومجاورة بنيك ﷻ وماله في الآخرة من خلاق ﷻ البقرة/٢٠٠.

فقال الحسين: اللهم! اشهد، فقال ابن عباس: جعلت فداك، يا ابن رسول الله! كأنك تنعى إلي نفسك، وتريدُ مني أن أنصرك، فوالله، الذي لا إله إلا هو لو ضربت بين يديك بسيفي حتى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً لما كنت أبلغ من حقك عشر العشير، وها أنا بين يديك فمرني بأمرِك.

فقال ابن عمر: اللهم! عفواً، ذرنا من هذا يا ابن عباس! ثم أقبل ابن عمر على الحسين، وقال له: مهلاً، أبا عبد الله عما أزمعت عليه، وارجع معنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم، ولا تغب عن وطنك، وحرّم جدّك، ولا تجعل لهؤلاء القوم الذين لا خلاق لهم على نفسك حجةً وسبيلاً، وإن أحببت أن لا تباع فإنك متروك حتى ترى رأيك، فإنَّ يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلاً، فيكفيك الله أمره.

فقال الحسين: «أف لهذا الكلام أبداً! مادامت السماوات والأرض،

أسألك بالله يا أبا عبد الرحمن! أعندك أني على خطأ من أمري هذا، فإن كنتُ على خطأ فردني عنه، فإني أرجع وأسمع وأطيع».

فقال ابن عمر: اللهم! لا، ولم يكن الله تبارك وتعالى لي يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك في طهارته وموضعه من الرسول، أن يسلم على يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة مالا تُحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن شئت أن لا تباع فلا تباع أبداً، واقعد في منزلك.

فقال له الحسين: «هيهات، يا ابن عمر! إنَّ القوم لا يتركوني، إن أصابوني وإن لم يُصيبوني، فإنهم يطلبوني ابداً حتى أباع وأنا كاره، أو يقتلوني، ألا تعلم، أبا عبد الرحمن! أن من هوان هذه الدنيا على الله أن يؤتى برأس - يحيى بن زكريا - إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجة عليهم، فلم يضر ذلك يحيى بن زكريا بل ساد الشهداء، فهو سيدهم يوم القيامة؟ ألا تعلم، أبا عبد الرحمن أن - بني إسرائيل - كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس - سبعين نبياً - ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون، كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام؟ فاتق الله، يا أبا عبد الرحمن! ولا تدعن نصرتي، واذكرني في صلاتك، فوالذي بعث جدي محمداً بشيراً ونذيراً، لو أن أباك - عمر بن الخطاب - أدرك زماني، لنصرني كما نصر جدي، ولقام من دوني كقيامه من دون جدي، يا ابن عمر! فإن كان الخروج معي يصعبُ عليك ويثقل، فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تترك لي الدعاء في دُبر كل صلاة واجلس عن القوم ولا تعجل بالبيعة لهم، حتى تعلم ما تؤول إليه الأمور». ثم أقبل على عبدالله بن عباس، وقال له:

«وانت، يا بن عباس! ابن عمّ أبي، ولم تزل تأمر بالخير مذ عرفتكَ، وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد، وقد كان أبي يستصحبك ويستنصحك ويستشيرك، وتشير عليه بالصواب، فامضِ إلى المدينة في حفظ الله، ولا تخف عليّ شيئاً من أخبارك، فإنني مستوطن هذا الحرم ومقيم به، ما رأيت أهله يحبونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها - إبراهيم - يوم ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً».

فبكى ابنُ عباس؛ وابن عمر ذلك الوقت بكاءً شديداً، وبكى الحسين معهما، ثم ودَّعهما فصار ابن عباس وابن عمر إلى المدينة، وأقام الحسين بمكة ولزم الصلاة في الصلاة.

قال: ولما علم بحال - الحسين - وإقامته - بمكة - اجتمعت - الشيعة - بالكوفة في منزل - سليمان بن صرد الخزاعي -، فلما تكاملوا في منزله قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم ذكر أمير المؤمنين ومناقبه وترحم عليه، ثم قال: يامعشر الشيعة! إنكم علمتم أن معاوية قد هلك، فصار إلى ربه وقدم على عمله وسيجزيه الله تعالى بما قدم من خيرٍ وشرٍ، وقد قعد بموضعه ابنه يزيد، وهذا الحسينُ بن علي قد خالفه وصار إلى «مكة» هارباً من طواغيت - آل أبي سفيان -، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوه عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه، فقال القوم: بل، ناويه وننصره، ونقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، حتّى ينال حاجته، فاخذ عليهم - سليمان بن صرد - على ذلك عهداً وميثاقاً أنهم لا يغدرون ولا ينكثون، ثم قال: فاكتبوا إليه الآن كتاباً

من جماعتكم : أنكم له كما ذكرتم، وسلوه القدوم عليكم، فقالوا: أفلا تكفينا انت الكتاب، قال: بل تكتب إليه جماعتكم، فكتب القوم إلى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي أمير المؤمنين من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وحبيب بن مظاهر، ورفاعة بن شداد، وعبدالله بن وال، وجماعة شيعته من المؤمنين، سلام عليك.

أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدوَّ أبيك من قبل الجبار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي ابتز هذه الأمة أمرها، وغصبها فيئها، وتأمَّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود، ثم انه قد بلغنا أنَّ ولده - اللعين - قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة ولا اجماع، ولا علم من الاخير.

وبعد فإننا مقاتلون معك، وباذلون أنفسنا من دونك، فأقبل إلينا فرحاً مسروراً، مباركاً منصوراً، سعيداً سديداً، إماماً مطاعاً، وخليفة مهدياً، فإنه ليس علينا إمام، ولا أمير إلا - النعمان بن بشير - وهو في قصر الامارة، وحيد طريد، لا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولا نوّدي إليه الخراج، يدعو فلا يُجاب، ويأمر فلا يطاع، ولو بلغنا أنَّك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنّا حتى يلحق بالشام، فأقدم إلينا فلعلَّ الله تعالى أن يجمعنا بك على الحق، والسلام عليك يا بن رسول الله وعلى أبيك وأخيك ورحمة الله وبركاته.

ثم طروا الكتاب وختموه ودفعوه إلى عبدالله بن سبيع الهمداني؛

وعبدالله بن مسمع البكري، فتوجهها به إلى الحسين، فقرأ كتاب - أهل الكوفة - فسكت ولم يجبههم بشيء، ثم قدم إليه بعد ذلك - قيس بن مسهر الصيداوي؛ وعبدالله بن عبد الرحمن الأرحبي؛ وعامر بن عبيد السلولي؛ وعبدالله بن وال التيمي -، ومعهم نحو من خمسين ومائة كتاب؛ الكتاب من - الرجلين والثلاثة والأربعة - يسألونه القدوم عليهم، والحسين يتأني في أمره ولا يجيبهم في شيء.

ثم قدم عليه بعد ذلك - هانئ بن هانئ السبيعي؛ وسعيد بن عبدالله الحنفي بكتاب؛ وهو آخر ما ورد إليه من - أهل الكوفة - وفيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للحسين بن عليّ أمير المؤمنين - من شيعته وشيعة أبيه .

أما بعد - فإنّ النَّاسَ ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل بابن رسول الله! فقد اخضر الجنب؛ وأينعت الثمار؛ وأعشبت الأرض؛ وأورقت الأشجار؛ فاقدم إذا شئت؛ فإنما تقدم إلى جند مجندة لك، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى أبيك من قبل .

فقال - الحسين - لهانئ بن هانئ السبيعي؛ وسعيد بن عبدالله الحنفي: «خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كُتِبَ معكما؟» فقالا له: يابن رسول الله! اجتمع عليه: شبث بن ربعي؛ وحجار بن أبجر؛ ويزيد بن الحرث؛ ويزيد بن رويم؛ وعزرة بن قيس؛ وعمرو بن الحجاج؛ ومحمد بن عمير بن عطارد.

فعندها قام - الحسين - وتوضأ وصلى ركعتين بين الركن والمقام، ولما انفلت من صلاته، سأل ربه الخير فيما كتب إليه - أهل الكوفة -، ثم رجع إلى الرسل، فقال لهم: «إني رأيت جدي رسول الله ﷺ في منامي، وقد أمرني

بأمر، وأنا ماضٍ لأمره، فعزم الله لي بالخير، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.
ثم أمر بجواب كتب - أهل الكوفة - على هذا النحو:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين، سلام عليكم،
أما بعد - فإن هاني بن هاني؛ وسعيد بن عبد الله، قدما علي من
رسلكم، وقد فهمت الذي اقتصصتم وذكركم، ولست أقصر عما أحببتكم،
وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي - مسلم بن عقيل بن أبي طالب -، وأمرته
أن يكتب إلي بحالكم وخبركم ورأيكم وذوي الحجى والفضل منكم،
وهو متوجه إليكم إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به
رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه ولا تخذلوهم،
فلعمري، ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط، كالذي يحكم بغير
الحق، ولا يهتدي سبيلا، جمعنا الله وإياكم على الهدى، والزمنا وإياكم
كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم طوى الكتاب وختمه ودعا - بمسلم بن عقيل - فدفع إليه الكتاب،
وقال: «إني موجهك إلى - أهل الكوفة -، وسيقضي الله من أمرك ما يحب
ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وانت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله
وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس
إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي، فعجل علي بالخبر حتى أعمل
على حسب ذلك إن شاء الله تعالى»، ثم عانقه الحسين وودعه وبكى جميعاً.

ذكر خروج مسلم بن عقيل نحو العراق

قال : فخرج «مسلم» من «مكة» نحو «المدينة» مستخفياً ليلاً لئلا يعلم أحد من بني أمية، فلما دخل المدينة بدأ بمسجد النبي ﷺ فصلّى ركعتين، ثم خرج في جوف الليل، وودع أهل بيته، واستأجر دليلين من - قيس عيلان - يدلّانه على الطريق، ويمضيان به إلى «الكوفة» على غير الجادة، فخرج به الدليلان من المدينة ليلاً، فسارا فاضلاً الطريق، جارا عن القصد واشتد بهما العطش، فماتا جميعاً عطشاً، وصار - مسلم بن عقيل - ومن معه إلى الماء، وقد كادوا أن يهلكوا عطشاً.

فكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين ابن عليّ من مسلم بن عقيل،

أما بعد - فإنني خرجتُ من المدينة مع دليلين استأجرتهما فضلاً عن الطريق واشتد بهما العطش فماتا، ثم إنا صرنا إلى الماء بعد ذلك، وقد كدنا أن نهلك فنجونا بحشاشة أنفسنا، وقد أصبنا الماء بموضع يقال له : «المضيق» وقد تطيرت من وجهي الذي وجهتني فيه، فأريك في اعفائي عنه والسلام.

فلما ورد كتابه على الحسين علم أنه قد تشام وتطير من موت الدليلين، وأنه جزع، فكتب إليه : «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلى مسلم بن عقيل،

أما بعد - فقد خشيتُ أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ، والاستعفاء من وجهك هذا الذي أنت فيه إلا الجبن والفشل، فامض لما أمرت به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فلما وردَ كتاب الحسين على مسلم كأنه وجد من ذلك في نفسه،

فقال : لقد نسبني أبو عبدالله إلى الجبن والفشل ، وهذا شيء لم أعرفه من نفسي ساعة قط .

ثم سار من موضعه ذلك يريد «الكوفة» ، فإذا هو برجل يرمي الصيد فنظر إليه مسلم فإذا هو رمى ظبياً فصصره ، فقال : نصرع أعداءنا إن شاء الله ، وأقبل حتى دخل الكوفة ، فنزل في دار «مسلم بن المسيب» ، وهي دار «المختار بن أبي عبيد الثقفي» ، فجعلت الشيعة تختلف إليه ، وهو يقرأ عليهم كتاب - الحسين - والقوم يكون شوقاً إلى مقدم الحسين ، ثم تقدم إلى مسلم رجل من همدان يقال له : «عابس الشاكري» ، فقال : أما بعد - فإني لا أخبرك عن الناس بشيء ، فإني لا أعلم ما في أنفسهم ، ولكن أخبرك عما أنا موطن عليه نفسي ، إني ، والله لا جيبنكم إذا دعوتكم ، ولأقاتلن معكم عدوكم ، ولاضربن بسيفي دونكم أبداً ، حتى ألقى الله ، وأنا لا أريد بذلك إلا ما عنده ، ثم قام «حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعسي» ، فقال : أنا ، والله ، الذي لا إله إلا هو ، لعلي مثل ما أنت عليه ، وتتابع «الشيعة» على مثل كلام هذين الرجلين ، ثم بذلوا الأموال فلم يقبل مسلم منهم شيئاً .

قال : وبلغ - النعمان بن بشير - قدوم مسلم بن عقيل الكوفة ، واجتماع الشيعة إليه ، والنعمان يومئذ أمير الكوفة ، فخرج من قصر الإمارة مغضباً حتى دخل المسجد الأعظم ، ونادى بالناس فاجتمعوا إليه ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد - يا أهل الكوفة ! فاتقوا الله ربكم ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها سفك الدماء وقتل الرجال ، وذهاب الأموال ، واعلموا أنني لست أقاتل إلا من قاتلني ، ولا أثب إلا على من واثب عليّ ؛ ولا أنبه نائمكم ولا أحرش يقظانكم ؛ ولا آخذ بالقرف والظنة والتهمة ، غير أنكم قد ابديتهم صفحتكم ، ونقضتم بيعتكم ، وخالفتم

إمامكم، فإن أنتم انتهيتم عن ذلك، ورجعتم وإلا فوالذي، لا إله إلا هو لا ضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن منكم لي ناصر، مع اني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يريد الباطل.

فقام إليه - مسلم بن سعيد الحضرمي -، فقال: أيها الأمير! أصلحك الله، إن هذا الذي عليه من رأيك إنما هو رأي المستضعفين، فقال له النعمان: يا هذا! لئن اكونن من المستضعفين في طاعة الله تعالى أحبُّ إلي من أن أكون من الغاوين في معصية الله، ثم نزل عن المنبر، ودخل «قصر الامارة».

فكتب عبدالله بن مسلم إلى يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله يزيد أمير المؤمنين من شيعته من - أهل الكوفة -،

أما بعد - فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن علي، وهم خلقٌ كثير فإن كان لك حاجة بالكوفة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ فيها أمرك، ويعمل فيها كعملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير ضعيف أو هو يتضعف، والسلام.

وكتب إليه أيضاً - عمارة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط؛ وعمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك، فلما اجتمعت الكتب عند يزيد، دعا بغلام كان كاتباً عند أبيه يقال له: «سرجون» فأعلمه بما ورد عليه، فقال: أشير عليك بما تكره، قال: وإن كرهت، قال: استعمل - عبيد الله بن زياد - على الكوفة، قال: إنه لا خير فيه، وكان يبغضه، فأشر بغيره، قال: لو كان معاوية حاضراً، أكنت تقبل قوله وتعمل بقوله؟ قال: نعم، قال: فهذا عهد عبيد الله على الكوفة، أمرني معاوية أن أكتبه فكتبته وخاتمه عليه، فمات وبقي العهد عندي، قال: ويحك، فامضه.

وكتب: من عبدالله يزيد أمير المؤمنين الى عبيدالله بن زياد سلام عليك.

أما بعد - فإنَّ الممدوح مسبوب يوماً، وإنَّ المسبوب ممدوح يوماً، ولك ما لك، وعليك ما عليك، وقد انتميت ونميت إلى كلِّ منصب كما قال الأول:

رفعت فما زلت السحاب تفوقه فمالك إلا مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلي بالحسين زمانك من بين الأزمان، وأبتلي به بلدك من بين البلدان، وابتليت به بين العمال، وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تعبد كما تعبد العبيد، وقد أخبرتني شيعتي من أهل الكوفة أن مسلم بن عقيل بالكوفة، يجمع الجموع، ويشق عصا المسلمين، وقد اجتمع إليه خلق كثير من - شيعة أبي تراب -، فإذا أتاك كتابي هذا، فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها فقد ضمنتها إليك وجعلتها زيادة في عملك - وكان عبيد الله أمير البصرة -، وانظر أن تطلب مسلم بن عقيل كطلب الحرد، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو أقتله إن لم يُبايع. واعلم أنه لا عذر لك عندي، وما أمرتك به فالعجل العجل، والوحاء الوحاء، والسلام.

ثمَّ دفع يزيد كتابه إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره أن يسرع السير إلى عبيد الله، فلما ورد الكتاب إلى عبيد الله، وقرأه أمر بالجهاز وتهياً للمسير إلى الكوفة، وقد كان الحسين ﷺ كتب إلى رؤساء أهل البصرة مثل: الأحنف بن قيس؛ ومالك بن مسمع؛ والمنذر بن الجارود؛ وقيس بن الهيثم؛ ومسعود بن عمرو؛ وعمرو بن عبيد الله بن معمر؛ يدعوهم لنصرته والقيام معه في حقه لكل واحد كتاباً فكل من قرأ كتاب الحسين كتمه إلا - المنذر بن الجارود - فإنه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيساً من ابن زياد، وكانت بحرة بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد، فأتى ابن زياد وأخبره فغضب، وقال: من رسول الحسين إلى أهل البصرة؟ فقال المنذر: رسوله إليهم مولى يقال له: «سليمان»، قال: فعليَّ به، فأتى به

وكان مختفياً عند بعض الشيعة بالبصرة، فلماً رآه ابن زياد لم يكلمه بشيء دون أن قدمه فضرب عنقه صبراً، ثم أمر بصلبه، ثم صعد المنبر، وقال: يا أهل البصرة! إني نكل بمن عاداني، سمام لمن نابذني، وإني لا تقرن بي الصعبة، ولا يققع لي بالشنان، قد انصف القارة من رامها.

يا أهل البصرة! إن أمير المؤمنين يزيد قد ولاني الكوفة، وأنا سائر إليها غداً، وقد استخلفت عليكم أخي - عثمان بن زياد - فإياكم والخلاف والارجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني أن رجلاً منكم خالف لاقتلته؛ وعريفه، ووليه، ولأخذن الأقصى بالادنى حتى تستقيموا لي، فلا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد أشبهه من بين وطأ الحصا؛ ولم يترعني شبه خال ولا عم.

فلما كان من الغد نادى في الناس، وخرج من البصرة يريد «الكوفة» ومعه: أبو قتيبة مسلم بن عمرو الباهلي؛ والمندر بن الجارود العبدي، وشريك بن عبدالله الهمداني، فلم يزل يسير حتى بلغ قريباً من الكوفة، ثم نزل فلماً أمسى وجاء الليل دعا بعمامة سوداء، فاعتجر بها متلثماً، ثم تقلد سيفه، وتوشح قوسه، وتنكب كنانته، وأخذ في يده قضيباً، واستوى على بغلة له شهباء، وركب أصحابه، وسار حتى دخل الكوفة من طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة، والناس يتوقعون قدوم الحسين.

فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو في ذلك يسلم عليهم، وهم لا يشكون في أنه - الحسين بن علي -، فهم يمشون بين يديه ويقولون: مرحباً بك، يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم، فرأى عبيد الله من تباشير الناس ما ساءه، فسكت ولم يكلمهم ولا رد عليهم شيئاً.

فتكلم مسلم بن عمرو الباهلي، فقال: إليكم عن الأمير، ياتراية!

فليس هذا من تظنون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، فتفرق الناس عنه، وتحصن النعمان بن بشير منه، وهو يظن: أنه الحسين، فجعل يناشده الله والفتنة، وهو ساكت من وراء الحائط.

ثم قال له: افتح الباب لعنك الله، فسمعها جماعة، فقالوا: ابن مرجانة والله، ففتحوا الباب وتفرق الناس، ونودي بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج ابن زياد وقام خطيباً، فقال: إن أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم، وأمرني بانصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم، والشدة على مريبكم، وأنا متبع أمره، ومنفذ فيكم عهده، وأنا لمحبتكم ومطيعكم كالوالد البر، وسيفي وسوطي على من ترك أمري.

وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقاتله، فانتقل من موضعه حتى أتى دار - هانئ بن عروة المرادي -، فدخل ثم أرسل إليه: إني أتيتك لتجيرني وتأويني، فإن ابن زياد قد قدم الكوفة، وأنا أتقيه على نفسي، فخرج إليه هانئ، وقال: قد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني، غير أنني أجد ذلك عاراً عليّ بأن رجلاً أتاني مستجيراً فلا أجيره، فانزل على بركة الله، وجعل عبيد الله يسأل عن مسلم فلا يجد أحداً يرشده إليه، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم في دار هانئ بن عروة المذحجي، ويبايعون الحسين سراً، ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم ويأخذ عليهم العهود أنهم لا ينكثون ولا يغدرون، حتى بايعه ما ينيف على عشرين ألفاً، وهم مسلم أن يشب بعبيد الله بن زياد، فمنعه من ذلك هانئ بن عروة، فقال له: جعلت فداك، لا تعجل، فإن العجلة لا خير فيها.

ودعا عبيد الله بن زياد مولى له، يقال له: «معقل»، فقال: هذه ثلاثة

ألف درهم، خذها إليك، والتمس مسلم بن عقيل حيثما كان بالكوفة، فإذا عرفت موضعه، فادخل إليه وأعلمه أنك من شيعة، وعلى مذهبه، وادفع إليه هذه الدراهم، وقل له: استعن بها على عدوك، فإنك إذا دفعت إليه هذه الدراهم: وثق بك، واطمأن إليك، ولم يكتمك من أمره شيئاً، ثم اغد عليّ بالأخبار عنه.

فأقبل معقل حتى دخل المسجد الأعظم، فنظر إلى رجل من الشيعة، يقال له: «مسلم بن عوسجة الأسدي»، فجلس إليه ثم قال له: يا عبد الله! إني رجل من أهل الشام، غير أنني أحبُّ أهل هذا البيت، وأحبُّ من يحبهم، ومعي ثلاثة آلاف درهم أحببت أن أدفعها إلى رجل بلغني أنه قد قدم إلى بلدكم هذا، يأخذ البيعة لابن بنت رسول الله، فإن رأيت أن تدلني عليه حتى أدفع هذا المال إليه وأبايه، وإن شئت فخذ بيعتي له قبل أن تدلني عليه.

فطن مسلم بن عوسجة أن القول على ما يقوله، فأخذ عليه الأيمان والعهود أنه ناصح، وأنه يكون مع مسلم بن عقيل على ابن زياد، فأعطاه معقل من العهود ما وثق بها مسلم بن عوسجة، ثم قال له: انصرف عني الآن يومي هذا حتى أنظر في ذلك، فانصرف عنه.

ونزل - شريك بن عبدالله الأعور الهمداني - عند هانئ بن عروة، وكان شريك شيعياً، وكان يرى رأي علي عليه السلام، ثم مرض شريك في دار هانئ، وعزم ابن زياد على أن يصير إليه عائداً، فدعا شريك مسلماً، وقال له: غداً يأتيني هذا الفاسق عائداً، وإني شاغله لك في الكلام، فإذا فعلت ذلك فاخرج إليه من هذه الداخلة، واقتله واجلس في «قصر الامارة»، وإن أنا عشت فإنني ساكفك أمر «البصرة» إن شاء الله.

ثم جاء ابن زياد حين أصبح عائداً، فجعل يسأله، وهم مسلم أن يخرج عليه فيقتله، فمنعه صاحب المنزل هانئ، وقال له: جعلت فداك، إن في داري نسوة وصبية، وإني لا آمن الحدثان، فأمسك مسلم عن ذلك، وجعل شريك يرمق الداخلة وينشد:

ما الانتظار بسلمى أن تحييها فحيّ سلمى وحيّ من يحييها
ثم اسقنيها وإن تجلب عليّ ردى فتلك أحلى من الدنيا وما فيها

وفي رواية: أنه كان يقول: أسقوني شربتي، ولو كان فيها منيتي، من غير أن يقول البيتين، فقال ابن زياد: ما يقول الشيخ؟ فقليل: إنه مبرسم، فوقع في قلب ابن زياد شيء، فركب من ساعته، ورجع إلى القصر، وخرج مسلم إلى شريك من داخل الدار، فقال شريك: ما منعك من الخروج إلى هذا الفاسق؟ وقد أمرتك بقتله، وشغلته لك بالكلام، فقال: منعني من ذلك حديث سمعته من عمي عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «الإيمان قيد الفتك»، على أني لم أحب أن أقتله في منزل هذا الرجل، فقال له شريك: لو قتله لقتلت فاسقاً فاجراً منافقاً كافراً.

فلم يلبث شريك بعد ذلك ثلاثة أيام، حتى مات (رحمه الله)، وكان من خيار الشيعة وعبّادها، غير أنه كان يكتُم ذلك إلا عن من يثق به من إخوانه.

فخرج ابن زياد وصلى عليه، ورجع إلى قصره، فلما كان من الغد أقبل معقل إلى مسلم بن عوسجة، فقال له: إنك قد كنت وعدتني أن تدخلني على هذا الرجل، فأدفع إليه هذا المال، فما الذي بدا لك من ذلك؟ فقال له: إنا اشتغلنا بموت هذا الرجل، شريك بن عبد الله، وقد كان من خيار الشيعة، ويتولى أهل هذا البيت، فقال له معقل: ومسلم بن عقيل في

منزل هانئ بن عروة، فقال له: نعم، هو في منزل هانئ بن عروة، فقال معقل: قم بنا إليه حتى أدفع له هذا المال، فأخذ بيده وأدخله على مسلم بن عقيل فرحب به مسلم وأدناه، وأخذ بيعته، وأمر أن يقبض ما معه من المال. وأقام معقل في منزل هانئ بن عروة يومه، حتى إذا أمسى انصرف إلى ابن زياد فأخبره بأمر مسلم فبقي ابن زياد متعجباً، وقال لمعقل: انظر أن تختلف إلى مسلم في كل يوم، ولا تنقطع عنه، فإنك إن قطعت استرابك، وتنحى عن منزل هانئ إلى منزل آخر، فالقى في طلبه عناء.

ثم دعا عبيد الله محمد بن الأشعث؛ وأسماء بن خارقة الفزاري؛ وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانت - رويحة بنت عمرو - تحت هانئ بن عروة، فقال: أخبروني: ما الذي يمنع هانئ بن عروة من المصير إلينا؟ فقالوا: إنه مريض أصلح الله الأمير، فقال ابن زياد: إنه كان مريضاً غير أنه برا، وجلس على باب داره، فلا عليكم أن تصيروا إليه، وتأمره أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا، فإني لا أحب أن تفسد عندي منزلة مثله من أشرف العرب، فقالوا: نفعل ذلك.

فبينا عبيد الله مع القوم في هذه المحاورة، إذ دخل رجل من أصحابه، يقال له: - مالك بن يربوع التميمي -، فقال: أصلح الله الأمير، ها هنا خبر، فقال ابن زياد: ماذا؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي، إذ نظرت رجلاً خرج من الكوفة مسرعاً، يريد البادية فأنكرته، ثم إنني لحقته وسألته عن حاله؟ فذكر: أنه من المدينة فنزلت عن فرسي، وفتشته فأصبت معه هذا الكتاب.

فاخذه ابن زياد فإذا منه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين ابن علي: أما بعد، فإني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة ما ينيف على

عشرين ألفاً، فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإنَّ الناس كلهم معك، وليس لهم في يزيد بن معاوية هوى ولا رأي، والسلام.

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه الكتاب؟ قال: هو بالباب، قال: آتوني به، فأدخل فلما وقف بين يدي ابن زياد، قال له: من أنت؟ قال: مولى لبني هاشم، قال: ما اسمك؟ قال: عبدالله بن يقطر، قال: مَنْ دفع إليك هذا الكتاب؟ قال: امرأة لا أعرفها، فضحك ابن زياد، وقال: اختر واحدة من اثنتين: إما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب؛ أو تقتل.

فقال: أما الكتاب، فإني لا أخبرك من دفعه إليّ، وأما القتل فإني لا أكرهه، لأنني لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم أجراً من قتل يقتله مثلك، فامر ابن زياد فضرب عنقه صبراً.

قال: ثمَّ أقبل على محمد بن الأشعث؛ وعمرو بن الحجاج؛ وأسماء ابن خارجة، فقال: صيروا إلى هاني بن عروة المذحجي، فسلوه: أن يصير إلينا، فإنَّا نريدُ مناظرته، فركب القوم ثمَّ صاروا إلى هاني فوجدوه جالساً على باب داره، فسَلَّموا عليه، وقالوا: ما يمنعك من إتيان هذا الأمير، فقد ذكرك غير مرّة؟ فقال: ما منعي، والله، من المصير إليه إلاَّ العلة التي كانت بي، فقالوا: صدقت، ولكنه بلغه أنك تقعد على باب دارك في كلِّ عشية، وقد استبطأك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان من مثلك، لأنَّك سيدٌ في قومك، ونحن نقسم عليك إلاَّ ركبت معنا إليه.

فدعا هاني بشيابه فلبسها، ثمَّ دعا ببغلة فركبها، وسار مع القوم إلى باب قصر الامارة فكان نفسه أحست بالشر، فالتفت إلى - حسان بن أسماء - فقال: يا بن أخي! إنَّ نفسي تحدثني بالشر، فقال له حسان: سبحان الله،

يا عم! ما أتخوف عليك؟ فلا تحدثن نفسك بشيء من هذا، ثم دخل القوم على ابن زياد فلما نظر إليهم من بعيد، التفت إلى شريح القاضي وكان عنده في مجلسه فقال: أتتكم بخائن رجلاه تسعى، ثم التفت إلى هانيء فأنشد:

أريد حياته ويريد قتلي عذيري من خليل من مراد

فقال هانيء: وما ذاك، أيها الأمير؟ فقال إيهأ يا هانيء جئت بمسلم بن عقيل، وجمعت له الرجال والسلاح في الدار حولك، وظننت أن ذلك يخفى علينا فقال: ما فعلت، قال: بلى، فعلت، قال: ما فعلت، قال ابن زياد: أين معقل؟ فجاء معقل حتى وقف بين يديه، فقال ابن زياد: أتعرف هذا يا هانيء؟ فنظر هانيء إلى معقل فعلم أنه كان عيناً عليهم، وأنه أخبر ابن زياد عن مسلم، فقال: أصلح الله الأمير، ما بعثت إلى مسلم، ولا دعوته، ولكنه جاءني مستجيراً فاستحييت من رده، وأخذني من ذلك ذمام. فأما إذا قد علمت، فخل سبيلي حتى أرجع إليه، وأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء، وأعطيك من العهود والمواثيق بها، إني أرجع إليك، وأضع يدي في يدك، فقال ابن زياد: لا والله، لا تفارقني أبداً أو تأتيني بمسلم بن عقيل؟ فقال: إذن، والله، لا آتيك بضيفي فتقتله، أكون هذا في العرب؟ فقال ابن زياد: والله، لتأتيني به، فقال هانيء: لا والله لا آتيك به أبداً.

فتقدم مسلم بن عمرو الباهلي فقال: أصلح الله الأمير، أئذن لي في كلامه، فقال: كلمه بما أحببت، ولا تخرجه من القصر، فأخذ مسلم بن عمرو الباهلي بيد هانيء بن عروة فنحاه ناحية، ثم قال له: ويحك يا هانيء! أنشدك الله أن تقتل نفسك، وتدخل البلاء على عشيرتك بسبب مسلم بن عقيل، يا هذا! سلمه إليه، فإنه لا يقدم عليه بالقتل أبداً. وأخرى فإنه سلطان، وليس عليك في ذلك عار ولا منقصة.

فقال هانئ: بلى، والله، عليّ في ذلك أعظم العار، والسبّة، وأكبر الخزي، أن أسلم جاري وضيّفي، ورسول ابن رسول الله ﷺ، وأنا حي صحيح، شديد الساعدين، كثير الأعوان، والله، لو لم أكن إلا وحدي لا ناصر لي لما أسلمت أبداً ضيّفي حتّى أموت من دونه.

فردّه مسلم بن عمرو الباهلي إلى ابن زياد، فقال له: أيها الأمير! إنه قد أبى أن يسلم مسلماً أبداً أو يقتل كما يزعم، فغضب ابن زياد، ثمّ قال: والله لتأتين به، أو لأضربن عنقك، فقال: إذن والله، تكثر البارقة حول دارك، فقال ابن زياد: أبا البارقة تخوفني؟ ثمّ أخذ قضيباً كان بين يديه، فضرب به وجه هانئ فكسر أنفه، وشج حاجبه، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد، فجاذبه ذلك الرجل، ومنعه من السيف، فصاح ابن زياد: خذوه، فاخذوه والقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب.

ثم وثب - أسماء بن خارجة - فقال له: أيها الأمير! إنك أمرتنا أن نأتيك بالرجل، فلما جئناك به هشمت وجهه، وأسلت دمه، فقال: وأنت ههنا أيضاً، ثمّ أمر به فضرب حتّى وقع لجنبه، فجلس أسماء بن خارجة ناحية من القصر، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، إلى نفسي أنعاك ياهانئ!.

قال: وبلغ ذلك - بني مذحج - فركبوا بأجمعهم وعليهم - عمرو بن الحجاج الزبيدي - فوقفوا بباب القصر، ونادى عمرو: يا عبيد الله! هذه فرسان مذحج لم تخلع طاعة، ولم تفرّق جماعة، فلم تقتل صاحبنا؟ فقال ابن زياد لشريح القاضي: أدخل عليّ صاحبهم، فانظر إليه، ثمّ أخرج إليهم فأعلمهم أنه لم يقتل، قال شريح: فدخلتُ عليه، فقال: ويحك هلكت

عشيرتي، أين أهل الدين فلينقذوني من يد عدوهم وابن عدوهم؟ ثم قال والدماء تسيل على لحيته: يا شريح! هذه أصوات عشيرتي، أدخل منهم عشرة ينقذوني، فلما خرجت تبعني حمير بن بكير^(١) وقد بعثه ابن زياد عيناً عليّ، فلولا مكانه لكنت أبلغ أصحابه ما قال، ثم خرج شريح، فقال: ياهؤلاء! لا تعجلوا بالفتنة، فإن صاحبكم لم يُقتل، فانصرف القوم.

ثم خرج ابن زياد حتى دخل المسجد الأعظم، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فنظر إلى أصحابه عن يمين المنبر وشماله، في أيديهم الأعمدة والسيوف المسلّلة، فقال:

أما بعد - يا أهل الكوفة! فاعتصموا بطاعة الله؛ وطاعة رسول الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا وتفرّقوا، فتهلكوا وتندموا، وتذلّوا وتقهرُوا وتحرموا، ولا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر، فما أتمّ الخطبة حتى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ ف قيل له: أيها الأمير! الحذر الحذر، فهذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جمعٍ ممن بايعه، فنزل عن المنبر مسرعاً، وبادر حتى دخل القصر، وأغلق الأبواب.

وأقبل مسلم بن عقيل في وقته ذلك، ومعه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام والسهل الشاك، وهم في ذلك يشتمون ابن زياد ويلعنون أباه، وكان شعارهم: يامنصور! أمت، وكان قد عقد مسلم ابن عقيل - لعبدالله الكندي - على كندة، وقدمه أمام الخيل، وعقد - لمسلم بن عوسجة - على مذحج وأسد، وعقد - لأبي ثمامة بن عمر الصائدي - على تميم وهمدان، وعقد - للعباس بن جعدة الجدلي - على أهل المدينة، وأقبل مسلم يسير حتى خرج في - بني الحرث بن كعب - ثم خرج على مسجد

(١) كذا في النسخة والمعروف حمران بن بكير.

الانصار حتى أحاط بالقصر، وليس في القصر إلا نحو من ثلاثين رجلاً من الشرط، ومقدار عشرين من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وركب أصحاب ابن زياد واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً، وابن زياد في جماعة من الأشراف قد وقفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس.

قال: وجعل رجل من أصحاب ابن زياد يقال له: - كثير بن شهاب -؛ ومحمد بن الأشعث؛ والققعقاع بن شور؛ وشبث بن ربعي، ينادون فوق القصر بأعلى أصواتهم: ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شيعة الحسين بن علي الله، الله في أنفسكم وأهليكم وأولادكم، فإن جنود أهل الشام قد أقبلت، وإن الأمير عبيد الله قد عاهد الله: لئن أنتم أقمت على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا، ليحرمنكم العطاء، وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذن البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى منكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال أمرها.

فلما سمع ذلك الناس جعلوا يتفرقون، ويتخاذلون عن مسلم بن عقيل، ويقول بعضهم لبعض ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، فينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم.

قال: وكانت المرأة تأتي أخاها وأباها أو زوجها أو بنيتها فتشرده، ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضي فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة من أصحابه، واختلط الظلام فدخل مسلم المسجد الأعظم ليصلي المغرب فتفرق عنه العشرة، فلما رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد اثخن بالجراحات، لا يدري أين يذهب؟ حتى صار إلى امرأة يقال لها: «طوعة»، وقد كانت قبل ذلك أم ولد للأشعث بن قيس فتزوجها رجل من «حضر موت» يقال له «أسيد الحضرمي»

فولدت له «بلال بن أسيد»، وكانت المرأة واقفة على باب دارها تنتظر ابنها، فسلم عليها مسلم فردت عليه السلام، فقال: يا أمة الله! اسقيني فسقته، فجلس على بابها، فقالت له: يا عبد الله! ما شأنك؟ أليس قد شربت، قال: بلى، والله، ولكن مالي بالكوفة منزل، وإني لغريب قد خذلني من كنت أثق به، فهل لك في معروف تصطنعني إليه؟ فإني رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافأ بالإحسان؟

قالت: فكيف ذلك؟ ومن أنت؟ فقال: يا هذه ذري عنك التفتيش في هذا الوقت، وادخليني منزلك، فعسى الله أن يكافئك عنا بالحسنة، فقالت: يا عبد الله! أخبرني باسمك، ولا تكتمني شيئاً من أمرك فإني أكره أن تدخل منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه فتنة قائمة، وهذا ابن زياد بالكوفة، فأخبرني: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت المرأة: قم فادخل رحمك الله.

فادخلته منزلها وجاءته بمصباح، ثم جاءته بطعام فأبى أن يأكل، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فلما دخل رأى من أمه أمراً منكراً من دخولها ذلك البيت، وخروجها منه، وهي باكية، فقال لها: يا أماه! ما قصتك؟ فقالت له: يا بني! أقبل على شأنك، فالح عليها، فقالت: يا بني! إذا أخبرتك بشيء فلا تفشه لأحد، فقال لها: قل لي: ما أحببت. فقالت: مسلم بن عقيل في ذلك البيت، وكان من قصته كذا وكذا، فسكت الغلام ولم يقل شيئاً، ثم أخذ مضجعه ونام، فلما أصبح ابن زياد نادى في الناس: أن يجتمعوا، ثم خرج من القصر فدخل المسجد ثم صعد المنبر، فقال: أيها الناس! إن مسلم بن عقيل السفیه الجاهل أتى هذا البلد، وأظهر الخلاف، وشق عصا المسلمين، وقد برأت الذمة من رجل أصبناه في داره،

ومن جاء به، فله ديته، والمنزلة الرفيعة من أمير المؤمنين، وله كل يوم حاجة مقضية، ثم نزل عن المنبر ودعا - الحصين بن نمير السكوني -، فقال له: ثكلتك أمك! إن فاتتك سكة من سكك الكوفة، ولم تضيق على أهلها، أو يأتوك بمسلم بن عقيل، فوالله لو خرج من الكوفة سالماً لتزهقن أنفسنا في طلبه، فانطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها، فانصب المراصد، وخذ في الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل.

وأقبل - محمد بن الأشعث - حتى دخل على عبيد الله بن زياد فلما رآه، قال: مرحباً بمن لايتهم في مشورة، وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في دارها الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره: بمكان مسلم، فقال: اسكت إذن، ولا تخبر أحداً، وأقبل عبد الرحمن إلى أبيه فساره في أذنه: بأن مسلم في منزل طوعة، ثم تنحى.

فقال ابن زياد: ما الذي قال لك عبد الرحمن؟ فقال: أصلح الله الأمير، البشارة الكبرى، قال: وما تلك؟ فمثلك من يبشر بخير، فأخبره بذلك، فسرّ عدو الله وقال له: قم فأتني به، ولك ما بذلت من الجائزة الكبرى، والخط الأوفى، ثم أمر ابن زياد خليفته - عمرو بن حريث المخزومي - أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه، فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل، فسمع مسلم وقع حوافر الخيل، وأصوات الرجال، فعلم أنه قد أتى، فبادر مسرعاً إلى فرسه، فأسرجه وأجمه، وصب عليه درعه، واعتجر بعمامته، وتقلّد سيفه، والقوم يرمون الدار بالحجارة، ويلهبون النار في هوارى القصب، فتبسم مسلم ثم قال: يانفسي! اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص ولا محيد.

ثم قال للمرأة: رحمك الله، وجزاك خيراً، اعلمي أنني ابتليتُ من قبل ابنك، فافتحي الباب ففتحته، وخرج مسلم في وجوه القوم كالأسد المغضب، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل جماعة، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى محمد بن الأشعث: سبحان الله، أبا عبد الرحمن! بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم من أصحابك ثلثة عظيمة، فأرسل إليه محمد ابن الأشعث: أيها الأمير! أظن أنك بعثتني إلى بقال من بقال الكوفة أو جرمقاني من جرامقة الحيرة، أفلا تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسدٍ ضرغام؛ وبطل همام؛ في كفه سيف حسام، يقطر منه الموت الزؤام؟ فأرسل إليه ابن زياد: أن اعطه الأمان فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان المؤكد بالآيمان.

فجعل محمد بن الأشعث يناديه: ويحك، يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان، فيقول مسلم: لا حاجة لي في أمان الغدرة الفجرة وينشد:

أقسمتُ لا أُقتلُ إلا حراً	وإن رأيتُ الموتُ شيئاً مرّاً
كل امرئٍ يوماً ملاقٍ شراً	ردّ شعاع النفس فاستقرّاً
أضربكم ولا أخاف ضراً	ضرب همام يستهين الدهراً
ويخلط البارد سخناً مرّاً	ولا أقيم للأمان قدراً

أخافُ أن أُخدع أو أُغرّاً

فناداه محمد بن الأشعث: ويحك، يا مسلم! إنك لن تغر، ولن تخدع والقوم ليسوا بقاتليك، فلا تقتل نفسك، فلم يلتفت إليه، فجعل يقاتلهم حتى أثخن بالجراح، وضعف عن الكفاح، وتكاثروا عليه من كل جانب، وجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة. فقال مسلم: ويلكم، مالكم

ترمونني بالحجارة، كما ترمى الكفار؟ وأنا من أهل بيت النبي المختار، ويلكم، أما ترعون حق رسول الله، ولا حق قريباه، ثم حمل عليهم في ضعفه فهزمهم وكسرهم في الدروب والسكك، ثم رجع وأسند ظهره على باب دار من تلك الدور ورجع القوم إليه فصاح بهم محمد بن الأشعث: ذروه، حتى أكلمه بما أريد، فدنا منه، وقال: ويحك، يا بن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن، ودمك في عنقي، وأنت في ذمتي.

فقال مسلم: أتظن يا بن الأشعث! إني أعطي بيدي، وأنا أقدر على القتال؟ لا، والله، لا يكون ذلك أبداً، ثم حمل عليه فالحقه بأصحابه، ثم رجع إلى موضعه، وهو يقول: اللهم! إن العطش قد بلغ مني فلم يجترئ أحد أن يسقيه الماء ويدنو منه، فقال ابن الأشعث لأصحابه: إن هذا لهو العار والشنار، أتجزعون من رجل واحد هذا الجزع؟ احملوا عليه باجمعكم حملة رجل واحد، فحملوا عليه وحمل عليهم وقصده رجل من أهل الكوفة، يقال له: «بكير بن حمران الأحمر» فاختلفا بضربتين، ضربه «بكير» على شفته العليا، وضربه مسلم فبلغت الضربة جوفه، فأسقطه قتيلاً، وطعن من ورائه فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بني سليم يقال له: «عبيد الله بن العباس» فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربة من الماء؛ فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: لا، والله، لا تذوق الماء، يا بن عقيل! حتى تذوق الموت، فقال له مسلم: ويلك، ما أجفاك، وأفظك، وأقسى قلبك؟ أشهد عليك إن كنت من قريش فإنك ملصق، وإن كنت من غير قريش فأنت دعي، من أنت؟ يا عدو الله! قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح الإمام إذ غششته، وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له مسلم: لأمك الهبل، يا بن

باهلة! أنت أولى بالحميم؛ والخلود في نار الجحيم؛ إذ أثرت طاعة آل أبي سفيان على طاعة آل محمد.

ثم قال: ويحكم، يا أهل الكوفة! اسقوني شربةً من ماء، فأتاه غلام لعمر بن حريث المخزومي بقلعة فيها ماء وقدح من قوارير، فصب القلعة في القدح وناولوه، فأخذ مسلم القدح بيده، فكلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيته في القدح، فامتنع من شرب ذلك الماء.

وفي رواية: أن محمد بن الأشعث لما أعطاه الأمان رمى بسيفه، فأخذه وحملوه على بغلة فدمعت عيناه، فقال محمد: إني لأرجو أن لا بأس عليك، فقال: ويحك، ما هو إلا الرجاء، فإين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى فقال - عبيد الله بن العباس السلمي -: من يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي، فقال: إني، والله، ما على نفسي أبكي، لكنني أبكي على أهلي المقبلين إليكم، أبكي على الحسين وآل الحسين.

ولما ركب على البغلة ونزع منه السيف استرجع وقال: هذا أولُ الغدر، وآيس من نفسه، وعلم أن لا أمان له من القوم، فقال لمحمد بن الأشعث: إني لأظنك أن تعجز عن أمانني، أفستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يبلغ حسيناً فإني لا أراه إلا قد خرج إلى ما قبلكم، هو وأهل بيته، فيقول له: إن مسلماً بعثني إليك، وهو أسير في يد العدو، يذهبون به إلى القتل، فارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل. إن أهل الكوفة قد كذبوني، فكتبتُ إليك وليس لمكذوب رأي، فقال محمد: والله، لأفعلن، ودعا - بإياس الطائي - وكتب معه إلى الحسين ما قاله مسلم عن لسان مسلم، وأعطاه راحلة

وزاداً، فذهب فاستقبل الحسين بزبالة، وكان مسلم حين تحول إلى دار هانيئ كتب إلى الحسين كتاباً ذكر فيه: كثرة من بايعه، فهو قوله: كذبوني فكتبت إليك، ثم أتني به فأدخل على ابن زياد فأوقف ولم يسلم عليه، فقال له الحرسي: سلّم على الأمير، فقال مسلم: أسكت لا أم لك مالك والكلام ماهو لي بأمير فاسلّم عليه، وأخرى ما ينفعني سلامي وهو يريد قتلي، فإن استبقاني فسيكثر.

فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أو لم تسلم، فإنّك مقتول، فقال مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيراً مني، ثمّ قال له: إن القوم قد آمنوني، فقال محمد بن الأشعث إني قد آمنتك، فقال ابن زياد: وما أنت وذاك؟ كاني إنما أرسلتك لتؤمنه، ثمّ قال لمسلم: يا شاق ياعاق! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة، فقال: كذبت يا ابن زياد إنما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما ألقح الفتنة أنت وأبوك زياد بن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّ بريته، فوالله، ما خلعت وما غيرت، وإنما أنا في طاعة الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد، فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟ فقال مسلم: الله يعلم أني ما شربتها قط، وأحق مني بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة والظن، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! منتك نفسك أمراً حال الله دونه، وجعله لأهله، فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال له: يزيد بن معاوية، فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم، فقال ابن زياد:

أتظن أن لك من الأمر شيئاً، فقال: لا، والله، ما هو بالظن ولكنه اليقين، فقال ابن زياد له: قتلني الله إن لم أقتلك شر قتلة، فقال له مسلم: أما أنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الفعلة لأحد غيرك أولى منك، والله، لو كان معي عشرة ممن أثق بهم، وقدرت على شربة ماء، لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت قد عزمت على قتلي فأقم لي رجلاً من قريش حتى أوصي إليه بما أريد.

ثم نظر مسلم إلى - عمر بن سعد بن أبي وقاص -، فقال له: إن بيني وبينك قرابة فاسمع مني، فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمك؟ فقام عمر إليه، فقال له مسلم: أوصيك بتقوى الله فإن التقوى درك كل خير، ولي إليك حاجة، فقال عمر: قل ما أحببت، فقال: حاجتي إليك أن تسترد فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه، وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم هذا، وأن تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق، فتواريني في التراب، وأن تكتب للحسين: أن لا يقدم، فينزل به ما نزل بي، فقال عمر بن سعد: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا، فقال ابن زياد: يا بن عقيل! أما ما ذكرت من دينك فإنما هو مالك، تقضي به دينك ولنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأما جسدك فإننا إذا قتلناك فالخيار لنا ولنا نبالي ما صنع الله بجثتك، وأما الحسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه.

وفي رواية: أنه قال: وأما الحسين فلا ولا كرامة، ولكن أريد أن تخبرني يا بن عقيل! لماذا أتيت أهل هذا البلد، وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرق عليهم أمرهم، وتحمل بعضهم على بعض؟ فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن - أباك - قتل

خيارهم، وسفك دماءهم، وأن معاوية حكم فيهم ظلماً بغير رضى منهم، وغلّبهم على ثغورهم التي أفاء الله بها عليهم، وأن عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسرى وقيصر، فأتينا لنامر بالعدل، وندعو إلى الحكم بكتاب الله إذ كنا أهله، ولم تزل الخلافة لنا، وإن قهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لانكم أول من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً، إلا قول الله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ الشعراء/ ٢٢٧.

قال: فجعل ابن زياد يشتمه، ويشتم علياً؛ والحسن؛ والحسين، فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتم والسب، فاقض ما أنت قاض يا عدو الله! فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء، فقال ابن زياد: اصعدوا به إلى أعلى القصر، واضربوا عنقه، واتبعوا رأسه جسده، فقال مسلم: أم والله، يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم لما قتلتنى، ولكنك ابن أبيك، فازداد ابن زياد غضباً، ودعا برجل من أهل الشام قد كان مسلم ضربه على رأسه ضربة منكرة، فقال له: خذ مسلماً إليك واصعده إلى أعلى القصر، وأضرب أنت عنقه بيدك، ليكن ذلك أشفى لصدرك.

قال: فأصعد مسلم إلى أعلى القصر، وهو يسبح الله ويستغفره، ويقول: اللهم! احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا، حتى أتى به إلى أعلى القصر، فتقدم ذلك الشامي، وضرب عنقه، ثم نزل الشامي وهو مذعور مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك أقتلته؟ قال: نعم، إلا أنه عرض عارض، فأنا به مرعوب، قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيت ساعة قتلتة رجلاً بحذائي: أسود شديد السواد؛ كرية المنظر، عاضاً على إصبعه أو قال شفته، ففزعت منه فزعاً لم أفزع مثله قط، فتبسم ابن زياد، وقال: دهشت

من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك .

قال : ثم أمر ابن زياد بهانئ بن عروة أن يخرج فيلحق بمسلم بن عقيل ، فقال محمد بن الأشعث : أصلح الله الأمير ! إنك قد عرفت منزلته في مصر ، وشرفه وعشيرته ، وقد علم به قومه أني وأسماء بن خارجة جئنا به إليك ، فانشدك الله أيها الأمير ! إلّا وهبته لي ، فإنني أخاف عداوة أهل بيته فإنهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عدداً ، قال : فزبره ابن زياد وأخرج هانئ إلى السوق إلى موضع تباع فيه الغنم وهو مكتوف ، فعلم هانئ أنه مقتول ، فجعل يقول : وامدحجاه ! وأين مني مذحج ؟ واعشيرتاه ! وأين مني عشيرتي ؟ ثم أخرج من الكتاف يده للمدافعة ، وقال : أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش به الرجل عن نفسه ، فوثبوا إليه وشدوه ، ثم قالوا له : أمدد عنقك ، فقال : ما أنا بها سخي ، ولا بمعينكم على نفسي ، فضربه غلام تركي لعبيد الله بن زياد بالسيف ضربة لم يصنع بها شيئاً ، فقال هاني : إلى الله المعاد والمنقلب ، اللهم ! إلى رحمتك ورضوانك ، اللهم ! اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي ، فإنني إنما غضبت لابن نبيك محمد ﷺ ، فتقدم إليه أيضاً الغلام التركي واسمه «رشيد» فضربه فقتله .

ثم أمر ابن زياد بمسلم وبهانئ فصلبا منكسين .

٢- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي ، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي ، عن أبيه ، أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو عمرو بن السماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا عمرو ابن دينار ، قال : أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، وكان مثل الأسد لقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت إلى أن

قُتِلَ بالكوفة . عدنا إلى ما نحن فيه .

٣- قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في «تاريخه» : ولما صَلَبَ مسلم

ابن عقيل ؛ وهانئ بن عروة ، قال فيهما عبدالله بن الزبير الاسدي :

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري	إلى هانئ بالسوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه	وآخر يهوي من طمار قتيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه	ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحي من فتاة حية	واقطع من ذي شفرتين صقيل
وأشجع من ليث بخفان مصحر	وأجراً من ضار بغابة غيل
أصابهما أمرُ الأمير فأصبحا	أحاديث من يسري بكل سبيل
أيركب أسماء الهماليج آمناً	وقد طلبته مذحج بدعول
تطوف حواليه مراد وكلهم	على رقبة من سائل رؤسول
فإن أنتم لم تثاروا لأخيكم	فكونوا بغايا أرسيت بقليل

قال : ثم كتب ابن زياد إلى يزيد : بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله

يزيد - أمير المؤمنين - من عبيد الله بن زياد : الحمد لله الذي أخذ لامير المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوه ، ثم ذكر قدوم مسلم بن عقيل ، وذكر هانئ بن عروة ، وكيف أخذهما ؟ وكيف قتلتهما ؟ ثم قال : وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن حية الوداعي ؛ والزبير بن الأرواح التميمي ، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة ، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب ، فإنَّ عندهما علماً وفهماً وصدقاً وورعاً .

فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً نصبهما على باب دمشق ، ثم كتب

لابن زياد :

أما بعد - فإنك عملت عمل الحازم ، وصلت صولة الشجاع الرابط

الجاهل، فكفيت ووفيت، وقد سألتُ رسولك فوجدتهما كما زعمت، وقد أمرت لكل واحد منهما بعشرة آلاف درهم وسرّحتهما إليك، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني: أن الحسين بن علي قد عزم على المصير إلى العراق، فضع المراسد والمناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظن، واقتل على التهمة، واكتب في ذلك إليّ كل يوم بما يحدث من خبر.

قال: وبلغ الحسين: أن مسلم بن عقيل قد قُتل، وذلك أنه قدم عليه رجل من أهل الكوفة، فسأله: عن مسلم؟ فقال: واللّه، يابن رسول الله! ما خرجت من الكوفة، حتى نظرت إلى مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة المذحجي، قتيلين جميعاً مصلوبين منكسين في سوق القصابين، وقد وجه برأسيهما إلى يزيد.

فاستعبر الحسين باكياً، ثم قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وعزم على المسير إلى العراق، فدخل عليه - عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي -، فقال: يابن رسول الله! أتيتك لحاجة أريد أن أذكرها لك، وأنا غير غاش لك فيها، فهل لك أن تسمعها؟ فقال: «قل: ما أحببت» فقال: أنشدك الله، يابن عم! أن لا تخرج إلى العراق، فإنهم من قد عرفت، وهم أصحاب أبيك، وولاتهم عندهم، وهم يجبون البلاد، والناس عبيد المال، ولا آمن أن يقاتلك من كتب إليك يستقدمك.

فقال الحسين: «سأنظر فيما قلت، وقد علمت أنك أشرت بنصح، ومهما يقض الله من أمر فهو كائن البتة، أخذت برأيك أم تركت» فانصرف عنه عمر بن عبد الرحمن، وهو يقول:

ربّ مستنصح سيعصي ويؤذي ونصيح بالغيب يلفي نصيحا

وقدم ابن عباس في تلك الايام إلى مكة، وقد بلغه أن الحسين عزم

على المسير، فاتى إليه ودخل عليه مسلماً، ثم قال له: جعلت فداك! إنه قد شاع الخبر في الناس، وارجفوا بأنك سائر الى العراق، فبين لي ما أنت عليه؟ فقال: «نعم، قد أزمعت على ذلك في أيامي هذه إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، فقال ابن عباس: أعيذك بالله، من ذلك فإنك إن سرت إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، واتقوا عدوهم، ففي مسيرك إليهم لعمرى الرشاد والسداد، وإن سرت إلى قوم دعوك إليهم، وأميرهم قاهر لهم، وعمالهم يجبون بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب والقتال، وأنت تعلم أنه بلد قد قُتل فيه أبوك؛ واغتيل فيه أخوك؛ وقتل فيه ابن عمك، وقد بايعه أهله، وعبيد الله في البلد يفرض ويعطي، والناس اليوم عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن تُقتل، فاتق الله والزم هذا الحرم، فإن كنت على حال لا بد أن تشخص، فصر إلى اليمن فإن بها حصوناً لك، وشيعة لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس.

فقال الحسين: «لا بد من العراق»، قال: فإن عصيتني فلا تخرج أهلك ونساءك، فيقال: إن دم عثمان عندك وعند أبيك، فوالله، ما آمن أن تقتل ونسائك ينظرن كما قُتل عثمان.

فقال الحسين: «والله يابن عم! لئن أقتل بالعراق أحب إلي من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون».

وأقبل إليه - عبدالله بن مطيع العدوي -، فقال: جعلت فداك، يابن رسول الله! لا تخرج إلى العراق فإن حرمتك من الله حرمة، وقرابتك من رسول الله قرابة، وقد قتل ابن عمك بالكوفة، وإن بني أمية إن قتلوك لم يردعوا عن حرمة الله أن ينتهكوها، ولم يهابوا أحداً بعدك أن يقتلوه، فوالله، الله، أن تفجعنا بنفسك، فلم يلتفت الحسين إلى كلامه.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ، يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ! لَوْ كَانَ لِي بِالْعِرَاقِ مِثْلُ شِيعَتِكَ لَمَا أَقَمْتُ بِمَكَّةَ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَوْ أَنَّكَ أَقَمْتَ بِالْحِجَازِ مَا خَالَفَكَ أَحَدٌ، فَعَلَى مَاذَا نَعْطِي هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا، وَنُطْمَعُهُمْ فِي حَقِّنَا، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَهُمْ أَبْنَاءُ الْمُنَافِقِينَ؟ قَالَ: وَكَانَ هَذَا الْكَلَامَ مَكْرًا مِنْ ابْنِ الزَّبِيرِ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بِالْحِجَازِ أَحَدٌ يَنَاقِيهِ، فَسَكَتَ عَنْهُ الْحُسَيْنُ وَعَلِمَ مَا يُرِيدُ.

ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِمَا أَشَارَ عَلَيْهِ أَوَّلًا، وَنَهَاةً أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَنْ يَخْرُجَ بِنِسَائِهِ وَأَهْلِهِ فَيَقْتُلَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، كَمَا قُتِلَ عُثْمَانُ وَأَهْلُهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَقْدِرُونَ لَهُ عَلَى حِيلَةٍ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ، يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ! لَقَدْ أَقَرَّرْتُ عَيْنِي ابْنَ الزَّبِيرِ بِخُرُوجِكَ عَنْ مَكَّةَ، وَتَخْلِيَتِكَ إِيَّاهُ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ، فَهُوَ الْيَوْمَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِذَا خَرَجْتَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بَعْدَكَ. فَقَالَ الْحُسَيْنُ: «فَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْظُرَ مَا يَكُونُ» فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاحْسِينَاهُ! ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مَرَّ بِابْنِ الزَّبِيرِ فِي طَرِيقِهِ، وَقَالَ لَهُ:

يَا لَكَ مِنْ قَبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ	خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِضْيٍ وَاصْفَرِي
وَنَقَرِي مَا شِئْتُ أَنْ تَنْقَرِي	إِنْ ذَهَبَ الصَّائِدُ عَنْكَ فَابْشُرِي
قَدْ رَفَعَ الْفَخَّ فَمَا مِنْ حَذَرٍ	هَذَا الْحُسَيْنُ سَائِرٌ فَانْتَشُرِي

ثُمَّ قَالَ لَهُ: قَرَّتْ عَيْنَاكَ يَا بَنَ الزَّبِيرِ! فَهَذَا الْحُسَيْنُ يَخْرُجُ إِلَى الْعِرَاقِ، وَيَخْلِيكَ وَالْحِجَازَ، وَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْمَدِينَةِ، وَبَلَّغَهُمْ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ -:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ:
أَمَا بَعْدَ - فَإِنِّي أَنْشِدُكَ اللَّهَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ، فَإِنِّي خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ

هذا الامر الذي قد ازمعت عليه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، فإنك إن قُتلت خفت أن يطفأ نور الله، فانت علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق، فإني آخذ لك الأمان من يزيد ومن جميع بني أمية لنفسك ولمالك وأولادك وأهلك، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

«أما بعد - فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت مافيه، اعلم أنني قد رأيتُ جدي رسول الله ﷺ في منامي، فأخبرني بأمر أنا ماض له؛ كان لي الأمر أو عليّ، فوالله، يابن عم! لو كنتُ في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني حتى يقتلونني، ووالله، ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، والسلام».

وكتب إليه - عمرو بن سعيد بن العاص - من المدينة:

أما بعد - فقد بلغني أنك قد عزمْتَ على الخروج إلى العراق، ولقد علمت ما نزل بابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته، وأنا أعيذك بالله تعالى من الشقاق، فإني خائف عليك منه، ولقد بعثت إليك بأخي - يحيى بن سعيد - فأقبل إليّ معه، فلك عندنا الأمان والصلة، والبر والإحسان وحسن الجوار، والله بذلك عليّ شهيد ووكيل، وراعٍ وكفيل، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

«أما بعد - فإنه لم يشاق من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال: إنني من المسلمين، وقد دعوتني إلى البر والإحسان، وخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لا يخافه في الدنيا، ونحن نسأله لك ولنا في هذه الدنيا عملاً يرضى لنا يوم القيامة، فإن كنت بكتابك هذا إليّ أردت بري وصلتي، فجزيت بذلك خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام».

ثم أتى كتاب من يزيد بن معاوية إلى عمرو بن سعيد، يأمره فيه : أن يقرأه على أهل الموسم وفيه :

يا أيها الراكب الغادي لطيته	على عذافرة في سيرها قحمة
أبلغ قریشاً على ناي المزار بها	بيني وبين الحسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت ينشده	عهد الإله وما توفي به الذم
عنيتم قومكم فخراً بأمكم	أم لعمرى حصان عمها الكرم
هي التي لا يداني فضلها أحدٌ	بنت الرسول وكلُّ الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم	من قومكم لهم من فضلها قسم
إني أظن وخير القول أصدقه	والظن يصدق أحياناً ويتنظم
إن سوف يترككم ما تدعون به	قتلى تهاداكم العقبان والرحم
يا قومنا! لا تشبوا الحرب إذ سكنت	واستمسكوا بحبال الخير واعتصموا
قد عضت الحرب من قد كان قبلكم	من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تشمخوا بذخاً	فربّ ذي بذخ زلت به القدم

وأتى مثله إلى - أهل المدينة - من قریش وغيرهم ، قال الشعبي : لكأنه ينظر إلى مصارع القوم ، قال : فوجه أهل المدينة بهذه الأبيات إلى الحسين ، ولم يعلموه أنها من يزيد ، فلما نظرها الحسين علم أنها منه ، وكتب إليهم في الجواب : «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ يونس / ٤١ .

٤- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي ، عن شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد ، عن والده أحمد بن الحسين البيهقي ، أخبرنا أبو محمد عبدالله السكري - ببغداد - ، أخبرنا إسماعيل بن أحمد الصفار ، حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا ابن

عينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاووس، قال: سمعتُ - ابن عباس - يقول: استشارني الحسين بن علي في الخروج من مكة، فقلت: لولا أن يزري بي وبك لتشبث بيدي في رأسك، قال: فقال: «ما أحبُّ أن تستحلَّ بي» - يعني: مكة.

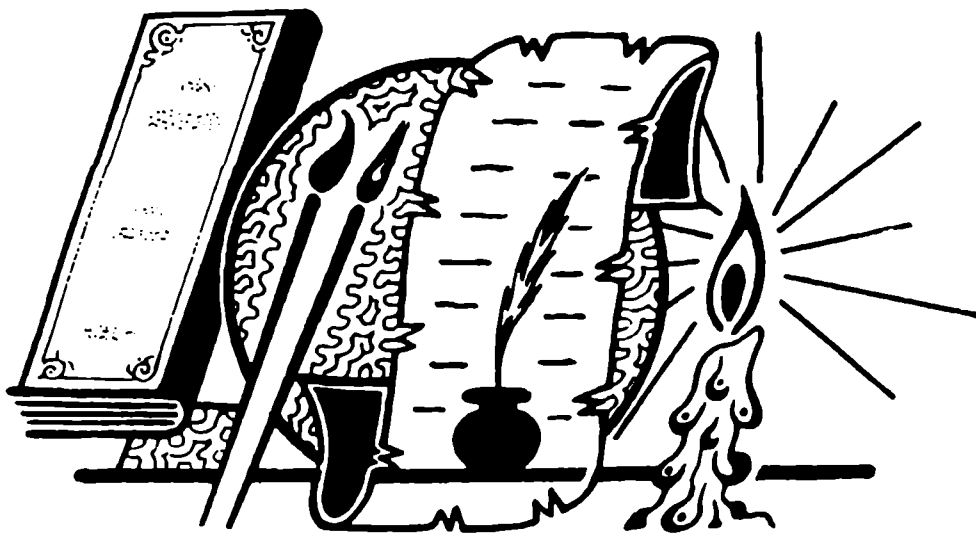
٥- قال: وبهذا الإسناد، عن والدي، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبدالله بن شريك، عن بشر بن غالب، قال: قال عبدالله بن الزبير للحسين بن علي عليه السلام: أين تذهب إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك؟! فقال له الحسين: «لأن أقتل بمكان كذا وكذا، أحبُّ إليَّ من أن تُستحلَّ بي» - يعني: مكة.

[انتهى «الفصل العاشر» والحمد لله رب العالمين]



الفصل الحادي عشر

في خروجه من مكة
الى العراق وما جرى عليه في
طريقه ونزوله بالطف من كربلاء ومقتله عليه السلام



١- قال الإمام الأجل والشيخ المبجل أحمد بن أعثم الكوفي في «تاريخه»: «ثُمَّ جَمَعَ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَصْحَابَهُ الَّذِينَ عَزَمُوا عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الْعِرَاقِ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: عَشْرَةَ دَنَانِيرَ، وَجَمَلًا يَحْمِلُ عَلَيْهِ رَحْلَهُ وَزَادَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ، وَطَافَ بِالصُّفَا وَالْمُرُوءَةِ، وَتَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ، فَحَمَلَ بَنَاتِهِ وَأَخْوَاتَهُ عَلَى الْمَحْمَلِ، وَفَصَلَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ - يَوْمَ التَّرْوِيَةِ - لثَمَانِ مَضِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَمَعَهُ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ شِيعَتِهِ وَمَوَالِيهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

فَلَمَّا خَرَجَ اعْتَرَضَهُ أَصْحَابُ الْأَمِيرِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَجَالَدَهُمْ بِالسِّيَاطِ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، وَصَاحُوا عَلَى أَثَرِهِ: «أَلَا تَتَّقِ اللَّهَ تَخْرُجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ؟ وَتَفْرُقُ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فَقَالَ الْحُسَيْنُ: «لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ»، وَسَارَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَتَّى مَرَّ «بِالتَّنْعِيمِ» فَلَقِيَ هُنَاكَ عَيْرًا تَحْمِلُ الْوَرَسَ وَالْحُلَّ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ مِنْ عَامِلِهِ بِالْيَمَنِ - بِحَيْرِ بْنِ رِيسَانَ الْحَمِيرِيِّ -، فَأَخَذَ الْحُسَيْنُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الْإِبِلِ: «لَا أَكْرَهُكُمْ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ

يمضي معنا للعراق أوفيناه كراه، وأحسننا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا، أعطيناه من الكرى ما قطع من الأرض».

فمن فارقه منهم حوسب وأوفاه حقه، ومن مضى معه أعطاه كراه وكساه، ثم سار حتى إذا صار «بذات عرق» لقيه رجل من - بني أسد - يقال له: بشر بن غالب، فقال له الحسين: «ممن الرجل؟» قال: من بني أسد، قال: «فمن أين أقبلت؟» قال: من العراق، قال: «فكيف خلفت أهل العراق؟» فقال: يا بن رسول الله! خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية، فقال له الحسين: «صدقت يا أخا بني أسد! إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد»، فقال له الاسدي: يا بن رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ الإسراء/ ٧١، فقال له الحسين عليه السلام: «نعم، يا أخا بني أسد! هما إمامان: إمام هدى دعا إلى هدى؛ وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنة، وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار».

قال: واتصل الخبر - بالوليد بن عتبة - أمير المدينة: بأن الحسين بن عليّ توجه إلى العراق، فكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد: فإن الحسين ابن عليّ قد توجه إلى العراق، وهو ابن فاطمة البتول، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فاحذر يا بن زياد! أن تأتي إليه بسوء فتتهيج على نفسك في هذه الدنيا مالا يسده شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا.

قال: فلم يلتفت عدو الله إلى كتاب الوليد بن عتبة.

٢- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد الحافظ أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب،

حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا يحيى بن إسماعيل الأسدي، قال: سمعتُ الشعبي يحدث، عن ابن عمر: أنه كان بماء له، فبلغه: أن - الحسين بن علي - توجه إلى العراق، فلحقه على مسيره ثلاث ليال، فقال له: أين تريد؟ قال: «العراق» وإذا معه طوامير وكتب، فقال: «هذه كتبهم وبيعتهم». فقال: لا تأتهم، فأبى، فقال: إني محدثك حديثاً: أن جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله فخيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وأنتم بضعة من رسول الله لا يليها أحد منكم، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، قال: فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى، وقال: أستودعك الله من قتل.

٣- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان [ح] قال أحمد بن الحسين: أخبرنا عبد الله بن يحيى، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا أحمد بن منصور بن عبد الرزاق، أخبرنا سفيان بن عيينة، حدثنا لبطة بن الفرزدق، عن أبيه الفرزدق بن غالب قال: خرجنا حجاجاً، فلماً كنا «بالصفاح» إذا نحن بركب عليهم اليلامق^(١) ومعهم الدرق، فلماً دنوتُ منهم، إذا أنا بالحسين بن علي عليه السلام فقلت: أبو عبد الله! وسلمت عليه.

فقال: «ويحك، يافرزدق! ما وراك؟» فقلت: خير، أنت أحبُّ الناس إلى الناس، والقضاء في السماء، والسيوف مع بني أمية، ثم فارقناه وسرنا، فلما قضينا حجنا وكنا - بمى -، قلنا: لو أتينا عبد الله بن عمرو فسألناه عن الحسين، وعن مخرجه، فأتينا منزله فإذا نحنُ بصبية له سود

(١) اليلامق: جمع يلمق وهو القباء.

مولدين، فقلنا: أين أبوكم فقالوا: في الفسطاط يتوضأ، فلم يلبث أن خرج إلينا، فسألناه عن الحسين ومخرجه، فقال: أما إنه لا يحيك^(١) فيه السلاح، فقلت له: أتقول هذا فيه، وأنت بالأمس تقاتله وأباه؟ فسبني فسببته، وخرجنا من عنده، فأتينا ماءً لنا، يقال له: «تعشار» فجعل لا يمر بنا أحد إلا سألناه عن الحسين حتى مرَّ بنا ركب، فسألناهم: ما فعل الحسين؟ قالوا: قتل، فقلت: فعل الله - بعبد الله بن عمرو - وفعل.

وفي رواية - عبد الرزاق - قال: فرفعت يدي، وقلت: اللهم! افعل بعبد الله بن عمرو إن كان قد سخر بي.

قال الحميدي: قال سفيان: أخطأ الفرزدق التأويل، إنما أراد - عبد الله بن عمر - وبقوله: لا يحيك فيه السلاح: أنه لا يضره السلاح مع ما قد سبق له، ليس أنه لا يُقتل، كقولك: حاك في فلان ما قيل فيه.

٤- وبهذا الإسناد، قال أحمد بن الحسين: والذي يؤكد قول سفيان من اعتقاد - عبد الله بن عمرو - في الحسين بن علي، ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني مسلم بن الفضل الأدمي - بمكة -، حدثني أبو شعيب الحراني، حدثني داود بن عمرو، حدثني علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: كنتُ في مسجد رسول الله ﷺ في حلقة فيها: أبو سعيد الخدري؛ وعبد الله بن عمرو بن أنعاص، فمرَّ بنا - الحسين بن علي - فسَلَّم فرَدَّ عليه القوم، فسكت عبد الله بن عمرو حتى إذا فرغوا رفع عبد الله بن عمرو صوته، فقال: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته، ثمَّ أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحبَّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هذا هو المقتفي، والله، ما كلمني بكلمة من

(١) يحيك: أي يؤثر.

ليالي صفين، ولأن رضي عني أحبُّ إلي من أن تكون لي حمر النعم.

٥- وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي: أن الفرزدق إنما لقيه «بالشقوق» فسلم عليه الفرزدق، ثم دنا منه فقبل يده، فقال له الحسين: «من أين أقبلت يا أبا فراس؟» فقال: من الكوفة يا بن رسول الله! قال: «فكيف خلفت أهل الكوفة؟» قال: خلفت قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل في خلقه ما يشاء، فقال له الحسين: «صدقت وبررت، إن الأمر لله تبارك وتعالى كل يوم هو في شأن، فإن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلن يبعد من الحق بغيته».

فقال الفرزدق: جعلت فداك يا بن رسول الله؟ كيف تركن إلى أهل الكوفة، وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته؟ فاستعبر الحسين باكياً، ثم قال: «رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيته وغفرانه ورضوانه، أما إنه قضى ما عليه، وبقي ما علينا». ثم أنشأ في ذلك يقول:

«فإن تكن الدنيا تعدُّ نفيسة	فإن ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت	فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً	فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها	فما بال متروك به المرء يبخل؟

ثم ودعه الفرزدق في نفر من أصحابه، ومضى يريد مكة، فأقبل عليه ابن عم له من - بني مجاشع -، فقال له: يا أبا فراس أهذا الحسين بن علي؟ فقال له الفرزدق: هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى عليه السلام، هذا والله، خيرة الله وأفضل من مشى على وجه الأرض من خلق الله، وقد

كنتُ قلتُ فيه أبياتا قبل اليوم، فلا عليك أن تسمعها، فقال له ابن عمه:
أنشدنيها يا أبا فراس! فأنشده:

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
مشتقة من رسول الله نبعته
إذا رآته قريش قال قائلها
ينمي الى ذروة العز التي قصرت
يكاد يمسه عرفان راحته
يغضي حياء ويغضي من مهابته
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته
الله شرفه قدماً وعظمه
فليس قولك من هذا بضائره
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما
من جدّه دان فضل الانبياء له
سهل الخليفة لا تخشى بواده
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته
عمّ البرية بالإحسان فانقشعت
من معشر حبههم دين وبغضهم
يستدفع السوء والبلوى بحبههم
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمّت

والبيت يعرفه والحلُّ والحرم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
بجدّه أنبياء الله قد خُتموا
طابت عناصره والخيم والشيم
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
عن نيلها عرب الإسلام والعجم
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فلا يكلم إلا حين يبتسم
كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
جرى بذاك له في لوحه القلم
العرب تعرف من أنكرت والعجم
تستو كفان ولا يعرفوها العدم
وفضل أُمته دانت له الأمم
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حلوا الشمائل تحلو عنده نعم
رحب الفناء أريب حين يعتزم
عنها الغيابة والإملاق والعدم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
ويستزاد به الإحسان والنعم
أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

يا بى له أن يحل الذمّ ساحتهم خيم كريم وأيد بالندى هضم
لا يقبض العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا أو له نعم؟
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأم

قال: ثم قال الفرزدق لابن عمه: قد قلت فيه هذه الأبيات غير متعرض لمعروفه، ولكن أردت الله تبارك وتعالى والدار الآخرة والفوز والنعيم^(١).

وذكر غيره: إن الحسين بن علي عليه السلام دخل المسجد الحرام وقت ما كان بمكة، وهو يخطر في مشيته، فقال الفرزدق: من هذا؟ ف قيل: الحسين بن علي، فقال: حق له، ثم وقف عليه فأنشده الأبيات.

٦- قال الإمام أحمد بن أعثم: ثم مضى «الحسين» فلقبه «زهير بن القين»، فدعاه الحسين إلى نصرته فأجابه لذلك، وحمل إليه فسطاطه، وطلق امرأته، وصرفها إلى أهلها، وقال لأصحابه: إني كنت غزوت «بلنجر» مع «سلمان الفارسي» فلما فتح علينا اشتد سرورنا بالفتح، فقال لنا سلمان: لقد فرحتم بما أفاء الله عليكم، قلنا: نعم، قال: فإذا أدركتم شباب آل محمد عليهم السلام فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه منكم بما أصبتم اليوم، فانا استودعكم الله تعالى، ثم ما زال مع الحسين حتى قُتل.

٧- قال: ولما نزل الحسين «بالخزيمية» قام بها يوماً وليلة فلما أصبح جاءت إليه أخته «زينب بنت علي» فقالت له: يا أخي! ألا أخبرك بشيءٍ

(١) قال الأربلي: الذي أظن أنها قالها في مدح الحسين ثم أنشدها في إبنه علي بمكة حين سال هشام عنه كما هي مشهورة.

سمعتُه البارحة؟ فقال لها: «وما ذاك يا أختاه؟» فقالت: إني خرجتُ البارحة في بعض الليل لقضاء حاجة، فسمعت هاتفاً يقول:

الا يا عين فاحتفلي بجهد فمن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا بمقدار إلى انجاز وعد
فقال لها الحسين: «يا أختاه! كلُّ ما قضي فهو كائن»، وسار الحسين حتى نزل «الثعلبية» وذلك في وقت الظهيرة، ونزل أصحابه فوضع رأسه فأغفى، ثمَّ انتبه باكياً من نومه، فقال له ابنه «علي بن الحسين»: «ما يبكيك يا أبة؟ لا أبكي الله عينيك»، فقال له: «يابني! هذه ساعة لا تكذب فيه الرؤيا، فاعلمك أني خفقتُ برأسي خفقة، فرأيتُ فارساً على فرس وقف عليّ وقال: يا حسين! إنكم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة، فعلمتُ أنَّ أنفسنا نعت إلينا»، فقال له ابنه عليّ: «يا أبة! أفلسنا على الحق؟» قال: «بلى، يابني! والذي إليه مرجع العباد»، فقال ابنه عليّ: إذن لا نبالي بالموت، فقال له الحسين: «جزاك الله يابني! خير ما جزى به ولداً عن والده».

ولما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة، يكنى - أبا هرة الأزدي - قد أتاه فسلمَّ عليه، ثمَّ قال له: يابن رسول الله! ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرَم جدِّك محمد ﷺ؟ فقال له الحسين: «يا أبا هرة! إنَّ بني أُمِّيَّة قد أخذوا مالي فصبرت، وشتَموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، يا أبا هرة! لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسَنهم الله تعالى ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطن الله عليهم من يذلَّهم، حتَّى يكونوا أذلَّ من قوم «سبأ» إذْ ملكتهم امرأة منهم، فحكمت في أموالهم ودمائهم».

ثمَّ سار الحسين حتى نزل «قصر بني مقاتل» فإذا هو بفسطاط

مضروب، ورمح مركوز، وسيف معلّق، وفرس واقف على مذود^(١)، فقال الحسين: «لمن هذا الفسطاط؟» ف قيل: لرجل يقال له: «عبيد الله بن الحر الجعفي»، فأرسل إليه الحسين برجل من أصحابه، يقال له: «الحجاج بن مسروق الجعفي» فأقبل حتى دخل عليه في فسطاطه، فسلم عليه فردّ عليه عبيد الله السلام، ثمّ قال له: ما وراءك؟ قال: ورائي، والله، يا ابن الحر! الخير، إنّ الله تعالى قد أهدى إليك كرامة عظيمة إن قبلتها، فقال عبيد الله: ماذا؟ قال الحجاج: هذا - الحسين بن علي - يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن قتلت استشهدت، فقال عبيد الله: والله، يا حجاج! ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها لا أنصره، فإنه ليس له فيها: شيعة؛ ولا أنصار، إلا مالوا إلى الدنيا وزخرفها، إلا من عصم الله منهم، فارجع إليه وأخبره بذلك.

قال: فجاء الحجاج إلى الحسين وأخبره، فقام الحسين عليه السلام فانتعل، ثمّ صار إليه في جماعة من أهل بيته وإخوانه، فلما دخل عليه وثب عبيد الله بن الحر عن صدر المجلس، وأجلس الحسين فيه، فحمد الله الحسين وأثنى عليه، ثمّ قال:

«أما بعد - يا ابن الحر! فإن أهل مصركم هذا كتبوا إليّ، وأخبروني أنهم مجتمعون على أن ينصروني، وأن يقوموا من دوني، وأن يقاتلوا عدوي، وسألوني القدوم عليهم، فقدمتُ ولست أرى الأمر على ما زعموا، لأنهم قد أعانوا على قتل ابن عمي - مسلم بن عقيل - وشيعته، وأجمعوا على - ابن مرجانة - عبيد الله بن زياد، مبايعين ليزيد بن معاوية، يا ابن الحر! إنّ الله تعالى مؤاخذك بما كسبت وأسلمت من الذنوب في الأيام الخالية، وإنّي

(١) المذود: معتلف الفرس.

أدعوك إلى توبة تغسل ما عليك من الذنوب، أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أعطينا حقنا حمدنا الله تبارك وتعالى على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحق.

فقال له عبيد الله: يا بن رسول الله! لو كان بالكوفة لك شيعة وانصار يقاتلون معك لكنت أنا من أشدهم على عدوك، ولكن يا بن رسول الله! رأيتُ شيعتك - بالكوفة - قد لزموا منازلهم خوفاً من سيوف - بني أمية -، فأنشدك الله، يا بن رسول الله! أن تطلب مني غير هذه المنزلة، وأنا أواسيك بما أقدر عليه، خذ إليك فرسي هذه «الملحفة» فوالله، إني ما طلبت عليها شيئاً قط إلا وقد لحقته، ولا طلبت قط وأنا عليها فادركت، وخذ سيفي هذا، فوالله ما ضربت به شيئاً إلا أذقته حياض الموت.

فقال له الحسين: «يا بن الحر! إنا لم نأتك لفرسك وسيفك، إنما أتيناك نسألك النصرة، فإن كنت بخلت علينا في نفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك، ولم أكن بالذي اتخذ المضللين عضداً، لاني قد سمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول: من سمع بواعية أهل بيتي ثم لم ينصرهم على حقهم كبه الله على وجهه في نار جهنم».

ثم قام الحسين من عنده وصار إلى رحله، وندم عبيد الله بن الحر على ما فاتته من صحبة الحسين ونصرته، فأنشأ يقول:

أيا لك حسرة ما دمتُ حياً	تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولاً	اتركنا وتعزم بالفراق
حسين حين يطلب بذل نصري	على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهفُ قلب حيٍّ	لهم القلب مني بانفلاق
ولو آسيته يوماً بنفسي	لنلتُ كرامةً يوم التلاق
مع ابن محمد تفديه نفسي	فودع ثم أسرع بانطلاق

لقد فاز الأولى نصرُوا حسيناً وخاب الآخرون ذوو النفاق
قال: ولما وصل كتاب - يزيد - إلى - ابن زياد - أن يأخذ علي - الحسين -
بالمراصد والمسالخ والثغور، أنفذ ابن زياد - للحصين بن نمير التميمي -،
وكان على شرطته أن ينزل القادسية، وينظم المسالخ ما بين «القطقطانية» إلى
«حفان»، وتقدم إلى - الحر بن يزيد الرياحي - أن يتقدم بين يدي الحصين في
ألف فارس، وكان الحسين قد بعث بأخيه من الرضاعة - عبد الله بن يقطر -
إلى أهل الكوفة، فأخذه الحصين وأنفذه إلى ابن زياد، فقال له ابن زياد،
اصعد المنبر فالعن الحسين وأباه، فصعد المنبر ودعا للحسين، ولعن يزيد بن
معاوية؛ وعبيد الله بن زياد؛ وأبويهما، فرمي به من فوق القصر فجعل
يضطرب وبه رمق، فقام إليه - عبد الملك بن عمير اللخمي - فذبحه وليم عبد
الملك، فاعتذر أنه أراد أن يريحه مما فيه من العذاب.

قال: وسار «الحسين» حتى بلغ «زرود» فلقي رجلاً على راحلة له،
وكان الحسين وقف ينتظره، فلما رأى الرجل ذلك عدل عن الطريق فتركه
الحسين ومضى.

قال عبد الله بن سليمان؛ والمندر بن المشعل - الأسديان - : كُنَّا نساء
الحسين، فلما رأينا الحسين وقف للرجل والرجل عدل عن طريقه، لحقنا
بالرجل فسلمنا عليه فرد علينا السلام، فقلنا: مَن الرجل؟ قال: أسدي،
قلنا: ونحن أسديان، فما الخبر؟ قال: الخبر، أن مسلم بن عقيل؛ وهاني
ابن عروة، قد قُتلا ورأيتهما يُجران في السوق بأرجلهما، فأقبلنا نساء
الحسين حتى نزل «الثعلبية» ممسياً، فجئناه فسلمنا عليه فردَّ علينا السلام،
فقلنا: رحمك الله، إنَّ عندنا لخبراً إن شئت حدثناك علانية، وإن شئت
سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه، وقال: «مادون هؤلاء سرّاً!» فقلنا له: أرايت

الراكب الذي استقبلته أمس، وعدل عنك، قال: «نعم، وأردت مسألته»، قلنا: فقد والله، استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا: ذو رأي؛ وصدق؛ وعقل، وقد حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل؛ وهاني بن عروة ورآهما يُجران في السوق بأرجلهما، فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما - يردد ذلك مراراً»، فقلنا: ننشذك الله: في نفسك؛ وأهل بيتك؛ وهؤلاء الصبية، إلا أنصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف منهم أن يكونوا عليك.

فنظر الحسين إلى - بني عقيل - فقال لهم: «ماترون فقد قُتل مسلم؟» فبادر بنو عقيل وقالوا: والله، لا نرجع، أيقتل صاحبنا وننصرف؟ لا، والله، لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق صاحبنا، فأقبل علينا، وقال: «لا خير في العيش بعد هؤلاء»، فعلمنا أنه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خار الله لك، فقال: «رحمكما الله تعالى»، فقال له أصحابه: إنك، والله ما أنت بمثل مسلم، ولو قدمت الكوفة ونظر الناس إليك لكانوا إليك أسرع، وما عدلوا عنك ولا عدلوا بك أحداً، فسكت.

قال: ثم سار «الحسين» حتى انتهى إلى «زبالة» فورد عليه هناك مقتل أخيه من الرضاعة - عبد الله بن يقطر -، وكان قد تبع الحسين خلق كثير من المياه التي يمرُّ بها لأنهم كانوا يظنون استقامة الأمور له عليه السلام فلما صار بزبالة قام فيهم خطيباً، فقال: «ألا إن أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، فقتلوهما وقتلوا أخي من الرضاعة، فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منا ذمام»، فتفرق الناس وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة، وإنما

أراد أن لا يصحبه إنسان إلا على بصيرة .

قال : ثم سار منها ، فقال رجل ممن كان معه : الله أكبر ، فقال الحسين : «مَّ كبرت»؟ قال : رأيتُ نخيل الكوفة ، فقال الاسديان : إنَّ هذا مكان ما يرى فيه نخل الكوفة ، قال الحسين : «فما تريانه»؟ قالوا : والله ، نرى أسنة الرماح وآذان الخيل ، فقال : وأنا والله أرى ذلك ، ثم قال عليه السلام : «فهل لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم بوجه واحد»؟ فقالوا : بلى ، هذا «ذو حسم» إلى جنبك تميل إليه عن يسارك ، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد ، فآخذ إليه ذات اليسار ، وأنا معه فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبينناها وعدلنا ، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا ، كأنَّ أسنتهم «اليعاسيب» وكأنَّ راياتهم «أجنحة الطير» ، فاستبقنا إلى ذي حسم ، فسبقناهم إليه ، وأمر الحسين عليه السلام بأبنية فضربت فنزل فيها ، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع - الحر بن يزيد الرياحي التميمي - ، فاتى حتى وقف هو وخيله مقابل - الحسين - في حرِّ الظهيرة ، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسيافهم ، فقال الحسين لأصحابه : «اسقوا القوم ، وأرووهم من الماء ، ورشفو الخيل ترشيفاً .

فسقوهم حتى ارتووا ، وكانوا شاكين في السلاح لا يرى منهم إلا الحدق ، وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ، ثم يدنونها من الفرس ، فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه ، وسقي آخر حتى سقوها عن آخرها .

قال عليُّ بن طعان : فكنت مع الحر يومئذ ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش ، قال لي : «أنخ الراوية» فلم أفهم ، لأنَّ الراوية عندي السقاء ، فقال : «أنخ الجمل» ،

فأنخته، فقال: «اشرب»، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: «أخنت السقاء»، فلم أفهم أنه أراد أعطفه، ولم أدر كيف أفعل؟ فقام فعطفه فشربت وسقيت فرسي، وكان مجيء الحر بن يزيد من «القادسية»، وكان عبيد الله بن زياد بعث الحصين بن نمير وأمره أن ينزل القادسية، ويقدم الحر بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين.

قال: فقال الحسين: «أيها القوم! من أنتم؟» قالوا: نحن أصحاب الأمير عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: «ومن قائدكم؟» قالوا: الحر بن يزيد الرياحي التميمي، فناداه الحسين: «يا حر! ألنا أم علينا؟» قال الحر: بل عليك يا أبا عبد الله! فقال الحسين عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، فلم يزل الحر موافقاً للحسين حتى دنت صلاة الظهر، فقال الحسين للحجاج بن مسروق: «أذن يرحمك الله، وأقم الصلاة حتى نصلي».

فأذن الحجاج للظهر، فلما فرغ صاح الحسين بالحر: «يا بن يزيد! أتريد أن تصلي بأصحابك، وأنا أصلي بأصحابي؟» فقال الحر: لا، بل أنت تصلي، ونحن نصلي بصلاتك يا أبا عبد الله! فقال للحجاج: «أقم»، فأقام وتقدم الحسين للصلاة فصلّى بالعسكرين جميعاً، فلما فرغ وثب قائماً متكئاً على قائم سيفه، وكان في: إزار؛ ورداء؛ ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس! معذرة إليكم أقدمها إلى الله ولي من حضر من المسلمين، إني لم آتكم، وفي رواية: لم أقدم إلى بلدكم حتى أتني كُتُبكم، وقدمت عليّ رسلُكم أن أقدم إلينا، فإنه ليس علينا إمام، فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه وأثق به من عهودكم وموآثيقكم، أدخل معكم إلى مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، ولقدومي عليكم باغضين،

انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي منه جئت إليكم» .

فقال الحرُّ: واللّه، إنا ما ندري بهذه الكتب التي تقول؟ فقال الحسين:

«ياعقبة بن سميان! اخرج إليّ الخرجين» فاخرجهما، وأتى بهما مملوءين من كتب أهل الكوفة، فنثر الكتب بين يديه، فقال الحرُّ: إنا لسنا من هؤلاء، فبيناهم على تلك الحال وإذا كتاب ورد من الكوفة من عبيد الله بن زياد إلى الحر بن يزيد الرياحي: أما بعد - يا حرّ! فإذا أتاك كتابي هذا فجمع بالحسين بن علي، ولا تفارقه حتى تأتيني به، فإنني قد أمرتُ رسولي: أن يلزمك ولا يفاركك حتى تأتي بانفاذ أمري إليك، والسلام.

فلما قرأ الحرُّ الكتاب بعث إلى ثقات أصحابه فدعاهم، ثمَّ قال: ويحكم، إنه قد ورد عليّ كتاب عبيد الله بن زياد يأمرني أن أقدم على الحسين بما يسوءه، ولا واللّه، ماتطاوعني نفسي، ولا تجيبني إلى ذلك أبداً، فالتفت رجل من أصحاب الحر يكنى: «أبا الشعثاء الكندي» إلى رسول ابن زياد، وقال له: فيم جئت ثكلتك أمك؟ فقال له الرسول: أطعت إمامي، ووفيتُ ببيعتي، وجئتُ برسالة أميري، فقال له أبو الشعثاء: لعمري، لقد عصيت ربك، وإمامك، وأهلك نفسك، واكتسبت، واللّه عاراً وناراً، فبشّ الإمام إمامك الذي قال فيه اللّه: ﴿وجعلناهم أئمةً يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ القصص/٤١، ودنت صلاة العصر، فأمر الحسين مؤذنه أيضاً بالأذان فأذّن، وأقام، وتقدّم الحسين فصلّى بالعسكريين، فلما انصرف من صلاته وثب قائماً على قدميه، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمَّ قال:

أما بعد، أيها الناس! فإنكم إن تتقوا اللّه تعالى، وتعرفوا الحق لأهله، يكن رضاء الله عنكم، وإنا أهل بيت نبيكم محمد عليه السلام أولى بولاية هذه الأمور عليكم، من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالظلم والجور

والعدوان، وإن كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم على خلاف ما جاءت به كتبكم، انصرفتُ عنكم».

فاجابه الحرّ - بمثل ما اجاب به أولاً - ثم قال: يا بن رسول الله! أمرنا إن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدم بك على الأمير عبيد الله، فتبسم الحسين، وقال: «يا بن يزيد! الموت أدنى من ذلك»، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: «احملوا النساء ليركن حتى ننظر ما الذي يقدر أن يصنع هذا وأصحابه».

قال: فركبن النساء، وركب أصحاب الحسين لينصرفوا، وساقوا النساء بين أيديهم، فتقدمت خيل - أهل الكوفة - فحالت بينهم وبين المسير، فضرب الحسين بيده إلى سيفه، وصاح بالحرّ: «ثكلتك أمك، يا بن يزيد! ما الذي تريد أن تصنع؟» فقال الحرّ: أما والله، يا أبا عبد الله! لو قالها غيرك من العرب، لرددتها عليه كائناً من كان، ولكن، والله، مالي إلى ذكر أمك من سبيل، غير أنه لا بدّ لي من أن أنطلق بك إلى الأمير.

فقال الحسين: «ادن، والله، لا أتبعك أو تذهب نفسي»، فقال له الحرّ: ادن، والله، لا أفارقك أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي، فقال الحسين: «فذر إذن أصحابك وأصحابي، وابرز إليّ، فإن قتلتنني حملت رأسي إلى ابن زياد، وإن قتلتك أرحتُ الخلق منك»، فقال الحرّ: إني لم أؤمر بقتالك، وإنما أمرتُ أن لا أفارقك، أو أقدم بك على الأمير، وأنا، والله كاره أن يتليني الله بشيء من أمرك، غير أنني أخذتُ بيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنه ما يوافي القيامة أحد من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعة جدك، وإني، والله، لخائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة، ولكن أما أنا يا أبا عبد الله! فلست أقدر على الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ غير الطريق، وامض حيث شئت حتى أكتب إلى الأمير: أن الحسين خالفني

الطريق فلم أقدر عليه وأنا أنشدك الله في نفسك، فقال الحسين: «كأنك تخبرني: بأني مقتول»؟! فقال له: نعم، يا أبا عبد الله! لا أشك في ذلك إلا أن ترجع من حيث جئت، فقال الحسين: «لا أدري، ما أقول لك، ولكني أقول لك: كما قال أخو الأوس، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوفه - ابن عمه - حين لقيه، وقال: أين تذهب؟ فإنك مقتول، فقال له:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى	إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسي الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مذموماً وخالف مجرماً
أقدم نفسي لا أريدُ بقاءها	لتلقى خميساً في النزالِ عرمرماً
فإن عشتُ لم أذم، وإن متُّ لم ألم	كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً

قال: ثم أقبل «الحسين» على أصحابه، فقال: «هل فيكم أحد يخبر الطريق على غير الجادة»؟ فقال - الطرماح بن عدي الطائي -: أنا، يا بن رسول الله! أخبر الطريق، فقال الحسين: «فسر إذن بين أيدينا»، فسار الطرماح واتبعه الحسين وأصحابه، وجعل الطرماح يرتجز ويقول:

ياناقتي! لا تذعري من زجري	وامض بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر	آل رسول الله أهل الفخر
السادة البيض الوجوه الغر	الطاعنين بالرماح السمر
والضاربين بالصفاح البتر	حتى تحلي بكريم النجر
الماجد الحر الرحيب الصدر	أتى به الله لخير أمر
عمره الله بقاء الدهر	وزاده من طيبات الذكر
يامالك النفع معاً والضر!	أيد حسيناً سيدي بالنصر
على الطغاة من بقايا الكفر	أعني اللعينين سليل صخر
وابن زياد العاهر ابن العهر	فأنت يارب به ذو البر

قال ابن أعثم: فتياسر الحسين حتى وصل إلى «عذيب الهجانات» فورد كتاب من عبيد الله بن زياد إلى الحر يلومه في أمر الحسين، ويأمره بالتضييق عليه، فأصبح الحسين من وراء عذيب الهجانات، وإذا الحر قد عارضه أيضاً في جيشه، ومنعه من المسير. فقال له الحسين: «ويلك ما دهاك؟ ألسنت قد أمرتنا أن نأخذ على غير الطريق، فأخذنا وقبلنا مشورتك؟» فقال الحر: صدقت، يا بن رسول الله! ولكن هذا كتاب الأمير ورد عليّ، يؤنبني ويضعفني في أمرك، ويأمرني بالتضييق عليك.

قال الحسين: «فذرنا إذن ننزل بقرية نينوى أو الغاضرية»، فقال له الحر: لا، والله يا أبا عبد الله لا أستطيع ذلك، فقد جعل ابن زياد عليّ عيناً، يطالبني ويؤاخذني بذلك. وفي رواية: قال الحر: لا، والله ما أستطيع ذلك، وهذا رسول ابن زياد معي، وإنما بعثه عيناً عليّ.

فقال للحسين رجل من أصحابه، يقال له: «زهير بن القين البجلي»: يا بن رسول الله! ذرنا نقاتل هؤلاء القوم، فإن قاتلنا إياهم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا معهم بعد هذا، فقال له الحسين: «صدقت، يازهير! ولكن ما كنت لأبدأهم بالقتال حتى يبدأوني»، فقال له زهير: فسر بنا حتى ننزل «بكرلاء» فإنها على «شاطئ الفرات» فنكون هنالك، فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا بالله عليهم، فدمعت عينا الحسين عليه السلام حين ذكر - كربلاء -، وقال: «اللهم! إني أعوذ بك من الكرب والبلاء».

ونزل الحسين في موضعه ذلك، ونزل الحر حذاءه في جنده الذين هم ألف فارس، ودعا الحسين بدواة وبياض وكتب إلى أشرف الكوفة ممن يظن أنه على رأيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليّ إلى سليمان بن صرد؛ والمسيب بن نجة؛ ورفاعة ابن شداد؛ وعبد الله بن وال؛ وجماعة

المؤمنين، أما بعد - فقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد قال في حياته: مَنْ رَأَى
سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله،
يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثُمَّ لَمْ يَغْيِرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، كَانَ حَقِيقاً
عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ
الشَّيْطَانِ، وَتَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ، وَعَظَلُوا
الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ،
وَإِنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ لِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَتَنِي كِتَابُكُمْ،
وَقَدِمْتُ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِيَعْتَكُمْ أَنْكُمْ لَا تَسْلُمُونِي وَلَا تَخَذِلُونِي، فَإِنْ وَفَيْتُمْ
لِي بِبَيْعَتِكُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَظَّكُمْ وَرَشَدَكُمْ، وَنَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي
وَوَلَدِي مَعَ أَهْلِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، فَلَكُمْ بِي أَسْوَةٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ
عَهْدَكُمْ وَنَكَلْتُمْ بَيْعَتَكُمْ، فَلَعَمْرِي، مَا هِيَ مِنْكُمْ بِنَكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي
وَإِخِي وَابْنِ عَمِّي، وَالْمَغْرُورُ مِنْ اغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَاؤُكُمْ وَنَصِيبُكُمْ ضِيعَتُمْ
﴿وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَسِيْغِي اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ الفتح/١٠، وَالسَّلَامُ».

ثُمَّ طَوَى الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى - قَيْسِ بْنِ مَسْهَرٍ الصَّيْدَاوِيِّ -
وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى - الْكُوفَةِ - فَمَضَى قَيْسُ بْنُ مَسْهَرٍ يُرِيدُ الْكُوفَةَ، وَعَبِيدُ اللَّهِ
ابْنُ زِيَادٍ قَدْ وَضَعَ الْمُرَاصِدَ وَالْمَسَالِحَ عَلَى الطَّرِيقِ وَالشَّوَارِعِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ
أَنْ يَجُوزَ، فَلَمَّا قَارَبَ قَيْسُ الْكُوفَةَ، لَقِيَهِ الْحَصِينُ بْنُ نَمِيرٍ السَّكُونِيُّ، فَلَمَّا
نَظَرَ إِلَيْهِ قَيْسٌ كَانَهُ أَحْسَبَ أَنَّهَ يَقْبُضُهُ، فَأَخْرَجَ الْكِتَابَ سَرِيعاً وَمَزَقَهُ، وَأَمَرَ
الْحَصِينُ أَصْحَابَهُ، فَأَخَذُوا قَيْساً وَأَخَذُوا الْكِتَابَ مَمَزَّقاً، حَتَّى أَتَى بِهِ إِلَى ابْنِ
زِيَادٍ وَأَخْبَرَ بِقِصَّتِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَقَالَ: لِمَ خَرَقْتَ الْكِتَابَ الَّذِي مَعَكَ؟
قَالَ: خَوْفاً أَنْ تَعْلَمَ مَا فِيهِ، فَقَالَ: مِمَّنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ، وَإِلَى مَنْ كَانَ؟

قال: من الحسين إلى جماعة من - أهل الكوفة - لا أعرف أسماءهم، فغضب ابن زياد وقال: والله، لا تفارقني حتى تدلني على هؤلاء القوم المكتوب إليهم، أو تصعد المنبر فتلعن حسيناً وأباه وأخاه، فتنجو من يدي، أو لأقطعنك إرباً إرباً، فقال قيس: أما هؤلاء المكتوب إليهم فإني لا أعرفهم، وأما اللعن فإني أفعل، فأمر عبيد الله أن يدخل المسجد الأعظم ويصعد المنبر، وتجمع الناس ليلعن، وتسمع الناس، فأدخل المسجد، وجمع الناس للاستماع، فأصعد المنبر ووثب قائماً عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وأهل بيته، وأكثر الترحم على «علي بن أبي طالب» وولديه «الحسن والحسين» (عليهم الصلاة والسلام) ولعن يزيد بن معاوية وعتاة بني أمية وطغاتهم، وأكثر اللعن على - عبيد الله بن زياد - ثم دعا إلى نصره الحسين وحث الناس عليها، فأخبر ابن زياد بذلك، فأمر أن يصعد به القصر، ويرمى من أعلاه، فأصعد أعلى القصر، ورمى به على أم رأسه، فاندقت عنقه وخرج دماغه من أذنيه، فبلغ ذلك الحسين فاستعبر باكياً، وقال: «اللهم اجعل لنا ولشيعتنا عندك منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك، إنك على كل شيء قدير».

قال: وقال للحسين رجل من شيعته، يقال له: «هلال بن نافع الجملي»: يا ابن رسول الله! أنت تعلم أن جدك رسول الله ﷺ لم يقدر أن يشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى ما كان أحب، فكان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل، حتى قبضه الله تبارك وتعالى إليه، وأن أباك علياً (صلوات الله عليه) قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصرته، وقاتلوا معه الناكثين؛ والقاسطين؛ والمارقين، وقوم قعدوا عنه وخذلوه حتى مضى إلى

رحمة الله ورضوانه وروحه وريحانه، وانت اليوم، يا بن رسول الله على مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه، والله تبارك وتعالى مغن عنه، فسر بنا يا بن رسول الله! راشداً معافى مشرقاً، إن شئت أو مغرباً، فوالله، الذي لا إله إلا هو ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا: نوالي من والاك؛ ونعادي من عاداك.

قال: وقال للحسين آخر من أصحابه، يقال له «برير بن خضير الهمداني»: يا بن رسول الله! لقد من الله تعالى علينا بك أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك رسول الله صلى الله عليه وآله شفيعاً يوم القيامة لنا، فلا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم، أف لهم غداً ما يلاقون، سينادون بالويل والثبور في نار جهنم وهم فيهم مخلدون، فجزاهم الحسين خيراً.

قال: وخرج ولد الحسين وإخوته وأهل بيته حين سمعوا الكلام، فنظر إليهم وجمعهم عنده وبكى، ثم قال: «اللهم! إنا عترة نبيك محمد صلواتك عليه وآله، قد أخرجنا وأزعجنا وطردنا عن حرم جدنا، وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين»، ثم نادى بأعلى صوته في أصحابه: «الرحيل».

ورحل من موضعه ذلك حتى نزل بكربلاء في يوم الأربعاء، أو في يوم الخميس، وذلك اليوم الثاني من محرم من سنة إحدى وستين، فخطب أصحابه هناك، وقال: «أما بعد - فإن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على الستهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»، ثم قال لهم: «أهذه كربلاء؟» قالوا له: نعم، فقال: «هذه موضع كرب وبلاء، ها هنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومسفك دماثنا».

قال: فنزل القوم، وخطوا الاثقال ناحية من الفرات، وضربت خيمة الحسين لاهله وبنيه وبناته، وضربت خيم إخوته وبنو عمه حول خيمته، وجلس الحسين في خيمته يصلح سيفه، ومعه «جون» مولى «أبي ذر الغفاري» فجعل يصلحه ويقول:

يادهر أف لك من خليل	كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب وطالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلي	ما أقرب الوعد من الرحيل
وانما الامر الى الجليل	سبحانه جل عن المثل

قال «علي بن الحسين» عليه السلام: «وجعل أبي يردد هذه الايات فحفظتها منه، وخنقتني العبرة، ولزمت السكوت حسب طاقتي، فاما عمتي «زينب» فلما سمعت بذلك استعبرت وبكت، وكانت ضعيفة القلب، فبان عليها الحزن والجزع، فاقبلت تجر اذيالها إلى الحسين، وقالت: يا أخي! ويا قرّة عيني ليت الموت أعدمني الحياة، يا خليفة الماضين! وثمان الباقيين! فنظر إليها الحسين، وقال: أختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان، فإن أهل السماء يموتون، وأهل الارض لا يبقون، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، فأين أبي وجدي اللذان هما خير مني؟ فلي بهما ولكل مؤمن أسوة حسنة، وعزّأها، ثم قال لها: بحقي عليك، يا أختاه! إذا أنا قتلت، فلا تشقي علي جيّاباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ثم ردها إلى خدرها».

وروي: أنه لما سمعت ذلك أخته «زينب» أو «أم كلثوم» جاءت إلى «الحسين» وقالت: يا أخي! هذا كلام من أيقن بالموت، قال: «نعم يا أختاه»، قالت: إذن، فردنا إلى حرم جدنا، فقال: «يا أختاه! لو ترك القطا لنام»، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، مات جدي رسول الله،

ومات أبي عليّ، وماتت أمي فاطمة، ومات أخي الحسن، وبقي ثمال أهل البيت، واليوم ينعي إليّ نفسه، وبكت فبكت النسوة، ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أخته تنادي: وامحمداه! وأبا القاسماه! اليوم مات جدي محمد، وأبتاه! واعلياه! اليوم مات أبي عليّ، وأماماه! وافاطماه! اليوم ماتت أمي فاطمة، وأخاه! واحسنه! اليوم مات أخي الحسن، وأخاه واحسيناه! واضيعتنا بعدك ياأبا عبد الله! فعزاها الحسين وصبرها، وقال: «ياأختاه! تعزي بعزاء الله، وارضي بقضاء الله، فإن أهل السماء يفوتون، وأهل الأرض يموتون، وجميع البرية لا يبقون، كلُّ شيء هالك إلا وجهه، فتبارك الله الذي إليه جميع الخلق يرجعون، فهو الذي خلق الخلق بقدرته، ويفنيهم بمشيئته، ويبعثهم بإرادته، ياأختاه! كان جدي وأبي وأمي وأخي خيراً مني وأفضل، وقد ذاقوا الموت وضمهم التراب، وإنَّ لي ولك ولكلِّ مؤمن برسول الله أسوة حسنة». ثُمَّ قال عليه السلام: «يازينب! ويا أم كلثوم! ويا فاطمة! ويارباب! انظرن إذا أنا قُتِلت فلا تشقن عليّ جيأً؛ ولا تخمشن عليّ وجهاً؛ ولا تقلن فيّ هجراً».

ثُمَّ خرج إلى أصحابه، فقال له الطرماح بن عدي الطائي -وكان من شيعته-: الرأي أن تركب معي جمازة^(١) فأني أبلغ بك الليلة قبل الصباح أحياء طيٍّ، وأُسوي لك أمورك، وأقيم بين يديك خمسة آلاف مقاتل يقاتلون عنك. فقال له الحسين: «أمن مروءة الإنسان أن ينجي نفسه، ويهلك أهله وإخوته وأصحابه؟» فقال له أصحابه: إنَّ هؤلاء القوم إذا لم يجدوك لم يفعلوا شيئاً، فلم يلتفت إلى قولهم، وجزى الطرماح خيراً.

قال: ثُمَّ أقبل الحرُّ بن يزيد فنزل في أصحابه حذاء الحسين وكتب إلى

(١) جمازة: فرس من أكرم خيول العرب لعبدالله بن خشم فلعلَّ هذه من نسلها.

ابن زياد يخبره بنزول الحسين بكربلاء، فكتب ابن زياد للحسين: أما بعد - يا حسين! فقد بلغني: نزولك «كربلاء»، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين - يزيد -: أن لا أتوسد الوثير؛ ولا أشبع من الخمير، حتى ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد.

فلما ورد كتابه وقراه الحسين ﷺ رمى به من يده، وقال: «لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق»، فقال له الرسول: جواب الكتاب، فقال له: «لا جواب له عندي، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب»، فرجع الرسول إلى ابن زياد، وأخبره بذلك، فغضب أشد الغضب، ثمَّ جمع أصحابه، فقال: أيها الناس من منكم يتولى قتال الحسين بولاية أي بلد شاء؟ فلم يجبه أحدٌ، فالتفت إلى - عمر بن سعد بن أبي وقاص - وكان ابن زياد قبل ذلك بأيام قد عقد له، وولاه الري وتستر، وأمره بحرب - الدَّيلم -، وأعطاه عهده، وأخره من أجل شغله بأمر الحسين، وقال له: يا ابن سعد! أنت لهذا الأمر، فإذا فرغت سرت إلى عملي إن شاء الله، فقال عمر: إن رأيت أيها الأمير! أن تعفيني عن قتال «الحسين» فعلت منعماً، فقال عبيد الله: فإننا قد أعفيناك فاردد إلينا عهدنا الذي كتبناه لك، واجلس في منزلك حتى نبعث غيرك، فقال عمر بن سعد: فامهلني، أيها الأمير اليوم حتى أنظر في أمري، قال: فقد أمهلتك.

فانصرف عمر بن سعد وجعل يستشير إخوانه، ومن يثق به فلا يشير عليه أحد بذلك، غير أنه يقول له: اتَّقِ الله ولا تفعل، وأقبل إليه - حمزة بن المغيرة بن شعبة - وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله، يا خال! أن تسير إلى قتال الحسين فإنك تأثم بذلك وتقطع رحمك، فوالله، لأن خرجت من مالك ودنياك وسلطان الأرض كلها، خيرٌ لك من أن تلقى الله بدم الحسين

ابن فاطمة، فسكت عمر، وفي قلبه من الري ما فيه. ولما أصبح ذهب إلى عبيد الله بن زياد، فقال له: ما عندك يا عمر؟ فقال: أيها الأمير إنك قد وليتني هذا العمل، وكتبت العهد، وقد سمع الناس به، فإن رأيت أن تنفذه لي، وتبعث إلى قتال الحسين غيري من أشرف أهل الكوفة، فإن بها مثل - أسماء بن خارجة؛ وكثير بن شهاب؛ ومحمد بن الأشعث؛ وعبد الرحمن ابن قيس؛ وشبث بن ربعي؛ وحجار بن أبجر، فقال له: يا عمر! لا تعلمني بأشرف أهل الكوفة، فإنني لا أستأمرك فيمن أريد أن أبعث، فإن سرت إلى الحسين وفرجت عنا هذه الغمة، فانت الحبيب القريب، وإلا فاردد إلينا عهدنا، والزم منزلك فإننا لا نكرهك.

فسكت عمر بن سعد، وغضب عبيد الله بن زياد، فقال: والله، يابن سعد لئن لم تسر إلى الحسين وتتول حربه، وتقدم عليه بما يسوء، لا ضربن عنقك، ولا هدمن دارك، ولا نهبن مالك، ولا أبقى عليك كائناً ما كان، فقال عمر: فإنني سائر إليه غداً إن شاء الله، فجزاه عبيد الله خيراً، وسرى عنه غضبه، ووصله وأعطاه، وضم إليه أربعة آلاف فارس، وقال له: خذ بكظم الحسين، وحل بينه وبين الفرات.

فسار عمر بن سعد من غده في أربعة آلاف إلى «كربلاء»، وكان الحر عنده ألف فتكامل خمسة آلاف، ولما جاء عمر كربلاء دعا رجلاً من أصحابه، يقال له: «عروة بن قيس الأحمس»، فقال له: امض إلى الحسين وسله: ما الذي جاء به إلى هذا الموضع؟ وما الذي أخرجه من مكة بعدما كان مستوطناً بها؟ فقال عروة: أيها الأمير! إنني كنت قبل اليوم أكتب الحسين ويكاتبني، وإنني لاستحي أن أصير إليه، فإن رأيت أن تبعث غيري، فبعث رجلاً، يقال له: «كثير بن عبد الله الشعبي» وكان فارساً بطلاً شجاعاً

لا يرد وجهه شيء، وكان شديد العداوة لأهل البيت، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين: جعلتُ فداك، يا أبا عبد الله قد جاءك شرُّ الناس من أهل الأرض، وأجراهم على دم، وأفتكهم برجل، ثمَّ قام إليه، فقال له: ضع سيفك حتى تدخل على أبي عبد الله وتكلمه، فقال: لا، ولا كرامة إنما أنا رسول، فإن سمع مني كلمته، وإن أبي انصرفت، فقال له أبو ثمامة: فإنني آخذ بقائم سيفك، وتكلَّم بما تُريد ولا تدن من الحسين بدون هذا، فإنك رجلٌ فاسق.

فغضبَ الشعبي ورجع إلى عمر وأخبره، وقال: إنهم لم يتركوني أن أدنو من الحسين فأبلغ رسالتك، فابعث إليه غيري، فبعث رجلاً، يقال له: «قرة بن قيس الحنظلي»، فلما أشرف ورآه الحسين قال: «هل تعرفون هذا؟» فقال «حبيب بن مظاهر الأسدي»: نعم، يا بن رسول الله! هذا رجلٌ من -بني تميم- ثمَّ من -بني حنظلة-، وكنتُ أعرفه حسن الرأي، وما ظننتُ أن يشهد هذا المشهد.

ثمَّ تقدَّم الحنظلي حتى وقف بين يدي الحسين فسلم عليه، وأبلغه رسالة عمر بن سعد، فقال له الحسين: «يا هذا أبلغ صاحبك عني لم أرد هذا البلد، ولكن كتبَ إليَّ أهل مصركم هذا أن آتيهم فيبايعوني ويمنعوني وينصروني ولا يخذلوني، فإن كرهوني انصرفت عنهم من حيث جئت». فقال له حبيب من مظاهر: ويحك، يا قرة! عهدي بك وأنت حسن الرأي في أهل هذا البيت، فما الذي غيرك حتى جئت بهذه الرسالة فأقم عندنا وانصر هذا الرجل الذي قد أتانا الله به.

فقال الحنظلي: لعمرى، لنصرته أحقَّ من نصرة غيره، ولكن أرجع إلى صاحبي بالرسالة، وأنظر في ذلك، ثمَّ انصرف فأخبره بجواب

الحسين، فقال عمر: الحمد لله، والله، إني لأرجو أن يعافيني الله من حربه. ثم كتب إلى ابن زياد: بسم الله الرحمن الرحيم إلى الأمير عبيد الله ابن زياد من عمر بن سعد: أما بعد فإنني نزلت بالحسين ثم بعثت إليه رسولا أسأله عما أقدمه إلى هذا البلد، فذكر: أن أهل الكوفة أرسلوا إليه، يسألونه القدوم عليهم ليبايعوه وينصروه، فإن بدا لهم في نصرته فإنه ينصرف من حيث جاء، فيكون بمكة أو يكون بأي بلد أمرته، فيكون كواحد من المسلمين، فأحييت أن أعلم الأمير بذلك، ليرى رأيه، والسلام. فلما قرأ عبيد الله كتابه، فكر في نفسه ساعة، ثم أنشد:

الآن إذ علقت مخالبنابه يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم قال: أيرجو ابن أبي تراب النجاة؟ هيهات هيهات، لا أنجاني الله من عذابه إن نجا الحسين مني، ثم كتب إلى عمر: أما بعد - فقد بلغني كتابك، وما ذكرت فيه من أمر الحسين فإذا أتاك كتابي فأعرض عليه «البيعة» لا أمير المؤمنين يزيد فإن فعل وباع، وإلا فأتني به، والسلام، فلما ورد الكتاب على عمر وقراه، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن عبيد الله لا يقبل العافية، والله المستعان.

قال: ولم يعرض ابن سعد على الحسين بيعة يزيد، لانه علم أن الحسين لا يجيبه إلى ذلك أبداً.

قال: ثم جمع عبيد الله بن زياد الناس في مسجد الكوفة، وخرج فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إنكم قد بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم على ما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه: حسن السيرة؛ محمود الطريقة؛ ميمون النقيبة؛ محسناً إلى الرعية؛ متعاهداً للثغور؛ يُعطي العطاء في حقه حتى قد أمنت السبل على

عهده؛ وأطفئت الفتن بجهد، وكما كان معاوية في عصره، كذلك ابنه يزيد في أثره: يكرم العباد؛ ويغنيهم بالأموال؛ ويزيدهم بالكرامة؛ وقد زاد في أرزاقكم مائة مائة؛ وأمرني أن أوفر عليكم؛ وأمركم أن تخرجوا إلى حرب عدوه الحسين بن علي، فاسمعوا له وأطيعوا.

ثم نزل من المنبر، ووضع لاهل الرئاسة العطاء وأعطاهم، ونادى فيهم أن يتهاوا للخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا عوناً له في قتل الحسين، فأول من خرج إلى عمر بن سعد «شمر بن ذي الجوشن الضبابي» في أربعة آلاف، فصار عمر في تسعة آلاف، ثم اتبعه «يزيد بن ركاب الكلبي» في ألفين؛ و«الحصين بن نمير السكوني» في أربعة آلاف؛ وفلاناً المازني في ثلاثة آلاف؛ ونصر بن فلان في ألفين؛ وبعث إلى «شيث بن ربعي» فتمارض وأرسل إليه: أيها الأمير! أنا عليل فإن رأيت أن تعفيني، فأرسل إليه: إن رسولني أخبرني بتمارضك عليه، وأخاف أن تكون من الذين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ البقرة/١٤، فانظر: إن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً.

فأقبل إليه شيث بن ربعي بعد العشاء الآخرة لثلا ينظر في وجهه ولا يرى أثر العلة، فلما دخل عليه رحب به، وقرب مجلسه، ثم قال له: أحب أن تشخص غداً إلى عمر بن سعد في ألف فارس من أصحابك، فقال: أفعَل أيها الأمير! فخرج في ألف فارس، واتبعه «بحجار بن أبجر» في ألف فارس، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفاً.

ثم كتب عبيد الله إلى عمر بن سعد: أما بعد - فإنني لم أجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أصبح ولا أمسي إلا وخبر ما قبلك عندي غدوة وعشية مع كل غاد ورائح. وكان عبيد الله يستحث عمر بن سعد

ويستعجله في قتل الحسين، وابن سعد يكره أن يكون قتل الحسين على يده .
قال : والتأمت العساكر عند عمر لسته أيام مضين من محرم، فلما رأى ذلك حبيب بن مظاهر الأسدي جاء إلى الحسين، فقال له : يا بن رسول الله ! إنَّ هاهنا حياً من بني أسد قريباً منا، افتأذن لي بالمصير إليهم الليلة أدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره؟ فقال له الحسين : «قد أذنت لك»، فخرج إليهم حبيب من معسكر الحسين في جوف الليل متنكراً، حتى صار إليهم فحياهم وحيوه وعرفوه، فقالوا له : ما حاجتك يا بن عم؟ قال : حاجتي إليكم إني قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم فط، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت نبيكم فإنه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه وفيهم عين تطرف، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألفاً، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة، فاطيعوني اليوم تنالوا شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فإني أقسم بالله، لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً إلا كان رفيقاً محمد عليه السلام في أعلى عليين .

فقام رجل من بني أسد - يقال له : «عبد الله بن بشر»، فقال : أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوة، ثم جعل يرتجز ويقول :

قد علم القوم إذا تناكلوا وأحجم الفرسان إذ تناضلوا

إني الشجاع البطل المقاتل كأنني ليث عرين باسل

ثم بادر رجال الحي إلى حبيب، واجابوه فالتام منهم تسعون رجلاً، وجاءوا مع حبيب يريدون الحسين، فخرج رجل من الحي، يقال : «فلان بن عمرو» حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل، فأخبره بذلك، فدعا عمر برجل من أصحابه، يقال له : «الازرق بن الحرث الصدائي» فضم إليه

أربعمائة فارس، ووجه به إلى حي بني أسد مع ذلك الذي جاء بالخبر، فبينما أولئك القوم من بني أسد قد أقبلوا في جوف الليل مع حبيب يريدون عسكر الحسين، إذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات، وكان بينهم وبين معسكر الحسين اليسير، فتناوش الفريقان واقتتلوا، فصاح حبيب بالازرق ابن الحرث: مالك ولنا انصرف عنا، ياويلك! دعنا واشق بغيرنا، فابى الازرق، وعلمت بنو أسد أن لا طاقة لهم بخيل ابن سعد فانهزموا راجعين إلى حيهم، ثم تحملوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أن يكبسهم، ورجع حبيب إلى الحسين فاخبره، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ورجعت تلك الخيل حتى نزلت على الفرات، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فأضر العطش بالحسين وبمن معه، فأخذ الحسين عليه السلام فاساً، وجاء إلى وراء خيمة النساء فخطا على الأرض تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثم احتفر هنالك فنبعت له هناك عين من الماء العذب، فشرب الحسين وشرب الناس بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثم غارت العين فلم ير لها أثر. وبلغ ذلك إلى عبيد الله فكتب إلى عمر بن سعد: بلغني أن الحسين يحفر الآبار، ويصيب الماء، فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيق عليهم ولا تدعهم أن يذوقوا من الماء قطرة، وافعل بهم كما فعلوا بالزكي عثمان، والسلام.

فضيق عليهم ابن سعد غاية التضيق، ودعا برجل، يقال له: «عمرو ابن الحجاج الزبيدي» فضم إليه خيلاً كثيرة، وأمره أن ينزل على الشريعة التي هي حذاء معسكر الحسين عليه السلام فنزلت الخيل على شريعة الماء، فلما اشتد العطش بالحسين وأصحابه، دعا أخاه العباس، وضم إليه ثلاثين فارساً

وعشرين راجلاً، وبعث معهم عشرين قربة في جوف الليل حتى دنوا من
الفرات، فقال عمرو بن الحجاج: من هذا؟ فقال له هلال بن نافع الجملي:
أنا ابن عم لك من أصحاب الحسين، جئتُ حتى أشرب من هذا الماء الذي
منعتمونا عنه، فقال له عمرو: اشرب هنيئاً مريئاً، فقال نافع: ويحك،
كيف تأمرني أن أشرب من الماء، والحسين ومن معه يموتون عطشاً؟ فقال:
صدقت، قد عرفت هذا، ولكن أمرنا بأمر، ولا بدَّ لنا أن ننتهي إلى ما أمرنا
به.

فصاح هلال بأصحابه فدخلوا الفرات، وصاح عمرو بأصحابه
ليمنعوا، فاقتتل القوم على الماء قتالاً شديداً، فكان قوم يقاتلون، وقوم
بملاؤن القرب حتى ملأوها وقتل من أصحاب عمرو بن الحجاج جماعة،
ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد، ثم رجع القوم إلى معسكرهم بالماء،
فشرب الحسين ومن كان معه ولقب العباس يومئذ السقاء.

قال: وارسل الحسين إلى ابن سعد: «إني أريدُ أن أكلمك فألقني الليلة
بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه عمر بن سعد في عشرين فارساً،
والحسين في مثل ذلك، ولما التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحوا عنه، وبقي
معه: أخوه العباس؛ وابنه عليّ الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحوا عنه،
وبقي معه: ابنه «حفص»؛ وغلام له، يقال له: «لاحق»، فقال الحسين لابن
سعد: «ويحك، أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟
يا هذا ذر هؤلاء القوم، وكن معي فإنه أقرب لك من الله»، فقال له عمر:
أخاف أن تهدم داري. فقال الحسين: «أنا أبنيتها لك»، فقال عمر: أخاف أن
تؤخذ ضيعتي، فقال: «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز»،
فقال: لي عيال أخاف عليهم، فقال: «أنا أضمن سلامتهم».

قال: ثُمَّ سَكَتَ فَلَمْ يَجِبْهُ عَنْ ذَلِكَ، فَاَنْصَرَفَ عَنْهُ الْحُسَيْنُ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَالِكَ، ذَبَحَكَ اللَّهُ عَلَى فِرَاشِكَ سَرِيعاً عَاجِلاً، وَلَا غَفَرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ وَنَشْرِكَ، فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَا رَجُو أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْ بَرِّ الْعِرَاقِ إِلَّا يَسِيرًا»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! فِي الشَّعِيرِ عَوْضٌ عَنِ الْبَرِّ، ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ إِلَى مَعْسَكَرِهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ يُؤَنِّبُهُ وَيُضَعِّفُهُ، وَيَقُولُ: مَا هَذِهِ الْمِطَاوَلَةُ؟ انْظُرْ إِنْ بَايَعَ الْحُسَيْنُ وَأَصْحَابَهُ، وَنَزَلُوا عِنْدَ حَكْمِي، فَاَبْعَثْ بِهِمْ إِلَيَّ سَلَامًا، وَإِنْ أَبَوْا ذَلِكَ، فَازْحَفْ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتَمَثِّلَ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ مُسْتَحَقُّونَ، فَإِذَا قَتَلْتَ الْحُسَيْنَ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَإِنَّهُ عَاقُ شَاقٍ قَاطِعُ ظُلُومٍ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ جَزِينَاكَ جَزَاءَ السَّامِعِ الْمَطِيعِ، وَإِنْ أَبَيْتَ ذَلِكَ فَاَعْتَزِلْ خَيْلَنَا وَجُنْدَنَا، وَسَلِّمْ الْجُنْدَ وَالْعَسْكَرَ إِلَى شَمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ فَإِنَّهُ أَشَدُّ مِنْكَ حَزْمًا، وَأَمْضَى مِنْكَ عَزْمًا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنْ عَبِيدَ اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ دَعَا «حَوِيزَةَ بْنَ يَزِيدَ التَّمِيمِيَّ» وَقَالَ: إِذَا وَصَلْتَ بِكِتَابِي إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَإِنْ قَامَ مِنْ سَاعَتِهِ لِمُحَارَبَةِ الْحُسَيْنِ فَذَاكَ، وَإِنْ لَمْ يَقَمْ فَخُذْهُ وَقِيدَهُ، وَانْدُبْ «شَهْرَ بْنَ حَوْشَبٍ» لِيَكُونَ أَمِيرًا عَلَى النَّاسِ، فَوَصَلَ الْكِتَابُ، وَكَانَ فِي الْكِتَابِ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ يَا بَنَ سَعْدٍ لِمُنَادِمَةِ الْحُسَيْنِ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي، فَخَيَّرِ الْحُسَيْنَ بَيْنَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ، وَبَيْنَ أَنْ تَقَاتِلَهُ، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ سَاعَتِهِ، وَأَخْبَرَ الْحُسَيْنَ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ ﷺ: «أَخْرَنِي إِلَى غَدٍ» - وَسَيَاتِي هَذَا الْحَدِيثُ فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ -، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لِلرَّسُولِ: أَشْهَدُ لِي عِنْدَ الْأَمِيرِ أَنِّي امْتَثَلْتُ أَمْرَهُ.

عَدْنَا إِلَى - الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ -، فَلَمَّا طَوَى الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ، وَثَبَ رَجُلٌ، يُقَالُ لَهُ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُلِّ بْنِ حَرَامٍ الْعَامِرِيُّ»، فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ!

إنَّ - علي بن أبي طالب - قد كان عندنا بالكوفة، فخطب إلينا فزوجناه بنت عم لنا، يقال لها: «أم البنين» بنت حزام، فولدت له: عبد الله؛ وعثمان؛ وجعفر؛ والعباس، فهم بنو أختنا، وهم مع أخيه - الحسين بن علي -، فإن أذنت لنا أن نكتب إليهم كتاباً بأمان منك فعلت متفضلاً، فأجابه عبيد الله بن زياد إلى ذلك، فكتب عبد الله بن المحل، ودفع الكتاب إلى غلام له، يقال: «عرفان».

فلما ورد الكتاب إلى إخوة الحسين، ونظروا فيه، قالوا للغلام: اقرأ على خالنا السلام، وقل له: لا حاجة لنا في أمانك، فإن أمان الله خير لنا من أمان «ابن مرجانة»، فرجع الغلام إلى الكوفة، فأخبره بذلك، فعلم عبد الله بن المحل أنَّ القوم مقتولون. وأقبل شمر بن ذي الجوشن على عسكر الحسين، ونادى بأعلى صوته: أين بنو أختي؟ أين عبد الله؛ وعثمان؛ وجعفر - بنو علي بن أبي طالب؟ فسكتوا، فقال الحسين: «أجيبوه، ولو كان فاسقاً، فإنه بعض أخوالكم»، فنادوه: ما شأنك؟ وما تريد؟ فقال: يا بني أختي! أنتم آمنون، فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فناده العباس بن علي: تبَّت يداك يا شمر! لعنك الله، ولعن ما جئت به من أمانك هذا، يا عدو الله! أتأمرنا أن نترك أخانا الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟ فرجع شمر إلى عسكره مغيضاً.

قال: وجمع الحسين عليه السلام أصحابه بين يديه، ثمَّ حمد الله وأثنى عليه، وقال: «اللهمَّ لك الحمد على ما علّمتنا من القرآن، وفقّهتنا في الدين، وأكرمتنا به من قرابة رسولك محمد صلى الله عليه وآله، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وافئدة، فاجعلنا من الشاكرين، أما بعد - فإني لا أعلم أصحاباً أصلح

منكم، ولا أعلم أهل بيت أبر ولا أوصل ولا أفضل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً. إنَّ هؤلاء القوم ما يطلبون أحداً غيري، ولو قد أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم أبداً، وهذا الليل قد غشيكم فقوموا واتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من إخواني، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم».

فتكلم إخوته وجميع أهل بيته، وقالوا: يا بن رسول الله! فماذا تقول الناس؟ وماذا نقول لهم؟ إنا تركنا شيخنا؛ وسيدنا؛ وابن بنت نبينا محمد ﷺ، لم نرمِ معه بسهمٍ، ولم نطعن برمحٍ، ولم نضرب بسيفٍ، لا، والله يا بن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكننا نفديك بأنفسنا، ونقتل بين يديك، ونرد موردك، فقبح الله العيش من بعدك.

ثم تكلم «مسلم بن عوسجة الاسدي»، فقال يا بن رسول الله! أنحن نخليك هكذا، وننصرف عنك، وقد أحاط بك هؤلاء الأعداء؟ لا والله، لا يراني الله وأنا أفعل ذلك أبداً، حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضرب فيهم بسيفي، ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به، لقدفتهم بالحجارة، ولم أفارقك حتى أموت بين يديك.

ثم تكلم «سعد بن عبد الله الحنفي»، فقال: لا والله يا بن رسول الله! لا نخليك أبداً حتى يعلم الله تبارك وتعالى أنا حفظنا فيك عييه رسوله، ووالله، لو علمت أني أقتل ثم أحيأ ثم أحرق حياً -يفعل بي ذلك سبعين مرة- لما فارقتك أبداً، حتى ألقى حمامي من دونك، وكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي قتلة واحدة، ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

ثم تكلم «زهير بن القين البجلي»، فقال: والله، يا بن رسول الله لوددت أني قتلتُ فيك ثم نشرت، حتى أقتل فيك ألف مرة، وأن الله قد

دفع القتل عنك، وعن هؤلاء الفتية من إخوتك؛ وولدك؛ وأهل بيتك. قال: وتكلم جماعة بنحو - هذا الكلام، وقالوا: أنفسنا لك الفداء، ونقيك بأيدينا ووجوهنا وصدورنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا وقضينا ما علينا.

ثم تكلم «برير بن خضير الهمداني» وكان من الزهاد الذين يصومون النهار، ويقومون الليل، فقال: يا بن رسول الله! ائذن لي أن آتي هذا الفاسق عمر بن سعد فأعظه لعله يتعظ ويرتدع عما هو عليه، فقال الحسين: «ذاك إليك، يا برير»، فذهب إليه حتى دخل على خيمته فجلس ولم يسلم، فغضب عمر، وقال: يا أخا همدان ما منع من السلام علي؟ ألسنتُ مسلماً أعرف الله ورسوله، وأشهد بشهادة الحق؟ فقال له برير: لو كنتَ عرفت الله ورسوله كما تقول، لما خرجت إلى عترة رسول الله تريد قتلهم؟

وبعد - فهذا «الفرات» يلوح بصفائه، ويلج كأنه بطون الحيات، تشرب منه كلابُ السواد وخنازيرها، وهذا «الحسين بن علي وإخوته ونساؤه وأهل بيته، يموتون عطشاً، وقد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟

فاطرق عمر بن سعد ساعة إلى الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: والله، يا برير إني لأعلم يقيناً أن كل من قاتلهم وغصبهم حقهم هو في النار لا محالة، ولكن يا برير! افتشير علي أن أترك ولاية الري فتكون لغيري؟ فوالله، ما أجد نفسي تجيبي لذلك، ثم قال:

دعاني عبيد الله من دون قومه	إلى خطه فيها خرجت لحيني
فوالله، ما أدري وإنِّي لحائر	أفكر في أمري على خطرين
أترك ملك الري والري منيتي	أم أرجع ماثوماً بقتل حسين؟
وفي قتله النار التي ليس دونها	حجاب وملك الري قرّة عيني

فرجع برير إلى الحسين، وقال: يا بن رسول الله! إنَّ عمر بن سعد قد رضي لقتلك بولاية الري.

قال: فلما أيس الحسين من القوم، وعَلِمَ أنهم مقاتلوه، قال لأصحابه: «قوموا، فاحفروا لنا حفيرة شبه الخندق حول معسكرنا، وأججوا فيها ناراً حتى يكون قتال هؤلاء القوم من وجه واحد فإنهم لو قاتلونا وشغلنا بحربهم لضاعت الحرم»، فقاموا من كل ناحية فتعاونوا واحتفروا الحفيرة، ثمَّ جمعوا الشوك والخطب فالقوه في الحفيرة وأججوا فيها النار.

وأقبل رجلٌ من عسكر عمر بن سعد، يقال له: «مالك بن جريرة» على فرس له حتى وقف على الحفيرة، وجعل ينادي بأعلى صوته: أبشر يا حسين! فقد تعجلت النار في الدنيا قبل الآخرة، فقال له الحسين: «كذبت، ياعدو الله! أنا قادم على ربِّ رحيم، وشفيع مطاع، ذاك جدِّي محمد»، ثمَّ قال الحسين لأصحابه: «من هذا؟» فقليل له: هذا مالك بن جريرة، فقال الحسين: «اللهمَّ جره إلى النار، واذقه حرَّها قبل مصيره إلى نار الآخرة»، فلم يكن بأسرع من أن شبَّ به الفرس فالتقاه على ظهره، فتعلَّقت رجله في الركاب، فركض به الفرس حتى ألقاه في النار فاحترق.

فخرَّ الحسين عليه السلام ساجداً، ثمَّ رفع رأسه، وقال: «يالها من دعوة! ما كان أسرع إجابتها»، ثمَّ رفع الحسين صوته، وقال: «اللهمَّ إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا، إنَّك سميع قريب»، فسمعها محمد بن الأشعث، فقال: يا حسين وأي قرابة بينك وبين محمد؟ فقال الحسين: «اللهمَّ إنَّ محمد بن الأشعث، يقول: إنَّه ليس بيني وبين رسولك قرابة، اللهمَّ! فارني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً»، فما كان بأسرع من أن تنحى، محمد بن الأشعث، وخرج من العسكر، فنزل عن فرسه، وإذا

بعقرب سوداء خرجت من بعض الجحرة، فضربتة ضربة تركته متلوثاً في ثيابه ممّا به.

وذكر الحاكم الجشمي: أنه مات ليومه. ولكن ذلك غير صحيح، فإنه بقي إلى أيام المختار فقتله، ولكنه بقي ممّا به في بيته.

قال: ثم نادى مناد من عمر بن سعد: يا خيل الله اركبي، فركب الناس وزحفوا نحو عسكر الحسين في وقته كان جالساً، فخفق برأسه على ركبتيه، فسمعت زينب بنت علي الصيحة والضجة، فدنت من أخيها فحرّكته، وقالت: يا أخي! ألا تسمع الأصوات قد اقتربت منا؟ فرفع الحسين رأسه، وقال: «يا أختاه رأيت الساعة في منامي جدي رسول الله؛ وأبي علياً؛ وأمي فاطمة؛ وأخي الحسن - صلوات الله عليهم -، وهم يقولون: إنك رائح إلينا عن قريب، وقد والله، دنا الامر لا شك فيه».

فلطمت «زينب» وجهها وصاحت، فقال لها الحسين: «مهلاً مهلاً، أسكتي ولا تصيحي فيشمت القوم بنا»، ثم أقبل «الحسين» على أخيه «العباس» فقال: «يا أخي اركب، وتقدم إلى هؤلاء القوم، وسلهم عن حالهم، وارجع إلي بالخبر»، فركب العباس في إخوته، ومعه عشرة فوارس حتى دنا من القوم، ثم قال: يا هؤلاء ما شأنكم؟ وما تريدون؟ فقالوا: جاءنا الامر من عبيد الله بن زياد أن نعرض عليكم إما أن تنزلوا على الحكم، وإلا نأجزناكم، قال العباس: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى الحسين فأخبره بذلك، فوقف القوم في مواضعهم، ورجع العباس إلى الحسين فأخبره، فاطرق الحسين ساعة وأصحابه يخاطبون أصحاب عمر بن سعد، فيقول لهم حبيب بن مظاهر الاسدي: أما، والله لبئس القوم قوم يقدمون غداً على الله ورسوله، وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المتهجدين بالأسحار، الذاكرين الله

بالليل والنهار، وشيعته الاتقياء الأبرار، فقال له رجلٌ من أصحاب ابن سعد، يقال له: «عروة بن قيس»: إنَّك لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير بن القين: اتَّقِ اللهَ، يا بن قيس! ولا تكن من الذين يعينون على الضلال؛ وقتل النفوس الزكية الطاهرة؛ وعثرة خير الأنبياء؛ وذرية أصحاب الكساء.

فقال له ابن قيس: إنَّك لم تكن عندنا من شيعة أهل البيت، وإنَّما كنت عثمانياً نعرفك، فكيف صرت ترابياً، فقال له زهير: إني كنتُ كذلك، غير أنني لما رأيت «الحسين» مغضوباً على حقه ذكرتُ جدَّهُ ومكانه منه، فرأيتُ لنفسي أن أنصره، وأكون من حزبه، وأجعل نفسي من دون نفسه، حفظاً لما ضيَّعتم من حقِّ الله وحقِّ رسوله.

فكان هؤلاء في هذه المخاطبة، والحسينُ جالسٌ مفكرٍ في أمر المحاربة، وأخوه «العباس» واقف بين يديه فقال للعباس: «ارجع يا أخي إلى القوم فإن استطعت أن تصرفهم وتدفعهم عنا باقي هذا اليوم فافعل لعلنا نصليَ لربنا ليلتنا هذه وندعو الله ونستغفیه ونستنصره على هؤلاء القوم». فاقبل العباس إلى القوم وهم وقوف، فقال لهم: يا هؤلاء! إنَّ أبا عبد الله يسألكم الانصراف عنه باقي يومكم هذا، حتى ينظر في هذا الأمر، ثمَّ نلتاكم به غداً إن شاء الله، فأخبر القوم أميرهم عمر بن سعد، فقال للشمر: ماذا ترى يا شمر؟ فقال: إني ما أرى إلا رأيك، أنت الأمير علينا فافعل ما تشاء، فقال: إني أحببتُ أن لا أكون أميراً، فلم أترك وأكرهت، ثم قال لأصحابه: ماترون؟ قالوا له: أنت الأمير، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: سبحان الله العظيم، والله لو كان هؤلاء من -الترك والديلم- ثمَّ سألوكم هذه الليلة، لقد كان ينبغي أن تجيئوهم إلى ذلك، فكيف وهم آل الرسول محمد ﷺ.

فقال ابن سعد: أخبرهم إنا أجلناهم باقي يومنا هذا إلى غد، فإن استسلموا ونزلوا على الحكم وجهنا بهم إلى الأمير عبيد الله، وإن أبوا ناجزناهم، فانصرف الفريقان وعاد كل إلى معسكره، وجاء الليل فبات الحسين عليه السلام تلك الليلة راكعاً ساجداً باكياً مستغفراً متضرعاً، وبات أصحابه ولهم دويّ كدويّ النحل، وجاء شمر بن ذي الجوشن في نصف الليل يتجسس ومعه جماعة من أصحابه، حتى قارب معسكر «الحسين» فسمعه يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران/ ١٧٨ و ١٧٩، فصاح رجلٌ من أصحاب شمر: نحن ورب الكعبة الطيبون، وأنتم الخبيثون، وقد ميزنا منكم.

فقطع برير بن خضير الهمداني صلاته ثم نادى: يافاسق! يافاجر! ياعدو الله! يابن البوآل على عقبيه أمثلك يكون من الطيبين، والحسين ابن رسول الله من الخبيثين، والله، ما أنت إلا بهيمة ولا تعقل ما تأتي وما تذر، فابشر ياعدو الله! بالخزي يوم القيامة والعذاب الاليم. فصاح شمر: إن الله قاتلك وقاتل صاحبك عن قريب، فقال برير: أبا الموت تخوفني؟ والله، إن الموت مع ابن رسول الله أحبُّ إليَّ من الحياة معكم، والله، لا نالت شفاعة محمد صلى الله عليه وآله قوماً أراقوا دماء ذريته وأهل بيته.

فجاء إليه رجل من أصحابه، وقال: يا برير إن - أبا عبد الله -، يقول لك: ارجع إلى موضعك، ولا تخاطب القوم، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه، وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت، وأبلغت في النصيح والدعاء.

قال: فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة، ثم استيقظ، فقال: «أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟» قالوا: فما رأيت يا بن رسول الله؟ قال: «رأيت كلاباً قد شددت عليّ لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيت كاشدّها عليّ، وأظنُّ الذي يتولى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم، ثمّ إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه، وهو يقول لي: يا بني! أنت شهيد آل محمد، وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل يا بني! ولا تأخر، فهذا ملك نزل من السماء، ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرّحيل من هذه الدنيا.

وأصبح الحسين فصلّى بأصحابه، ثمّ قرب إليه فرسه، فاستوى عليه وتقدم نحو القوم، في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير الهمداني، فقال له الحسين: «كلّم القوم، يا برير وانصحهم»، فتقدم برير حتى وقف قريباً من القوم، والقوم قد زحفوا إليه عن بكرة أبيهم، فقال لهم برير: يا هؤلاء! اتّقوا الله فإن ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمة، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم؟ فقالوا: نريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيهم فيهم، فقال برير: أفلا ترضون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه؟ ويلكم، يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم إليه، وعهودكم التي أعطيتموها من أنفسكم، وأشهدتم الله عليها؟ وكفى بالله شهيداً، ويلكم، دعوتهم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم من دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم لعبيد الله، وحلائموهم عن ماء الفرات الجاري، وهو مبدول يشرب منه اليهود؛ والنصارى؛ والمجوس؛ وترده الكلاب والخنازير، بئسما خلفتم

محمداً في ذريته، مالكم، لاسقاكم الله يوم القيامة، فباس القوم أنتم. فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندري ما تقول؟ فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم الق باسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان.

فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه، فتقدم الحسين عليه السلام حتى وقف قبالة القوم، وجعل ينظر إلى صفوفهم، كأنها السيل، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال: «الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنه، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطم الله فيه عليكم، فأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نعمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربنا؛ وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمتم بالرسول محمد، ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم وما تريدون؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين».

فقال عمر بن سعد: ويلكم، كلّموه فإنه ابن أبيه، والله، لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما قطع، ولما حصر فكلّموه، فتقدم إليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: يا حسين! ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم.

فقال عليه السلام: «أقول لكم: اتقوا الله ربكم ولا تقتلون، فإنه لا يحل لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإني ابن بنت نبيكم، وجدتي «خديجة» زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم، قول نبيكم محمد عليه السلام: الحسن والحسين سيّدا

شباب أهل الجنة، ما خلا النبيين والمرسلين، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، فوالله، ما تعمدتُ كذباً منذ علمتُ أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من الصحابة مثل: جابر بن عبد الله؛ وسهل بن سعد؛ وزيد بن أرقم؛ وأنس بن مالك، فاسألوهم عن هذا فإنهم يخبرونكم أنهم سمعوه من رسول الله ﷺ، فإن كنتم في شكٍّ من أمري، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله، ما بين المشرقين والمغربين ابن بنت نبي غيري، ويلكم، أتطلبوني بدم أحد منكم قتله، أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته؟ فسكتوا عنه لا يجيبونه.

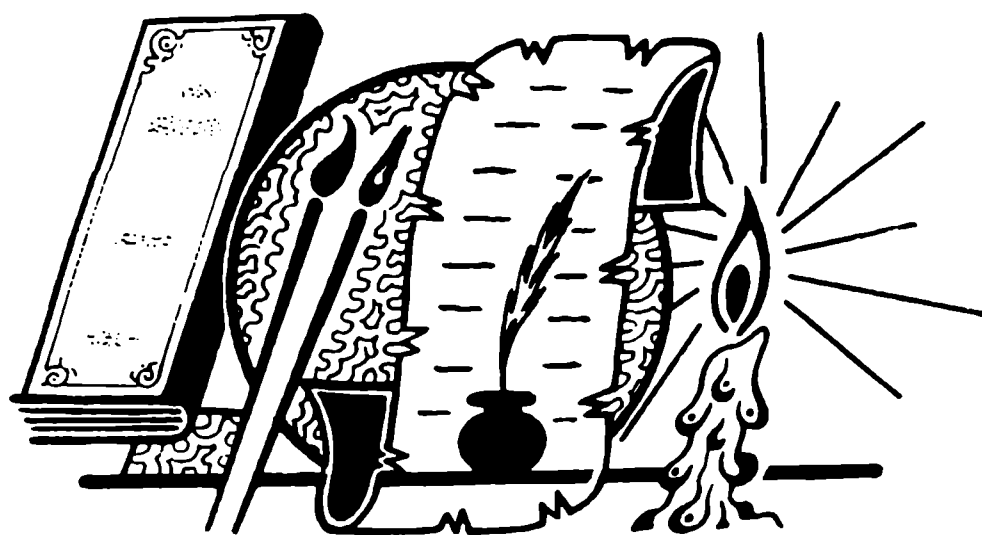
ثم قال عليه السلام: «والله لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله! إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، وأعوذُ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب». فقال له شمر بن ذي الجوشن: يا حسين بن علي! أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول، فسكت الحسين عليه السلام. فقال حبيب بن مظاهر للشمر: يا عدو الله! وعد رسول الله إني لأظنك تعبدُ الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك لا تدري ما يقول، فإن الله تبارك وتعالى قد طبع على قلبك.

فقال له الحسين عليه السلام: «حسبك، يا أخا بني أسد! فقد قضى القضاء؛ وجفَّ القلم؛ والله بالغ أمره؛ والله إني لأشوق إلى جدي وأبي وأمي وأخي وأسلافي من «يعقوب» إلى «يوسف» وأخيه، ولي مصرع أنا لاقيه».



مقتل الإمام الحسين

الجزء الثاني



قال الإمام الحسين يوم عاشوراء:

«اللّٰهُم احبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين
كسني يوسف ، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم
كأساً مصبرة ؛ فلا يدع فيهم أحداً» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقين محمد، الذي كان نبياً وآدم بين الماء والطين، وعلى عترته وذريته أجمعين . وبعد: فقد اتفقت الرواة في «المسانيد» و «التواريخ»، على أن مقتل الحسين عليه السلام كان - يوم عاشوراء - العاشر من محرم لسنة إحدى وستين من الهجرة، وإن اختلفوا: أكان يوم الجمعة أم يوم السبت؟ فلنشر إلى فضل هذا اليوم وشرفه .

١- أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ ناصر السنة أبو القاسم منصور بن نوح الشهرستاني -بها وقت رجوعي من السفارة الحجازية، أعادها الله تعالى، غرة شهر جمادي الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية-، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرنا السيد أبو الحسين محمد بن الحسين بن داود العلوي - قراءة عليه -؛ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي -إملاء-، قالوا: أخبرنا أبو محمد حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا عبد

الرَّحْمَنُ بْنُ مَنِيبٍ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرُوزِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الصَّانِعِ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كُتِبَتْ لَهُ عِبَادَةُ سِتِينَ سَنَةً بِصِيَامِهَا وَقِيَامِهَا، وَمَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَمَنْ أَفْطَرَ عِنْدَهُ مَوْئِئاً فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا أَفْطَرَ عِنْدَهُ جَمِيعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ أَشْبَعَ جَائِعاً فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ رُفِعَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ فَضَّلَنَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ.

فَقَالَ: «نَعَمْ، خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَخَلَقَ الْكَرْسِيَّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَالنُّجُومَ كَمِثْلِهِ، وَخَلَقَ الْقَلَمَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَاللُّوحَ كَمِثْلِهِ، وَخَلَقَ جِبْرِئِيلَ ﷺ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ كَمِثْلِهِ، وَخَلَقَ آدَمَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَحَوَاءَ كَمِثْلِهِ، وَخَلَقَ الْجَنَّةَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَأَسْكَنَ آدَمَ الْجَنَّةَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَوَلَدَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَفَدَّاهُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَرَفَعَ إِدْرِيسَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَكَشَفَ اللَّهُ الْكَرْبَ عَنْ أَيُّوبَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَرَفَعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَوَلَدَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَى آدَمَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَغَفَرَ ذَنْبَ دَاوُدَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَأَعْطَى سُلَيْمَانَ مَلِكَهُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَوَلَدَ النَّبِيَّ ﷺ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَاسْتَوَى الرَّبُّ عَلَى الْعَرْشِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ».

قال الشيخ القاضي أبو بكر: استوى من غير مماسة ولا حركة كما يليق

بذاته.

وقال شيخ السنة أبو بكر: هذا حديث منكر، وإسناده ضعيف، وفي

متنه ما لا يستقيم، وهو ماروي فيه من خلق السماوات والارضين والجبال كلها في يوم عاشوراء، والله يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ يونس/٣، ومن المحال أن تكون هذه الستة كلها يوم عاشوراء، فدل ذلك على ضعف هذا الخبر، والله أعلم.

٢- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو محمد عبدالله ابن يحيى السكري ببغداد، أخبرني إسماعيل بن محمد الصفار، حدثني أحمد بن منصور، حدثني عبد الرزاق، أخبرني ابن جريج، عن عبد الله بن يزيد، أنه سمع ابن عباس يقول: ما رأيت رسول الله ﷺ يتحرى صيام يوم يلتبس فضله على غيره إلا هذا اليوم: يوم عاشوراء؛ وشهر رمضان.

٣- قال: وفي «المشاهير»، عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عاشوراء كفارة سنة».

٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسين علي ابن محمد الأشعراني، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله - ببغداد -، حدثنا جعفر بن محمد، حدثني علي بن مهاجر البصري، حدثني الهيصم بن الشداخ الوراق، حدثني الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ سَنَتِهِ».

وبهذا الإسناد، عن أبي سعيد الخدري مثله.

٥- وأخبرنا الإمام سديد الدين محمد بن منصور بن علي المقرئ المعروف بالديواني - بمحلة «نصر آباد» بمدينة الري -، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين بن أحمد بن الحسين المعروف بالخلادي الطبري، أخبرني القاضي الإمام أبو النعمان عبد الملك بن محمد الهلافاني، أخبرني أبو العباس أحمد

ابن محمد الناطقي، أخبرني أحمد بن يونس، حدثني أبو الحسين علي بن الحسن الجامعي، حدثني محمد بن نوكرد القصراني، حدثني منجاب بن الحرث، أخبرني علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال: «يوم عاشوراء يوم تاب الله على آدم، واستوت سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، وردّ الله الملك على سليمان يوم عاشوراء، وفلق البحر لموسى يوم عاشوراء، وغرق فرعون ومن معه يوم عاشوراء، وردّ الله على يعقوب بصره يوم عاشوراء، وبعث زكريا رسولا يوم عاشوراء، وتاب الله على يونس يوم عاشوراء، وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء، ورفع الله إدريس مكاناً علياً يوم عاشوراء، وكشف ضرّاً أيوب يوم عاشوراء، وأخرج يوسف من الجب يوم عاشوراء، وكسا هارون قميص الحياء يوم عاشوراء، وألهم يحيى الحكمة يوم عاشوراء، إن يوم عاشوراء سبعون عيداً فمن وسع على عياله فيه وسع الله عليه الى مثلها في السنة».

٦- وذكر الحاكم: أن فاطمة عليها السلام ولدت يوم عاشوراء، وأن الحسن

والحسين عليهما السلام ولدا يوم عاشوراء.

ولما كانت لهذا اليوم فضيلة على غيره من الايام، كانت فيه مصيبة آل الرسول كرامة لهم وفضيلة لجهادهم، ليكون ثوابهم أكثر، ودرجاتهم أعلى وأنبل، وليكون عقاب أعدائهم أعظم، ولعائن الله عليهم وعلى أتباعهم يوم القيامة أشد وأطول.

عدنا لحديثنا: ولما أصبح الحسين عليه السلام يوم الجمعة عاشر محرم - وفي

رواية: يوم السبت - عبا أصحابه، وكان معه إثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً - وفي رواية: إثنان وثمانون راجلاً - فجعل على ميمته زهير بن

القين، وعلى ميسرته حبيب بن مظاهر، ودفع اللواء إلى أخيه العباس بن عليّ، وثبت عليه السلام مع أهل بيته في القلب.

وعباً عمر بن سعد أصحابه، فجعل على ميمته عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وثبت هو في القلب، وكان جنده إثنين وعشرين ألفاً، يزيد أو ينقص.

٧- أخبرنا الإمام الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني - إجازة -، أخبرنا أبو عليّ الحداد، حدثنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا سلمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا الزبير بن بكار، حدثنا محمد بن الحسن، قال: لما نزل القوم بالحسين عليه السلام، وأيقن أنهم قاتلوهم، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد - فإنه نزل من الأمر ما ترون، ألا وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، وانشمرت^(١)، ولم يبق فيها إلا كصابة الإناء من خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والعيش مع الظالمين إلا برماً».

٨- وأخبرنا الشيخ الإمام الزاهد، سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر الجمحي - كتابة -، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيد الإمام النقيب علي بن محمد بن جعفر الحسيني الأستربادي، حدثنا السيد الإمام نقيب النقباء زين الإسلام أبو جعفر محمد ابن جعفر بن علي الحسيني، حدثنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين ابن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسين

(١) - انشمرت: تقلصت فلم تحلب.

ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني، حدثنا محمد بن عبد الله بن أيوب البجلي، حدثنا علي بن عبد العزيز العكبري، حدثنا الحسن بن محمد بن يحيى، عن أبيه، عن تميم بن ربيعة الرياحي، عن زيد بن علي، عن أبيه: «أنَّ الحسين عليه السلام خطب أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيها الناس خطَّ الموت على بني آدم كمخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وإنَّ لي مصرعاً أنا لاقيه، كاني أنظر إلى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات، غبراً وعفراً قد ملأت مني أكراشها، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ليوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته وعترته، ولن تفارقه أعضاؤه، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بها عينه، وتنجز له فيهم عدته».

٩- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرني أبي، أخبرني حمزة بن القاسم العلوي، حدثني بكر بن عبد الله بن حبيب، حدثني تميم ابن بهلول الضبي أبو محمد، أخبرني عبد الله بن الحسين بن تميم، حدثني محمد بن زكريا، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمي، حدثني عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن الحسن، قال: لما عبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام، ورتبهم في مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعبأ الحسين أصحابه في الميمنة والميسرة، فأحاطوا بالحسين من كلِّ جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، خرج الحسين من أصحابه حتى أتى الناس فاستنصتوهم، فأبوا أن ينصتوا، فقال لهم: «ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا إليّ، فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من

المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاصٍ لأمري، غير مستمع لقولي، قد انخزلت عطياتكم من الحرام، وملئت بطونكم من الحرام، فطبع الله على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تسمعون؟

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد، وقالوا: انصتوا له، فقال الحسين: «تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين، فأصرخناكم مؤدين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا، وحششتم علينا نار الفتن التي جناها عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلّاباً على أوليائكم، ويدا عليهم لأعدائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلّا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيل^(١) لنا فهلاً لكم الويلات إذ كرهتمونا تركتمونا، فتجهزتموها والسيف لم يُشهر، والجاش طامن، والرأي لم يستحصف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبا، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فقبحاً لكم، فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تخذلون. أجل والله، الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، ونبتت عليه قلوبكم، وغشيت به صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله هم، ألا إن الدعي بن

(١) - تفيل: أخطأ.

الدعي، قد ركز بين اثنتين: بين القتلة والذلة، وهيهات منا أخذ الدنية، أبي الله ذلك ورسوله، وجدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، إلا إني قد أعذرت وأنذرت، إلا إني زاحف بهذه الأسرة على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثم أنشد:

فإن نهزم فهزامون قدما وإن نهزم فغير مهزّمينا
وما أن طبنّا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

أما إنه لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، عهد عهده إليّ أبي، عن جدي ﴿فاجمعوا أمركم وشركاءكم﴾^(١) فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، إني توكلتُ على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم.

اللهم! احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، فلا يدع فيهم أحداً، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا، عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

ثم قال عليه السلام: «أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر»، فدُعي له وكان كارهاً لا يحب أن يأتيه، فقال: «يا عمر! أنت تقتلني، وتزعم أن يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان؟ والله، لا تنهنا بذلك أبداً، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً

(١) - اقتبس الآيات من سورتين، الأولى: يونس/٧١، والثانية: هود/٥٥.

بينهم». فغضب عمر بن سعد من كلامه، ثمَّ صرف وجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة.

ثمَّ إنَّ الحسين عليه السلام دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله - المرتجز -، فركبه وعبأ أصحابه، وزحف عمر بن سعد فنادى غلامه دريداً: قدم رايتك يادريد! ثمَّ وضع سهمه في كبد قوسه، ثمَّ رمى به وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنني أولُ من رمى، فرمى أصحابه كلَّهم بأجمعهم في أثره رشقة واحدة، فما بقي من أصحاب الحسين أحد إلاَّ أصابه من رميتهم سهم.

وخرج يسار مولى زياد بن أبيه؛ وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فقالا: من يبارزنا؟ فخرج إليهما برير بن خضير؛ وحبيب بن مظاهر، فقال لهما الحسين: اجلسا. فقام عبد الله بن عمير الكلبي، فقال للحسين: ائذن لي أخرج! فرأه رجلاً آدم طويلاً، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فقال: «إني أراه للأقران قاتلاً، أخرج إن شئت»، فخرج إليهما فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا له: لا نعرفك، ليخرج إلينا - زهير ابن القين أو حبيب بن مظاهر -، ويسار أمام سالم، فقال له: يا بن الزانية! أولك رغبة عن مبارزة أحد، وليس أحد من الناس إلاَّ وهو خير منك؟ ثمَّ حمل عليه فضربه حتى سكت، وأنهَّ لمشتغل به يضربه بسيفه، إذ شدَّ عليه سالم، فصاح به أصحابه: العبد قد دهاك، فلم يلتفت إليه حتى جاء سالم وبدره بضربة، فاتقاها الكلبي بيده، فاطار أصابع كفِّه، ثمَّ مال عليه الكلبي فقتله، ثمَّ قُتل بعد ذلك.

قال أبو مخنف: فلما رموهم هذه الرمية قلَّ أصحاب الحسين عليه السلام، فبقي في هؤلاء القوم الذين يذكرون في المبارزة، وقد قتل منهم ما ينيف على خمسين رجلاً، فعنها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته، فقال: هذه

رسل القوم - يعني السهام -، ثم قال: «اشتدَّ غضبُ الله على اليهود والنصارى إذ جعلوا له ولداً، واشتدَّ غضبُ الله على المجوس إذ عبدت الشمس والقمر والنَّار من دونه، واشتدَّ غضبُ الله على قوم اتَّفقت آراؤهم على قتل ابن بنت نبيهم، والله، لا أجيبهم إلى شيء مما يريدونه أبداً، حتىلقى الله وأنا مخضبٌ بدمي» ثم صاح عليه السلام: «أما من مُغيثٍ يُغيثنا لوجه الله تعالى؟ أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟»

فلما سمع الحر بن يزيد هذا الكلام، اضطرب قلبه، ودمعت عيناه، فخرج باكياً متضرعاً، مع غلام له تركي، وكان كيفية إنتقاله الى الحسين، أنه لما سمع هذا الكلام من الحسين أتى إلى عمر بن سعد، فقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله! قتالاً شديداً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي، فقال: أما لكم في واحدة من الخصال التي عرضَ عليكم رضى؟ فقال: والله، لو كان الأمر إليَّ لفعلتُ، ولكن أميرك قد أبى ذلك.

فأقبل الحر حتى وقف عن النَّاس جانباً ومعه رجل من قومه، يقال له: قرّة بن قيس، فقال له: يا قرّة! هل سقيت فرسك اليوم ماء؟ قال: لا. قال: أما تُريد أن تسقيه؟ قال قرّة: فظننت، والله، أنه يُريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، ويكره أن أراه يصنع ذلك مخافة أن أرفع عليه، فقلت له: لم أسقيه وأنا منطلقٌ فأسقيه.

قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه والله لو أطلعني على الذي يُريد لخرجتُ معه إلى الحسين، فأخذ يدنو قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه: يا أبا يزيد! إنَّ أمرك لمريب، فما الذي تُريد؟ قال: والله، إنني أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت.

ثم ضرب فرسه، ولحق بالحسين مع غلامه التركي، فقال: يا بن رسول الله! جعلني الله فداك، إني صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجتُ بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو، ما ظننت القوم يردون عليك ما عرضت عليهم، ولا يبلغون بك هذه المنزلة، وإني لو سوّلت لي نفسي أنهم يقتلونك ما ركبتُ هذا منك، وإني قد جئتُك تائباً إلى ربي مما كان مني، ومواسيك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟

قال: «نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك، ما اسمك؟» قال: أنا الحرُّ، قال: «أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحرُّ في الدنيا والآخرة؛ إنزل»، فقال: أنا لك فارساً خيراً مني لك راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير أمري. ثم قال: يا بن رسول الله! كنتُ أوّل خارج عليك، فأذن لي أن أكون أوّل قتيل بين يديك، فلعلي أن أكون ممن يصفح جدّك محمداً غداً في القيامة. فقال له الحسين: «إن شئت فانت ممن تاب الله عليه، وهو التواب الرحيم»، فكان أول من تقدّم إلى براز القوم، الحرّ بن يزيد الرياحي، فأنشد في برازه:

إني أنا الحرّ وماوى الضيف أضربُ في أعناقكم بالسيف

عن خير من حلّ بوادي الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

وروي: أن الحرّ لما لحق بالحسين، قال رجل من بني تميم، يقال له يزيد بن سفيان: أما والله، لو لقيت الحرّ حين خرج لاتبعتك السنان، فبينا هو يقاتل، وإنّ فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه، وإن الدماء لتسيل، إذ قال الحصين بن نمير: يا يزيد! هذا الحرّ الذي كنت تتمناه، فهل لك به؟ قال: نعم، وخرج إليه، فما لبث الحرّ أن قتله وقتل أربعين فارساً وراجلاً، ولم

يزل يقاتل حتى عرقب فرسه، وبقي راجلاً، فجعل يقاتل وهو يقول:

إن تعقروا بي فأنا ابن الحرِّ أشجع من ذي لبدة هزبر
ولست بالخوار عند الكرِّ لكنني الثابت عند الفرِّ

ثم لم يزل يقاتل حتى قُتل، فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدي الحسين وبه رمق، فجعل الحسين يمسح التراب عن وجهه، وهو يقول له: «أنت الحرُّ كما سمّتك به أمك، أنت الحرّ في الدنيا، وأنت الحرّ في الآخرة». ثم رثاه بعض أصحاب الحسين.

وقال الحاكم الجشمي: بل رثاه علي بن الحسين عليه السلام بقوله:

لنعم الحرَّ حرَّ بني رياح صبورٌ عند مشتبك الرماح
ونعم الحرَّ إذ نادى حسين فجاد بنفسه عند الصبح

وروي: أنه كان ينشد عند مكافحته:

آليت لا أقتل حتى أقتلا ولا أصاب اليوم إلا مقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً معضلا لا ناكلاً فيهم ولا مهللاً

قال: ثم برز من بعده برير بن خضير الهمداني، وهو يقول:

أنا برير وفتى خضير أضربكم ولا أرى من ضير
يعرف في الخير أهل الخير كذاك فعل الخير من برير

وكان برير من عباد الله الصالحين، فحمل وقاتل قتالاً شديداً، وجعل

ينادي فيهم: اقتربوا مني، يا قتلة المؤمنين! اقتربوا مني، يا قتلة أولاد

البدرين! اقتربوا مني، يا قتلة عترة خير المرسلين! فبرز إليه رجل يقال له:

يزيد بن معقل، فقال لبرير: أشهد أنك من المضلّين، فقال له برير: هلم،

فلندع الله أن يلعن الكاذب منا، وأن يقتل الحق منا المبطل.

فخرجوا، ودعوا الله تعالى في ذلك، وتبارزا فضرب يزيد بريراً ضربة

خفيفة لم تضره، وضرب برير يزيداً ضربة قدّت المغفر، ووصلت إلى دماغه، فسقط قتيلًا، فحمل بجير بن أوس الضبي على برير، وهو مشغول بيزيد، فقتله، ثمّ جال في ميدان الحرب، وهو يقول:

سلي تخبري عني وأنتِ ذميمة	غداة حسين والرماح شوارع
ألم آتِ أقصى ما كرهت ولم يحل	غداة الوغى والروع ما أنا صانع
معِي يزني لم تخنه كعوبه	وأبيض مشحوذ الغرارين قاطع
فجردته في عصابة ليس دينهم	كديني وإني بعد ذاك لقانع
وقد صبروا للطعن والضرب حسرا	وقد جالدوا لو أنّ ذلك نافع
فأبلغ عبيد الله إمالقيته	باني مطيع للخليفة سامع
قتلتُ بريراً ثمّ جللتُ نعمة	غداة الوغى لما دعا من يقارع

ثمّ إنه ذكر له بعد ذلك أن بريراً كان من عباد الله الصالحين، ثمّ جاءه ابن عم له يقال له: عبيد الله بن جابر، فقال له: ويلك، يابجير! أقتلت برير بن خضير؟ بأي وجه تلقى ربك غداً؟ فندم وقال:

فلو شاء ربّي ما شهدت قتالهم	ولا جعلَ النعماء عند ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عاراً وسبةً	تعيّر به الأبناء عند المعاشر
فبالت أني كنت في الرّحم حيضة	ويوم حسين كنتُ في رمس قابر
ويا سواتي ماذا أقول لخالقي؟	وما حجّتي يوم الحساب القماطر؟

قال: ثمّ خرج وهب بن عبد الله بن جناب الكلبي، وكانت معه أمه، فقالت له: قم يا بني! فانصر ابن بنت رسول الله، فقال: أفعل، يا أمّاه! ولا أقصر إن شاء الله، ثمّ برز، وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي	سوف تروني وترون ضربي
وحملتني وصولتي في الحرب	أدركُ ثاري بعد ثار صحبي
وأدفع الكرب بيوم الكرب	فما جلادي في الوغى للعب

ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة، فرجع إلى أمه وامراته فوقف عليهما، فقال: يا أماه! أرضيت عني؟ فقالت: ما رضيت، أو تقتل بين يدي ابن بنت رسول الله، فقالت له امراته: أسالك بالله أن لا تفجعني بنفسك، فقالت له أمه: لا تسمع قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله ليكون غداً شفيحك عند ربك. فتقدم وهو يقول:

إني زعيمٌ لك أم وهب	بالطعن فيهم تارة والضرب
فعل غلام مؤمن بالرب	حتى يذيق القوم مرَّ الحرب
إني امرؤ ذو مرة وعصب	ولست بالخوار عند النكب
حسبي بنفسي من غليم حسبي	إذا انتميت في كرام العرب

ولم يزل يقاتل حتى قطعت يمينه، فلم يبال، وجعل يقاتل حتى قطعت شماله، ثم قُتل، فجاءت إليه أمه تمسح الدم عن وجهه، فابصرها شمر بن ذي الجوشن، فأمر غلاماً له فضربها بالعمود حتى شدخها وقتلها، فهي أول امرأة قتلت في حرب الحسين عليه السلام.

وذكر مجد الائمة السرخسكي، عن أبي عبد الله الحداد: أن وهب بن عبد الله هذا، كان نصرانياً، فأسلم هو وأمه على يد الحسين عليه السلام، وأنه قتل في المبارزة أربعة وعشرين رجلاً، واثنى عشر فارساً، فأخذ أسيراً، وأتى به عمر بن سعد، فقال له: ما أشدَّ صولتك! ثم أمر فضرب عنقه، ورمي برأسه إلى عسكر الحسين، فأخذت أمه الرأس فقبلته، ثم شدَّتْ بعمود الفسطاط، فقتلت به رجلين، فقال لها الحسين: «ارجعي ام وهب! فإنَّ الجهاد مرفوع عن النساء». فرجعت، وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي، فقال لها الحسين: «لا يقطع الله رجاك، يأم وهب!، انتِ وولدك مع رسول الله وذريته في الجنة».

قال : ثم برز من بعده عمرو بن خالد الأزدي ، وهو يقول :

اليوم يانفس إلى الرحمن	تمضين بالروح وبالريحان
اليوم تجزين على الإحسان	قد كان منك غابر الزمان
ماخط باللوح لدى الديان	فاليوم زال ذاك بالغفران
لا تجزعي فكل حيّ فان	والصبر أحظى لك بالأمان

فقاتل حتى قُتل ، ثمّ تقدم ابنه خالد بن عمرو بن خالد الأزدي ، وهو يقول :

صبراً على الموت بني قحطان	كيما نكون في رضى الرحمن
ذي المجد والعزة والبرهان	ياأبتا قد صرت في الجنان

ثم حمل فقاتل حتى قتل ، ثم خرج من بعده سعد بن حنظلة التميمي وهو يقول :

صبراً على الأسياف والأسنة	صبراً عليها لدخول الجنة
وحدور عين ناعمات هنّ	لمن يريد الفوز لا بالظنّه
يانفس للراحة فاطرحنه	وفي طلاب الخير فارغبنه

ثم حمل وقاتل قتالاً شديداً فقتل ، ثم خرج من بعده عمير بن عبد الله المذحجي ، وهو يقول :

قد علمت سعد وحي مذحج	أنى ليث الغاب لم اهجهج
أعلو بسيفي هامة المدجج	وأترك القرن لدى التعرج
فريسة الضبع الأزل الأعرج	فمن تراه واقفاً بمنهجي

ولم يزل يقاتل قتالاً شديداً ، حتى قتله مسلم الضبابي ، وعبد الله البجلي ، اشتركا في قتله ، ثم خرج مسلم بن عوسجة الأسدي وهو يقول :

إن تسألوا عني فإنني ذو لبـد من فرع قوم من ذري بني أسد
فمن بغاني حائد عن الرشد وكافر بدين جبار صمد

ثم تابعه نافع بن هلال الجملي، وهو يقول:

أنا على دين عليٍّ ابن هلال الجملي
أضربكم بمنصلي تحت عجاج القسطل

فخرج نافع رجل من بني قطيعة، فقال لنافع: أنا على دين عثمان، فقال نافع: إذن أنت على دين الشيطان، وحمل عليه فقتله، فأخذ نافع ومسلم يجولان في ميمنة ابن سعد، فقال عمرو بن الحجاج - وكان على الميمنة -: ويلكم، يا خمقاء مهلاً! أتدرون من تقاتلون؟ إنما تقاتلون فرسان مصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرزن منكم أحد إلا قتلوه على قتلهم، والله، لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال ابن سعد له: صدقت! الرأي ما رأيته، فأرسل في العسكر يعزم عليهم: أن لا يبارز رجل منكم، فلو خرجتم وحداناً لاتوا عليكم مبارزة. ثم دنا عمرو بن الحجاج من أصحاب الحسين، ثم صاح بقومه: يا أهل الكوفة! ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين، وخالف إمام المسلمين.

فقال له الحسين: «يا ابن الحجاج! أعليّ تحرّض الناس؟ أنحن مرقنا عن الدين وأنتم ثبتتم عليه؟ والله، لتعلمنّ أينما المارق عن الدين، ومن هو أولى بصلي النار».

ثم حمل عمرو بميمنته من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة، وانصرف عمرو بن الحجاج، وارتفعت الغبرة، فإذا مسلم صريع، فمشي إليه الحسين، فإذا به رمق، فقال له الحسين: «رحمك

الله يامسلم! ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ الاحزاب/٢٣، ودنا منه حبيب بن مظاهر، فقال له: عزَّ والله، عليَّ مصرعك يامسلم! أبشر بالجنة. فقال قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا اني اعلم اني لاحق بك في اترك من ساعتى هذه، لاحببتُ أن توصي إليَّ بكل ما أهمك، حتى أحفظك في ذلك، لما أنت أهله في القرابة والدين، فقال له: بلى، أوصيك بهذا رحمك الله، -وأوماً إلى الحسين- أن تموت دونه. فقال له: أفعل وربُّ الكعبة، فما أسرع من أن مات، فصاحت جارية له: ياسيده! يابن عوسجته! فنادى أصحاب عمر بن سعد مستبشرين: قتلنا مسلم بن عوسجة، فقال شيب بن ربعي لبعض من حوله: ثكلتكم أمهاتكم! أما أنكم تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلون عزَّكم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟ أما والذي أسلمت له، لربَّ موقف له في المسلمين كريم، والله، لقد رأيته يوم «آذربيجان» قتل ستَّة من المشركين قبل أن تلتئم خيول المسلمين.

قال: ثُمَّ حمل شمر بن ذي الجوشن فثبوا له، وقاتل أصحاب الحسين قتالاً شديداً، وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً، فلا يحملون على جانب من أهل الكوفة إلا كشفوه، فدعا عمر بن سعد بالحصين بن نمير في خمسمائة من الرماة، فأقبلوا حتى دنوا من الحسين وأصحابه، فرشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وقاتلوهم حتى انتصف النهار، واشتد القتال، ولم يقدر أصحاب ابن سعد أن يأتوهم إلا من جانب واحد، لاجتماع ابنتهم وتقارب بعضها من بعض. فأرسل عمر بن سعد الرجال ليقوّضوا الأبنية من عن شمائلهم وأيمانهم ليحيطوا بها، وأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون بينها فيشدون على الرجل وهو يقوّض ويتهب،

فيرمونه من قريب فيصرعونه ويقتلونه، فأمر عمر بن سعد أن يحرقوها بالنار.

فقال الحسين لأصحابه: «دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو فعلوا لم يجوزوا إليكم منها». فأحرقوها وكان ذلك كذلك. وقيل: قال له شيب بن ربعي: أفزعت النساء ثكلتك أمك! فاستحى من ذاك وانصرف عنه، وجعلوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد، وشد أصحاب زهير بن القين فقتلوا أبا عذرة الضبابي من أصحاب شمر.

قال: ولا يزال يقتل من أصحاب الحسين الواحد والإثنان، فيتبين ذلك فيهم لقلتهم، ويقتل من أصحاب عمر العشرة والعشرون، فلا يتبين ذلك فيهم لكثرتهم.

قال: ورأى أبو ثمامة الصيداوي زوال الشمس، فقال للحسين: يا أبا عبد الله! نفسي لك الفداء، أرى هؤلاء قد اقتربوا، ولا والله، تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها. فرفع الحسين رأسه إلى السماء، وقال له: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين، نعم، هذا أول وقتها»، ثم قال: «سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي».

فقال له الحصين بن نمير: إنها لا تقبل منك، فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل الصلاة زعمت من آل رسول الله، وتقبل منك يا مختار! فحمل عليه الحصين، وحمل عليه حبيب فضرب حبيب وجه الفرس، فشب الفرس، ووقع عنه الحصين فاحتوشه أصحابه فاستنقذوه.

فقال الحسين لزهير بن القين؛ وسعيد بن عبد الله: «تقدما أمامي»، فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلى بهم صلاة الخوف.

وروي أنَّ سعيد بن عبدالله الحنفي تقدَّم أمام الحسين عليه السلام، فاستهدف له يرمونه بالنبل، فما أخذ الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً إلا قام بين يديه، فما زال يُرمى حتى سقط إلى الارض، وهو يقول: اللَّهُمَّ! العنهم لعنَ عاد وشمود، اللَّهُمَّ! أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح، فإنني أردتُ بذلك نصرة ذرية نبيك، ثم مات، فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف، وطعن الرماح.

قال: ثُمَّ خرج عبد الرحمن بن عبد الله الزني، وهو يقول:

انا ابن عبد الله من آل يزن	ديني على دين حسين وحسن
اضربكم ضرب فتى من اليمن	أرجو بذاك الفوز عند المؤمن
ثُمَّ حمل فقاتل حتى قتل.	

ثم خرج من بعده يحيى بن سليم المازني، وهو يقول:

لاضربنَّ اليوم ضرباً فيصلا	ضرباً طلحفي ^(١) في العدى مستاصلا
لا عاجزاً عنهم ولا مهللاً	ما أنا إلا الليث يحمي الاشبالا
ثُمَّ حمل فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتل.	

ثم خرج من بعده قرّة بن أبي قرّة الغفاري، وهو يقول:

قد علمت حقاً بنو غفّار	وخندف بعبد بني نزار
بانني الليث الهزبر الضاري	لاضربنَّ معشر الفجار
بحد غضب ذكر بتار	يشع لي في ظلمة الغبار
دون الهداة السادة الأبرار	رھط النبي أحمد المختار

ثُمَّ حمل فقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده مالك بن أنس الكاهلي، وهو يقول:

(١) شديداً.

قد علمت كاهل ثم دودان والخندفيون وقيس عيلان
بانَّ قومي آفة للأقران واني سيدُ تلك الفرسان
ثم حملَ فقاتلَ حتَّى قُتلَ .

ثم خرج من بعده عمر بن مطاع الجعفي ، وهو يقول :

انا ابن جعفي وأبي مطاع وفي يميني مرهف قطاع
وأسمر سنانه لماع يرى له من ضوئه شعاع
قد طاب لي في يومي القراع دون حسين وله الدفاع
ثمَّ حَمَلَ فقاتلَ حتَّى قُتلَ .

ثم خرج من بعده حبيب بن مظاهر الاسدي ، وهو يقول :

انا حبيب وأبي مظهر^(١) فارسٌ هيجاء وحرب تُسعر
فانتم عند العديد أكثر ونحنُ أعلى حجةً وأظهر
وانتم عند الهياج غدر ونحنُ أوفى منكم واصبر
ثمَّ قاتلَ وجعلَ يحملُ ، ويقول :

أقسمُ لو كنتم لنا أعدادا أو شطركم وليتم الاكتادا
ياشر قوم حسباً وآدا ويا أشدَّ معشر عنادا

فحملَ عليه رجل من بني تميم فطعنه ، فذهب ليقوم فضربه الحصين ابن نمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل التميمي فاحتزَّ رأسه ، فهدَّ مقتله الحسين ، فقال : «عند الله احتسبُ نفسي وحماة أصحابي» ، وقيل : بل قتله رجل ، يقال له : بدیل بن صريم ، وأخذ رأسه فعلقه في عنق فرسه ، فلما دخل الكوفة رآه ابن حبيب بن مظاهر - وهو غلام غير مراهق - فوثبَ عليه وقتله وأخذَ رأسه .

(١) المضبوط مظهر والشعر يشهد له والجاري على الالسن مظاهر .

قال : ثمَّ خرج من بعده جون مولى أبي ذر الغفاري ، وكان عبداً
أسود ، فجعل يقول وهو يحملُ عليهم :

كيف يرى الفجار ضرب الأسود	بالمشرفي القاطع المهند
أحمي الخيار من بني محمد	أذب عنهم باللسان واليد
أرجو بذاك الفوز عند المورد	من الإله الواحد الموحد

وقاتلَ حتى قُتل .

ثمَّ خرج من بعده أنيس بن معقل الاصبحي ، فجعل يقول :

أنا أنيس وأنا ابن معقل	وفي يميني نصل سيف فيصل
أعلو به الهامات بين القسطل	حتى أزيل خطبه فينجلي
عن الحسين الفاضل المفضل	ابن رسول الله خير مرسل

ثم حملَ ولم يزل يُقاتل حتى قُتل .

ثمَّ خرجَ من بعده يزيد بن مهاصر الجعفي ، وهو يقول :

أنا يزيد وأبي مهاصر	ليث عرين في العرين خادر
ياربَّ إني للحسين ناصر	ولا بن سعد تاركٌ وهاجر

ثم حملَ وقاتلَ حتى قُتل .

ثمَّ خرج من بعده الحجاج بن مسروق - وهو مؤذن الحسين عليه السلام - ،

فجعل يقول :

أقدم حسين هادياً مهدياً	اليوم نلقى جدك النبيا
ثم أباك ذا العلاء علياً	والحسن الخير الرضا الوليا
وذا الجناحين الفتى الكميا	وأسد الله الشهيد الحيا

ثمَّ حملَ فقاتلَ حتى قُتل .

ثم خرجَ من بعده زهير بن القين البجلي ، وهو يقول :

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين
 إنَّ حسيناً أحدُ السبطين من عترة البرّ التقي الزين
 ذاك رسولُ الله غير المين اضربكم ولا أرى من شين

وروي أنَّ زهيراً لما أراد الحملة وقف على الحسين عليه السلام، وضرب على كتفه، وقال: أقدم حسين هادياً مهدياً الأبيات التي تقدّمت للحجاج بن مسروق، فلا أدري أهو منشؤها، أم الحجاج بن مسروق، ثمّ قاتل قتالاً شديداً. فشدّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي؛ ومهاجر بن أوس التميمي، فقتلاه فقال الحسين حين صرع زهير: «لا يبعدنك الله يازهير! ولعن الله قاتلك، لعن الذين مسخهم قردة وخنازير».

ثم خرج من بعده سعيد بن عبد الله الحنفي، وهو يقول:

أقدم حسين اليوم نلقى أحمدا وشيخك الخير علياً ذا الندى
 وحسناً كالبدور وافى الأسعدا وعمك القرم الهجان الأصيدا
 وحمزة ليث الإله الأسد في جنة الفردوس نعلو صعدا

فحملَ وقاتل حتّى قُتل.

وروي: أنَّ هذه الأبيات لسويد بن عمرو بن أبي المطاع والله أعلم. قال: ثمّ خرج من بعده نافع بن هلال الجملي، وقيل: هلال بن نافع، وجعل يرميهم بالسهم فلا يخطئ، وكان خاضباً يده، ودان يرمي ويقول:

أرمي بها معلمة أفواقها والنفس لا ينفعها إشفاقها
 مسمومة يجري بها أخفاقها لتملأن أرضها رشاقها

فلم يزل يرميهم حتى فئت سهامه، ثمّ ضرب إلى قائم سيفه فاستله،

وحملَ، وهو يقول:

انا الغلام اليمني الجملي ديني على دين حسين وعليّ
إن أقتل اليوم فهذا أمني وذاك رأيي والاقبي عملي

فقتل ثلاثة عشر رجلاً حتى كسر القوم عضديه، واخذوه أسيراً، فقام
شمر بن ذي الجوشن فضرب عنقه.

ثم خرج من بعده جنادة بن الحرث الأنصاري، وهو يقول:

انا جنادة أنا ابن الحارث لستُ بخوار ولا بناكث
عن بيعتي حتى يقوم وارثي من فوق شلو في الصعيد ماكث
فحمل ولم يزل يُقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده عمرو بن جنادة، وهو ينشد ويقول:

أضق الخناق من ابن هند وأرمه في عقره بفوارس الانصار
ومهاجرين مخضبين رماحهم تحت العجاجة من دم الكفار
خضبت على عهد النبي محمد فاليوم تخضب من دم الفجار
واليوم تخضب من دماء معاشر رفضوا القرآن لنصرة الاشرار
طلبوا بشارهم ببدر وانشوا بالمرهفات وبالقنا الخطار
والله ربي لا ازال مضارباً للفاسقين بمرفف بتار
هذا عليّ اليوم حق واجب في كل يوم تعانق وحوار

ثم حمل فقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده شاب قُتل أبوه في المعركة، وكانت أمه عنده،
فقالت: يا بني! اخرج فقاتل بين يدي ابن رسول الله حتى تقتل. فقال:

افعل! فخرج، فقال الحسين: «هذا شاب قُتل أبوه، ولعل أمه تكره

خروجه»، فقال الشاب: أمي أمرتني يا ابن رسول الله! فخرج وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

عليّ وفاطمة والداه فهل تعلمون له من نظير
 ثمّ قاتلَ فقتلَ، وحزّ رأسه ورمي به إلى عسكر الحسين، فاخذت أمه
 رأسه، وقالت له: أحسنتَ يا بُني! يا قرة عيني وسرور قلبي! ثمّ رمت برأس
 ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمة، وحملت على القوم، وهي تقول:

أنا عجوزٌ في النسا ضعيفة بالية خاوية نحيفة
 أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة
 فضربت رجلين فقتلتهم، فأمر الحسين عليه السلام بصرفها ودعا لها.
 ثمّ خرج عمرو بن قرظة الانصاري، وهو يقول:

قد علمت كتيبة الانصار اني أحمي حوزة الذمار
 ضرب غلام غير نكس شار دون حسين مهجتي وداري
 ثمّ حملَ فقاتلَ قتالاً شديداً حتى قُتل.

ثم خرج من بعده عبد الرحمن بن عروة، وجعل يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار وخندف بعد بني نزار
 لأضربن معشر الأشرار بالمشرقي الصارم البتار
 ثمّ قاتلَ حتى قُتل.

قال: وجاء عابس بن شبيب الشاكري، ومعه شوذب مولى شاكر.
 فقال: يا شوذب! ما في نفسك أن تصنع؟ قال: وما أصنع! أقاتل حتى أقتل،
 فقال له: ذلك الظنُّ بك، فتقدّم بين يدي - أبي عبد الله -، احتسبك
 ويحتسبك كما احتسب غيرك، فإن هذا اليوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر
 بكل ما قدرنا عليه، فانه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب. ثمّ تقدم
 فسلم على الحسين، وقال له: يا أبا عبد الله! أما واللّه، ما أمسى على ظهر
 الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن

أدفع عنك الضيم والقتل بشيءٍ أعزَّ عليَّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك، يا أبا عبد الله! أشهد اني على هداك وهدى أبيك، ثمَّ مشى بالسيف نحوهم.

قال ربيع بن تميم: فلما رأيته مقبلاً عرفته - وقد كنت شاهدته في المغازي - فكان أشجع الناس، فقلت للقوم: أيها الناس! هذا أسد الأسود، هذا ابن شبيب، لا يخرجنَّ إليه أحد منكم. فأخذ ينادي: ألا رجل؟ ألا رجل؟ فقال عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة، فرمي بالحجارة من كلِّ جانب، فلا رأى ذلك القى درعه ومغفره، ثمَّ شدَّ على الناس، فوالله، لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس، ثم تعطفوا عليه من كلِّ جانب فقتل، فرأيتُ رأسه في أيدي رجال ذوي عدَّة، هذا يقول: أنا قتلته! وهذا يقول: أنا قتلته! فقال عمر بن سعد: لا تختصموا، هذا والله لم يقتله إنسان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.

ثمَّ جاء عبد الله؛ وعبد الرحمن الغفاريان، فقالا: السلامُ عليك يا أبا عبد الله! أحببنا أن نقتلَ بين يديك، وندفع عنك، فقال: «مرحباً بكما، أدنوا مني»، فدنوا منه وهما يبكيان، فقال لهما: «يا ابني أخي! ما يبكيكما، فوالله، إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري العين؟» فقالا: جعلنا الله فداك، لا، والله ما نبكي على أنفسنا، ولكن نبكي عليك، نراك قد أحيطَ بك ولا نقدر أن نمنع عنك، فقال: «جزاكم الله، يا ابني أخي! بوجدكما من ذلك، ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين»، ثمَّ استقدما، وقالا: السلامُ عليك، يا بن رسول الله! فقال: «وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته»، فخرجا وقاتلا قتالاً شديداً حتى قُتلا.

ثمَّ جاء سيف بن الحرث بن سريع؛ ومالك بن عبد الله بن سريع

الجابر يان بطن من همدان، يقال لهم: بنو جابر، فتقدما أمام الحسين عليه السلام،
 ثم التفتا إليه، وقالوا: السلام عليك، يا أبا عبد الله! فقال: «وعليكما السلام
 ورحمة الله وبركاته»، ثم خرجا فقاتلا قتالاً شديداً حتى قُتلا.
 ثم خرج غلام تركي مبارز، قارئ للقرآن، عارف بالعربية، وهو من
 موالي الحسين، فجعل يقاتل ويقول:

البحر من طعني وضربي يصطلي والجو من سهمي ونبلي يمتلي
 إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المبجل
 فقتل جماعة، فتحاوشوه فصرعوه، فجاءه الحسين وبكى ووضع خده
 على خده، ففتح عينيه، ورآه فتبسّم، ثم صار إلى ربه.

ثم جاء إليه عمر بن خالد الصيدائي، فقال: السلام عليك، يا أبا
 عبد الله! قد هممت أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلف فأراك وحيداً
 من أهلك قتيلاً، فقال له الحسين: «تقدم، فإننا للاحقون بك عن ساعة»،
 فتقدم وقاتل قتالاً شديداً، حتى قُتل.

ثم جاء إليه حنظلة بن أسعد العجلي الشامي، فوقف بين يدي الحسين
 يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره، وأخذ ينادي: يا قوم! *إني
 أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب * مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من
 بعدهم، وما الله يريد ظملاً للعباد * ويا قوم إني أخاف عليكم يوم
 التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم * غافر / ٢٠-٢٣. يا قوم لا
 تقتلوا حسيناً * فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري * طه / ٦١.

فقال له الحسين: «يا بن أسعد! رحمك الله، إنهم قد استوجبوا العذاب
 حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك يشتمونك
 وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟» فقال:

صدقت، جعلتُ فداك، أفلا نروح إلى ربنا فنلحق بإخواننا؟ فقال له الحسين: «رُح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يُبلى»، فقال: السلامُ عليك، يا بن رسول الله! وعلى أهل بيتك، وجمع الله بيننا وبينك في الجنة. فقال الحسين: «آمين! آمين!» ثمَّ استقدم فقاتل قتالاً شديداً، فحملوا عليه فقتلوه.

ثمَّ رماهم يزيد بن زياد أبو الشعثاء بمائة سهم ما أخطأ منها بخمسة أسهم، وكان كلما رمى، قال الحسين: «اللَّهُمَّ! سدِّد رميته، واجعل ثوابه الجنة»، فحملوا عليه فقتلوه.

وكان يأتي الحسين الرجل بعد الرجل، فيقول: السلامُ عليك، يا بن رسول الله! فيجيبه الحسين: «وعليك السلام، ونحن خلفك، ويقرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾» الاحزاب/٢٣، ثمَّ يحمل فيقتل حتى قُتلوا عن آخرهم (رضوان الله عليهم)، ولم يبقَ مع الحسين إلا أهل بيته.

أقول: وهكذا يكون المؤمن: يؤثر دينه على دنياه؛ وموته على حياته في سبيل الله ينصر الحقَّ وإن قُتل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ آل عمران/١٦٩، وقال النبي ﷺ: «كل قُتيل في جنب الله شهيد»، ولما وقف رسول الله ﷺ على شهداء «أحد» وفيهم حمزة بن عبد المطلب، قال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء القوم، زملوهم بدمائهم، فإنهم يُحشرون يوم القيامة وكلوهم رواء، وأوداجهم تشخب دماً، فاللون لون الدم، والريحُ ريحُ المسك، فهم كما قيل:

كسته القنا حلة من دم	فأضحت لرائيه من أرجوان
جزته معانقة الدارعين	معانقة القاصرات الحسان

وروى الناصر للحق، عن آبائه (رضوان الله عليهم)، عن النبي ﷺ،
انه قال: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، ولو أتوا بذنوب أهل الأرض:
الضارب بسيفه أمام ذريتي؛ والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في
حوائجهم، والمحبُّ لهم بقلبه ولسانه».

جعلنا الله من محبيهم، ورزقنا شفاعة جدهم بمنه وسعة رحمته.
قال: ولما قُتل أصحاب الحسين عليه السلام، ولم يبق إلا أهل بيته، وهم:
ولد علي؛ وولد جعفر؛ وولد عقيل؛ وولد الحسن؛ وولده، اجتمعوا وودع
بعضهم بعضاً، وعزموا على الحرب، فأول من خرج من أهل بيته عبد الله
ابن مسلم بن عقيل، فخرج وهو يقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبي
ليسوا كقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب
ثم حمل فقاتل وقتل جماعة ثم قُتل.

فخرج من بعده جعفر بن عقيل بن أبي طالب، فحمل وهو يقول:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي من معشر في هاشم وغالب
فنحن حقاً سادة الذوائب فينا حسين أطيب الأطائب
وقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل، فحمل وهو يقول:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني
فينا حسين سيد الأقران وسيد الشباب في الجنان

فقاتل حتى قتله عثمان بن خالد.

ثم خرج من بعده محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فحمل

وهو يقول:

نشكوا إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد تركوا معالم القرآن وأظهروا الكفر مع الطغيان
فقاتل قتالاً شديداً حتى قُتل .

ثم خرج من بعده عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فحمل
وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيدٌ صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في معشر
فقاتل حتى قُتل، قيل: قتله عبد الله بن قطبة .

ثم خرج من بعده عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في بعض
الروايات، وفي بعض الروايات: القاسم بن الحسن وهو غلام صغير لم
يلغ الحلم، فلما نظر إليه الحسين إعتقه، وجعل يبيكان حتى غشي عليهما،
ثم استأذن الغلام للحرب فأبى عمه الحسين أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبل
يديه ورجليه ويسأله الإذن حتى أذن له، فخرج ودموعه على خديه، وهو
يقول:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن
هذا حسين كالأسير المرتهن بين أناس لا سقوا صوب المزن
وحمل، وكان وجهه فلقة قمر، وقاتل فقتل - على صغر سنه - خمسة
وثلاثين رجلاً .

قال حميد بن مسلم: كنت في عسكر ابن سعد، فكنت أنظر إلى
الغلام، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع أحدهما، ما أنسى أنه
كان شسع اليسرى، فقال عمرو بن سعد الأزدي: والله، لاشدَّن عليه،
فقلت: سبحان الله! ما تريد بذلك؟ فوالله، لو ضربني ما بسطت له يدي،

يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه، قال: واللّه، لافعلن! وشدّ عليه، فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عماء! فانقض عليه الحسين كالصقر، وتخلّل الصفوف، وشدّ شدة الليث الحرب، فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بيده، فأطنها من المرفق فصاح، ثمّ تنحى عنه، فحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوه، فاستقبلته بصدورها، ووطأتها بحوافرها، فمات وانجلت الغبرة، فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه، والحسين يقول: «عز واللّه على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يعينك، أو يعينك فلا يُغني عنك، بعداً لقوم قتلوك، الويل لقاتلك»، ثم احتمله فكأنّي أنظر الى رجلي الغلام تخطان الأرض، وقد وضع صدره إلى صدره. فقلتُ في نفسي: ما ذا يصنع به؟ فجاء به حتى ألقاه مع القتلى من أهل بيته، ثم رفع طرفه إلى السماء، وقال: «اللّهُمَّ! احصهم عدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي! صبراً يا أهل بيتي! لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً». ثم خرج عبد الله بن الحسن الذي ذكرناه أولاً - في رواية - والأصح أنه برز بعد القاسم في الرواية الثانية، وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدرهِ ضرغام آجام وليث قسوره
على الأعادي مثل ريح صرصره أكيلكم بالسيف كيل السندره

وقاتلَ حتى قُتلَ، وهاتان الروايتان وقع فيهما الشك بالسابق منهما. ثم تقدّم إخوة الحسين عليه السلام عازمين على أن يقتلوا من دونه، فأول من تقدّم منهم: أبو بكر بن عليّ، واسمه عبد الله، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن ربيعي بن مسلم بن جندل بن نهشل بن دارم التميمية، فبرز أبو بكر، وهو يقول:

شيخى عليّ ذو الفخار الأطول من هاشم الصدق الكريم المفضل
هذا الحسين ابن النبي المرسل نذودُ عنه بالحسام الفيصل
تفديه نفسي من أخٍ مبجل ياربّ فامنحني ثواب المجزل
فحمل عليه زحر بن قيس النخعي فقتله، وقيل: بل رماه عبد الله بن
عقبة الغنوي فقتله.

ثم خرج من بعد أبي بكر بن عليّ، أخوه عمر بن عليّ، فحمل وهو
يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زحر ذاك الشقيّ بالنبي قد كفر
يا زحر يا زحر تدان من عمر لعلك اليوم تبوء بسقر
شرّ مكان في حريق وسعر فإنّك الجاحد يشر البشر
ثم قصد قاتل أخيه فقتله، وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً، ويقول
في حملاته:

خلوا عداة الله خلوا عن عمر خلوا عن الليث العبوس المكفر
يضربكم بسيفه ولا يفر وليس يغدو كالجبان المنحجر
ولم يزل يُقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده عثمان بن علي وأمه أم البنين بنت حزام بن خالد،
من بني كلاب، وهو يقول:

إني أنا عثمان ذو المفاخر شيخى عليّ ذو الفعال الطاهر
صنو النبي ذي الرشاد السائر ما بين كل غائب وحاضر
ثمّ قاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده أخوه جعفر بن علي، وأمه أم البنين أيضاً، فحمل
وهو يقول:

إني أنا جعفر ذو المعالي نجلُ علي الخير ذو النوال
أحمي حسيناً بالقنا العسال وبالحسام الواضح الصقال
ثم قاتل حتى قُتل .

ثم خرج من بعده أخوه عبد الله بن علي ، وأمه أم البنين أيضاً ، فحملَ وهو يقول :

أنا ابن ذي النجدة والافضال ذاك عليُّ الخير في الفعال
سيف رسول الله ذو النكال وكاشف الخطوب والاهوال
فحملَ وقاتلَ حتى قُتل .

ثم خرجَ من بعده العباس بن عليّ ، وأمه أم البنين أيضاً ، وهو «السقاء» ، فحملَ وهو يقول :

أقسمتُ بالله الأعزّ الأعظم وبالحجون صادقاً وزمزم
وبالحطيم والفنا المحرّم ليخضبنّ اليوم جسمي بدمي
دون الحسين ذي الفخار الاقدم إمام أهل الفضل والتكرم

فلم يزل يقاتل حتى قتلَ جماعةً من القوم ، ثم قُتل ، فقال الحسين :
«الآن انكسر ظهري ، وقلّت حيلتي» .

فتقدم علي بن الحسين ، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي - ، وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة ، فلما رآه - الحسين - رفع شيبته نحو السماء ، وقال : «اللَّهُمَّ اشهد على هؤلاء القوم ، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلُقاً ومنطقاً برسولك محمد ﷺ ، كنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه ، اللهم ! فامنعمهم بركات الارض ، وإن منعتهم ففرقهم تفريقاً ، ومزقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قدداء ، ولا ترض الولاة عنهم أبداً ، فإنهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا يقاتلوننا ويقتلوننا» .

ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: «مالك! قطع الله رحمك، ولا بارك الله في أمرك، وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ﷺ» ثم رفع صوته وقرا: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذَرِيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» آل عمران/ ٣٣.

ثم حمل علي بن الحسين وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي	نحنُ وبيتُ الله أولى بالنبى
والله، لا يحكم فينا ابن الدّعي	أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف حتى يلتوي	ضرب غلام هاشمي علوي

فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الكوفة لكثرة من قتل منهم، حتى أنه روي: أنه على عطشه قتل مائة وعشرين رجلاً، ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبة! العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين وقال: «يابني! عزّ على محمد؛ وعلى علي؛ وعلى أبيك، أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك، يابني! هات لسانك»، فأخذ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتمه، وقال له: «خذ هذا الخاتم في فيك وارجع إلى قتال عدوك، فإني أرجو أن لا تُمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظما بعدها أبداً»، فرجع علي بن الحسين إلى القتال، وحمل وهو يقول:

الحرب قد بانت لها حقائق	وظهرت من بعدها مصادق
والله، ربّ العرش لا نفارق	جموعكم أو تغمد البوارق

وجعل يقاتل حتى قتل تمام المائتين، ثمّ ضربه منقذ بن مرة العبدى على مفرق رأسه ضربة صرعه فيها، وضربه الناس بأسيافهم، فاعتنق الفرس

فحملة الفرس إلى عسكر عدوه، فقطعوه بأسيا فهم إرباً إرباً، فلما بلغت روحه التراقي، نادى بأعلى صوته: يا ابتاه! هذا جدي رسول الله ﷺ قد سقاني بكأسه الاوفى شربة لا اظماً بعدها أبداً، وهو يقول لك: العجل فإن لك كأساً مذخورة، فصاح الحسين: «قتل الله قوماً قتلوك، يا بني! ما أجراهم على الله، وعلى انتهاك حرمة رسول الله ﷺ؟! على الدنيا بعدك العفا».

قال حميد بن مسلم: لكأني أنظر الى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس طالعة، تنادي بالويل والثبور، تصيح: واحبيباه! واثمرة فؤاداه! وانور عيناه! فسألت عنها، فقيل: هي زينب بنت علي، ثم جاءت حتى انكبت عليه، فجاء إليها الحسين حتى أخذ بيدها، وردّها إلى الفسقاط، ثم أقبل مع فتياه إلى ابنه فقال: إحملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتى وضعوه عند الفسقاط الذي يقاتلون أمامه.

قال: وخرج غلام من تلك الابنية في أذنيه قرطان، وهو مذعور فجعل يلتفت يمينا وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل هاني بن بعث فقتله، ثم التفت الحسين عن يمينه وشماله فلم يرَ أحداً من الرجال، فخرج علي بن الحسين وهو زين العابدين وهو أصغر من أخيه عليّ القليل، وكان مريضاً، وهو الذي نسل آل محمد ﷺ^(١) فكان لا يقدر على حمل سيفه، وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع! فقال: «يا عمتاه! ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله»، فقال الحسين: «يا أم كلثوم! خذيه ورديه، لا تبق الأرض خالية من نسل آل محمد»، ولما فجع بأهل بيته وولده ولم يبقَ غيره وغير النساء والاطفال وغير ولده المريض، نادى: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول

(١) - يعني ان نسل الحسين منه، فان اولاده لم يبق منهم سواه.

الله؟ هل من موحدٍ يخافُ اللهَ فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو اللهَ في إغاثتنا؟ هل من معينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟»، فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدم إلى باب الخيمة وقال: «ناولوني علياً الطفل حتى أودعه»، فناولوه الصبي، فجعل يقبله ويقول: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان خصمهم جدك» فبينما الصبي في حجره إذ رماه حرملة بن الكاهل الأسدي فذبحه في حجره، فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه، ثم رمى به نحو السماء، وقال: «اللهم! إن حبست عنا النصر، فاجعل ذلك لما هو خير لنا».

ثم نزل الحسين عن فرسه، وحفر للصبي بجفن سيفه، وزمله بدمه، وصلى عليه، ثم قام وركب فرسه، ووقف قبالة القوم مصلاً سيفه بيده، ايضاً من نفسه، عازماً على الموت، وهو يقول:

«أنا ابنُ عليٍّ الخيرِ من آلِ هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مضى	ونحنُ سراج الله في الأرض نزهر
وفاطمة أمي ابنة الطهر أحمد	وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادعاً	وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر
ونحنُ أمانُ الله في الخلق كلهم	نسر بهذا في الانام ونجهر
ونحنُ ولاة الحوض نسقي محبنا	بكأس وذاك الحوض للسقي كوثر
فيسعد فينا في القيام محبنا	ومبغضنا يوم القيامة يخسر»

ثم أنشد كما قيل:

«كفر القوم وقدماً رغبوا	عن ثواب الله رب الثقلين
قتلوا قدماً علياً وابنه	حسن الخير وجاءوا للحسين
خيرة الله من الخلق أبي	بعد جدي فأنا ابن الخيرتين»

وذكر السلامي في «تاريخه»: أن الحسين أنشأ هذه الأبيات، وليسَ

لاحد مثلها وهي قوله :

«فإن تكن الدنيا تعدُّ نفيسة وإن تكن الأبدان للموت أنشئت وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً وإن تكن الأموال للترك جمعها سامضي وما بالقتل عاراً على الفتى

فدار ثواب الله أعلى وأنبل فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل فقلّة حرص المرء في الكسب أجمل فما بال متروك به المرء يبخل؟ إذا في سبيل الله يمضي ويقتل»

ثم إنه عليه السلام دعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقتل كل من دنا إليه من عيون الرجال حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، فحالوا بينه وبين رحله فصاح بهم: «ويحكم، يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

فناداه شمر: ما تقول يا حسين؟ فقال: «أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي مادمت حياً». فقال له شمر: لك ذلك يا ابن فاطمة! ثم صاح شمر بأصحابه: إليكم عن حرم الرجل، واقصدوه بنفسه، فلعمري، لهو كفو كريم! فقصدته القوم بالحرب من كل جانب، فجعل يحملهم عليهم ويحملون عليه، وهو في ذلك يطلب الماء ليشرب منه شربة، فكلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه، حتى أجلوه عنه، ثم رماه رجل يقال له: أبو الحتوف الجعفي بسهم فوق السهم في جبهته، فنزع الحسين السهم، ورمى به، فسال الدم على وجهه ولحيته، فقال: «اللهم! قد ترى ما أنا فيه من عبادة هؤلاء العصاة العتاة، اللهم! فاحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً».

ثم حملَ عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه وألحقه بالحضيض، والسهام تأخذه من كل ناحية، وهو يتلقاها بنحره وصدره، ويقول: «يا أمة السوء! بئسما خلفتم محمداً ﷺ في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله الصالحين، فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي، وإيم الله، إني لأرجو أن يكرمني ربي بهوانكم، ثم ينتقم منكم من حيث لا تشعرون».

فصاح به الحصين بن مالك السكوني: يا بن فاطمة! بماذا ينتقم لك منا؟ فقال: «يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثم يصبّ عليكم العذاب الاليم». ثم جعل يُقاتل حتى أصابته اثنتان وسبعون جراحة، فوقف يستريح وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فسالت الدماء من جبهته، فأخذ الثوب ليمسح عن جبهته فأتاه سهم محدّد، مسموم، له ثلاث شعب، فوقع في قلبه، فقال الحسين ﷺ: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله - ورفع رأسه إلى السماء -، وقال: إلهي! إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره».

ثم أخذ السهم وأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت دماً رمى بها إلى السماء، فما رجع من ذلك قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين بدمه إلى السماء، ثم وضع يده على الجرح ثانياً، فلما امتلأت لطح بها رأسه ولحيته، وقال: «هكذا، والله، أكون حتى ألقى جدي محمداً ﷺ وأنا مخضوبٌ بدمي، وأقول: يا رسول الله! قتلني فلان وفلان».

ثم ضعف عن القتال فوقف مكانه، فكلما أتاه رجل من الناس وانتهى إليه، انصرف عنه، وكره أن يلقي الله بدمه، حتى جاءه رجلٌ من كندة، يقال

له: «مالك بن نسر» فضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه برنس^(١)، فقطع البرنس وامتلاً دماً، فقال له الحسين: «لا أكلت يمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين»، ثم ألقى البرنس ولبس قلنسوة^(٢) واعتم عليها، وقد أعى وتبلد، وجاء الكندي فأخذ البرنس - وكان من خز -، فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ليغسله من الدم، قالت له امرأته: أتسلب ابن بنت رسول الله برنسه، وتدخل بيتي؟! اخرج عني حشا الله قبرك ناراً. وذكر أصحابه: أنه يبست يداه ولم يزل فقيراً بأسوء حال إلى أن مات.

ثم نادى شمر: ما تنتظرون بالرجل؟ فقد أثختته السهام، فاحذت به الرماح والسيوف، فضربه رجل، يقال له: «زرعة بن شريك التميمي» ضربة منكراً، ورماه «سنان بن أنس» بسهم في نحره، وطعنه «صالح بن وهب المري» على خاصرته طعنة منكراً، فسقط الحسين عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن، ثم استوى جالساً ونزع السهم من نحره، ثم دنا عمر بن سعد من الحسين ليراه.

قال حميد بن مسلم: وخرجت زينب بنت علي وقرطاها يجولان في أذنيها، وهي تقول: ليت السماء أطبقت على الأرض، يابن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فجعلت دموعه تسيل على خديه ولحيته، فصرف وجهه عنها، والحسين جالس وعليه جبة خز، وقد تحاماه النساء، فصاح شمر: ويحكم، ما تنتظرون؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، فضربه «زرعة ابن شريك» فأبان كفه اليسرى، ثم ضربه على عاتقه فجعل يكبو مرة

(١) - البرنس: هو القلنسوة الطويلة.

(٢) - القلنسوة: هي القصيرة تلبس في الرأس.

ويقوم أخرى، فحمل عليه «سنان بن أنس» في تلك الحال، فطعنه بالرمح فصرعه، وقال لخولي بن يزيد: احتز رأسه، فضعف وارتعدت يداه، فقال له سنان: فت الله عضدك وأبان يدك، فنزل إليه «نصر بن خرشة الضبابي»، وقيل: بل «شمر بن ذي الجوشن»، وكان أبرص فضربه برجله، وألقاه على قفاه، ثم أخذ بلحيته.

فقال له الحسين عليه السلام: «أنت الكلب الأبقع الذي رأيته في منامي؟» فقال شمر: أتشبهني بالكلاب يا بن فاطمة؟ ثم جعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام، ويقول:

أقتلك اليوم ونفسي تعلم علماً يقيناً ليس فيه مزعم
ولا مجال لا ولا تكتم أن أباك خير من يكلم

١٠- أخبرنا أبو الحسن أحمد بن علي العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثني عمي فضيل بن الزبير، عن عبد الله بن ميمون، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن أبيه، قال: كنا مع الحسين عليه السلام بنهر كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن، فقال: «الله أكبر! الله أكبر! صدق الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: كاني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي». فغضب عمر بن سعد، فقال لرجل كان عن يمينه: انزل ويحك إلى الحسين فأرحه! فنزل إليه - قيل هو خولي بن يزيد الأصبحي - فاحتز رأسه، - وقيل: بل هو «شمر» -.

وروي: أنه جاء إليه شمر بن ذي الجوشن؛ وسنان بن أنس والحسين عليه السلام بآخر رمق يلوكُ بلسانه من العطش، فرفسه شمر برجله،

وقال: يا بن أبي تراب! أأست تزعم أن أباك على حوض النبي يسقي من أحبه؟ فاصبر حتى تأخذ الماء من يده. ثم قال لسان بن أنس: احتز رأسه من قفاه، فقال: والله، لا أفعل ذلك! فيكون جدّه محمد خصمي، فغضب شمر منه، وجلس على صدر الحسين عليه السلام، وقبض على لحيته، وهمّ بقتله، فضحك الحسين، وقال له: «أقتلني؟ أولا تعلم من أنا؟» قال: أعرفك حقّ المعرفة، أمّك فاطمة الزهراء؛ وأبوك علي المرتضى؛ وجدك محمد المصطفى؛ وخصمك الله العلي الأعلى، وأقتلك ولا أبالي، وضربه بسيفه اثنتي عشرة ضربة، ثم حزّ رأسه، ثم تقدم الأسود بن حنظلة فاخذ سيفه، وأخذ جعوثه الحضرمي قميصه فلبسه، فصار أبرص، وسقط شعره.

وروي: أنه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنه وضربة، وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: «وجد فيه ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة»، وأخذ سراويله بحير بن عمرو الجرمي، فصار زماً مقعداً من رجليه، وأخذ عمامته جابر بن يزيد الأزدي فاعتم بها فصار مجذوماً، وأخذ مالك بن نسر الكندي درعه، فصار معتوهاً، وارتفعت في السماء - في ذلك الوقت - غبرة شديدة مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتى ظنّ القوم أن العذاب قد جاءهم، فلبثوا بذلك ساعة، ثمّ أنجلت عنهم.

قال: وقتل الحسين عليه السلام - باتفاق الرواة - يوم عاشوراء عاشر محرم سنة إحدى وستين، وهو ابن أربع وخمسين سنة وستة أشهر ونصف.

قال: وأقبل فرس الحسين، وقد عدا من بين أيديهم أن لا يؤخذ، فوضع ناصيته في دم الحسين، وذهب يركض إلى خيمة النساء، وهو يصهل ويضرب برأسه الأرض عند الخيمة، فلما نظرت أخوات الحسين وبناته وأهله

إلى الفرس ليس عليه أحد، رفعن أصواتهن بالصراخ والعويل، ووضعت أم كلثوم يدها على أم راسها، ونادت: وامحمداه! واجداه! وانبياه! واأبا القاسماه! واعلياه! واجعفراه! واحمزتاه! واحسنه! هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، ثم غشي عليها، وأقبل الأعداء حتى أحدقوا بالخيمة، ومعهم شمر بن ذي الجوشن، فقال: ادخلوا فاسلبوا بزتهن. فدخل القوم فأخذوا كل ما كان بالخيمة حتى أفضوا إلى قرط كان في أذن أم كلثوم - أخت الحسين - فأخذوه وخرموا أذنها، حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتى تغلب عليه. وأخذ قيس بن الأشعث قطيفة للحسين، كان يجلس عليها، فسمي لذلك: «قيس قطيفة»، وأخذ نعليه رجل من الازد، يقال له: «الأسود»، ثم مال الناس على الورس والخيل والإبل فانتهبوها.

قال: حميد بن مسلم: انتهيت إلى علي بن الحسين، وهو مضطجع على فراش له وهو مريض، وإذا شمر مع رجال، يقولون له: ألا نقتل هذا المريض؟ فقلت له: سبحان الله! ما معنى قتل المرضى من الصبيان؟ وما زلت به أذاف عنه حتى جاء عمر بن سعد، فقال: ألا لا يدخلن أحد بيوت هذه النسوة، ولا يتعرض لهذا الغلام المريض أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده.

قال: فوالله، مارد واحد منهم شيئاً غير أنهم كفوا، فقال لي علي بن الحسين: جُزيت من رجل خيراً، فقد رفع الله عني بمقاتلك شر هؤلاء، وقال عبيد الله بن عمار: رأيت على الحسين سراويل تلمع ساعة قُتل، فجاء أبجر ابن كعب فسلبه وتركه مجرداً.

وذكر محمد بن عبد الرحمن: إنَّ يدي أبجر بن كعب كانتا ينضحان

الدم في الشتاء، ويبسان في الصيف كأنهما عود.

وقال بعض من شهد الواقعة: ما رأيت مكثوراً قط قُتل ولده، وإخوته، وبنو عمّه، وأهل بيته، أربط جاشاً، ولا أمضى جناناً، ولا أجرى من الحسين عليه السلام، ولا رأيت قبله ولا بعده مثله، لقد رأيت الرجال تنكشف عنه إذا شدّ فيهم انكشاف المعزى إذا عاث فيها الذئب.

قال: ثم إن عمر بن سعد، نادى: من ينتدب الحسين فيوطئه فرسه فانتدب له عشرة نفر، منهم: إسحاق الحضرمي، ومنهم: الأخنس بن مرثد الحضرمي، القائل في ذلك:

نحن ررضنا الظهر بعد الصدر بكلّ يعبوب شديد الأسر
حتى عصينا الله ربّ الأمر بصنعنا مع الحسين الطهر
فداسوا حسيناً بخيولهم، حتى رضوا صدره وظهره، فسئل عن ذلك، فقال: هذا أمر الأمير عبيد الله.

قال: ثمّ دفع الرأس إلى خولي بن يزيد الأصبحي، ليحمله إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومه ذلك إلى الغد، فجمع قتلاه فصلى عليهم ودفنهم، وترك الحسين وأهل بيته وأصحابه، فلما ارتحلوا إلى الكوفة وتركوهم على تلك الحالة عمد أهل الغاضرية من بني أسد فكفّنوا أصحاب الحسين، وصلّوا عليهم، ودفنوهم، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً.

قال: ثم أذن عمر بن سعد بالناس في الرحيل إلى الكوفة، وحمل بنات الحسين، وأخواته، وعليّ بن الحسين، وذرايرهم، فلما مروا بجثة الحسين وجثث أصحابه، صاحت النساء، ولطنن وجوههن، وصاحت زينب: يا محمداه! صلي عليك ملك السماء، هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، معفر بالتراب، مقطع الأعضاء، يا محمداه! بناتك في العسكر

سبايا، وذريتك قتلى تسفى عليهم الصبا، هذا ابنك محزوز الرأس من القفا، لا هو غائب فيرجى، ولا جريح فيداوى.

وما زالت تقول هذا القول حتى أبكت والله كل صديق وعدو، حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها، ثم قطعت رؤوس الباقيين فسرّح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن؛ وقيس بن الأشعث؛ وعمرو ابن الحجاج.

قال: ولما أدخل خولي الأصبحي الرأس على ابن زياد وكان الذي يتولى حمله بشير بن مالك فقدّمه إليه، وأنشأ يقول:

إملاً ركابي فضة وذهبا إني قتلتُ الملك المحجبا
قتلتُ خير الناس أمّا وأبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال: فإذا علمت أنه كذلك لم قتلتته؟ والله، لا نلت مني خيراً ولا لحقنك به، فقدّمه وضرب عنقه.

قال: وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُساق الأسارى، حتى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم، وجعلوا يبكون ويتوجعون، وعلي بن الحسين مريض، مغلول مكبل بالحديد، قد نهكته العلة، فقال: «ألا إن هؤلاء يبكون ويتوجعون من أجلنا، فمن قتلنا إذن؟»

١١- وذكر أبو علي السلامي، عن البيهقي صاحب «التاريخ»: أن

السنة التي قُتل فيها الحسين عليه السلام وهي سنة إحدى وستين سميت «عام الحزن».

قال: وقال بشير بن حذيم الأسدي: نظرتُ إلى زينب بنت علي يومئذ، ولم أرَ خفرة قط أنطق منها كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وتفرغ عنه، أومات إلى الناس أن اسكتوا! فارتدت

الانفاس؛ وسكنت الأجراس، فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي محمد رسول الله، وعلى آله الطيبين الأخيار آل الله، وبعد: يا أهل الكوفة! ويا أهل الختل، والخذل، والغدر! أتبكون؟ فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثاً، أتتخذون إيمانكم دخلاً بينكم؟ ألا وهل فيكم إلا الصلف، والطنف، والشنف، والنطف^(١) وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصبة^(٢) على ملحودة! ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، إن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون؟ إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً.

وأنى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء؛ وسيد شباب أهل الجنة؛ وملاذ خيرتكم؛ ومفزع نازلتكم؛ ومنار حجتكم، ومدره^(٣) ألسنتكم، ألا ساء ما تزون، وبعداً لكم وسحقاً! فلقد خاب السعي وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم، يا أهل الكوفة! أتدرون أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم، وأي دم له سفكتكم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي حريم له أصبتم، وأي حرمة له انتهكتكم؟ ﴿لقد جئتم شيئاً ادّاء، تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً﴾ مريم/٨٩، إنّ ما جئتم بها لصلعاء، عنقاء، سوء آء، فقماء، خرقاء، شوهاء كطلاع الأرض وملاء السماء، أفعجبتكم أن قطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة أشد وأخزى وأنتم لا تنصرون، فلا

(١) الأول الوقاحة والثاني فساد الأخلاق والثالث الكراهة والرابع النجاسة.

(٢) وهي الجص.

(٣) كبر المقدم في اللسان.

يستخفّنكم المهل، فإنه عزوجل لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلا، إنّ ربكم بالمرصاد، فترقبوا أوّل النحل^(١) وآخر صاد^(٢).

قال بشير: فوالله، لقد رأيتُ الناس يومئذ حيارى، كأنهم كانوا سكارى، يبكون ويحزنون، ويتفجعون ويتأسفون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، قال: ونظرت الى شيخ من أهل الكوفة، كان واقفاً إلى جنبي، قد بكى حتى أخضلت لحيته بدموعه، وهو يقول: صدقت، بأبي وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبانكم خير الشبان، ونساءؤكم خير النسوان، ونسلكم خير نسل لا يخزي ولا يیزی^(٣).

قال: ثمّ جاءوا بهم حتى دخلوا على عبيد الله بن زياد، فنظرت إليه زينب بنت علي عليه السلام وجلست ناحية، فقال ابن زياد: من الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ثانياً فلم تكلمه، فقال رجل من أصحابه: هذه زينب بنت علي ابن أبي طالب، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحككم وكذب أحدوثكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد عليه السلام، وطهرنا بكتابه تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر.

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت زينب: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يابن زياد! فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أمك يابن مرجانة! فغضب ابن زياد، وكأنه همّ بها، فقال له عمرو بن حريث المخزومي: إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ

(١) أي: «أتى أمر الله».

(٢) أي: «ولتعلمن نباه بعد حين».

(٣) أي لا يقهر. من بزاه يبروه قهره.

بشيء من منطقها .

فقال ابن زياد: يا زينب! لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين،
والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت زينب: لعمرى، لقد قتلت كهلي،
وقطعت فرعى، واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت . فقال
ابن زياد: هذه سجاعة، لا جرم، لعمرى لقد كان أبوك شاعراً سجاعاً،
فقالت زينب: يا ابن زياد! وما للمرأة والسجاعة؟ وإن لي عن السجاعة
لشغلاً .

فالتفت ابن زياد الى علي بن الحسين، وقال له: من أنت؟ قال: أنا
علي بن الحسين، فقال: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت عنه، فقال:
مالك لا تتكلم؟ فقال: كان لي أخ يقال له: «علي» قد قتله الناس (أو قال:
قد قتلتموه) وإن له منكم مطلباً يوم القيامة . فقال ابن زياد: بل الله! فقال
علي: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الزمر/٤٢، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ آل عمران/١٤٥، فقال: أنت والله، منهم، انظروا
إليه هل أدرك؟ فكشف عنه مروان بن معاذ الأحمر، قال: نعم، قال:
اقتله، فقال علي بن الحسين: فمن يتوكل بهؤلاء النسوة، وتعلقت به زينب
بنت علي، وقالت: يا ابن زياد! حسبك منا، أما رويت من دمائنا؟ واعتنقت
علياً، وقالت: أسألك بالله، يا ابن زياد! إن قتلته أن تقتلني معه .

فقال علي: يا عمة! اسكتي حتى أكلمه، فقال: يا ابن زياد! أبالقتل
تهددني؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟ فقال ابن زياد:
دعوه ينطلق مع نسائه، ثم قال: اخرجوهم عني، فأخرجوهم الى دار في
جنب المسجد الأعظم .

١٢- أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر

الزمخشري، أخبرنا الفقيه أبو علي الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزالي -بالري-، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسن الرازي، أخبرنا عمي الشيخ الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان الرازي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجعفي - بالكوفة -، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن أنس، حدثنا وهب بن جرير، حدثني أبي، حدثني هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أنس، قال: لما جيء برأس الحسين فوضع بين يديه - يعني ابن زياد - في طست جعل ينكتُ بقضيب في وجهه، وقال: ما رأيتُ مثل حسن هذا الوجه قط، فقلت: أما إنه كان يشبه رسول الله ﷺ، ثم بعث برأسه إلى يزيد، فلما أتى إلى يزيد برأسه، قال: لقد قتلك رجلٌ ما كان الرحم بينك وبينه قطعاً.

١٣- وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السمان هذا، أخبرنا أبو عبد الله هذا، أخبرنا محمد بن جعفر هذا، حدثنا علي بن منذر، حدثنا ابن فضيل، حدثنا سالم بن أبي حفصة، عن منذر الثوري، قال: كنتُ عند الربيع بن خثيم، فدخل عليه رجلٌ ممن شهد قتل الحسين عليه السلام ممن كان قاتله، فقال الربيع: قد جئتم برؤوسهم معلقها، وأدخل الربيع إصبعه في فيه تحت لسانه، وقال: قتلتم صبية لو أدركهم رسول الله ﷺ لقبّل أفواههم، وأجلسهم في حجره، ثم قال الربيع: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.

١٤- وبهذا الإسناد، عن أبي سعد السمان هذا، حدثنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد الأسدي - لفظاً - ببغداد، حدثنا محمد بن يحيى الصولي، حدثنا محمد بن يزيد، حدثني أبي، حدثني سليمان الواسطي، عن الحسن ابن أبي الحسن، سمعتُ أبا العالية البراء قال: لما قُتل الحسين عليه السلام أتى

عبيد الله بن زياد برأسه، فأرسل الى أبي برزة، فقال له عبيد الله: كيف شأني وشأن حسين بن فاطمة؟ قال: الله أعلم! فما علمي بذلك؟ قال: إنما أسالك عن علمك! قال: أما إذا سألتني عن رأيي فإن علمي أن الحسين يشفع له جده محمد ﷺ، ويشفع لك زياد، فقال له: اخرج! لولا ما جعلت لك، لضربت والله عنقك. فلما بلغ باب الدار، قال: لئن لم تغد علي وترح لأضربن عنقك.

١٥- وبهذا الإسناد عن أبي سعد - هذا -، أخبرنا أبو عبد الله هذا، أخبرنا محمد بن جعفر هذا، حدثنا عباد بن يعقوب، أخبرنا سعيد بن خثيم، عن محمد بن خالد الضبي، عن إبراهيم (ره)، قال: لو كنت ممن قاتل الحسين عليه السلام، ثم أتيت بالمغفرة من ربي، فأدخلت الجنة لاستحييت من محمد ﷺ أن أمر عليه فيراني.

١٦- أخبرنا صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن -إجازة بهمدان-، أخبرنا محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك، قال: لما أتى برأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد جعل ينكته بقضيب في يده، ويقول: إنه لحسن الثغر، فقلت: والله، لاسوائك! لقد رأيت رسول الله ﷺ يقبل موضع قضيبك من فمه.

وسمعت هذا الحديث في جامع أبي عيسى، ولم يذكر: أنه لحسن الثغر، وفيه: فجعل يقول بقضيب في أنفه، فقال أنس: فقلت: أما إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ.

١٧- وبهذا الإسناد، عن أبي العلاء هذا، أخبرنا عبد القادر بن

محمد، أخبرنا الحسن بن محمد الجوهري، أخبرنا أحمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن معروف، أخبرنا الحسين بن محمد، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا أحمد بن عبد الله، حدثنا شريك، عن مغيرة، قال: قالت مرجانة لعبيد الله بن زياد: قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ لا ترى الجنة أبداً.

١٨- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والدي أبو بكر أحمد ابن الحسين البيهقي، حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا إسماعيل بن أمية، حدثنا حبيب أخو حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: كنتُ جالساً عند عبيد الله ابن زياد إذ أتني برأس الحسين عليه السلام، فوضع بين يديه، فأخذ قضيه فوضعه بين شفتيه، فقلت له: إنك لتضع قضيبك في موضع طالما لثمه رسول الله ﷺ، فقال: قم! إنك شيخ قد ذهب عقلك.

وجاء هذا الحديث في «المراسيل»، وفيه زيادة: قال زيد بن أرقم: نحّ قضيبك هذا، فطالما رأيتُ شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين، ثم رفع زيد صوته يبكي، فقال ابن زياد: أبكى الله عينيك، والله، لولا إنك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، لضربتُ عنقك، فخرج وهو يقول: ملك عبدٌ حرّاً، أنتم يامعشر العرب! العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم، ويستعيد شراركم، رضيتُم بالذل، فبعداً لمن رضي.

١٩- وبهذا الإسناد، الذي مر عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا عبد الحميد بن بهرام،

حدثنا شهر بن حوشب، قال: سمعتُ أم سلمة لعنت أهل العراق، لما نعي الحسين عليه السلام، وقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وأذلوه لعنهم الله.

٢٠- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أخبرنا محمد بن علي، حدثنا الفضل بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن بهرام، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأجلح الكندي، عن عمرو بن قيس، قال: ثلاثة محجوجون يوم القيامة: وذكر الحديث - إلى أن قال: - وقاتل الحسين، يقال له: فيم قتلته؟ فلقد كان ينبغي أن تستحي من قتله، ولو كان ظالماً لك، لمكان جده رسول الله ﷺ، فكيف وأنت ظالم؟

٢١- وبهذا الإسناد، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا الأحوص، حدثنا يوسف بن أبي إسحاق، عن عمرو بن نعدة، قال: إنَّ أولَ ذل دخل العرب: قتل الحسين بن علي؛ وادعاء زياد.

٢٢- وذكر في كتاب «نزهة الطرف وبستان الظرف»: عن الحسن البصري، قال: قُتل مع الحسين بن علي عليه السلام ستة عشر من أهل بيته، ما كان لهم على وجه الأرض شبيه.

٢٣- وبهذا الإسناد الذي مرَّ عن أحمد بن الحسين، أخبرني أبو الحسين ابن الفضل القطان، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا ابن بكير، عن الليث بن سعد، قال: في سنة إحدى وستين قُتل الحسين بن علي وأصحابه، لعشر ليالٍ خلون من المحرم يوم عاشوراء يوم السبت في آخر اليوم، وقُتل معه العباس بن علي؛ وجعفر بن علي؛ وعبد الله بن علي؛ وعثمان بن علي؛ وأبو بكر بن علي؛ وعلي بن الحسين الأكبر؛ وعبد الله بن الحسن؛ وأبو بكر بن الحسن؛ والقاسم بن الحسن؛

وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ؛ ومحمد بن عبد الله بن جعفر ؛
وجعفر بن عقيل بن أبي طالب ؛ وعبد الرحمن بن عقيل ؛ ومسلم بن عقيل
- قتل قبل ذلك - ، وعبد الرحمن بن مسلم بن عقيل ؛ وسليمان مولى
الحسين ، ورضيع الحسين قتلا بالكوفة .

٢٤- قال يعقوب : وحدثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : سمعتُ
علياً ، قال : سمعتُ سفيان ، عن أبي موسى ، سمعت : الحسن البصري ،
يقول : قُتِلَ مع الحسين عليه السلام سبعة عشر رجلاً من أهل بيته .

٢٥- وذكر السيد الإمام أبو طالب : أنَّ الصحيح في يوم عاشوراء
الذي قتل فيه الحسين عليه السلام وأصحابه (رضي الله عنهم) أنه كان يوم الجمعة
سنة إحدى وستين .

٢٦- واختلف أهل النقل في عدد المقتول يومئذ مع ما تقدم من قتل
مسلم من العترة الطاهرة ، والاكثرون : على أنهم كانوا سبعة وعشرين ،
فمن ولد علي عليه السلام : الحسين بن علي ؛ وأبو بكر بن علي ؛ وعمر بن علي ؛
وعثمان بن علي ؛ وجعفر بن علي ؛ وعبد الله بن علي ؛ ومحمد بن علي ؛
والعباس بن علي ؛ وإبراهيم بن علي ، فهم تسعة ، ومن ولد الحسن بن علي :
عبد الله بن الحسن ؛ والقاسم بن الحسن ؛ وأبو بكر بن الحسن ؛ وعمر بن
الحسن ، وكان صغيراً ، فهم أربعة ، ومن ولد الحسين بن علي : علي بن
الحسين ؛ وعبد الله بن الحسين ، وكان أصغرهم ، فهما إثنان ، ومن ولد جعفر
ابن أبي طالب : محمد بن عبد الله بن جعفر ؛ وعون بن عبد الله بن جعفر ؛
وعبيد الله بن عبد الله بن جعفر ، وهم ثلاثة ، ومن ولد عقيل : مسلم بن عقيل ؛
وعبد الله بن عقيل ؛ وعبد الرحمن بن عقيل ؛ ومحمد بن عقيل ؛ وجعفر بن
عقيل ؛ ومحمد بن مسلم بن عقيل ؛ وعبد الله بن مسلم بن عقيل ؛ وجعفر بن

محمد بن عقيل ؛ ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ، فهم تسعة .
 وأخذوا رؤوس هؤلاء فحملت إلى الشام ، ودفنت جثثهم بالطف ،
 فلما كان أيام المتوكل ، وكان سيء الاعتقاد في آل أبي طالب ، شديد الوطأة
 عليهم ، قبيح المعاملة معهم ، ووافقه على جميع ذلك وزيره عبيد الله بن
 يحيى ، بلغ بسوء معاملتهم ما لم يبلغه أحد من الخلفاء من بني العباس ،
 فأمر بتخريب قبر الحسين ، وقبور أصحابه ، وكرب مواضعها وأجراء الماء
 عليها ، ومنع الزوار من زيارتها ، وأقام الرصد ، وشدد في ذلك حتى كان
 يقتل من يوجد زائراً ، وولى ذلك كله يهودياً ، وسلط اليهودي قوماً من
 اليهود فتولوا ذلك إلى أن قُتل المتوكل وقام بالأمر ابنه المنتصر ، فعطف على
 آل أبي طالب ، وأحسن إليهم ، وفرق فيهم الأموال ، فأعيدت القبور في
 أيامه ، إلى أن خرج الداعيان : الحسن ومحمد ابنا زيد ، فأمر محمد بعمارة
 المشهدين الشريفين : مشهد أمير المؤمنين ؛ ومشهد الحسين عليه السلام ، وأمر بالبناء
 عليهما ، وزيد في ذلك من بعد ؛ وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما
 وعمارتهما والأوقاف عليهما ؛ وكان يزورهما في كل سنة .

٢٧- أخبرنا الشيخ الإمام سعد الأئمة سعيد بن محمد بن أبي بكر
 الفقيمي إذنًا ، أخبرنا مجد الأئمة أبو الفضل محمد بن عبد الله
 السرخسكي ، أخبرنا أبو نصر محمد بن يعقوب ، أخبرنا أبو عبد الله طاهر
 ابن محمد الحدادي ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن علي بن نعيم ، أخبرنا أبو
 عبد الله محمد بن الحسين بن علي ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يحيى
 الذهلي ، قال : لما قتل الحسين عليه السلام بكربلاء هرب غلامان من عسكر عبيد الله
 ابن زياد : أحدهما يقال له : ابراهيم ؛ والآخر يقال له : محمد من ولد جعفر
 الطيار في الجنة ، فإذا هما بامرأة تستسقي ، فنظرت إلى الغلامين وإلى

حسنهما وجمالهما، فقالت لهما: من أنتما؟ ومن أين جئتما؟ فقالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنة، هربنا من عسكر عبيد الله بن زياد، فقالت المرأة: إن زوجي في عسكر عبيد الله بن زياد، ولولا أنني أخشى أن يجيء الليلة لأضفتكما وأحسنْتُ ضيافتكما. فقالا لها: انطلقى بنا فنجو أن لا يأتي زوجك الليلة، فانطلقت المرأة والغلامان حتى انتهت بهما إلى منزلها، فأدخلتهما وأتتهما بطعام، فقالا: مالنا في الطعام من حاجة، اتنا بمصلى نقضي نوافلنا، فأتتهما بمصلى فصليا وانطلقا إلى مضجعهما.

فقال الأصغر للأكبر: يا بن أُمي! التزمني وانتشق من رائحتي فيأني أظن أن هذه الليلة آخر ليلة فلا نمسي بعدها، فاعتنق الغلامان وجعلا يبكيان، فبينما هما كذلك إذ أقبل زوج المرأة فقرع الباب، فقالت المرأة: من هذا؟ فقال: افتحي الباب. فقامت ففتحت الباب، فدخل زوجها ورمى سلاحه من يديه، وقلنسوته من رأسه، وجلس مغتماً حزيناً، فقالت له امرأته: مالي أراك مغتماً حزيناً؟ قال: فكيف لا أحزن وإن غلامين قد هربا من عسكر عبيد الله؟ وقد جعل لمن جاء بهما عشرة آلاف درهم، وقد بعثني خلفهما فلم أقدر عليهما، فقالت امرأته: اتق الله يا هذا! ولا تجعل خصمك محمداً عليه السلام.

فقال لها: اعزبي عني! فوالله، لا أعرف لهما من رسول الله منزلة، فأتني بطعامي، فأتته بالمائدة ووضعتها بين يديه، فأهوى يأكل منها، فبينما هو يأكل إذ سمع هينة الغلامين في جوف الليل، فقال: ماهذه الهينة؟ قالت: لا أدري! قال: اتني بالمصباح حتى أنظر، فأتته به فدخل البيت فإذا هو بالغلامين، فعرفهما فوكزهما برجله وقال: قوما من أنتما؟ ومن أين جئتما؟

قالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنة، هربنا من عسكر ابن زياد، فقال لهما: من الموت هربتما وفي الموت وقعتما، فقالا له: يا شيخ! أتق الله، وارحم شبابنا، واحفظ قرابتنا من رسول الله، فقال لهما: دعا هذا، فوالله، لا أعرف لكما قرابة من رسول الله، فأقامهما وشدّ كتفيهما، ودعا بسلام له أسود، فقال له: دونك هذين الغلامين، فانطلق بهما إلى شط الفرات، واضرب أعناقهما، وأنت حر لوجه الله.

فتناول الغلام السيف، وانطلق بهما، فلما كان في بعض الطريق، قال له أحدهما: يا أسود! ما أشبه سوادك بسواد «بلال» خادم جدنا رسول الله! قال لهما: من أنتما من رسول الله؟ قالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنة، ابن عم رسول الله، فالتقى الأسود السيف من يده وألقى نفسه في الفرات، وكان مولاه اقتفى أثره، وقال: يامولاي! أردت أن تحرقني بالنار، فيكون خصمي محمد ﷺ يوم القيامة.

فقال له: عصيتني يا غلام؟ فقال الغلام: لأن أطيع الله وأعصيك أحب إلي من أن أطيعك وأعصي الله! فلما نظر إلى الغلام وحالته، علم أنه سيهرب، فدعا بابن له، فقال: دونك الغلامين فاضرب أعناقهما، ولك نصف الجائزة. فتناول الشاب السيف، وانطلق بهما، فقالا له: يا شاب! ماذا تقول لرسول الله غداً؟ بأي ذنب قتلنا، وبأي جرم؟ فقال: من أنتما؟ قالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنة ابن عم رسول الله، فالتقى الشاب نفسه في الماء، وقال: يا أبة! أردت أن تحرقني بالنار، ويكون محمد ﷺ خصمي! فاتق الله، يا أبة! وخل عن الغلامين، قال: يا بني! عصيتني؟ فقال: يا أبة! لأن أعصيك وأطيع الله أحب إلي من أن أطيعك وأعصي الله. فلما نظر الشيخ أن ابنه أبي ذلك كما أباه العبد، تناول السيف بيده،

وقال: واللّه، لا يلي هذا أحد سواي، ثم انطلق بالغلامين، فلما نظرا ذلك أيسا من الحياة، فقالا له: يا شيخ! اتق الله فينا! فإن كان تحملك على قتلنا الحاجة، فاحملنا إلى السوق، ونقرُ لك بالعبودية، فبعنا واستوف ثمننا، قال: لا تكثرا! فواللّه، لا أقتلكما للحاجة، ولكني أقتلكما بغضاً لا بيبكما ولاهل بيت محمد؟

ثم هز السيف، وضرب عنق الأكبر، ورمى بدنه بالفرات، فقال الأصغر: سألتك باللّه أن تتركني أتمرغ بدم أخي ساعة، ثم افعل ما بدا لك، قال: وما ينفعك ذلك؟ قال: هكذا أحب، فتمرغ بدم أخيه إبراهيم ساعة، ثم قال له: قم! فلم يقم، فوضع السيف على قفاه، وذبحه من القفا، ورمى ببدنه إلى الفرّات، وكان بدنُ الأوّل طافياً على وجه الفرّات، فلما قذف الثاني أقبل بدنُ الأوّل راجعاً يشق الماء شقاً حتى اعتنق بدن أخيه، والتزمه، ورسيا في الماء، وسمع الشيخ صوتاً من بينهما في الماء منهما، يقول: ياربنا! تعلم وترى ما فعل بنا هذا الظالم، فاستوف حقنا منه يوم القيامة، ثمّ أغمد سيفه وحمل الرأسين وركب فرسه، حتى أتى بهما عبيداللّه ابن زياد، فلما نظر عبيداللّه إلى الرأسين قبض على لحية الرجل، وقال له: سألتك باللّه ما قال لك الغلامان؟ قال: قال لي: يا شيخ! اتق الله وارحم شبابنا، فقال له: ويحك! لم ترحماهما؟ فقال له: لو رحمتها ما قتلتها.

فقال عبيداللّه: لما كنت لم ترحماهما فياني لأرحمك اليوم، ثم دعا بغلام أسود له يسمّى: نادراً، فقال: يانادر! دونك هذا الشيخ، فانطلق به إلى الموضع الذي قتل الغلامين فيه، فاضرب عنقه، ولك سلبه، ولك عندي عشرة آلاف درهم التي أجزتها، وأنت حرّ. فشدّ نادر كتفيه وانطلق

به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين، فقال الشيخ: يانادر! لا بد لك من قتلي؟ قال: نعم! قال: أفلا تقبل مني ضعف ما أعطيت؟ قال: لا! ثم ضرب عنقه ورمى بجيفته إلى الماء، فلم يقبله ورمى به إلى الشط، فأمر عبيد الله بحرقه فأحرق.

فهذا وأمثاله من الآيات التي ظهرت بقتل الحسين عليه السلام، ويجوز مثل هذا، وقد أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢٨- وبهذا الإسناد، عن مجد الأئمة هذا، قال: أخبرنا أبو نصر منصور بن أحمد القرني، أخبرنا الشيخ إسماعيل بن محمد، أخبرنا أبو الحسن المفسر «هو علي بن أحمد الواحدي»، حدثنا ابن كامل القاضي -ببغداد-، حدثنا أبو فلانة، حدثنا إبراهيم بن حميد الطويل، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن دينار، عن صهيب -مولى ابن عباس-، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من ذبح عصفوراً بغير حقه، سأله الله عنه يوم القيامة».

وفي رواية أخرى: «من ذبح عصفوراً بغير حق، ضجَّ إلى الله تعالى يوم القيامة منه، فقال: ياربُّ إنَّ هذا ذبحني عبثاً، ولم يذبحني منفعة». قال مجد الأئمة: هذا لمن ذبح عصفوراً بغير حق، فكيف لمن قتل مؤمناً؟ فكيف لمن قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحسين عليه السلام؟

عدنا إلى الحديث، قال: ولما جيء برأس الحسين إلى عبيد الله، طلب من يقوره ويصلحه، فلم يجسر أحد على ذلك، ولم يجر أحد جواباً، فقام طارق بن المبارك فأجابه إلى ذلك، وقام به فأصلحه وقوره، فنصبه بباب داره، ولطارق هذا، حفيد كاتب يكنى: «أبا يعلى» هجاه «العدوي» فعرض له بذلك وقال:

نعمة الله لا تُعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الإسلام
وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام
لا تسموا دواته فتصيبوا من دماء الحسين في الأقسام

قال: ولما كمل له ذلك، نادى في الناس، فجمعهم في المسجد الأعظم، ثم خرج ودخل المسجد وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فكان من بعض كلامه أن قال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب بن الكذاب، قال: فما زاد على هذا شيئاً حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، ثم العامري - أحد بني والبة -، وكان من رؤساء الشيعة وخيارهم، وكان قد ذهبت عينه اليسرى يوم «الجمل»، والأخرى يوم «صفين»، وكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم، يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة ابن زياد، وثب إليه، وقال: يا بن مرجانة! إن الكذاب وابن الكذاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، ياعدو الله ورسوله! أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟

فغضب عبيد الله بن زياد، وقال: من المتكلم؟ فقال: أنا المتكلم ياعدو الله! أتقتل الذرية الطاهرة الذين قد أذهب الله عنهم الرجس في كتابه، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والانصار، لينتقموا من هذا الطاغية، اللعين بن اللعين على لسان رسول الله رب العالمين؟ فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه.

فقال: عليَّ به، فوثب إليه الجلاوزة فاخذوه، فنادى بشعار الأزدي؟ يامبرور! وكان عبد الرحمن بن مخنف الأزدي في المسجد، فقال: ويح

نفسك! أهلكتها وأهلكت قومك. وحاضر الكوفة يومئذ سبعمئة مقاتل من الازد، فوثبت إليه فتية من الازد فانتزعوه منهم، وانطلقوا به إلى منزله، ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخلت عليه أشراف الناس، فقال: رأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟ قالوا: رأينا أصلح الله الأمير، إنما فعل ذلك الازد، فشد يدك بساداتهم فهم الذين استنقذوه من يدك.

فأرسل عبيد الله إلى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فأخذه، وأخذ جماعة من أشراف الازد فحبسهم، وقال، لا خرجتم من يدي أو تأتونني بعبد الله بن عفيف، ثم دعا بعمر بن الحجاج الزبيدي؛ ومحمد بن الأشعث؛ وشبث بن ربعي؛ وجماعة من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى الذي أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، فأتوني به. فانطلقوا يريدون عبد الله بن عفيف وبلغ الازد ذلك، فاجتمعوا وانضمت إليهم قبائل من اليمن ليمنعوا صاحبهم، فبلغ ذلك ابن زياد، فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث، وأمره أن يقاتل القوم، فأقبلت قبائل مضر، ودنت منهم اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً، وبلغ ذلك ابن زياد، فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم ويضعفهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن معهم، وبعث إليه شبث بن ربعي: أيها الأمير! إنك بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل.

قال: واشتد اقتتال القوم حتى قتلت جماعة من العرب، ووصل القوم إلى دار عبد الله بن عفيف فكسروا الباب، واقتحموا عليه، فصاحت ابنته: يا أبتى أتاك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليك يا بنية! ناوليني سيفي، فناولته السيف، فجعل يذب عن نفسه، وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وأنا ابن عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جدّته مغاور
وجعلت ابنته تقول: ليتني كنتُ رجلاً فأقاتل بين يديك هؤلاء
الفجرة، قاتلي العترة البررة، وجعل القوم يدورون عليه من يمينه وشماله
وورائه، وهو يذبُّ عن نفسه بسيفه فليس أحد يقدم عليه، كلما جاءوه من
جهة، قالت ابنته: جاءوك ياأبتي من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه من كل
ناحية، وأحاطوا به، فقالت ابنته: واذا له! يحاط بأبي، وليس له ناصر
يستعين به، وجعل عبد الله يدافع ويقول:

والله لو يكشف لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري
وما زالوا به حتى أخذوه، فقال جندب بن عبد الله الأزدي صاحب
رسول الله ﷺ: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذوا والله عبد الله بن عفيف،
فقبح الله العيش بعده. فقام وجعل يقاتل من دونه، فأخذ أيضاً وانطلق
بهما، وابن عفيف يردد: والله، لو يكشف لي عن بصري «البيت».
فلما أدخل على عبيد الله، قال له: الحمد لله الذي أخزأك، فقال ابن
عفيف: ياعدو الله! بماذا أخزاني، والله، لو يكشف عن بصري - البيت -،
فقال له: ما تقول في عثمان؟ فقال: يابن مرجانة! يابن سمية! يا عبد بني
علاج! ما أنت وعثمان؟ أحسن أم أساء، وأصلح أم أفسد، الله ولي خلقه
يقضي بينهم بالعدل والحق، ولكن سلني عنك وعن أبيك، وعن يزيد
وأبيه.

فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف:
الحمد لله رب العالمين، كنتُ أسأل الله أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك
مرجانة، وسألته أن يجعل الشهادة على يدي العن خلقه وأشرهم وأبغضهم
إليه، ولما ذهب بصري أيست من الشهادة، أما الآن فالحمد لله الذي رزقنيها

بعد اليأس منها، وعرفني الاستجابة منه لي في قديم دعائي .
 فقال عبيد الله: اضربوا عنقه، فضربت وصُلب. ثمَّ دعا ابن زياد
 بجندب بن عبد الله، فقال له: يا عدوَّ الله! ألسنت صاحب علي بن أبي
 طالب يوم صفين؟ قال: نعم، ولا زلت له ولياً ولكم عدواً، لا أبرأ من ذلك
 إليك ولا أعتذر في ذلك وأتصل منه بين يديك، فقال ابن زياد له: أما إنني
 سأقترب إلى الله بدمك، فقال جندب: والله، ما يقربك دمي إلى الله،
 ولكنه يباعدك منه، وبعد، فإنني لم يبقَ من عمري إلاَّ أقله، وما أكره أن
 يكرمني الله بهوانك، فقال: اخرجوه عني، فانه شيخ قد خرف وذهب
 عقله، فأخرج وخلي سبيله .

عدنا إلى حديثنا قال: ثم دعا عبيد الله بن زياد زحر بن قيس الجعفي،
 فأعطاه رأس الحسين، ورؤوس إخوته وأهل بيته وشيعته، ودعا بعلي بن
 الحسين فحملة وحمل عماته وأخواته وجميع نساءهم معه إلى يزيد، فسار
 القوم بحرم رسول الله من «الكوفة» إلى بلد «الشام» على محامل بغير
 وطاء، من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل، كما تُساق الترك والدِّيلم،
 وسبق زحر بن قيس برأس الحسين عليه السلام إلى «دمشق» حتى دخل على يزيد،
 فسلم عليه ودفع إليه كتاب عبيد الله بن زياد. فأخذ يزيد الكتاب، ووضع
 بين يديه، ثم قال لزحر: هات ما عندك يا زحر! فقال زحر: أبشر يا أمير
 المؤمنين! بفتح الله عليك وبنصره إياك، فإنه قد ورد علينا الحسين بن علي
 في اثنين وثمانين رجلاً من إخوته وأهل بيته وشيعته، فسرنا إليهم وسألناهم
 أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله فأبوا علينا، فقاتلناهم من
 وقت شروق الشمس إلى أن أضحى النهار، فلما اخذت السيوف مآخذها
 من هام الرجال، جعلوا يتوقفون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالأكام

والحفر، كما يخاف الحمام من الصقر، فوالله، يا أمير المؤمنين! ما كان إلا كجزر جزور، أو كاغفاءة القائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم بالعرء مجردة، وثيابهم بالدماء مزملة، وخدودهم بالتراب معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم: الرخم والعقبان، والذئب والضبعان.

فأطرق يزيد ساعة، ثم رفع رأسه وبكى، وقال: والله، يا هذا! لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله، لو صار إليّ لعفوت عنه، ولكن قبح الله ابن مرجان، فقال عبد الرحمن بن الحكم - أخو مروان ابن الحكم -، وكان جالساً عند يزيد في المجلس:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة

من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل^(١)

سمية أمسى نسلها عدد الحصى

وبنت رسول الله ليست بذى نسل

فقال يزيد: نعم! فلعن الله ابن مرجانة إذ أقدم على قتل مثل الحسين ابن فاطمة؛ أما والله، لو كنت أنا صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي ولكن إذا قضى الله أمراً لم يكن له مرد.

وروي: أن يزيد نظر إلى عبد الرحمن، وقال: سبحان الله! أفي هذا

الموضع تقول ذلك أما يسعك السكوت؟

قال: ثم أتى بالراس حتى وضع بين يدي يزيد في طست من ذهب،

فنظر إليه وأنشد:

(١) الوغل: المدعي نسباً كاذباً.

نفلق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً
ثم أقبل على أهل المجلس، وقال: إنّ هذا كان يفخر عليّ ويقول: إنّ
أبي خير من أب يزيد، وأمي خير من أم يزيد؛ وجدي خير من جد يزيد؛
وأنا خير من يزيد، فهذا هو الذي قتله، فأما قوله: بأنّ أباه خير من أبي،
فلقد حاجّ أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه، وأما قوله: بأنّ أمي خير من أم
يزيد، فلعمري، لقد صدق إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي؛ وأما
قوله: بأنّ جدّه خير من جدي، فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن
يقول: بأنه خير من محمد، وأما قوله: بأنه خير مني، فلعله لم يقرأ: ﴿قل
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء بيدك الخير إنك
على كل شيء قدير﴾ آل عمران/٢٦، ثم دعا بقضيب خيزران، فجعل
ينكت^(١) به ثنايا الحسين عليه السلام، وهو يقول: لقد كان أبو عبد الله حسن المضحك.
فاقبل عليه أبو برزة الأسلمي أو غيره من الصحابة، وقال له: ويحك
يا يزيد! أتنتك بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة؟ لقد أخذ قضيبك هذا ماخذاً
من ثغره، أشهدُ لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن،
ويقول: «إنهما سيدا شباب أهل الجنة، قتل الله قاتلتهما ولعنه، وأعدّ له
جهنم، وساءت مصيراً»، أما أنت يا يزيد! فتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن
زياد شفيحك، ويجيء هذا ومحمد شفيعه.

فغضب يزيد وأمر بإخراجه من المجلس فأخرج سحياً، وجعل يزيد
بعده يتمثل بأبيات ابن الزبيري، وسنورها من طريق مسند إن شاء الله.
وقيل: إنّ الذي ردّ عليه ليس أبا برزة، بل هو سمرة بن جندب
صاحب رسول الله ﷺ، وقال ليزيد: قطع الله يدك، يا يزيد! أتضرب ثنايا

(١) - نكت بالتاء المثناة: ضرب.

طالما رايتُ رسول الله ﷺ يقبلهما، ويلثم هاتين الشفتين؟ فقال له يزيد:
لولا صحبتك لرسول الله ﷺ لضربت، والله عنقك. فقال سمرة: ويلك،
تحفظ لي صحبتي من رسول الله ﷺ، ولا تحفظ لابن رسول الله ﷺ بنوته؟
فضج الناس بالبكاء، وكادت أن تكون فتنة.

٢٩- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي،
أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرني والذي، أخبرني
أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو نصر محمد بن أحمد الفقيه - قدم علينا
بنيسابور -، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حدثنا علي بن طاهر،
حدثنا عبد الله بن زاهر، حدثنا أبي، عن ليث بن سليم، عن مجاهد: أنَّ
يزيد حين أتى برأس الحسين بن علي ورؤوس أهل بيته، قال ابن محفز:
يا أمير المؤمنين! جئناك برؤوس هؤلاء الكفرة اللئام! فقال يزيد: ما ولدت أم
محفز أكفر والأم وأدم، ثم كشف عن ثنایا رأس الحسين بقضيبه، ونكته به
وأنشد:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت	قواضب في أيماننا تقطر الدما
صبرنا وكان الصبرُ منا عزيمة	وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما
نفلقُ هاماً من أناسٍ أعزّة	علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال له بعض جلسائه: ارفع قضيبك! فوالله، ما أحصي ما رأيت
شفتي محمد ﷺ في مكان قضيبك يقبله، فأنشد يزيد:

يا غراب البين ماشئت فقل	إنما تندبُ أمراً قد فعل
كلُّ ملكٍ ونعيم زائل	وبنات الدهر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لاهلّوا واستهلّوا فرحاً	ثم قالوا ياي زيد لا تشل

لستُ من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كانَ فعل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
قد أخذنا من علي ثارنا وقتلنا الفارس الليث البطل
وقتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

قال مجاهد: فلا نعلم الرجل إلا قد نافق في قوله هذا.

وقال أبو عبد الله الحافظ: وقد روينا في - رواية أخرى - بدل لستُ من خندف: لستُ من عتبة.

وقال شيخ السنة أحمد بن الحسين: وآخر كلام يزيد لا يشبه أوله، ولم أكتبه من وجه يثبت مثله، فإن كان قاله، فقد كان ضم إلى فعل الفجار، في قتل الحسين وأهل بيته أقوال الكفار، والله يعصمنا من الخطأ والزلل.

٣٠- أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أخبرنا الفقيه أبو الحسن علي بن أبي طالب الفرزادي - بالري -، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين السمان الرازي، أخبرني عمي الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان الرازي، أخبرني أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أبي خراسان - بقراءتي عليه -، حدثني محمد بن عبد الله بن عتاب، حدثني الحارث بن محمد بن أبي أسامة، حدثني محمد بن سعد، أخبرني محمد بن عمر، حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن عكرمة بن خالد، قال: أتني برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية بدمشق فنُصِب، فقال يزيد: عليَّ بالنعمان بن بشير، فلما جاء قال: كيف رأيت ما فعل عبيد الله بن زياد؟ قال: الحرب دول، فقال: الحمد لله الذي قتله، قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين - يعني به

معاوية - يكره قتله، فقال: ذلك قبل أن يخرج، ولو خرج على أمير المؤمنين، والله قتله إن قدر.

قال النعمان: ما كنت أدري ما كان يصنع؟

ثم خرج النعمان، فقال: هو كما ترون إلينا منقطع، وقد ولاه أمير المؤمنين ورفع، ولكن أبي كان يقول: لم أعرف أنصارياً قط إلا يحبُّ علياً وأهله، ويبغض قريشاً بأسرها.

٣١- حدثنا الشيخ الإمام عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي - إملاءً -، حدثنا الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلال، حدثنا السيد الإمام المرتضى نجم الدين نقيب النقباء أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسيني الحسيني، أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عيسى، أخبرنا أبو جعفر محمد بن منصور المرادي المقرئ، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، عن أبي خالد، عن زيد، عن أبيه عليه السلام، أن سهل بن سعد قال: خرجتُ إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطردة الانهار كثيرة الأشجار، قد علقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعل لاهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيتُ قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء! ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ! نراك غريباً، فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت رسول الله ﷺ وحملتُ حديثه، فقالوا: ياسهل! ما أعجبك السماء لا تمطر دماً، والأرض لا تخسف بأهلها، قلت: ولم ذاك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عترة رسول الله ﷺ يُهدى من أرض «العراق» إلى «الشام»، وسيأتي الآن.

قلت : واعجباه! يهدي رأس الحسين والناس يفرحون، فمن أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب، يقال له: «باب الساعات»، فسرتُ نحو الباب، فبينما أنا هنالك، إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ، وإذا بنسوة من ورائه على جمال بغير وطاء، فدنوت من إحداهن، فقلت لها: يا جارية! من أنت؟ فقالت: أنا سكيمة بنت الحسين، فقلتُ لها: ألك حاجة إليّ؟ فأنا سهل بن سعد، ممن رأى جدك وسمعتُ حديثه، قالت: يأسهل! قل لصاحب الرأس أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا، فنحنُ حرم رسول الله.

قال: فدنوت من صاحب الرأس، وقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي، وتأخذ مني أربعمئة دينار؟ قال: وما هي؟ قلتُ: تقدم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، ودفعتُ له ما وعدته، ثم وضع الرأس في حَقَّة، وأدخل على يزيد، فدخلتُ معهم، وكان يزيد جالساً على السرير، وعلى رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فدخل صاحب الرأس ودنا منه، وقال:

أوقر ركابي فضّة أو ذهباً فقد قتلتُ السيد المحجبا

قتلتُ أزكى الناس أماً وأبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فقال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لم تقتله؟ قال: رجوتُ الجائزة، فأمر بضرب عنقه، فحزَّ رأسه، ثم وضع رأس الحسين بين يديه على طبق من ذهب، فقال: كيف رأيت يا حسين؟

وروي أيضاً: أن السبايا لما وردوا مدينة دمشق، أدخلوا من باب يقال له باب «توما»، ثم أتى بهم حتى أقيموا على درج باب المسجد الجامع،

حيث يقام السبي، وإذا شيخ أقبل حتى إذا دنا منهم، قال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح العباد من رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له علي بن الحسين: «ياشيخ! هل قرأت القرآن؟» قال: نعم! قال: «هل قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟» الشورى/٢٣، قال الشيخ: قرأتها! قال: «فنحنُ القربى ياشيخ! وهل قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟» الاحزاب/٣٣، قال: نعم، قال: «فنحنُ أهل البيت الذي خصصنا بآية الطهارة»، فبقي الشيخ ساكتاً ساعة، نادماً على ما تكلم به، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللَّهُمَّ! إني أتوب إليك من بغض هؤلاء، وإني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس.

ثم أتى بهم حتى أدخلوا على يزيد، قيل: إنَّ أول من دخلَ شمر بن ذي الجوشن بعلي بن الحسين، مغلوله يده إلى عنقه، فقال له يزيد: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن الحسين، فأمر برفع الغل عنه.

وروي: عن فاطمة بنت الحسين، أنها قالت: لما أدخلنا على يزيد، ساء ما رأى من سوء حالنا، وظهر ذلك في وجهه، فقال لعن الله: ابن مرجانة! وابن سمية، لو كان بينه وبينكم قرابة ما صنع بكم هذا؟ وما بعث بكن هكذا؟ قالت: فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، وقال له: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه الجارية! يعني، قالت: وكنتُ جارية وضيئة، فارتعدت وفرقت، وظننتُ أنَّ ذلك يجوز لهم، فأخذتُ بشيَاب أُختي وعمتي زينب، فقالت عمتي: كذبت، والله، ولؤمت! ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد، وقال: بل أنت كذبت أنَّ ذلك لي، ولو شئتُ فعلته، فقالت: كلا، والله! ما جعل الله لك ذلك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين

بغير ديننا .

فقال : إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، قالت زينب : بدين الله ؛ ودين أبي ؛ وجدي اهتديت إن كنت مسلماً . فقال : كذبت ، يا عدوة الله ، قالت زينب : أمير مسلط يشتم ظالماً ، ويقهر بسلطانه ، اللهم ! إليك أشكو دون غيرك .

فاستحى يزيد ، وندم ، وسكت مطرقاً ، وعاد الشاميُّ إلى مثل كلامه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه الجارية؟ فقال له يزيد : أعزب عني لعنك الله ، ووهب لك حتفاً قاضياً ، ويلك لا تقل ذلك ! فهذه بنتُ علي وفاطمة ، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا .

قيل فتقدم علي بن الحسين حتى وقف بين يدي - يزيد - ، وقال :

لا تطمعوا إن تهينونا ونكرمكم وإن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن الله يعلم إننا لا نحبك ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد : صدقت ! ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين ،

فالحمد لله الذي قتلهما وسفك دمائهما ، ثم قال : يا علي ! إنَّ أباك قطع رحمي ، وجهل حقي ، ونازعني في سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال علي بن الحسين : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ﴾ الحديد / ٢٢ ، فقال يزيد لابنه خالد : اردد عليه يابني ! فلم يدر خالد

ماذا يرد ، فقال يزيد ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ الشورى / ٣٠ ، فقال علي بن الحسين : « يابن معاوية ؛ وهند ؛

وصخر ! لم تزل النبوة والإمرة لأبائي وأجدادي من قبل أن تولد ، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب في يوم « بدر » و « أحد » و « الأحزاب » في يده راية

رسول الله ﷺ ، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار .

ثم جعل علي بن الحسين عليه السلام يقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم: ماذا فعلتم وانتم آخر الأمم؟
 بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرّجوا بدم
 ثم قال علي بن الحسين: «ويلك يا يزيد! إنك لو تدري ماذا صنعت؟
 وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي؟ إذن لهربت إلى
 الجبال، وافترشت الرمال، ودعوت بالويل والثبور، أياكون رأس أبي
 الحسين بن علي وفاطمة منصوباً على باب مدينتكم، وهو وديعة
 رسول الله ﷺ فيكم؟ فابشر يا يزيد! بالخزي والندامة، إذا جمع الناس غداً
 ليوم القيامة.

٣٢- أخبرنا الشيخ الإمام مسعود بن أحمد - فيما كتب إليّ من
 دهستان -، أخبرنا شيخ الإسلام أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة
 الجشمي، أخبرنا الشيخ أبو حامد، أخبرنا أبو حفص عمر بن الجازي
 - بنيسابور -، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المؤدب الساري، حدثنا
 أبو الحسين محمد بن أحمد الحجري، أخبرنا أبو بكر محمد بن دريد
 الأزدي، حدثنا المكي، عن الحرمازي، عن شيخ من بني تميم من أهل
 الكوفة، قال: لما أدخل رأس الحسين وحرمه على يزيد بن معاوية، وكان
 رأس الحسين بين يديه في طست، جعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده،
 ويقول: «ليت أشياخي ببدر شهدوا» - وذكر الأبيات إلى قوله: «من بني
 أحمد ما كان فعل»، فقامت زينب بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول
 الله ﷺ فقالت:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، صدق
 الله تعالى إذ يقول: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات

الله وكانوا بها يستهزءون ﴿الروم/١٠﴾، أظننت يا يزيد! حيث أخذت علينا
 أقطار الارض وآفاق السماء، وأصبحنا نساقُ كما تُساق الاسارى، أن بنا
 على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت
 بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك
 مستوسقة^(١)، والامور متسقة^(٢)، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً
 مهلاً! أنسيت قول الله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً
 لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾؟ آل عمران/١٧٨، أمن
 العدل يابن الطلقاء! تخديرك حرائرك وأماءك، وسوقك بنات رسول الله
 سبايا؟ قد هتكت ستورهن؛ وأبديت وجوههن؛ يُحدى بهن من بلد إلى
 بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب
 والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن
 حمي، وكيف ترجى المراقبة ممن لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء
 الشهداء؟ وكيف لا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا
 بالشنف^(٣) والشنآن^(٤) والإحن والاظغان؟ ثم يقول غير متائم ولا مستعظم؟
 لاهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنيّاً على ثنايا أبي عبد الله تنكّتها بمخصرتك؟ وكيف لا تقول
 ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة، بإراقك دماء درية آل
 محمد، ونجوم الارض من آل عبد المطلب؟ أتهتف بأشياخك؟ زعمت
 تناديهم، فلتردن وشيكاً موردّهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم تكن

(١) مستوسقة: بمعنى المستوثقة.

(٢) المتسقة: المنتظمة.

(٣) الشنف: البغض.

(٤) الشنآن: العداوة.

قلت ما قلت، اللهم! خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن
سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله، ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا
لحمك، ولتردنَّ على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهاك
حرمة في لحمته وعترته، وليخاصمك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم
شعثهم، وياخذ لهم بحقهم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون﴾ آل عمران/١٦٩، فحسبك بالله حاكماً، وبمحمد
خصماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب
المسلمين، أن بش للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً، ولئن
جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، فإني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك،
وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل
العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الأيدي
تنطف^(١) من دماثنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر
الزواكي تتابها العواسل^(٢) وتعفوها الذئاب، وتؤمها الفراعل^(٣)، فلئن
اتخذتنا مغنىً، لتجدنا وشيكاً مغرمًا، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وأنَّ
الله ليس بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك،
واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله، لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا،
ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، ولا تغيب منك شئها^(٤) فهل
رايك إلا فند!^(٥) وإيامك إلا عدد! وشملك إلا بدد! يوم ينادي المنادي: ألا

(١) تنطف: تقذف بما تلطخت؟

(٢) العواسل: المتمايلة من الذئاب والضباع.

(٣) الفراعل: جمع الفرعل ولد الضبع.

(٤) الشئار: أقبح العيب.

(٥) الفند: الخطأ في الرأي.

لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة،
ولآخرنا بالشهادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم
المزيد وحسن المآب، ويختتم بنا الشرافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله
ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.
فقال يزيد:

يا صيحة محمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح
ثم استشار أهل الشام ماذا يصنع بهم؟ فقالوا له: لا تتخذ من كلب
سوء جروا! فقال النعمان بن بشير: انظر ما كان يصنعه بهم رسول الله ﷺ
فاصنعه، فأمر بردهم إلى المدينة.

قال الحاكم: الأبيات التي أنشدها يزيد بن معاوية هي لعبد الله بن
الزبيري، أنشأها يوم «أحد» لما استشهد «حمزة» عم النبي ﷺ وجماعة من
المسلمين، وهي قصيدة طويلة فمنها:

يا غراب البين ماشئت فقل	إنما تندبُ أمراً قد فعل
إن للخير وللشر مدى	وكلا ذلك وجه وقبل
والعطيات خساس بينهم	وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل	وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغنا حسان عني آية	فقريض الشعر يشفي إذا زال
كم ترى في الحزن من جمجمة	وأكف قد أينت ورجل
وسرابيل حسان سلبت	عن كماء أهلكوا في المنزل
كم قتلنا من كريم سيد	ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع	غير ملتاث لدى وقع الأسل
فسل المهراس ما ساكنها	بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخي يبدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكّت بقباء بركها^(١) ثم خفوا عند ذاكم رقصاً
فقتلنا الضعف من أشرافهم لا ألوم النفس إلا أننا
بسيوف الهند تعلو هامهم واستحرّ القتل في عبد الأشل
رقص الحفان^(٢) تعدو في الجبل وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لو كررنا لفعلنا المفتعل عللا نوردها بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت الانصاري فقال :

ذهبت يابن الزبعرى وقعة فلقد نلتم ونلنا منكم
إذ شددنا شدة صادقة إذ تولّون على أعقابكم
نضعُ الاسياف في أكتافهم تخرج التضييع^(٣) من أستاذكم
بخناطيل^(٦) كجنان^(٧) الملا فشدخنا في مقام واحد
وأسرنا منكم أعدادهم لم يفوقونا بشيء ساعة
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه برجال لستم أمثالهم
كان منا الفضل فيها لو عدل وكذلك الحرب أحيانا دول
فأجأناكم إلى سفح الجبل هرباً في الشعب أشباه الرسل
حيث نهوى عللا بعد نهل كسلاح^(٤) النيب يأكلن العضل^(٥)
من يلاقوه من الناس يهل منكم سبعين غير المتحل
فانصرفنا مثل أفلات الحجل غير أن ولوا بجهد وفشل
وملأنا الفرط منه والرحل آدهم جبريل نصراً فتزل

(١) البرك: صدر الناقة ونحوها.

(٢) الحفان: فاخ النعام.

(٣) التضييع: اللبن المشروب ضياعاً

(٤) السلاح: جمع سلحه وهي العذرة.

(٥) العضل: نبت إذا أكلته الإبل سلحت.

(٦) الخناطيل: الجماعات.

(٧) الجنان: الجن.

وعلونا يوم بدر بالتقى
وقتلنا كل رأسٍ منهم
لا سواء من مشى حتى انتهى
وكلاب حكت النار لها
ورسول الله حقاً شاهداً
قد تركنا في قريش عورة
وتركنا من قريش جمعهم
وشريف لشريف ماجد
نحن لا أمثالكم ولد استها
طاعة الله وتصديق الرسل
وصرعنا كل جحجاح رفل
بخطاه جنة الخلد فحل
في لظاها صوت ويل وهبل
يوم بدر والتنادي بهبل
يوم بدر وأحاديث مثل
مثل ما جمع في الخصب الهمل
لا نباليه لدى وقع الأسل
نحضر الباس إذا الباس نزل

وروي: أن يزيد أمر بمنبر وخطيب، ليذكر للناس مساوي للحسين وأبيه علي عليه السلام، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأكثر الواقعة في علي والحسين، وأطنب في تقرّظ معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين: «ويلك، أيها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوا مقعدك من النار»، ثم قال: «يا يزيد! ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب»، فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد، فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً، ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود. فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون؛ وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

«أيها الناس! أعطينا ستاً، وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن

منا النبي المختار محمدًا ﷺ، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد الرسول، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة، وسيدا شباب أهل الجنة، فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنباته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتمر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدره المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وصلى القبلتين، وقاتل بيدٍ وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين ووارثُ النبيين، وقامع الملحددين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان

حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي رضي مرضي، مقدم همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الاصلاب، ومفرق الاحزاب، أربطهم جناناً، وأطبقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسدّ باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب - إذا ازدلفت الاسنة، وقربت الاعنة - طحن الرحي، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز؛ وصاحب الإعجاز؛ وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق مكي مدني، أبطحي تهامي، خيفي عقبي، بدري أحدي، شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كلّ غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول.

قال: ولم يزل، يقول: «أنا أنا» حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن: أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: الله أكبر! قال علي بن الحسين: «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله»، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله! قال علي: «شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي. ومخي وعظمي»، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله! التفت علي من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يا يزيد! محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدي، فلم تقتل عترته؟»

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة، فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر.

وروي : أنه كان في مجلس يزيد هذا، حبر من أحبار اليهود، فقال :
يا أمير المؤمنين! من هذا الغلام؟ قال : علي بن الحسين، قال : فمن الحسين؟
قال : ابن علي بن أبي طالب، قال : فمن أمه؟ قال : فاطمة بنت محمد،
فقال له الحبر : ياسبحان الله! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة،
بئسما خلفتموه في ذريته، فوالله، لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا
سبطاً، لظننت أنا كنا نعبد من دون ربنا، وأنتم إنما فارقتم نبيكم بالأمس،
فوئبتم على ابنه وقتلتموه . سواء لكم من أمة .

فامر يزيد به فوجئ بحلقه ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول : إن شئتم
فاقتلوني، وإن شئتم فذروني، إني أجد في التوراة : من قتل ذرية نبي فلا
يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه الله نار جهنم .

وخرج علي بن الحسين ذات يوم، فجعل يمشي في سوق «دمشق»
فاستقبله المنهال بن عمرو الضبابي، فقال : كيف «أمسيت يا بن رسول الله؟
فقال : أمسيتُ، والله، كبنِي إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم،
ويستحيون نساءهم، يامنهال! أمست العرب تفتخر على العجم بأنَّ
محمدًا ﷺ عربي، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنَّ محمدًا
قرشي منها، وأمسينا آل بيت محمد ونحنُ مغصوبون، مظلومون،
مقهورون، مقتولون، مشردون، مطرودون، فإننا لله وإنا إليه راجعون،
على ما أمسينا يامنهال» ! .

وذكر السيد أبو طالب هذا الحديث، وزاد فيه : «وأصبح خير الأمة
يشتم على المنابر، وأصبح شرُّ الأمة يمدح على المنابر، وأصبح مبغضنا يُعطى
الاموال، ومن يحبنا منقوصاً حقه» .

وروي هذا الحديث، عن الحارث بن الجارود التميمي : أنه رأى عليَّ

ابن الحسين بالمدينة فقال له : كيف أصبحت؟ وساق الحديث .

٣٣- أخبرنا عين الأئمة ، بإسناده الذي مرَّ آنفاً ، عن زيد بن عليّ ؛ وعن محمد بن الحنفية ، عن عليّ بن الحسين زين العابدين ، أنه قال : « لما أتني برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد ، كان يتخذ مجالس الشرب ، ويأتي برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه ، فحضر ذات يوم أحد مجالسه رسول ملك الروم ، وكان من أشرف الروم وعظمائها ، فقال : ياملك العرب ! رأس من هذا؟ فقال له يزيد : مالك ولهذا الرأس؟ قال : إني إذا رجعت إلى ملكنا ، يسألني عن كل شيء رأيته ، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه ، ليشاركك في الفرح والسرور .

فقال يزيد : هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ومن أمه؟ قال : فاطمة الزهراء ، قال : بنت من؟ قال : بنت رسول الله ، فقال الرسول : أف لك ولدينك ! مادين أحسن من دينك ، اعلم أني من أحفاد داود ، وبينني وبينه آباء كثيرة ، والنصارى يعظمونني ، وياخذون التراب من تحت قدمي تبركاً ، لأنني من أحفاد داود ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله ، وما بينه وبين رسول الله إلا أم واحدة ، فاي دين هذا؟

ثم قال له الرسول : يا يزيد ! هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟ فقال يزيد : قل حتى أسمع ، فقال : ان بين «عمان» و«الصين» بحراً مسيرته سنة ، ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء ، طولها ثمانون فرسخاً ، وعرضها كذلك ، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر ، وأشجارهم العود ، وهي في أيدي النصارى لا ملك لأحد فيها من الملوك ، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة ، أعظمها كنيسة الحافر ، في محرابها حقة من ذهب ، معلقة فيها حافر ، يقولون : إنه حافر

حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالي الحقة بالذهب والجواهر والديباج والابريسم. ، وفي كل عام يقصدها عالم من النصارى، فيطوفون حول الحقة ويزورونها ويقبلونها، ويرفقون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم. وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم، ولا في دينكم! فقال يزيد لأصحابه: اقتلوا هذا النصراني، فانه يفضحنا إن رجع إلى بلاده ويشنع علينا، فلما أحس النصراني بالقتل، قال: يا يزيد! أتريد قتلي؟ قال: نعم، قال: فاعلم أنني رأيت البارحة نبيكم في منامي، وهو يقول لي: «يا نصراني أنت من أهل الجنة». فعجبت من كلامه حتى نالني هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم أخذ الرأس، وضمه إليه، وجعل يبكي حتى قُتل.

وروى مجد الأئمة السرخسكي، عن أبي عبد الله الحداد: أن النصراني اخترط سيفاً، وحمل على يزيد ليضربه، فحال الخدم بينهما، وقتلوه، وهو يقول: الشهادة الشهادة.

وذكر أبو مخنف وغيره: أن يزيد أمر أن يُصلب الرأس الشريف على باب داره، وأمر أن يدخلوا أهل بيت الحسين داره، فلما دخلت النسوة دار يزيد لم تبق امرأة من آل معاوية إلا استقبلتهن بالبكاء والصراخ والنياحة والصياح على الحسين، والقين ما عليهن من الحللي والحلل وأقمن المأتم عليه ثلاثة أيام.

وخرجت هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز امرأة يزيد، وكانت قبل ذلك تحت الحسين بن علي عليه السلام فشقت الستر وهي حاسرة، فوثبت على يزيد، وقالت: رأس ابن فاطمة مصلوب على باب داري؟ فغطاها يزيد

وقال: نعم! فاعولي عليه ياهندا! وابكي علي ابن بنت رسول الله،
وصريخة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله.

ثم إنَّ يزيد أنزلهم بداره الخاصة، فما كان يتغدى ويتعشى حتى يحضر
معه علي بن الحسين، ودعا يوماً خالداً ابنه، ودعا علياً - وهما صبيان -،
فقال لعلي: أتقاتل هذا؟ قال: «نعم، اعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم
نتقاتل»، فأخذه وضمه، وقال:

شنشنة أعرفها من أخزم هل يلدُ الأرقم غير الأرقم

وروي: أنَّ يزيد عرض عليهم المقام بدمشق، فأبوا ذلك، وقالوا:
ردنا إلى المدينة، لأنها مهاجرة جدنا، فقال للنعمان بن بشير: جهّز هؤلاء بما
يصلحهم، وأبعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وأبعث معهم
خيلاً وأعواناً، ثم كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق والآنزال، ثم دعا
بعلي بن الحسين، فقال له: لعن الله ابن مرجانة، أما والله، لو كنتُ صاحبه
ما سألتني خصلة إلاَّ أعطيتها إياه، ولدفعت عنه الحنف بكل ما قدرت عليه،
ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، فكاتبني بكل حاجة
تكون لك، ثم أوصى بهم الرسول. فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكون
أمامهم حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم، وتفرق هو وأصحابه
كهيئة الحرس، ثم ينزل بهم حيث أراد أحدهم الوضوء، ويعرض عليهم
حوائجهم، ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة.

وروي: عن الحرث بن كعب، قال: قالت لي فاطمة بنت علي عليه السلام،

قلت لأختي زينب: قد وجب علينا حق هذا الرسول لحسن صحبته لنا،
فهل لنا أن نصله بشيء؟ قالت: والله، مالنا ما نصله به إلاَّ أن نعطيه حلينا.

فأخذت سوارى ودملجي، وسوار أختي ودملجها، فبعثنا بها إليه واعتذرنا

من قَلَّتْهَا، وقلنا: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان الذي صنعت للدنيا ففي دون هذا رضاي، ولكن واللّه، مافعلته إلاّ لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣٤- وذكر الإمام أبو العلاء الحافظ، بإسناده عن مشايخه: أن يزيد بن معاوية حين قدم عليه برأس الحسين وعياله، بعث إلى المدينة فاقدم عليه عدّة من موالي بني هاشم، وضم إليهم عدّة من موالي آل أبي سفيان، ثمّ بعث بثقل الحسين ومن بقي من أهله معهم، وجهّزهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلاّ أمر لهم بها، وبعث رأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص - وهو إذ ذاك عامله على المدينة -، فقال عمرو: وددتُ أنه لم يبعث به إلي، ثم أمر عمرو برأس الحسين عليه السلام، فكفن ودفن في «البقيع» عند قبر أمه فاطمة عليها السلام.

وقال غيره: إن سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام، كأنه يبرّه ويلطفه، فدعا الحسن البصري، وقصّ عليه، وسأله عن تاويله، فقال الحسن: لعلك اصطنعت إلى أهله معروفاً.

فقال سليمان: إني وجدتُ رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة من الديباج، وصليت عليه في جماعة من أصحابي، وقبرته، فقال الحسن: إن النبي رضي عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصري، وأمر له بجوائز.

وقال غيرهما: إن رأس الحسين عليه السلام صُلِبَ بدمشق ثلاثة أيام، ومكث في خزائن بني أمية حتى ولي سليمان بن عبد الملك، فطلبه فجيء به - وهو عظم أبيض قد قحل - فجعله في سبط وطيه، وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلى عليه.

فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلبه منه فاخبر
بخبيره، فسأل عن الموضع الذي دُفن فيه فنبشه وأخذه، واللّه أعلم بما صنع
به، والظاهر من دينه أنه بعثه إلى كربلاء فدفن مع جسده.

قالوا: ولما دخل حرم الحسين عليه السلام المدينة عجت نساء بني هاشم،
وصارت المدينة صيحة واحدة، فضحك عمرو بن سعيد أمير المدينة، وتمثل
بقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

عجت نساء بني زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
وجلسَ عبد الله بن جعفر للتعزية، فدخل عليه مولاه، فقال: هذا ما
لقينا من الحسين؟ فحذفه عبد الله بنعله، وقال: يابن اللخناء! اللّٰه حسين
تقول هذا؟ واللّه، لو شهدته لأحببت أن أقتل دونه، وإني لأشكر الله الذي
وفّق ابني عوناً ومحمداً معه، إذ لم أكن وفقت.

وخرجت بنت عقيل في نساء من قومها، وهي تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم؟ ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم؟
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي فهم أسارى وقتلى ضرّجوا بدم
أكان هذا جزائي إذ نصحتكم ولم تفوا لي بعهدي في ذوي رحمي
ضيعتم حقنا واللّه أوجبهم وقد عرى الفيل حق البيت والحرم

وجاء في «المسانيد»: أن القائلة للبيتين الأولين زينب بنت علي عليه السلام
حين قتل الحسين عليه السلام، وأنها أخرجت رأسها من الخباء، ورفعت عقيرتها^(١)،
وقالت البيتين الأولين.

قالوا: ثمّ صعد عمرو بن سعيد - أمير المدينة - المنبر، وخطب، وقال
في خطبته: إنها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، وموعظة بعد موعظة ﴿حكمة

(١) - العقير: صوت الباكي.

بالغة فما تغن النذر ﴿ القمر/ ٥ ﴾ ، والله لوددت أن رأسه في بدنه ، وروحه في جسده ، أحيان كان يسبُّنا ونمدحه ، ويقطعنا ونصله ، كعادتنا وعادته ، ولم يكن من أمره ما كان ، ولكن كيف نصنع بمن سلَّ سيفه يريد قتلنا؟ إلا أن ندفع عن أنفسنا .

فقام إليه عبد الله بن السائب ، فقال : أما لو كانت فاطمة حية فرأت رأس الحسين لبكت عليه .

فجبهه عمرو بن سعيد ، وقال : نحن أحقُّ بفاطمة منك ، أبوها عمنا ، وزوجها أخونا ، وابنها ابننا ، أما لو كانت فاطمة حية لبكت عيناها ، وحزن كبدها ، ولكن ما لامت من قتله ، ودفع عن نفسه .

٣٥- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي ، أخبرنا شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي ، أخبرنا والذي شيخ السنة أحمد بن الحسين البيهقي ، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ، أخبرنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك ، أخبرنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، قال : لما قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب ثارَ عبد الله بن الزبير ، فدعا ابن عباس إلى بيعته ، فامتنع ابن عباس ، وظن يزيد بن معاوية أن امتناع ابن عباس كان تمسكاً منه ببيعته ، فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغني : أن الملاحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته ، والدخول في طاعته ، لتكون له على الباطل ظهيراً ، وفي المآثم شريكاً ، وإنك اعتصمت ببيعتنا ، وفاءً منك لنا ، وطاعةً لله لما عرفك من حقنا ، فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي الواصلين بأرحامهم ، الموفين بعهودهم ، فما أنسى من الأشياء فلستُ بناسٍ برك ، وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل من

القراية من الرسول، فانظر من طلع عليك من الآفاق، ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه، وزخرف قوله، فاعلمهم برأيك، فإنهم منك أسمع ولك أطوع، من المحل للحرم المارق.

فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد: فقد جاءني كتابك، تذكر دعاء ابن الزبير إياي إلى بيعته، والدخول في طاعته، فإن يكن ذلك كذلك، فإني، والله، ما أرجو بذلك برك ولا حمدك، ولكن الله بالذي أنوي به عليم، وزعمت أنك غير ناس بري، وتعجيل صلتني، فاحبس، أيها الإنسان برّك، وتعجيل صلتك، فإني حابس عنك ودي، فلعمري، ما تؤتينا مما لنا قبلك من حقنا إلا اليسير، وأنك لتحبس منه عنا العريض الطويل، وسألتني أن أحث الناس إليك، وأن أخذلهم من ابن الزبير، فلا ولاء، ولا سروراً ولا حباً، إنك تسألني نصرتك وتحثني على ودك، وقد قتلت حسيناً، وفتيان عبد المطلب، مصابيح الدجى، ونجوم الهدى، وأعلام التقى، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد، مزملين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفين، ولا مؤسدين، تسفي عليهم الرياح، وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح الله لهم يقوم لم يشركوا في دمائهم، كفنهم وأجنوهم، وبى وبهم والله غروب، وجلست مجلسك الذي جلست.

فما أنسى من الأشياء، فلست بناسٍ إطرادك حسيناً من حرم رسول الله ﷺ إلى حرم الله، وتسييرك إليه الرجال لتقتله في حرم الله، فمازلت بذلك وعلى ذلك حتى اشخصته من مكة إلى العراق، فخرج خائفاً يترقب، فزلزلت به خيلك عداوةً منك لله ولرسوله، ولاهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أولئك لا كآبائك الجفاة الأجلاف، أكباد الحمير.

فطلب إليكم الموادة، وسألكم الرجعة، فاغتنمت قلة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فتعاونتم عليه، كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك، فلا شيء أعجب عندي من طلبك ودي، وقد قتلت ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثاري، فإن شاء الله لا يبطل لديك دمي، ولا تسبقني بشاري، فإن سبقتنني في الدنيا، فقبل ذلك ما قتل النبيون وآل النبيين، فطلب الله بدمائهم، وكفى بالله للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم، فلنظفرن بك يوماً، وذكرت وفائي وما عرفتني من حقك، فإن يكن ذلك كذلك، فقد بايعتك وأباك من قبلك، وأنت لتعلم أني وولد أبي أحق بهذا الأمر منك ومن أبيك، ولكنكم معشر قريش! كابرتمونا حتى دفعتمونا عن حقنا، ووليتم الأمر دوننا، فبعداً لمن تحرى ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

ومن أعجب الأعاجيب، وما عسى أن أعجب حملك بنات عبدالمطلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام، كالسبي المجلوبين، تُري الناس أنك قهرتنا، وأنت تمن علينا، وبنا من الله عليك، ولعمر الله، لئن كنت تصبح آمناً من جراحة يدي، فإني لأرجو أن يعظم الله جرحك من لساني، ونقضي وإبرامي، والله، ما أنا بآيس من بعد قتلك ولد رسول الله ﷺ أن يأخذك الله اخذاً اليماً، ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً، فعش لا أباك! ما استطعت، فقد والله، ازددت عند الله أضعافاً، واقترفت مآثماً، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب يزيد إلى محمد بن الحنفية، وهو يومئذ بالمدينة.

أما بعد: فإني أسأل الله لي ولك عملاً صالحاً يرضى به عنا، فإني ما

أعرف اليوم في بني هاشم رجلاً هو أرجح منك علماً وحلماً، ولا احضر منك فهماً وحكماً، ولا أبعد منك عن كل سفه ودنس وطيش، وليس من يتخلق بالخير تخلقاً، ويتنحل بالفضل تنحلاً، كمن جبله الله على الخير جبلاً، وقد عرفنا ذلك كله منك قديماً وحديثاً، شاهداً وغائباً، غير أنني قد أحببت زيارتك والاختد بالخط من رؤيتك، فإذا نظرت في كتابي هذا، فاقبل إلي آمناً مطمئناً، أرشدك الله أمرك، وغفر لك ذنبك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما ورد الكتاب على محمد بن علي بن الحنفية، وقراه، أقبل على ابنه جعفر وعبد الله أبي هاشم، فاستشارهما في ذلك، فقال له ابنه عبد الله: يا أبتى! اتق الله في نفسك، ولا تصر إليه، فإني خائف أن يلحقك بأخيك الحسين، ولا يبالي. فقال له محمد: يا بني! ولكني لا أخاف منه ذلك. وقال له ابنه جعفر: يا أبتى! إنه قد اطمأنك والطفك في كتابه إليك، ولا أظنه يكتب إلى أحد من قريش بأن «أرشدك الله أمرك، وغفر ذنبك»، وأنا أرجو أن يكف الله شره عنك.

فقال محمد: يا بني إني توكلتُ على الله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وكفى بالله وكيلاً، ثم تجهز محمد بن علي، وخرج من المدينة، وسار حتى قدم على يزيد بن معاوية بالشام، فلما استأذن أذن له، وقربه وأدناه، وأجلسه معه على سرير، ثم أقبل عليه بوجهه، فقال: يا أبا القاسم! آجرنا الله وإياك في أبي عبد الله الحسين، فوالله، لئن كان نقصك فقد نقصني، ولئن كان أوجعك فقد أوجعني، ولو كنت أنا المتولي لحربه لما قتلت، ولدفعتُ عنه القتل لو بجز أصابعي، وذهاب بصري، ولفديته بجميع ما ملكت يدي، وإن كان قد ظلمني، وقطع رحمي،

ونازعني في حقي، ولكن عبيد الله بن زياد لم يعلم رأيي فيه من ذلك، فعجل عليه بالقتل فقتله، ولم يستدرك ما فات، وبعد: فإنه ليس يجب علينا أن نرضى بالدنية في حقنا، ولم يكن يجب على أخيك أن ينازعنا في أمر خصنا الله به دون غيرنا، وعزيز علي ما ناله، فهات الآن ما عندك يا أبا القاسم.

فتكلم محمد بن علي، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إني قد سمعتُ كلامك، فوصل الله رحمك ورحم حسيناً، وبارك الله له فيما صار إليه من ثواب ربه، والخلد الدائم الطويل، في جوار الملك الجليل، وقد علمنا أن ما نقصنا فقد نقصك، وما عراك فقد عرانا من فرح وترح، وكذا أظن أن لو شهدت ذلك بنفسك لاخترت أفضل الرأي والعمل، ولجانبت أسوأ الفعل والخط، والآن أن حاجتي إليك أن لا تسمعي فيه ما أكره، فإنه أخي وشقيقي، وابن أبي، وإن زعمت: أنه كان ظالمك وعدواً لك، كما تقول.

فقال له يزيد بن معاوية: إنك لم تسمع فيه مني إلا خيراً، ولكن هلم فبايعني، واذكر ما عليك من الدين حتى أقضيه عنك. فقال له محمد: أما البيعة فقد بايعتك، وأما ما ذكرت من أمر الدين فما علي دين بحمد الله، وإني من الله تبارك وتعالى في كل نعمة سابغة، لا أقوم بشكرها. فالتفت يزيد إلى ابنه خالد، وقال له: يا بني! إن ابن عمك هذا بعيد من الحُب واللؤم والدنس والكذب، ولو كان غيره كبعض من عرفت، لقال: علي من الدين كذا وكذا، ليستغنم أخذ أموالنا.

ثم أقبل عليه يزيد بن معاوية، وقال له: بايعتني يا أبا القاسم! فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! قال: فإني قد أمرتُ لك بثلاثمائة ألف درهم فابعث من يقبضها، فإذا أردت الانصراف عنا، وصلناك إن شاء الله تعالى. فقال له

محمد: لا حاجة لي في هذا المال، ولا له جئت، فقال له يزيد: فلا عليك أن تقبضه وتفرقه في من أحببت من أهل بيتك، قال: فإنني قد قبلته، يا أمير المؤمنين!

ثم إن يزيد أنزل محمداً في بعض منازلهم، فكان يدخل عليه صباحاً ومساءً، ثم إن وفداً من أهل الكوفة قدموا على يزيد، وفيهم: المنذر بن الزبير؛ وعبد الله بن عمر؛ وعبد الله بن حفص بن المغيرة المخزومي؛ وعبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، فأقاموا عند يزيد أياماً، فأجارهم يزيد وأمر لكل رجل بخمسين ألف درهم، وأجاز المنذر بمائة ألف درهم، فلما أرادوا الانصراف إلى المدينة، دخل محمد بن علي على يزيد، فاستأذنه في الانصراف معهم، فأذن له في ذلك ووصله بمائتين ألف درهم، وأعطاه عروضاً بمائة ألف درهم، ثم قال له: والله، يا أبا القاسم أليّة أني لا أعلم اليوم في أهل بيتك رجلاً هو أعلم منك بالحلال والحرام، وقد كنت أحب أن لا تفارقني، وتأمرنني بما فيه حظي ورشدي، ووالله، ما أحب أن تنصرف عني وأنت ذام لشيء من أخلاقي.

فقال له محمد: أما ما كان منك إلى الحسين، فذاك شيء لا يستدرك، وأما الآن فإنني ما رأيتُ منك منذ قدمت عليك إلاّ خيراً، ولو رأيتُ منك خصلة أكرهها، لما وسعني السكوت دون أن أنهاك عنها، وأخبرك بما يحقُّ لله عليك منها، للذي أخذ الله تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبينوه للناس ولا يكتُموه، ولستُ مؤدياً عنك إلى من ورائي من الناس إلاّ خيراً، غير أني أنهاك عن شرب هذا المسكر، فإنه رجس من عمل الشيطان، وليس من ولي أمور الأمة، ودعي له بالخلافة على رؤوس الأشهاد فوق المنابر، كغيره من الناس، فاتق الله في نفسك، وتدارك ما سلف من ذنبك.

فسرّ يزيد بما سمع من محمد سروراً شديداً، وقال له : فإنني قابل منك ما امرتني به ، وأنا أحبُّ أن تكاتبني في كل حاجة تعرض لك : من صلة أو تعاهد ، ولا تقصر في ذلك أبداً .

فقال له محمد : أفعل ذلك إن شاء الله ، وأكون عندما تحب .
 ثم ودعه ورجع إلى المدينة ، وفرق ذلك المال كله في أهل بيته ، وسائر بني هاشم وقريش ، حتى لم يبق من بني هاشم وقريش أحد من الرجال والنساء والذرية والموالي إلا صار إليه من ذلك ، ثم خرج محمد من المدينة إلى مكة ، وأقام بها مجاوراً لا يعرف غير الصوم والصلاة ، ولا يتداخل بغير الفقه .



الفصل الثاني عشر

في بيان عقوبة قاتل
الحسين عليه السلام وخاذله وماله من الجزاء



١- أخبرنا الشيخ الثقة العد الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن نصر الزاغوني - بمدينة السلام منصرفي عن السفرة الحجازية-، أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسن محمد بن إسحاق بن الساهوجي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن علي بن بNDAR، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزاز، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر بن سليمان - ببغداد في باب المحوّل -، حدثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن قاتل الحسين في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل النار، وقد شدّ يده ورجلاه بسلاسل من نار، ينكس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم عز وجلّ من شدة ننتها وهو فيها خالد، ذائق العذاب الاليم، كلما نضجت

جلودهم تبدل عليهم الجلود ليدوقوا ذلك العذاب الاليم».

٢- وبهذا الإسناد، قال: «قال رسول الله ﷺ: الويلُ لظالمي أهل بيتي، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، لا يفر عنهم ساعة، ويسقون من عذاب جهنم، فالويل لهم من العذاب الاليم».

٣- وبهذا الإسناد، قال: «قال رسول الله ﷺ: اشتدَّ غضب الله وغضب رسوله على مَنْ أهرق دمي؛ وأذاني في عترتي».

٤- أخبرنا العالم العابد الأوحد أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، عن مشايخه الثلاثة: محمود بن أبي القاسم الأزدي؛ وأبي نصر الترياقى؛ وأبي بكر الغورجي، ثلاثهم، عن أبي محمد الجراحي، عن أبي العباس المحبوبي، عن الحافظ أبي عيسى الترمذي، حدثني واصل بن عبد الأعلى، حدثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد إلى المختار مع رؤوس أصحابه، نضدت في المسجد في الرحبة، فأنتهيت إلى الناس وهم يقولون: قد جاءت، قد جاءت، فلم أدر، فإذا حيَّةٌ قد جاءت فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيئة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيب، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك أمامي مرتين أو ثلاثاً.

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث صحيح.

٥- وأخبرني الإمام الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي، فيما كتب إليّ من همدان، أخبرني والدي، أخبرني الحافظ الميداني إجازةً، أخبرني القاضي أبو الحسن الوراق، أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد بن زرعة، حدثني ظهير بن محمد بن ظهير، حدثني عبد الله بن محمد بن بشر، حدثني الحسن بن الزبرقان المرادي، حدثني

أبو بكر ابن عياش، عن الأجلح، عن الزبير، عن جابر الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء يوم القيامة ثلاثة: المصحف؛ والمسجد؛ والعتره، فيقول المصحف: حرقوني ومزقوني، ويقول المسجد: خربوني وعطلوني، وتقول العتره: قتلونا وطرردونا وشرردونا، فأجثو على ركبتي للخصومة، فيقول الله عز وجل: ذلك إليّ فأنا أولى بذلك».

٦- أخبرني سيد الحفاظ هذا، قال: ومما سمعت في «المفاريذ» برواية علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى بن عمران سأل ربه، فقال: يارب إن أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله إليه أن ياموسى! لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك فيهم، ما خلا قاتل الحسين بن علي، فإني أنتقم له منه».

٧- وأخبرني سيد الحفاظ هذا، قال: وبإسنادي إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت في منامي رجلاً من أهل بيتي دعا إلى الله وعمل صالحاً، وغير المنكر، وأنكر الجور فصلب، فعلى صالبه لعنة الله».

٨- وأخبرني سيد الحفاظ هذا، أخبرني أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا ابن حبان، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا زهير بن حرب، حدثني أبو معاوية، عن محمد بن قيس بن البراء، عن عبد الله بن بدر الخطمي، عن النبي ﷺ قال: «من أحب أن يبارك [الله] في أجله، وأن يتمتع بما خوله الله تعالى، فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، ومن لم يخلفني فيهم بتك عمره، وورد عليّ يوم القيامة مسوداً وجهه».

قال: فكان كما قال رسول الله ﷺ، فإن يزيد بن معاوية لم يخلفه في أهله خلافة حسنة، فبتك عمره، وما بقي بعد الحسين عليه السلام إلا قليلاً، وكذلك

عبيد الله بن زياد (لعنهما الله).

٩ - وأخبرني سيد الحفاظ هذا - كتابة -، أخبرني الرئيس أبو الفتح عبدوس بن عبد الله - فيما أذن لي، حدثني الشيخ العدل أبو بكر عبد الله ابن علي ابن حمويه، حدثني أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي - إجازة -، حدثني أبو عمرو محمد بن محمد بن صابر، حدثني أبو سعيد خلف بن سليمان، حدثني أبو عبد الله محمد بن تميم السعدي، حدثني محمد بن عبد الله (الرحمن) النيسابوري، حدثني أبو هانئ، عن خلف بن محمد، قال: قال عمر بن عبد العزيز: سألتُ ربي عز وجل أن يريني الخلفاء من أهل الجنة، فرأيتُ فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت، وأنَّ الناس قد قربوا للحساب، فرأيتُ رجلاً قصيفاً قد حوسبَ حساباً يسيراً، وأمر به إلى الجنة، فقلت: من ذاك؟ قيل: أبو بكر الصديق.

ثمَّ أتني بآخر فحوسبَ حساباً يسيراً، ثمَّ أمر به إلى الجنة، فقلت: من ذاك؟ قيل عمر بن الخطاب.

ثمَّ أتني بآخر فحوسبَ حساباً يسيراً وأمر به إلى الجنة، فقلت: من هذا؟ قيل: عثمان بن عفان.

ولم أرَ علياً، فقلت: واين علي؟ قيل: هيهات هيهات! عليّ في أعلى عليين مع النبيين والصديقين.

ثمَّ مررتُ على وادٍ من نار، فإذا رجل فيه كلما أراد أن يخرج، قمع بمقامع من حديد فهوى، فقلت: من هذا؟ قيل: يزيد بن معاوية، ورأيت قبة من نار فيها رجل، فلما رأيته، قال لي: السلام عليك، يا عمر بن عبد العزيز! قلت: من انت، ثكلتك أمك؟ قال: الحجاج بن يوسف، قلتُ ما فعل بك الرحمن؟ قال: قُتِلْتُ بكل رجلٍ مرة، وبدل سعيد بن جبير

سبعين مرة، وأنا على حال لم أياس من ربي .

١٠- وأخبرني الإمام أبو جعفر محمد بن عمر - كتابة-، أخبرني الإمام زيد ابن الحسن البيهقي، أخبرني النقيب علي بن محمد بن الحسين، أخبرني السيد الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر الحسيني، أخبرني السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الحسيني قال: روي لي أن الزهري دخل على هشام ابن عبد الملك، فقال هشام: إني ما أراني إلا أوبقت نفسي^(١) بقتل زيد بن علي بن الحسين وذلك بعد قتله، فقال الزهري: وكيف ذاك؟ فقال: أتاني آت، فقال: إنه ما أصاب أحد من دماء آل محمد شيئاً إلا أوبق نفسه من رحمة الله، فخرج الزهري، وهو يقول: أما والله، لقد أوبقت نفسك من قبل ذلك، وأنت الآن وابق.

١١- وأنبأني الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني بها، أخبرني محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرني أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرني الطبراني، حدثني محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثني محمد بن يحيى الصيرفي، حدثني أبو غسان، حدثني عبد السلام بن حرب، عن عبد الملك بن كردوس، عن حاجب عبيد الله بن زياد قال: دخلت القصر خلف عبيد الله، فاضطرم في وجهه ناراً، فقال هكذا بكمه على وجهه، والتفت إلي، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم، فأمرني أن أكتم ذلك.

١٢- وحدثنا عين الأئمة أبو الحسن علي بن أحمد الكرباسي الخوارزمي، حدثنا الشيخ الامام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدثنا الإمام السيد المرتضى أبو الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسيني

(١) أوبق نفسه: حبسها وأهلكها، ووبق: هلك.

الحسني، أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي، أخبرنا علي بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن منصور، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد بن حسين، عن أبي خالد؛ عن زيد، عن ابن لهيعة قال: كنت أطوف بالبيت، إذا أنا برجل يقول: اللهم! اغفر لي، وما أراك فاعلاً! فقلت له: يا عبد الله! اتق الله، لا تقل مثل هذا، فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار؛ وورق الأشجار، واستغفرت الله غفرها لك، فإنه غفور رحيم.

فقال لي: تعال حتى أخبرك بقصتي، فاتيته، فقال: اعلم إنا كنا خمسين نفرًا حين قُتل الحسين بن علي، وسلم إلينا رأسه، لنحمله إلى يزيد بالشام، فكنا إذا أمسينا نزلنا وادياً؛ ووضعنا الرأس في تابوت؛ وشربنا الخمر حوالى التابوت إلى الصباح، فشرّب أصحابي ليلة حتى سكروا، ولم اشرب معهم، فلما جنّ الليل، سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت فنزل: آدم؛ ونوح؛ وإبراهيم؛ وإسحاق؛ وإسماعيل؛ ونبينا محمد (صلوات الله عليهم)، ومعهم جبرئيل؛ وخلق من الملائكة.

فدنا جبرئيل من التابوت، فأخرج الرأس وقبّله وضمه، ثم فعل الأنبياء كذلك، ثم بكى النبي محمد ﷺ على رأس الحسين، فعزاه الأنبياء، وقال له جبرئيل: يا محمد! إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمرك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلت عاليها سافلها، كما فعلت بقوم لوط. فقال النبي ﷺ: «لا، يا جبرئيل فإن لهم معي موقفاً بين يدي الله عز وجل يوم القيامة».

قال: ثم صلوا عليه، ثم أتى قوم من الملائكة، فقالوا: إن الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي ﷺ: «شانكم بهم».

قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحرْبته

ليضربني، فصحتُ: الأمان الأمان، يارسول الله! فقال لي: «اذهب فلا غفر الله لك»! قال: فلما أصبحتُ رأيتُ أصحابي جاثمين رماداً.

ورويتُ هذا الحديث بإسنادي إلى أبي عبد الله الحدادي، عن أبي جعفر الهندواني، بإسناده إلى ابن لهيعة، وفيه زيادة عند قوله: لنحمله إلى يزيد، قال: وكان كلُّ من قتله جفت يده، وفيه بعد: سمعتُ صوت رعد، لم أسمع مثله، فقيل: قد أقبل محمد، وسمعتُ بصهيل الخيل، وقعقة السلاح مع جبرئيل؛ وميكائيل؛ وإسرافيل؛ والكروبيين؛ والروحانيين والمقربين، وفيه: فشكا النبي صلى الله عليه وآله إلى النبيين والملائكة، وقال: «قتلوا ولدي وقرّة عيني»، فكلهم قَبَّلَ الرأس، وضمه إلى صدره، والباقي من الحديث يقرب بعضه بعض.

١٣- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي، أخبرنا شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرنا والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا شريك، عن أبي عمير يعني عبد الملك قال: قال الحجاجُ يوماً: من كان له بلاء فليقم لنعطيه على بلائه، فقام رجل، فقال: اعطني على بلائي، قال: وما بلاؤك؟ قال: قتلت الحسين بن علي؟ قال: وكيف قتلتَه؟ قال: دسرتَه، والله، بالرمح دسراً، وهبته بالسيف هبراً، وما أشركتُ معي أحداً، قال: أما إنك وإياه لن تجتمعا في مكان واحد. ثم قال له: اخرج، وأحسبه لم يُعطه شيئاً.

١٤- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين هذا، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، حدثنا يعقوب بن سفيان الفسوي، حدثني النضر بن عبد الجبار، أخبرني ابن

لهيعة، عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننا أنها هي^(١).

١٥- وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان الفسوي هذا، حدثنا إسماعيل، حدثنا علي بن مسهر، حدثني جدتي قالت: كنت أيام الحسين ابن علي جارية شابة، فكانت السماء أياما علقه^(٢) بعدما قتل.

١٦- وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان هذا، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أم سرق العبدية، حدثني نضرة الأزدي، قالت: لما قُتل الحسين مطرت السماء دماً، فأصبحنا وكل شيء لنا مليء دماً.

١٧- وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان هذا، حدثني أيوب بن محمد الرقي، حدثني سلام بن سليمان الثقفي، عن زيد بن عمر الكندي، حدثني أم حسان، قالت: يوم قتل الحسين عليه السلام اظلمت علينا ثلاثاً، ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئاً فجعله على وجهه إلا احترق، ولم يقلب حجر بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط.

١٨- وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان هذا، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، قال: أول ما عرف الزهري أن تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك، قال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين؟ فقال الزهري: بلغني أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

١٩- وبهذا الإسناد، عن حماد بن زيد هذا، حدثنا هشيم، عن ابن سيرين، قال: قيل له: أتعلم هذه الحمرة في الأفق مم هي؟ قال: عرفت من

(١) يعني القيامة.

(٢) أي كالدّم.

يوم قتل الحسين بن علي . وروى هذا الحديث أبو عيسى الترمذي .

٢٠- وبهذا الإسناد، عن حماد بن زيد هذا، حدثني جميل بن مرة،

قال : أصابوا إيلاً في عسكر الحسين عليه السلام يوم قتل ، فنحروها وطبخوها ، فكانت مثل العلقم ، فما استطاعوا أن يسيغوها منها شيئاً .

٢١- وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو بكر الحميدي،

حدثنا سفيان، حدثني جدتي، قالت : لقد رأيتُ الوركس عاد رماداً، ولقد رايت اللحم كان فيه المزار^(١)، وذلك ورس وإبل كانت للحسين ونُهبَت لما قُتل .

٢٢- وبهذا الإسناد، عن يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو نعيم، حدثني

عقبة بن أبي حفصة، عن أبيه، قال : إن كان الوركس من ورس الحسين بن علي ليقال به هكذا^(٢) فيصير رماداً .

٢٣- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو عبد الله

الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، سمعتُ العباس بن محمد الدوري، سمعتُ يحيى بن معين، حدثني جرير، عن زيد بن أبي الزناد، قال : قُتل الحسين بن علي ولي أربع عشرة سنة، وصار الوركس الذي في عسكره رماداً، واحمرت آفاق السماء، ونحروا ناقة في عسكره فكانوا يرون في لحمها المزار .

٢٤- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، سمعت الزبير بن عبد

الله، سمعت أبا عبد الله بن وصيف، سمعت المشطاح الوراق، يقول : سمعتُ الفتح بن سحرف العابد، يقول : كنت أفتُ الحب للعصافير كل يوم

(١) المزار : نبت مرّ لا يُساع .

(٢) أي : يفرك .

فكانت تأكل، فلما كان يوم عاشوراء فتت لها فلم تأكل، فعلمت أنها امتنعت لقتل الحسين بن علي عليه السلام.

٢٥- وبهذا الإسناد، عن أحمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، أخبرني العباس بن هشام بن محمد الكوفي، عن أبيه، عن جده، قال: كان رجل من أبان بن دارم، يقال له: «زرعة» شهد قتل الحسين عليه السلام ورماه بسهم فاصاب حنكه، فجعل يتلقى الدم بكفه، ويقول به هكذا الى السماء فيرمي به، وذلك أن الحسين عليه السلام دعا بماء ليشرب، فلما رماه حال بينه وبين الماء، فقال الحسين: اللهم! اظمئه، اللهم! اظمئه، قال: فحدثني من شاهده وهو يجود أنه يصيح من الحر في بطنه، والبرد في ظهره، وبين يديه المرواح والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني اهلكني العطش! فيؤتى بعس عظيم فيه السويق والماء واللبن، لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ويعود فيقول: اسقوني اهلكني العطش! قال: فانقذ بطنه كانقداد البعير.

وذكر أعثم الكوفي هذا الحديث مختصراً، وسمى الرامي عبد الرحمن الأزدي، وقال: فقال الحسين: «اللهم اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً».

قال القاسم بن الأصبغ: لقد رأيتني عند ذلك الرجل وهو يصيح: العطش، والماء يبرد له فيه السكر، والاعساس فيها اللبن، وهو يقول: ويلكم، اسقوني قد قتلني العطش! فيعطى القلة والعس، فإذا نزع من فيه، يصيح: اسقوني، وما زال حتى انقذ بطنه، ومات أشر ميتة.

٢٦- وبهذا الإسناد، عن ابن أبي الدنيا، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثني سفيان، حدثني جدتي أم أبي، قالت: أدركت رجلين ممن شهد قتل الحسين عليه السلام، فأما أحدهما: فطال ذكره حتى كاد يلفه، وأما الآخر: فكان

يستقبل الراوية فيشربها حتى يأتي على آخرها ولا يرتوي .

قال سفيان : وأدركتُ ابن أحدهما به خبل أو نحوه .

٢٧- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، حدثني أبو محمد

يحيى بن محمد العلوي، حدثني الحسين بن محمد العلوي، حدثنا أبو علي

الطرسوسي، حدثني الحسن بن علي الحلواني، عن علي بن معمر، عن

إسحاق بن عباد، عن المفضل بن عمر الجعفي، سمعتُ جعفر بن محمد عليه السلام

يقول : حدثني أبي محمد بن علي، حدثني أبي علي بن الحسين عليه السلام قال : لما

قتل الحسين جاء غراب فوق في دمه، ثم تمرغ ثم طار، فوقع بالمدينة على

جدار دار فاطمة بنت الحسين وهي الصغرى، فرفعت رأسها إليه فنظرته

فبكت، وقالت :

نعب الغراب فقلتُ من	تنعاه ويلك من غراب؟
قال الإمام فقلت من؟	قال الموفق للصواب
إن الحسين بكربلا	بين المواضي والحراب
قلتُ الحسين فقال لي	ملقى على وجه التراب
ثمَّ استقلَّ به الجناح	ولم يطق رد الجواب
فبكيتُ منه بعبرة	ترضي الإله مع الثواب

قال محمد بن علي عليه السلام : فنعته لأهل المدينة، فقالوا : جاءت بسحر

بني عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام .

٢٨- وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن

إسحاق البغوي ببغداد، حدثنا أبو بكر بن أبي العوام، حدثني أبي، حدثني

منصور بن عمار، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، قال : لما قُتل الحسين عليه السلام ^(١) بعث

(١) في الاصل : لما قتل الحسين حدثني عليه السلام .

برأسه الى يزيد، فنزلوا أول مرحلة، فجعلوا يشربون ويبتهجون بالرأس، فخرجت عليهم كف من الحائط، معها قلم من حديد، فكتبت سطرأ بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب

٢٩- وذكر هذا البيت مع بيت آخر، الرئيس أبو الفتح الهمداني في كتابه المعروف بـ «فوز الطالب في فضائل علي بن أبي طالب»، على ما أخبرني به سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي - فيما كتب إليّ من همدان-، أخبرني الرئيس أبو الفتح عبدوس بن عبد الله الهمداني في - كتابه-، حدثني الشريف أبو طالب، حدثني الحافظ محمد بن مردويه، حدثني يحيى بن عبد الله، حدثني جندل بن والق، حدثني محمد بن فورك [ح] قال الرئيس أبو الفتح: وحدثني أبي، حدثني أحمد بن عليّ الزعفراني، حدثني أحمد بن عبيد الله، حدثني الحضرمي، حدثني محمد بن فورك، عن أبي سعيد الثعلبي، عن يحيى بن يمان، عن إمام لبني سليم، قال: حدثنا أشياخنا، قالوا: دخلنا في الروم كنيسة لهم، فوجدنا في الحائط صخرة، فيها مكتوب:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب

فلا، والله، ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

فقلنا لشيخ في الكنيسة: منذ كم هذا الكتاب؟ فقال: سن قبل أن يبعث صاحبكم بثلاثمائة عام.

٣٠- وأخبرني الحافظ صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني - إجازة-، أخبرني محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرني أحمد ابن محمد بن الحسين الطبراني، حدثني علي بن عبد العزيز، حدثني محمد ابن سعيد الأصبهاني، حدثني شريك، عن عطاء بن السائب، عن ابن وائل

أو وائل بن علقمة، أنه شهد ما هناك، فقال: قام رجل من أصحاب عمر بن سعد، فصاح في معسكر الحسين: أفيكم حسين؟ قالوا: نعم، فقال: ابشر يا حسين بالنار! فقال: «ابشر برب رحيم وشفيع مطاع، من أنت؟» قال: ابن حويزة، قال: «اللهم حزه إلى النار!» قال: فنفرت به الدابة فتعلقت رجله بالركاب، فوالله، ما بقي عليها منه إلا رجله.

٣١- وبهذا الإسناد، عن الطبراني، قال: حدثنا الحضرمي، حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا أبو غسان، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن الكلبي، قال: رمى رجل الحسين عليه السلام وهو يشرب، فشك شدقه، فقال له: لا أرواك الله! قال: فشرب حتى نفط^(١).

٣٢- وأخبرني أبو العلاء هذا -إجازة-، أخبرنا هبة الله بن محمد الشيباني، أخبرنا الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا سليمان بن حرب، عن حماد، عن عمار: أن ابن عباس رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه يوماً بنصف النهار، وهو أشعث أغبر، في يده قارورة فيها دم، فقال: يا رسول الله! ما هذا الدم؟ قال: «دم الحسين، لم أزل ألتقطه منذ اليوم».

فأحصي ذلك اليوم فوجدوا الحسين عليه السلام قُتل في ذلك اليوم.

٣٣- وأخبرني أبو العلاء هذا -إجازة-، أخبرني أبو علي الحداد، أخبرني محمد بن أحمد الكاتب، أخبرني عبد الله بن محمد، حدثني أحمد ابن عمر، حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثني محمد بن جعفر بن محمد قال: سمعتُ عبد الرحمن بن محمد بن أبي سلمة، يذكر عن أبيه، عن جدّه، عن أم سلمة، قالت: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: إنَّ

(١) - نفط: تفرَّح بدنه.

أمتك تقتله يعني الحسين بعدك، ثم قال له: ألا أريك من تربة مقتله؟ قال: «نعم»، فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله في قارورة، فلما كانت ليلة قتل الحسين قالت أم سلمة: سمعتُ قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة، فإذا قد حدث فيها دم.

٣٤- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي -فيما كتب إلي من همدان-، أخبرني محمود بن إسماعيل، أخبرني أحمد ابن فادشاه [ح] قال: وأخبرني أبو علي مناولة، أخبرني أبو نعيم الحافظ، قالوا: أخبرنا الطبراني، حدثنا القاسم بن عباد الخطابي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قالت أم سلمة: ما سمعتُ نوح الجن منذ قبض النبي ﷺ إلا الليلة، وما أدري إلا وقد قُتل ابني يعني الحسين ثمَّ قالت لجارتها: اخرجي فاسألي، فأخبرتها أنه قد قتل، وكانت سمعت جنية تنوح بهذين البيتين:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد فمن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط سرت بهم المنايا إلى متجبر في ملك عبد

٣٥- وأنبأني صدر الحفاظ أبو العلاء الهمداني بها، أخبرنا محمود بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو القاسم اللخمي، حدثنا محمد بن عثمان، حدثنا جندل بن والقي، حدثنا عبد الله بن الطفيل، عن أبي زيد الفقيمي، عن أبي جناب الكلبي، قال: حدثني الجصاصون، قالوا: كنا إذا خرجنا في الليل إلى الجبابة أيام مقتل الحسين بن علي عليه السلام سمعنا الجن ينوحون عليه، ويقولون:

مسح الرسول جبينه فلهُ برِيق في الخدود
أبواه من عليا قریش وجده خيرُ الجدود

٣٦- وأنبأني أبو العلاء هذا، أخبرنا أحمد بن محمد البخاري؛ وأحمد بن عبد الجبار البغدادي؛ وهبة الله بن محمد الشيباني، قالوا: حدثنا محمد بن محمد الهمداني، حدثنا محمد بن عبد الله الشافعي، حدثنا محمد بن شداد المسمعي، حدثنا أبو نعيم عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى محمد بن عبد الله عليه السلام: «إني قتلْتُ يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتلُ بابتك -يامحمد- سبعين ألفاً وسبعين ألفاً». وأخرج هذا الحديث أبو عبد الله الحافظ في «المستدرک»، عن ابن عباس أيضاً.

٣٧- وأخبرني الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن العاصمي، عن أبي علي إسماعيل بن أحمد، عن والده، أخبرني علي بن أحمد بن عبدان، أخبرني أحمد بن عبيد، أخبرني تمام، حدثني أبو سعيد، حدثني أبو خالد الأحمر، حدثني رزين، عن حبیش، قال: حدثني سلمى، قالت: دخلتُ على أم سلمة وهي تبكي، فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيتُ رسول الله عليه السلام في المنام، وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، فقلت: مالك يا رسول الله مغبراً؟ قال: «شهدتُ قتل الحسين آنفاً».

٣٨- وجاء في «المراسيل»: أن سلمى المدنية، قالت: رفع رسول الله عليه السلام إلى أم سلمة قارورة فيها رمل من الطف، وقال لها: «إذا تحول هذا دماً عبيطاً، فعند ذلك يقتل الحسين»، قالت سلمى: فارتفعت واعيعة من حجرة أم سلمة فكنتُ أول من أتاها، فقلت لها: ما دهاك يا أم المؤمنين؟ قالت: رأيتُ رسول الله عليه السلام في المنام، والتراب على رأسه، فقلت: مالك؟

قال: «وثب الناس على ابني فقتلوه، وقد شهدته قتيلاً الساعة»، فاقشعر جلدي وانتبهت وقمتُ إلى القارورة فوجدتها تفور دماً، قالت سلمى: ورأيتها موضوعة بين يديها.

٣٩- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني أبو علي الحداد، أخبرني أبو نعيم الحافظ، حدثني محمد ابن الفتح، حدثني عبد الله بن أبي داود، حدثني عباد بن يعقوب، حدثني أبو يزيد العتكي، عن هشام، عن عبد الله المكي، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه فليس مني: بغضُ علي عليه السلام، ونصب أهل بيتي، ومن قال: الإيمان كلام».

يعني فيها: يناصبهم العداوة، ويقول: بأن الإيمان قول بلا عمل.

٤٠- قال: وفي رواية أبي سعيد الخدري عنه ﷺ: «ثلاث من حفظهن حفظ الله له دينه ودنياه، ومن ضيعهنَّ لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الإسلام؛ وحرمتي؛ وحرمة رحمتي».

٤١- وأخبرنا سيد الحفاظ الديلمي هذا، أخبرنا أبو علي، أخبرنا أبو نعيم، عن أبي الهيثم أحمد بن محمد، عن علي بن أحمد، حدثنا عباد بن يعقوب، عن ارطاة بن حبيب، عن عبيد بن ذكوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي - وهو أخذ بشعره -، حدثني أبي علي بن الحسين - وهو أخذ بشعره -، حدثني أبي الحسين بن علي - وهو أخذ بشعره -، حدثني أبي علي ابن أبي طالب - وهو أخذ بشعره -، حدثني رسول الله ﷺ - وهو أخذ بشعره - قال: «من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله ملء السماء وملء الأرض».

٤٣- وأخبرنا سيد الحفاظ هذا -إجازة-، أخبرنا الرئيس أبو الفتح

الهمداني - كتابة -، حدثنا أبو الحسين بن يعقوب، حدثنا أبو القاسم عيسى ابن علي بن الجراح - وزير المقتدر بالله -، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى، حدثنا عمر بن شبة، حدثنا عبيد ابن حماد، حدثني عطاء بن مسلم، قال: قال السدي: أتيت «كربلاء» أبيع البزَّ بها، فعمل لنا شيخ من طيٍّ طعاماً فتعشنا عنده، فذكر قتل الحسين عليه السلام، فقلت: ما شرك أحدٌ في قتله إلا مات بأسوأ ميتة، فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق! فأنا ممن شرك في قتله.

فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط، فذهب ليخرج الفتيلة باصبعه فأخذت النار فيها، فذهب ليطفئها بريقه فذهبت النار بلحيته، فعدا فالقى نفسه في الماء، فرأيتُه واللَّه، كأنه حممة^(١).

٤٣- وبهذا الإسناد، عن الرئيس أبي الفتح هذا، قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن، أنشدني عمار بن محمد، أنشدني يحيى بن زكريا، أنشدني عليُّ بن منصور:

أباد الأكرمين بني علي يزيد والدَّعي إلى سمية
شفيع في المعاد لنا أبوهم ويشفع في المعاد لهم أمية

٤٤- وبهذا الإسناد، عن الرئيس أبي الفتح هذا، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين الحنفي بالري، حدثنا عبد الله بن جعفر الطبري، حدثنا عبد الله بن محمد التميمي، حدثنا محمد بن الحسن العطار، حدثنا عبد الله ابن محمد الأنصاري، حدثنا عمارة بن زيد، حدثنا بكر بن حارثة، عن محمد بن إسحاق، عن عيسى بن عمر، عن عبد الله بن عمرو الخزاعي، عن هند بنت الجون، قالت:

(١) الحممة: الفحمة.

نزل رسول الله ﷺ بخيمة خالتي ومعه أصحاب له، فكان من أمره في الشاة ما قد عرفه الناس، فقال^(١) في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد، وكان اليوم قايظاً شديداً حره، فلما قام من رقدته، دعا بماء فغسل يديه فانقاهما، ثم مضمض فاه ومجه على عوسجة كانت إلى جنب خيمة خالتي ثلاث مرات، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وأدبر مرة واحدة، ثم غسل رجليه ظاهرهما وباطنهما، والله، ما عاينت أحداً فعل ذلك.

ثم قال: «إنَّ لهذه العوسجة شأنًا».

ثم فعل من كان معه من أصحابه مثل ذلك، ثم قام فصلّى ركعتين، فعجبت أنا وفتيات الحي من ذلك، وما كان عهدنا بالصلاة ولا رأينا مصلياً قبله، فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم دوحة عالية وأبهى، وقد خضد الله شوكرها، ووشجت عروقها، وكثرت أفنانها، واخضر ساقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك فأينعت بثمر كان كأعظم ما يكون من الكمأة في لون الورد المسحوق، ورائحة العنبر وطعم الشهد، والله، ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي، ولا سقيم إلا برئ، ولا ذو حاجة وفاقة إلا استغنى، ولا أكل من ورقها بغير ولا ناقة ولا شاة إلا سمنت ودر لبنها، فرأينا النماء والبركة في أموالنا منذ يوم نزل ﷺ، وأخصبت بلادنا وامرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة: «المباركة»، وكان يتتابنا من حولنا من أهل البوادي يستظلون بها، ويتزودون من ورقها في الأسفار، ويحملون معهم للأرض القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب.

(١) من القيلولة.

فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها؛ واصفر ورقها؛ فأحزننا ذلك؛ وفزعنا من ذلك؛ فما كان إلا قليل حتى جاء نعي رسول الله ﷺ، فإذا هو قد قبض ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك نحو ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد شاكت من أولها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتساقطت جميع ثمرتها، فما كان إلا يسير حتى وافى خبر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل نحن ومن حولنا نأخذ من ورقها؛ ونداوي به مرضانا؛ ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك برهة طويلة، ثم أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعث من ساقها دم عبيط، وإذا بأوراقها ذابلة تقطر دماً كماء اللحم، فقلنا قد حدثت حادثة عظيمة، فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقع الحادثة، فلما أظلم الليل علينا سمعنا بكاءً وعويلًا من تحت الأرض، وجلبة شديدة ورجّة، وسمعنا صوت نائح يقول:

أيابن النبي ويا بن الوصيِّ بقية ساداتنا الأكرمين

وكثر الرنين والأصوات، فلم نفهم كثيراً مما كانوا يقولون، فأتانا بعد ذلك خبر قتل الحسين عليه السلام، ويبست الشجرة وجفت، وكسرتها الريح والأمطار فذهبت ودرس أثرها.

قال عبد الله بن محمد الانصاري: فلقيت دعبل بن علي الخزاعي في مدينة الرسول ﷺ فحدثته بهذا الحديث فلم ينكره، وقال: حدثني أبي، عن جدي، عن أمه سعدى بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة وأكلت من ثمرها على عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنها سمعت ليلة قتل

الحسين عليه السلام نوح الجن، فحفظت من جنية منهم هذين البيتين:

يا بن الشهيد ويا شهيداً عمه خير العمومة جعفر الطيار
عجباً لمصقول أصابك حده في الوجه منك وقد علاك غبار

قال دعبل: فقلت في قصيدة لي تشتمل على هذين البيتين:

زر خير قبر بالعراق يُزار واعصِ الحمار فمن نهاك حمارُ
لم لا أزورك يا حسين لك الفدا قومي ومن عطفت عليه نزار؟
ولك المودة في قلوب ذوي النهي وعلى عدوك مقتاة ودمار
يا بن الشهيد ويا شهيداً عمه خير العمومة جعفر الطيار
عجباً لمصقول أصابك حده في الوجه منك وقد علاه غبار

٤٥- وذكر أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي: إنَّ عمر بن سعد لما دفع

الرأس إلى خولي بن يزيد الأصبحي ليحمله إلى عبيد الله بن زياد أتى به ليلاً فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى به منزله وله امرأتان: امرأة أسدية؛ وامرأة حضرمية، يقال لها: «نوار»، فأوى إلى فراشها، فقالت له: ما الخبر؟ قال: جئتكَ بالذهب! هذا رأس الحسين بن علي معك في الدار، فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت أنت برأس ابن رسول الله ﷺ، والله، لا تجمع رأسي ورأسك وسادة أبداً.

قالت: وقمتُ من فراشي إلى الدار، ودعوت الأسدية فأدخلتها عليه، فمازلت، والله أنظر إلى نور مثل العمود يسطع من الاجانة التي فيها الرأس إلى السماء، ورأيت طيوراً بيضاً ترفرف حولها وحول الرأس.

٤٦- وقال بعض العلماء: إنَّ اليهود حرّموا الشجرة التي كان منها

عصا موسى أن يخطبوا بها، وأن يوقدوا منها النار، تعظيماً لعصا موسى، وأنَّ النصارى يسجدون للصليب لاعتقادهم فيه: أنَّه من جنس العود الذي

صلب عليه عيسى، وأن المجوس يعظمون النار لاعتقادهم فيها أنها صارت برداً وسلاماً على إبراهيم بنفسها، وهذه الأمة قد قتلت أبناء نبيها، وقد أوصى الله تعالى بمودّتهم وموالاتهم، فقال عزّ من قائل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى/ ٢٣.

٤٧- وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «حفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين لأبيهما الصالح، وكان الجد السابع، وقد ضيعت هذه الأمة حق رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل أولاده».

٤٨- ورئي رجلٌ بلا يدين، ولا رجلين، وهو أعمى، يقول: ربي نجني من النار! ف قيل له: لم تبق عليك عقوبة وأنت تسأل النجاة من النار؟ قال: إني كنتُ في من قاتل الحسين بن علي في كربلاء، فلما قُتل رأيتُ عليه سراويل وتكة حسنة، وذلك بعد ما سلبه الناس، فأردتُ أن أنتزع التكة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت يمينه، ثم أردتُ انتزاع التكة، فرفع شماله ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت شماله، ثم هممتُ بنزع السراويل، فسمعتُ زلزلة فخفت وتركته، فالقى الله عليَّ النوم، فنمتُ بين القتلى، فرأيتُ كأنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله أقبل ومعه: علي؛ وفاطمة؛ والحسن عليه السلام، فاخذوا رأس الحسين فقبلته فاطمة، وقالت: «يابني! قتلوك؟ قتلهمُ الله»، وكأنه يقول: «ذبحني شمر، وقطع يدي هذا النائم» - وأشار إليّ -.

ف قالت فاطمة: «قطع الله يديك، ورجليك، وأعمى بصرك، وادخلك النار». فانتبهتُ وأنا لا أبصر شيئاً، ثم سقطت يداي ورجلاي مني، فلم يبقَ من دعائها إلا النار.

٤٩- وروي: أن رأس الحسين عليه السلام لما حُمِل إلى الشام، جنَّ عليهم

الليل، فنزلوا عند رجلٍ من اليهود، فلما شربوا وسكروا، قالوا له: عندنا رأس الحسين، فقال لهم: أروني إياه، فأروه إياه بصندوق يسطع منه النور إلى السماء، فعجب اليهودي، واستودعه منهم، فأودعوه عنده، فقال اليهودي للراس - وقد رآه بذلك الحال -: اشفع لي عند جدك، فأنطق الله الراس، وقال: «إنما شفاعتي للمحمدين ولست بمحمدي»، فجمع اليهودي أقرباءه، ثم أخذ الراس، ووضعهُ في طست وصبَّ عليه ماء الورد، وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر.

ثم قال لأولاده وأقربائه: هذا رأس ابن بنت محمد، ثم قال: والهفاه! لم أجد جدَّك محمداً فأسلم على يديه، ثم والهفاه! لم أجدك حياً فأسلم على يدك وأقاتل دونك، فلو أسلمتُ الآن أتشفع لي يوم القيامة؟ فأنطق الله الراس، فقال بلسان فصيح: «إن أسلمت فانا لك شفيع». قالها ثلاث مرات، وسكت، فأسلم الرجل وأقرباؤه.

أقول: لعلَّ هذا الرجل اليهودي كان راهب «قنسرين»، لانه أسلم بسبب رأس الحسين عليه السلام، وجاء ذكره في الأشعار، وأورده الجوهري والجرجاني في مرثي الحسين كما سيرد عليك في موضعه إن شاء الله.

ومثل هذا يجوز إذا أخبر به النبي ﷺ أنه سيكون بعدي كذا وكذا، كما أخبر عن بقيلة بنت السماء الأزدية صاحبة الحيرة، وكما أخبر سفينة مولاه أنه يكلمه الأسد، وكما أخبر عن تبليغ صوت عمر من المدينة إلى نهاوند حين افتتحوها، وفي حربها صاح عمر: ياسارية الجبل الجبل في أخبار له عليه السلام كثيرة.

٥٠- وحدَّثنا عين الأئمة أبو الحسن عليّ بن أحمد الكرباسي - إملاءً -، حدَّثنا الشيخ الإمام أبو يعقوب يوسف بن محمد البلالي، حدَّثنا السيد

الإمام المرتضى أبو الحسن محمد بن محمد الحسيني الحسني، أخبرنا الحسن ابن محمد الفارسي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عيسى، حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور المرادي المصري، حدثنا عيسى بن زيد بن حسين، عن أبي خالد، عن زيد، قال: قال الحسن البصري: كان يجالسنا شيخ نصيب منه ريح القطران، فسألناه عن ذلك، فقال: إني كنتُ في من منع الحسين بن علي عن الماء، فرأيتُ في منامي كأنَّ الناس قد حشروا فعطشتُ عطشاً شديداً فطلبت الماء، فإذا النبي؛ وعلي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين عليه السلام على الحوض، فاستسقيتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «اسقوه»، فلم يسقني أحد، فقال ثانياً، فلم يسقني أحد، فقال ثالثاً، فقليل: يا رسول الله! إنه ممن منع الحسين من الماء، فقال: «اسقوه قطراناً» فأصبحت أبول القطران، ولا أكل طعاماً إلاَّ وجدتُ منه رائحة القطران، ولا أذوق شرباً إلاَّ صار في فمي قطراناً.

٥١- وروي عن مينا أنه قال: ما بقي من قتلة الحسين أحد لم يُقتل، إلا رمي بداء في جسده قبل أن يموت.

٥٢- وقال ابن رماح: لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فكان الناس يأتونه ويسألونه عن سبب ذهاب بصره. فقال: إني كنتُ شهدت قتله عاشر عشرة، غير أني: لم أضرب، ولم اطعن، ولم أرم، فلماً قُتل رجعتُ إلى منزلي فصلَّيتُ العشاء الآخرة ونمتُ، فأتاني آتٍ في منامي، وقال لي: أجب رسول الله! فإذا النبي صلى الله عليه وآله جالس في الصحراء، حاسر عن ذراعيه، أخذ بحربة، ونطع بين يديه، وملك قائم لديه في يده سيف من نار يقتل أصحابي، فكلما ضرب رجلاً منهم ضربةً التهبت نفسه ناراً، فدنوت من النبي صلى الله عليه وآله، وجثوتُ بين يديه، وقلت: السلام عليك يا رسول الله! فلم

يرد عليّ، ومكث طويلاً مطرقاً، ثم رفع رأسه وقال لي: «يا عبد الله! انتهكت حرمتي، وقتلت عترتي، ولم ترع حقي، وفعلت وفعلت». فقلت له: يا رسول الله! والله، ما ضربتُ سيفاً، ولا طعنتُ رمحاً، ولا رميتُ سهماً.

فقال: «صدقت، ولكنك كثرت السواد، إذن مني»، فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً، فقال: «هذا دم ولدي الحسين». فكحلني منه فانتبهت ولا أبصر شيئاً حتى الساعة.

وأورد هذا الحديث مجد الأئمة السرخسكي، ورواه عن أبي عبد الله الحداد، عن الفقيه أبي جعفر الهندواني، أنه قال: يحكى عن عبد الله بن رماح القاضي، وساق الحديث إلى أن قال: وكلما قتلهم عادوا أحياءً فيقتلهم مرةً أخرى، وقال: «صدقت، ولكن يا عدو الله! لم ترع حق نبوتي».

وباقى الحديث يقرب بعضه من بعض في - اللفظ والمعنى -. ولقد لقي بنو الحسن والحسين من عتاة بني العباس ما لقي آبائهم من طغاة بني أمية.

٥٣- على ما أخبرني الشيخ الإمام أبو جعفر محمد بن عمير بن أبي علي - كتابة -، أخبرني الإمام زيد بن الحسن البيهقي، أخبرني النقيب علي بن محمد الحسني، أخبرني السيد الإمام أبو جعفر محمد بن جعفر الحسني، أخبرني أبو طالب يحيى بن الحسين الحسني، حدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسيني - إملاء -، أخبرني أبو علي الحسن بن علي بن برزخ، سمعتُ محمد بن يحيى الصولي، سمعتُ أبا العيلاء محمد بن أبي القاسم يقول - وقد تدارك ذهاب بصره - قال: كان أبو جعفر - يعني الدوانيقي - دعا

جدي وكان في نهاية الثقة به لكمال عقله، فقال له: قد ندبتك لأمرٍ عظيمٍ عندي، فانت عندي، كما قال أبو ذؤيب:

الكني^(١) إليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر
ثم عرفه بما يريده منه، وأطلق له مالا خطيراً، وقال له: كلُّ شيءٍ تريده بعد هذا من المال فخذهُ وصر إلى المدينة، وافتح بها دكان عطار، وأظهر أنك من خراسان من شيعة عبد الله بن الحسن بن الحسن، وأنفق على أصحابه، وأهد لهم وله ما يقربك منهم، وكاتبني مع ثقاتك بأنفاسهم، وتعرف لي خبر ابنه محمد وإبراهيم.

قال: فمضى جدي ففعل ذلك كله، فلما أخذ - أبو جعفر الدوانيقي - عبد الله بن الحسن وإخوته، جعل يوبخ عبد الله على شيء من فعله، ويأتيه بما ظن عبد الله أنه ليس أحد يعلمه، فقال عبد الله لبعض ثقاته: من أين أتينا؟ قال: من العطار. قال: اللهم! أبله في نفسه وولده بما يكون، نكالا له وردعا لغيره، بلاءاً يُشتهر به.

قال: فعمي جدي وأبي وعمي وولدهم، وأنا على الحال التي ترون، وكذلك تكون ولدي من دعاء - عبد الله بن الحسن -، وكذلك يكونون إلى يوم القيامة.

وذكر أبو أحمد العسكري، بإسناده إلى بشير الرِّحال هذه الحكاية تامة، إلى أن قال: فأخذ أبو جعفر عبد الله بن الحسن، وحبسه وجوعه، ووضعت المائدة بين يديه، ثم قال لبعض خدمه: قم على رأسه! فقام فلم يلتفت إليه من شدة الجوع، فقال: اجذبه فجذبه، فنظر إليه فسقطت اللقمة من يده، فقال: أقلني، يا أمير المؤمنين. قال: لا أقالني الله إذن، ثم قتله

(١) الكني: أرسلني.

وسمره، فدخل إليه بشير الرّحال، فقال أبو جعفر لخدم له: اذهب به حتى ينظر إلى عبد الله بن الحسن، فلماً دخلَ ورآه غشي عليه وسقط، وقال للخدم: استر عليّ، قال: نعم، فقال أبو جعفر: يا بشير! أترى بعد عبد الله عندي لأحد هواة^(١)؟ فقلت في نفسي: والله، إن قدرتُ على الخروج عليك خرجت، فخرج مع إبراهيم بن عبد الله وقُتل.

٥٤- وفي رواية أخرى: أنّ - أبا جعفر - قال لبشير: أي رجل كان عبد الله بن الحسن؟ قال: فقلتُ من خيار الناس، قال: أراك محباً له، فقلتُ: إني لأحبُّ كل خير ذي فضل، فقال: ادخل هذا البيت فدخلتُ، فإذا عبد الله مذبوح، فغشي عليّ ثم خرجت إليه، فقلت^(٢): هذه الدنيا أصبتها، أما لك في الآخرة من حاجة، فقُتل (ره).

٥٥- وبالإسناد الذي تقدم إلى السيد أبي طالب، قال: روى أبو عبد الله محمد بن يزيد المهلبّي، حدّثني محمد بن زكريا العلائي، قال: صرتُ إلى أحمد بن عيسى بن زيد - وهو متوارٍ بالبصرة -، فقال لي: لما طلبنا هارون الملقّب بالرشيد، خرجتُ أنا؛ والقاسم بن إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن؛ وعبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، فتفرقنا في البلاد، فوقعنا إلى ناحية الري، ووقع عبد الله بن موسى إلى الشام، وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون الرشيد اجتمعنا في الموسم فتشاكينا مامراً علينا.

فقال القاسم: أشد ما مر بي أني لما خرجتُ من مكة أريد اليمن صرتُ في مفازة لا ماء فيها، ومعني زوجتي بنت عمي وبها جبل فجاءها الخاض في

(١) الهواة: اللين.

(٢) يعني في نفسي وقتله في الحرب مع إبراهيم كما مر.

ذلك الوقت، فحفرت لها حفيرة لتولي أمر نفسها، وضربت في الأرض أطلب لها ماء فرجعت ولم أصب ماءً، فرأيتها قد ولدت غلاماً وقد أجهدتها العطش، فالححت في طلب الماء، ولم أصب، فرجعت إليها وقد ماتت والصبي حي، فكان بقاء الغلام أشدَّ عليَّ من وفاة أمه، فصليت ركعتين، ودعوت إلى الله أن يقبضه، فما فرغت من دعائي حتى مات.

وقال عبد الله بن موسى: أشدُّ ما مرَّ بي، إني خرجت من بعض قرى الشام، فصرت إلى بعض المسالح وقد تزيت بزي الأكرة والفلاحين، فسخرني بعض الجند، وحمل على ظهري شيئاً ثقيلاً، فكنت إذا أعيت، وضعت ما على ظهري للاستراحة، ضربني ضرباً موجعاً، وقال لي: لعنك الله، ولعن من أنت منه، وقلت أنا من شديد ما نالني: إني صرت إلى ورزنين^(١)، ومعني ابني محمد فتزوجت لبعض الحاكة هناك، وتكنيت: بابي حفص الجصاص، فكنت أغدو فأقعد مع بعض من آنس به من الشيعة، ثم اروح إلى منزلي كأنني قد عملت يومي، وولدت المرأة بنتاً وتزوج ابني محمد إلى بعض موالي عبد قيس هناك، فأظهر مثل ما أظهرت، فلما صار لابنتي عشر سنين، طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحاكة له فيهم قدر فضقت ذرعاً بما دفعت إليه، وخفت من إظهار نسبي، وألح القوم عليَّ في تزويجها، ففرعت إلى الله وتضرعت إليه في أن يخرمها، ويحسن عليَّ الخلف والعوض عنها، فأصبحت الصبية عليلة، وماتت من يومها.

فخرجت مبادراً إلى ابني محمد، أبشره فلقيني في الطريق، وأعلمني: أنه ولد له ولد فسماه علياً، وهو اليوم بناحية ورزنين، لا أعرف له خبراً للاستار الذي أنا فيه.

(١) ورزنين من قرى الري.

٥٦- وبهذا الإسناد، الى السيد أبي طالب هذا، قال: روى أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني، أخبرنا علي بن العباس البجلي، حدثنا حسين بن نصر - وذكر قصة آل الحسن وحسبهم -، فقال: حسبهم أبو جعفر الدوانيقي ستين ليلة في محبس لا يدرون به ليلاً من نهار، ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن بن الحسن بن الحسين عليه السلام.

فضجر عبد الله بن الحسن بن الحسن ضجرة، فقال: يا علي! ألا ترى ما نحن فيه من البلاء؟ ألا تطلب إلى ربك أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء؟ قال: فسكت عنه طويلاً، ثم قال: يا عم! إن لنا في الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا بهذه البلية، أو بما هو أعظم منها، وأن لأبي جعفر في النار موضعاً لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها، فإن تشأ أن تصبر فأوشك فيما أصابنا أن نموت فنستريح من هذا الغم، كأن لم يكن شيء وإن نشأ ندعوا ربنا تعالى أن يخرجك من الغم، ويقصر بأبي جعفر عن غايته التي له في النار فعلنا. فقال عبد الله: لا، بل أصبر، فما مكثوا إلا ثلاثاً حتى قبضهم الله تعالى إليه.

٥٧- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، حدثنا أحمد بن إبراهيم الحسني، حدثنا علي بن الحسين الهمداني، حدثنا الحسن بن علي الأسدي، حدثنا أحمد بن رشد، حدثنا أبو عمر سعيد بن خيثم: أن زيد بن علي عليه السلام كتب كتابه، فلما خفقت راياته رفع يده إلى السماء، فقال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله، ما يسرني إني لقيت محمداً عليه السلام ولم أمر أمته بمعروف، ولم أنهم عن منكر.

وفي رواية أخرى: والله، إني لاستحي من رسول الله عليه السلام إذا لقيته ولم أمر أمته بالمعروف، ولم أنهم عن المنكر، والله، ما أبالي إذا أقمت

كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن أوجبت لي نار، وقذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله عز وجل.

والله، لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع: محمد؛ وعلي؛ وفاطمة؛ والحسن؛ والحسين (صلوات الله عليهم)، ويحكم، أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد ﷺ ونحن بنوه.

يامعشر الفقهاء! وأهل الحجى! أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله، ونعمل بكتابه، ونقسم فيكم بالسوية، فسلوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم بكل ما سألتكم عنه، فولوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني. لقد علمت علم أبي علي بن الحسين، وعلم جدي الحسين بن علي، وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله ﷺ وعيبة علمه، وإني لأعلم أهل بيتي، والله، ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرماً منذ عرفت أن الله تعالى يؤاخذني به، هلموا فاسألوني.

ثم سار حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام كانوا بها، ثم سار إلى الجبابة، ويوسف بن عمر مع أصحابه على التل، فشد بالجمع على زيد وأصحابه.

قال أبو معمر: فرايته شداً عليهم كأنه الليث حتى قتلنا منهم أكثر من ألفي رجل ما بين الحيرة والكوفة، وتفرقنا فرقتين وكنا من أهل الكوفة أشدَّ خوفاً. قال أبو معمر: فلما كان يوم الخميس حاصت حيصة منهم، واتبعتهم فرساننا فقتلنا أكثر من مائتي رجل، فلما جن علينا الليل ليلة الجمعة، كثر فينا الجراح، واستبان فينا الفشل، فجعل زيد يدعو، ويقول: اللهم! إن هؤلاء عدوك وعدو رسولك ودينك الذي ارتضيته لعبادك،

وهؤلاء يقاتلونهم، اللهم! فاجزهم أفضل ما جزيت أحداً من عبادك المؤمنين.

ثم قال: عباد الله! أحيوا هذه الليلة: بقراءة القرآن؛ والدعاء والتهجد؛ والتضرع إلى الله تعالى، فإني، والله، لأعلم أنه ما أمسى على وجه الأرض عصابة أنصح لله ورسوله وللإسلام منكم.

قال: ولما قُتل وصلب، قال جرير بن حازم: رأى أبي النبي ﷺ وهو مسند ظهره إلى جذع زيد بن علي وهو مصلوب، وهو يقول للناس: «أهكذا تفعلون بولدي؟ أهذا جزائي منكم»؟

٥٨- وروي: أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت، سئل عن خروج زيد؟ فقال: إن خروجه، والله، ليضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر، ف قيل له: فهلا قاتلت معه يا ابن الواسعة؟^(١) فقال: حبستني عنه ودائع الناس عندي، فخفت أن أقتل مهملًا للوديعة.

٥٩- وقيل: بعث أبو حنيفة إلى زيد بن علي جراباً من الورق، وقال له: استظهر بها على خروجك، وكان يحض الناس على الخروج معه، حتى أن بعض أهل البيت كان يقول: رحم الله أبا حنيفة! فإنه كان يعين أصحاب زيد على الخروج ويقوي قلوبهم، وفعل الله بعبد الله بن المبارك وفعل، فإنه كان يشبط الناس عنه.

٦٠- وقال عبد الله بن الحسن بن الحسن: دخلت على عمر بن عبد العزيز فخلا بي، وقال: يا أبا محمد! إن رأيت أن ترفع ما فوق الأزار. فقلت: ما تريد إلى هذا رحمك الله؟ قال: فإني أسالك، فرفعت فجاء ببطنه حتى ألزق ببطني، ثم قال: إني لأرجو أن لا تمس النار بضعة مست

(١) كذا في النسخة، ولعل فيها تصحيحاً أو تحريفاً.

بضعة من رسول الله ﷺ .

٦١- وخطب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي منبر رسول الله ﷺ بعد قتل زيد، فقال: أما، والله، لقد أحيى زيد ابن علي ما دثر من سنن المرسلين؛ وأقام عمود الدين إذ أعوج ولن ننحو إلا أثره؛ ولن نقتبس إلا من نوره؛ فزيد إمام الأئمة، وأول من دعاء إلى الله بعد الحسين ابن علي.

٦٢- وقال هذا القول أيضاً سفيان الثوري، وكان سفيان زدياً، وكان يقول: قام زيد مقام الحسين بن علي، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله، ما ولدت النساء مثله أبداً. وكان زيد بن علي يقول: من استشعر حب البقاء، استدبر الذل إلى الفناء.

٦٣- ولما خرج الداعي الحسن بن زيد قال:

لا عيب في ديننا ولا أثره	لولا طغاة قد تابعوا الشجرة
إني لأرجو والله ينصرنا	بالسيف نعلو جماجم الكفرة
ردوا علينا تراث والدنا	خاتمه والقضيب والخبرة
وبيت ذي العرش سلموه لنا	تليه منا عصاة طهرة
فطالما دنست مشاعره	واظهرت فيه فسقها الفجرة

٦٤- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب، حدثنا أحمد بن محمد البغدادي، حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالاصبهاني، حدثني عمي الحسن بن محمد، حدثني محمد بن القاسم، حدثني محمد بن أبي العتاهية، حدثني أبي، قال: لما امتنعت من قول الشعر وتركته، أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فأخرجت من بين يديه إلى الحبس، فلما دخلته دهشت وذهل عقلي ورأيت منظرًا هالني، فرميت بطرفي أطلب موضعاً

أوي إليه، ورجلاً آنس به وبمجالسته فإذا أنا بكهل حسن السميت، نظيف الثوب، بين عينيه سيماء الخير، فقصدته وجلستُ إليه من غير أن أسلم عليه، وأسأله عن شيء من أمره، لما أنا فيه من الجزع والحيرة والدهشة، فمكثنا كذلك ملياً وأنا مطرق ومفكر في حالي فأنشد:

تعودتُ مسَّ الضرِّ لما ألفتَه

وأسلمني حسن العزاء الى الصبر

وصيرني يأسى من الناس واثقاً

بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال: فاستحسنْتُ البيتين وتبركت بهما، وثاب إليَّ عقلي، فقلت له: تفضل أعزِّك الله بإعادة البيتين، فقال لي: ويحك، يا إسماعيل! - ولم يكني - ما أسوأ أدبك، وأقل عقلك ومروءتك! دخلت عليَّ ولم تسلم علي تسليم المسلم على المسلم، ولا توجهت لي توجه المبتلى للمبتلى، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى إذا سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله فيك خيراً إلا به، ولم يجعل لك معاشاً غيره، لم تتذكر ما سلف منك فتلافاه، ولا اعتذرت عما قدَّمته وفرطته فيه من الحقِّ حتى استنشدتني مبتدئاً كأن بيننا أنساً قديماً، ومعرفة سابقة، وصحبة تبسط القبض.

فقلت له: تعذرني متفضلاً، فدون ما أنا فيه ما يدهش، قال: وفي أي شيء أنت؟ إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم، وسبيلك إليهم فحبسوك حتى تقول، وأنت لا بدَّ من أن تقوله فتطلق، وأما أنا فيدعي بي الساعة فأطالب بعيسى بن زيد ابن رسول الله ﷺ فإن دلت عليه قُتل، ولقيت الله تعالى بدمه، وكان رسول الله ﷺ خصمي فيه، وإلا قُلت، فانا

أولى بالحيرة منك، وأنت ترى احتسابي وصبري.

فقلت: يكفيك الله، وأطرقتُ خجلاً منه، فقال: يا أبا العتاهية! لا أجمع عليك التوبيخ والمنع، اسمع البيتين واحفظهما، وأعادهما عليّ مراراً حتى حفظتهما، ثم دُعِي به وبِي، فلما قمنا قلتُ من أنت أعزُّك الله تعالى؟ فقال: أنا «حاضر» صاحب عيسى بن زيد، فأدخلنا على المهدي، فلما وقفنا بين يديه قال له: هيه! أين عيسى بن زيد؟

فقال: ما يدريني أين عيسى بن زيد؟ طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد، وأخذتني فحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس؟ فقال له المهدي: فأين كان متوارياً؟ ومتى كان آخر عهدك به؟ وعند من لقيته؟ فقال: ما لقيته منذ توارى، ولا أعرف له خبراً.

فقال المهدي: والله العظيم لتدُلَّن عليه أو لأضربنَّ عنقك الساعة، قال له: فاصنع ما بدا لك؟ فوالله، أنا لا أدلك على ابن رسول الله لتقتله، وألقى الله ورسوله وهما يطالباني بدمه، ووالله، إنه لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت عنه. فقال المهدي: اضربوا عنقه، فقدم وضرب عنقه، ثم دعا بي، وقال: اتقول الشعر أو لألحقنك به؟ فقلت: بل أقول الشعر، فقال: اطلقوه!

٦٥- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن محمد البغدادي، أخبرنا عبد العزيز بن إسحاق الكوفي، حدَّثني محمد بن عيسى، حدَّثني محمد بن زكريا المكي، حدَّثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: قال محمد الباقر عليه السلام: «إنَّ أخي زيد بن علي خارج فمقتول على الحقِّ، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله».

قال جابر: فلما أزمع^(١) زيد بن علي على الخروج، قلت له: إني سمعت أخاك يقول: كذا وكذا، فقال لي: يا جابر! لا يسعني أن أسكن وقد خولف كتاب الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت، وذلك إني شهدت هشاماً ورجل عنده يسب رسول الله ﷺ فقلت للساب: ويلك، يا كافر! أما إني لو تمكنت منك لا اختطفتُ روحك، وعجلتك إلى النار. فقال لي هشام: مه، عن جلسنا يازيد! فوالله، لو لم أكن إلا أنا؛ ويحيى ابني، لخرجت عليه وجاهدته حتى أفنى.

٦٦- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثني أبي، حدثني الحسن بن الفضل - مولى الهاشميين بالمدينة سنة خمس عشرة ومائتين هجرية-، حدثني علي بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: أرسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ليقتله، وطرح سيفاً ونطعاً، وقال لحاجبه الربيع: ياربيع! إذا أنا كلمته ثم ضربتُ بإحدى يدي على الأخرى فاضرب عنقه.

فلما دخل جعفر بن محمد عليه السلام فنظر إليه من بعيد، نزع أبو جعفر على فراشه - يعني: تحرك-، وقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً بك، يا أبا عبد الله! ما أرسلنا إليك إلا رجاء أن نقضي دينك. ثم سأل مسألة لطيفة عن أهل بيته، وقال له: قد قضى الله دينك وأخرج جائزتك، ياربيع! لا تمض ثالثة حتى يرجع جعفر بن محمد إلى أهله. فلما خرج هو والربيع، قال له: يا أبا عبد الله! أرايت السيف والنطع؟ إنما كانا وضعا لك، فأبى شيء رأيتك تحركت به شفتاك؟ قال: «ياربيع! لما رأيت الشر في وجهه قلت: حسبي

(١) أزمع: عزم.

الرب من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الله رب العالمين، حسبي من هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

وفي رواية أخرى: أن الربيع قال للدوانقي: مابدا لك يا أمير المؤمنين؟ حيث انبسطت الى جعفر بن محمد بعدما أضمرت له ما أضمرت؟ قال: والله، لقد رأيتُ قدامه أسدين فاغرين فمويهما؛ فلو هممتُ به سوءاً لا بتلعاني، فلذلك تضرعتُ له وفعلتُ ما فعلت.

٦٧- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، قال: روى أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني في كتاب «مقاتل الطالبين»، أخبرني عمر بن عبد الله العتكي، حدثني عمر بن شبة، حدثني محمد بن حرب، حدثني يحيى بن زيد بن حميد، حدثني سليمان بن داود بن الحسن؛ والحسن بن جعفر بن الحسن، قالوا: لما حبسنا -يعنيان في حبس أبي جعفر الدوانقي- كان معنا علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، وكانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا إذا أردنا صلاة أو نوماً خلعناها عنّا، فإذا خفنا دخول الحرس أعدناها، وكان علي بن الحسن لا يفعل ذلك، فقال له عمه عبد الله ابن الحسن بن الحسن: يا بني! ما يمنعك أن تفعل مثل هذا؟ قال: لا، والله، لا أخلعه حتى أجمع أنا وأبو جعفر، عند الله عز وجل فيسأله: لم قيّدني به؟

٦٨- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرني أحمد بن محمد البغدادي، أخبرني عبد العزيز بن إسحاق، حدثني عمر بن محمد، حدثني إبراهيم بن محمد، حدثني محرز بن هشام، حدثني السري بن عبد الله، عن هشام، عن أبي حفص المكي، قال: لما رحل الحسين بن علي

من المدينة إلى الكوفة سرتُ معه، فنزل ماءً من مياه بني سليم فأمرَ غلامه فاشترى شاة فذبحها، فجاء صاحبها، فلما رأى هيئة الحسين عليه السلام في أصحابه رفع صوته، وقال: أعوذ بالله وبك، يا بن رسول الله! هذا اشترى شاتي فذبحها، ولم يدفع إليَّ الثمن، فغضب الحسين غضباً شديداً، ودعا غلامه، فسأله عن ذلك، فقال: والله، يا بن رسول الله! أعطيته ثمنها، وهذه البينة^(١).

فسألهم الحسين فشهدوا أنه أعطاه ثمنها، وقالت البينة أو بعضها: يا بن رسول الله! إنه رأى هيئتك فانصاع^(٢) إليك لتعوضه، فأمر له الحسين بمعروف، فقال علي بن الحسين: ما اسمك يا أعرابي؟ فقال: زيد، فقال: «ما بالمدينة أكذب من رجلٍ اسمه: زيد»، وكان بالمدينة رجل اسمه زيد يبيع الخمر، قال: فضحك الحسين حتى بدت نواجذه، ثم قال: «مهلاً، يا بني! لا تعيره باسمه، فإنَّ أبي حدَّثني: أنه سيكون منا رجل اسمه زيد يخرج فيقتل، فلا يبقى في السماء ملك مقرب؛ ولا نبي مرسل، إلاَّ تلقى روحه، ليرفعه أهل كل سماء إلى سماء، حتى يبلغ، فاذا قامت القيامة يبعث هو وأصحابه يتخللون رقاب النَّاس، ويقال: هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق.

٦٩- قال أبو عوانة: كان سفيان الثوري إذا ذكر زيد بن علي، يقول: إنه بذلَّ مهجته لربه، وقام بالحق لخالقه، ولحقَّ بالشهداء المرزوقين من آبائه. ٧٠- وقال أبو عوانة أيضاً: كان زيد بن علي يرى الحياة غراماً^(٣)،

وكان ضجراً بالحياة.

٧١- وبهذا الإسناد، إلى عبد العزيز بن إسحاق، حدَّثني علي بن

(١) يعني الشهود الحاضرين.

(٢) انصاع: جاء.

(٣) الغرام: الشر الدائم.

الوليد، حدثني عباد بن يعقوب، حدثني عيسى بن عبد الله، عن رجل من أهل المدينة، يقال له: البابكي، قال: خرجت أنا؛ وزيد بن علي، إلى العمرة، فلما فرغنا من عمرتنا أقبلنا، فلما كنا بالعرج أخذنا طريقنا، فلما استوينا على رأس الشية نصف الليل استوت الثريا على رؤوسنا، فقال لي زيد: يا بابكي! ترى الثريا ما أبعداها؟ أترى أن أحداً يعرف بعدها؟ قلت: لا، والله، قال: فوالله، لوددت أن يدي ملتصقة بها، ثم أفلت حتى وقعت حيث وقعت، وأن الله أصلح بي أمر أمة محمد عليه السلام.

ولما انصرف عيسى بن زيد من وقعة «باخمري»، خرجت عليه لبوءة^(١) معها أشبالها، وتعرضت للطريق، فجعلت تحمل على الناس، فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه، ثم بدر إليها فقتلها، فقال مولى له: أيتمت أشبالها ياسيدي! فضحك، وقال: نعم، أنا مؤتم الأشبال، فلزمه هذا الاسم، وكان أصحابه يكتنون عنه به، فيخفي أمره.

٧١- وقيل لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ما الذي تقول في زيد بن علي، وخروجه على هشام؟ فقال: «لقد قام زيد مقام صاحب الطف» -يعني: الحسين بن علي عليه السلام-.
٧٢- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الحسني، أخبرنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن علي بن هشام، حدثنا أحمد بن رشد، عن سعيد بن خيثم، عن أخيه معمر، قال: قال لي زيد بن علي عليه السلام: كنت أماري - هشام بن عبد الملك - وأكايده في الكلام، فدخلت عليه يوماً فذكرت بني أمية، فقال: والله، هم أشد قريش أركاناً، وأشد قريش مكاناً، وأشد قريش سلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا

(١) اللبوة: زوج السبع.

رؤوس قريش في جاهليتها، وملوكهم في إسلامها.

فقلت له: على من تفتخر؟ أعلى بني هاشم أول من أطعم الطعام،

وضرب الهام، وخضعت لها قريش بإرغام؟

أم على بني عبد المطلب سيد مضر جميعاً؟ وإن قلت: معد كلها،

صدقت، إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان

يطعم الوحوش في رؤوس الجبال، والطير والسباع والإنس في السهل،

حافر زمزم، وساقى الحجيج، أم على بنيه أشرف الرجال.

أم على نبي الله ورسوله، حملة الله على البراق، وجعل الجنة عن

يمينه، والنار عن شماله، فمن تبعه دخل الجنة، ومن تأخر عنه دخل النار؟

أم على أمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، أخي رسول

الله، وابن عمه المفرج الكرب عنه، وأول من قال: لا إله إلا الله، بعد

رسول الله، لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله ما لم يقله في

أحد من أصحابه، ولا لأحد من أهل بيته؟ قال: فاحمر وجهه.

٧٣- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أبو العباس

الحسني، أخبرنا عبد الله بن أحمد، أخبرني أبي، أخبرني الحسن بن عبد

الواحد، حدثني حمدويه بن عمران، حدثني بشر بن حمزة، قال: مررنا

مع زيد بن علي وأنا غلام وعليّ قباء، فأشرف عليه رجل من سطح فرماه،

فدعا زيد عليه، وقال: اللهم! أفقره ولا ترزقه على ذلك الصبر.

قال: فرأيتُه بعد ذلك أعمى يسأل، فإذا سئل، قال: دعا عليّ العبد

الصالح.

٧٤- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، حدثنا أبو الفرج

الاصبهباني، حدثني علي بن العباس، حدثني أحمد بن يحيى، حدثني

عبدالله بن مروان، قال: سمعت محمد بن جعفر بن محمد في «دار الامارة»، وهو يقول: رحم الله ابا حنيفة! لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي، وفعل الله بابن المبارك في كتمان فضائلنا، ودعا عليه بضرره.

٧٥- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرني أبي أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى، حدثني جدي يحيى بن الحسن، حدثني عمار ابن أبان، حدثني كليب الحربي: أن زيد بن علي دخل على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام الشاميين، فسلم عليه، ثم قال: إنه ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وليس أحد من عباد الله فوق أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيكم بتقوى الله.

فقال له هشام: أنت زيد المؤمل للخلافة، والراجي لها؟ وما أنت والخلافة، وأنت ابن أمة؟ فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من الانبياء، وقد بعث الله تعالى نبياً هو ابن أمة، فلو كان ذلك تقصيراً عن حتم الغاية لم يبعث، وهو إسماعيل بن إبراهيم، والنبوة أعظم منزلة عند الله من الخلافة، فكانت أم إسماعيل مع أم إسحاق، كأمي مع أمك، ثم لم يمنع ذلك أن جعله الله عز وجل أبا العرب، وأبا خير النبيين محمد صلى الله عليه وآله، وما تقصير رجل، جده رسول الله؛ وأبوه علي بن أبي طالب؟

فقام هشام من مجلسه، وتفرق الشاميون، فدعا هشام قهرمانه، وقال: لا يبيتن هذا في عسكري! فخرج أبو الحسين زيد بن علي، وهو يقول: لم يكره قوم قط حرّ السيوف إلا ذلّوا.

وفي رواية أخرى: أن هشاماً قال لأهل بيته بعد ما خرج زيد: اتزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا؟ كلا، لعمرى، ما انقرض قوم هذا

خلفهم.

٧٦- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، حدّثني أبو العباس الحسن، حدّثني أبو زيد العلوي، حدّثني أحمد بن سهل، حدّثني القاسم بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده، قال: عوتب الحسين بن علي صاحب «فخ» فيما كان يعطي، فإنه كان من أسخى العرب والعجم، فقال: واللّه، ما أظن أن لي فيما أعطي أجراً؟ فقليل له: وكيف ذاك؟ فقال: إنّ الله تعالى، يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ آل عمران/٩٢، وواللّه، ما هو عندي وهذه الحصة إلاّ بمنزلة - يعني: المال-.

٧٧- وبهذا الإسناد، عن السيد أبي طالب هذا، أخبرنا أحمد بن محمد البغدادي المعروف بالآبنوسي، أخبرنا عبد العزيز بن إسحاق، حدّثني أحمد بن حمدان، حدّثني محمد بن الأزهر الطائي، حدّثني الحسين ابن علوان، عن أبي صامت الضبي، عن ابن أبي عمير، عن زاذان، عن علي (صلوات الله عليه)، أنه قال: «الشهيد من ولدي، والقائم بالحق من ولدي، المصلوبُ بكناسة كوفان، إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقاهم الملائكة، ينادونهم: ادخلوا الجنة، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون».

٧٨- وروي: أنه لما ولد زيد بن علي سنة خمس وسبعين بشر أبوه علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام به، فأخذ المصحف وفتحهُ، فنظر فيه فخرج أوّل السطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ التوبة/١١١، فأطبقه، ثم فتحهُ فخرج: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء/٩٥، ثم أطبقه وفتحهُ فخرج: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران/١٦٩، فأطبقه،

وقال: «عزيت عن هذا المولود، وإنه من الشهداء».

٧٩- وروي، عن خالد بن صفوان، أنه قال: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة في بني هاشم إلى زيد بن علي، رأيته عند هشام ابن عبد الملك وقد تضايق مجلسه.

٨٠- وروي عن الباقر عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال للحسين عليه السلام: «يخرج من صلبك رجل، يقال له: زيد، يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يوم القيامة، غراً محجلين يدخلون الجنة».

٨١- وروي أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «يقتل من ولدي رجل، يقال له: زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعو إلى الحق، ويتبعه كل مؤمن».

٨٢- وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال: «رحم الله عمي زيداً، خرج على ما خرج عليه آبؤه، وودتُ أني استطعت أن أصنع كما صنع، فأكون مثل عمي، ومن قتل مع زيد بن علي كمن قتل مع الحسين ابن علي عليه السلام».

٨٣- وروي أبو الفرج الاصبهاني في كتاب «مقاتل الطالبين»: أنَّ عبد الله بن الحسن بن الحسن انتهى إليه الحسن والجمال، وهو أول من اجتمعت فيه ولادة الحسن والحسين عليهما السلام، لأنَّ أباه الحسن لما خطب إلى عمه الحسين، قال له: يا بني! اختر أحبهما إليك، فاستحى الحسن، فقال له الحسين: اخترتُ لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجها فولد لهما عبد الله بن الحسن، وولد في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو اليوم في المسجد، حبسه أبو جعفر الدوانيقي ثلاث سنين، ثم قتله في الحبس، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ومن أولئك : علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، يقال له : «علي الخير» ، و«علي الاغر» ، و«علي العابد» ، وهو والد الحسين الفخي ، توفي في الحبس ، وهو ساجد .

ومنهم : محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، وكان يدعى : «الديباج الاصفر» ، لحسنه وجماله ، قال له أبو جعفر الدوانيقي : أنت الديباج الاصفر؟ والله ، لاقتلنك قتلة ما قتلها أحد من أهل بيتك ، فبنى عليه اسطوانة وهو حي .

ومنهم : إسماعيل طباطبا بن ابراهيم الديباج الاكبر ، قتل في الحبس ، قتله أبو جعفر الدوانيقي .

ومنهم : يعقوب وإسحاق وإبراهيم ومحمد بنواالحسن قتلوا في حبس الدوانيقي ، بضروب من القتل ، فابراهيم بن الحسن دُفن حياً ، وطرح على الآخرين بيت .

ومنهم : محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، أخو عبد الله بن الحسن لأمه ، وأمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام ، قتله أبو جعفر الدوانيقي ، وكان عبد الله يحبه حباً شديداً ، فكان أبو جعفر الدوانيقي يأمر بضربه بين يدي عبد الله ليغيظه بذلك ، ثم أمر بقتله .

وقتل بعد ذلك : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن : وابنه عبد الله الاشر؛ وابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فهؤلاء الذين قتلوا في حبس الدوانيقي ، سوى من مات منهم حتف أنفه في السجن .

وقال الحسين بن زيد : لما أخرج بنواالحسن من المدينة ، وعليهم القيود والاغلال ، بأمر الدوانيقي ، نظر إليهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، فهملت عيناه ، حتى جرت دموعه على لحيته ، وقال : «والله ، لا تحفظ حرمة

الله بعد هذا أبداً، والله، ما وفت الانصار، ولا أبناء الانصار لرسول الله ﷺ بما أعطوه من البيعة على العقبة، على أن يمنعوه وذريته بما يمنعون منه أنفسهم وذريتهم».

وكان محمد وإبراهيم قد هربا من الدوانقي، فكانا يأتیان أباهما عبد الله بن الحسن في هيئة الاعراب، فيقول لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

وكان لمحمد بن عبد الله «النفس الزكية» ابن صغير من أم ولده، وكانت على جبل معه، فهجم الطلب عليهم فهربوا، فسقط الصبي من الجبل فتقطع ومات، فقال محمد بن عبد الله «النفس الزكية» هذه الايات:

منخرق الخفين يشكو الوجا	تنكبه أطراف مرو ^(١) حداد
شرده الخوف فازرى به	كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد

٨٤ - وروى يعقوب بن داود بن الحسن، قال: دخلت مع المهدي في

طريق «خراسان» بعض الخانات، فإذا على الحائط مكتوب هذه الايات:

والله ما أطعم طعم الرقاد	خوفاً إذا نامت عيون العباد
شردني الخوف اعتداءً وما	أذنبت ذنباً غير ذكرى المعاد
أمنت بالله ولم يؤمنوا	فكان زادي عندهم شر زاد
اقول قولاً وله خائف	مضطرب القلب كثير السهاد
منخرق الخفين يشكو الوجا	تنكبه أطراف مرو حداد
شرده الخوف وأزرى به	كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد

(١) المرو: الحجر الصلب.

قال: فجعل المهدي يكتبُ تحت كل بيت: لك الامان من الله ومني ومتى شئت فاطهر؟ ودموعه تجري على خديه، فقلت: من قائل هذه الابيات يا أمير المؤمنين؟ قال: أتجاهل عليّ؟ قائلها عيسى بن زيد.

٨٥- وكان ممن خرج يحيى بن عمر من أولاد زيد بن علي، خرج بالكوفة أيام المستعين، وكان فاضلاً ورعاً حلف بالله أنه ما خرج إلاّ غضباً لله تعالى.

قال أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري: قلت لابن طاهر الأمير: جئتكَ مهنياً بما لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزي به، وخرج عنه، فقال:

يا بني طاهر كلوه وبيّا إنّ لحم النبي غير هنيّ
إن من خصمه النبي ليؤتى فيه يوم المعاد خصم النبي

قيل: ولما أفضت الخلافة إلى بني العباس، نبشوا هشام بن عبد الملك واستخرجوه من قبره بعد ست سنين أو سبع، فكان كما دفن فيقال: طلوه بما لا يبلى، فأحرقوه بالنار.



الفصل الثالث عشر

في ذكر

بعض ما قيل فيه من المراثي



١- أخبرني العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الحسن عليّ بن أبي طالب الفرزادي - بالري-، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين الرازي، أخبرني عمي الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل ابن علي بن الحسين السمان الرازي، حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد الاسدي القاضي - لفظاً-، حدثني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، حدثني محمد بن أبي العوام، حدثني أبي، حدثني سلم بن سليم الواسطي، حدثني غاضرة، قال: قال أبو بكر: قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد! قتل الحسين ابن علي، فبكى حتى اختلج جنباه، وقال: واذا لاه، لأمة يقتل ابن دعيها ابن نبيها!

٢- وأخبرني الشيخ الإمام سيف الدين أبو جعفر محمد بن عمر بن علي - كتابة-، أخبرني الشيخ الإمام أبو الحسن زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرني السيد الإمام النقيب علي بن محمد بن جعفر الاسترابادي، حدثني السيد الإمام زين الإسلام أبو جعفر محمد بن جعفر

ابن علي الحسيني، حدثني السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين، أخبرني أبو العباس الحسيني، أخبرني محمد بن جعفر القزاداني، حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: «كان أبي علي بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة يقشعر جلده؛ ويصفر لونه؛ وترتعد فرائضه^(١)؟ ويقف شعره؛ ويقول ودموعه تجري على خديه: لو علم العبدُ من ينجي ما انقُلت^(٢)».

وبرز يوماً إلى الصحراء، فتبعه مولى له، فوجده قد سجد على حجارة خشنة، قال مولاه: فوقفتُ حيث أسمع شقيقه وبكاءه، فوالله، لقد أحصيتُ عليه ألف مرة، وهو يقول: «لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً». ثم رفع رأسه من سجوده، وأنَّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه. فقال له مولاه: ياسيدي! أما أنْ لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلَّ؟

فقال له: «ويحك، إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي وله اثنا عشر ابناً، فغيب الله تعالى واحداً منهم، فشابَ رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيٌّ في دار الدنيا، وأنا رأيتُ أبي وأخي وسبعة وعشرين من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي؟!»

٣- وأخبرني الشيخ الإمام الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد العاصمي (رحمه الله)، أخبرني شيخ القضاة إسماعيل بن أحمد البيهقي، أخبرني والذي شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أخبرني أبو عبد الله

(١) الفريضة: عضلة في العضد ترتعد عند شدة الخوف.

(٢) أي: ما ترك الصلاة.

الحافظ، سمعتُ أبا الحسن علي بن محمد الأديب، يذكر بإسناد له: أنَّ رأس الحسين بن علي عليه السلام لما صُلِبَ بالشام، أخفى خالد بن معدان - وهو من أفضل التابعين - شخصه من أصحابه، فطلبوه شهراً فوجدوه، فسأله عن عزلته، فقال لهم: أما ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشدهم:

جاءوا برأسك يابن بنت محمد	متزماً بدمائه تزميلاً
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا	في قتلك التنزيل والتاويلاً
وكأنما بك يابن بنت محمد!	قتلوا جهاراً عامدين رسولا
ويكبرون بأن قتلته وإنما	قتلوا بك التكبير والتهليلاً

٤- وأخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيويه الديلمي - فيما كتب إلي من همدان -، أخبرني محيي السنَّة أبو الفتح -إجازة-، أنشدني أبو الطيب البابلي، أنشدني أبو النجم بدر بن إبراهيم الدينوري للشافعي محمد بن إدريس^(١):

تأوب همي والفؤاد كئيب	وارق نومي فالرقاد غريب
ومما نفى نومي وشيب لمني	تصاريف أيامٍ لهنَّ خطوب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة	وأن كرهتها أنفسٌ وقلوب
قتيلاً بلا جرم كأن قميصه	صبغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف إعوالٌ وللرمح رنة	ولللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل محمد	وكادت لهم صمُّ الجبال تذوب
وغارت نجومٌ واقشعرت كواكبٌ	وهتك أستار وشقَّ جيوب
يصلي على المهدي من آل هاشم	وتغزى بنوه ان ذا العجب
لئن كان ذنبي حب آل محمد	فذلك ذنبٌ لستُ عنه أتوب

(١) هو الإمام الشافعي الشهير المتوفى في مصر سنة ٢٠٤هـ.

هم شفعايتي يوم حشري وموقفي إذا كثرتنني يوم ذاك ذنوب
 ٥- أخبرني سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه - فيما كتب إليّ
 من همدان -، أنشدني والدي، أنشدني أبو نصر أحمد بن علي بن عامر
 الفقيه العكبري - على شاطئ نهر الهارونية -، أنشدني أحمد بن منصور بن
 علي القطيعي المعروف بالقطّان^(١) - ببغداد -، لنفسه :

ياأيها المنزل المحيل	جاءك مسحنفر ^(٢) هطول
أودى عليك الزمان لما	شجاك من أهلك الرحيل
لا تغتر بالزمان واعلم	أن يد الدهر تستطيل
فإن آجالنا قصار	وإن آمالنا تطول
تفنى الليالي وليس يُفنى	شوقي ولا حسرتي تزول
لأصاحب منصف فأسلو	به ولا حافظ ووصول
وكيف أبقى بلا صديق	باطنه باطن جميل
يكون في البعد والتداني	كما أرجى وما أقول
هيهات قلّ الوفاء منهم	فلا صديق ولا خليل
ياقوم ما بالنا جفينا	فلا كتاب ولا رسول
لو وجدوا بعض ما وجدنا	لكاتبونا ولم يحولوا
لكن سلونا فلم يجدوا	لنا بوصل ولم ينيلوا
ياقاتلي بالصدود رفقا	بمهجة شفها الغليل
أنحل جسمي هواك حتى	كانه خصرك النحيل
قلبي قريح به كلوم	جاد بها طرفك البخيل
غصن من البان حيث مالت	ريح النعامي به يميل

(١) توفي في بغداد سنة ٤٨٠ تقريباً ودفن في مقابر قریش .

(٢) المسحنفر : الكثير المطر .

يسطو علينا بلحظ جفن	كانه مرهفٌ صقيل
كما سطت بالحسين قوم	اراذل مالهم أصول
قد أفردوه فظل يدعو	ولا سميعٌ لما يقول
يا أهل كوفان لم غدرتم	بنا وكم أنتم نكول؟
أنتم كتبتم إليّ كُتُباً	وفي طوياتها ذحول
فراقبوا الله في خباءٍ	فيه لنا صبية غفول
وأم كلثوم قد تنادي	وقد عرى طرفها الذحول
تقول لما رآته شلوا	قد خسفت صدره الخيول
أين الذي حين أرضعوه	ناغاه في المهد جبرئيل؟
أين الذي حين عمدّوه	قبّله أحمد الرسول؟
أين الذي حيدر أبوه	وأُمّه فاطم البتول؟
جاءت بشاطي الفرات تدعو	ما فعل السيد القتيل
أنا ابن منصور لي لسان	على ذوي النصب يستطيل
ما الرفض ديني ولا اعتقادي	ومذهبي عنه لا أحول

٦- وللإمام السيد الأديب أبي الحسن علي بن أحمد النيشابوري^(١) جامع كتاب «تاج الأشعار في النبي المختار وآله الأطهار»:-

أيا سائلي عن مذهبي وطريقي	محبة أولاد النبي عقيدي
هما الحسنان اللؤلؤان تلالنا	وفاطمة الزهراء بنت خديجة
سرور فؤاد المصطفى علم الهدى	محمد المختار هادي الخليفة
وقرة عين المرتضى أسد الوغى	أبي الحسن الكرار مردي الكتيبة
وخذ سبعة من بعدهم وافتخر بهم	مع اثنين ثم امح سواهم أو اثبت

(١) هو الشهير بالفنجدري، نسبه الى قرية من قرى نيشابور، توفي سنة (٥١٢هـ).

أبغض من خير النبيين جدهم
فلا ترمني بالرَّفَضِ ويحك أنني
لساني سيف مانبا عن ضريبة
فإن شئت فاحبيني وإن شئت فاقلني
وإني لأصحاب النبي محمد
أثلب قوماً كافحوا عن نبيهم
خلا فرقة عادوا علياً وقتلوا
لئن كان قوم قبلهم خير أمة
فواعجباً من جاهل بوضوئه
فيارب بلغ كل لمحّة ناظرٍ

٧- وللإمام الشافعي:

إذا في مجلس ذكروا علياً
وقطب وجهه من كان فيهم
يقول لما يصح ذروا فهذا
برئت إلى المهيمن من أناسٍ
إذا ذكروا علياً أو بنيه

٨- وللإمام الشافعي أيضاً:

ياراكباً قف بالمحصب من منى
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى
إني أحبُّ بني النبي المصطفى
إن كان رفضاً حب آل محمدٍ

ووالدهم في الناس شمسُ البرية؟
لفي من يُعاديني شديد الوقية
ولا طاش سهم من سهام قريحتي
فهذا وربِّي ما حيت خليقتي
محبٌ عليه نيتي وطويتي
ومن بعده كانوا نجوم الشريعة؟
بنيه على جهلٍ بغير جريمة
فلأنهم في فعلهم شرُّ أمة
ويقدح في دين الهداة الأئمة!
سلامي إلى أرواحهم وتحيتي

وسبطيه وفاطمة الزكيّة

فأيقن أنه ابن سلققيه^(١)

سقيم من حديث الرافضيه

يرون الرّفَض حبّ الفاطميه

أفاضوا بالروايات الوقية

واهتف بقاعد خيفها والناهض

شوقاً كملتطم الفرات الفائض

وأعدّه من واجبات فرائضي

فليشهد الثقلان اني رافضي

(١) - السلققية: التي تحيض من دبرها.

٩- ولكثير بن عبد الرحمن الشهير بكثير عزة^(١):

ولاة الحق أربعة سواء	الا إنَّ الائمة من قريش
هم الاسباط ليس بهم خفاء	عليّ والثلاثة من بنيه
وسبط غيبته كربلاء	فسبط سبط أيمان وبر
يقود الخيل يقدمها اللواء	وسبط لا يذوق الموت حتى
برضوى عنده غسل وماء	تغيب لا يرى فيهم زماناً

١٠- ولد عبد علي الخزاعي من قصيدة طويلة مدح بها علي بن

موسى الرضا عليه السلام انتخب منها:

وأذريتُ دمع العينِ بالعبرات	بكيتُ لرسم الدارِ من عرفات
رُسومُ ديارٍ قد عفت بشتات	أبانَ عُرَى صبري وَهاجَت صبابتي
وَمَنْزَلُ وَحيٍ مُقْفَرُ العرصاتِ	مَدارسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تلاوةٍ
وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ	لآلِ رَسولِ اللَّهِ بالخيفِ من منى
وَحَمْزَةُ والسجَّادِ ذي الثفَناتِ	ديارُ عليٍّ والحُسَيْنِ وجعفرِ
وللصومِ والإعطاءِ للزكواتِ	منازلُ كانت للصلاةِ وللتقى
على أحمدَ في الليلِ والغدواتِ	منازلُ وَحيٍ ينزلُ الوحيَ بينها
وللصومِ والإحسانِ والحسناتِ	منازلُ كانت للصلاةِ وللهدى
وكم تَعَفُّ بالأيامِ والسَّنواتِ	ديارُ عفاها جورُ كلِّ منابذِ
مَتى عَهدُها بالصَّومِ والصلَّواتِ؟	قفا نسال الدارَ التي خَفَّ أهلُها
أفانينَ في الاقطارِ مُفترقاتِ؟	واين الألى شَطَّتْ بهم غربةُ النوى

(١) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، توفي سنة ١٠٥ هـ.

(٢) هو الشاعر الشهير في مدح الائمة، المتوفى سنة ٢٤٦ هـ.

هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا
مطاعيم في الإعسار في كل مشهد
وما الناس إلا غاصب ومكذب
ولو قلدوا الموصى إليه أمورهم
وصي النبي المصطفى وابن عمه
فإن جحدوا كان الغدير شهيداً
وأي من القرآن تُتلى بفضل
وغير خلال قد حماها بسبقه
مناقب لم تدرك بكيد ولم تنل
نحبي لجبريل الأمين وأنهم
فكيف يُحبون النبي ورهطه
لقد لا ينوه في المقال وأضمروا
سقى الله قبراً بالمدينة غيثه
افاطم لو خلت الحسين مجدلاً
إذن للطمع الخد فاطم عنده
افاطم قومي يا ابنة الخير واندبي
قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بارض الجوزجان^(٢) محلها
وقبر يغداد لنفس زكية

وهم خير سادات وخير حُماء
مطاعين في الهيجاء بالغزوات
ومضطغن ذو إحنة وترات
أخذن بأمون من العثرات
ومفترس الأبطال في الغمرات
وبدر وأحد شامخ الهضبات
وإثارة بالقوت في اللزبات
مناقب كانت فيه مؤتلفات
بشيء سوى حد القنا الذربات
عكوف على العزى معاً ومنا
وهم تركوا أحشاءه وغرات
قلوباً على الأحقاد منظويات
فقد ضم فيه الأمن والبركات
وقد مات عطشاناً بشط فرات
وأجريت دمع العين في الوجنات
نجوم سماوات بارض فلاة
وأخرى بفخ^(١) نالها صلواتي
وقبر بياخمرى^(٣) لدى الغربات
تضمنها الرحمن بالغرفات

(١) فخ: واد بمكة قتل فيه الحسين بن الحسن العلوي سنة ١٦٩ هـ وجماعة من أهله.

(٢) الجوزجان: موضع في بلخ قتل فيه الداعيان من أولاد الحسن الطالقانية.

(٣) باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط قتل فيه إبراهيم الإمام وأصحابه قتله المنصور في

فأما الممضات التي لست بالغاً
قبور بجانب النهر من أرض كربلا
توفوا عطاشى بالفرات فليتنى
سأبكيهم ما حجَّ لله راكبُ
الم ترَ أني منذ ثلاثين حجةً
أرى فيأهم في غيرهم متقسماً
إذا وتروا مدوا إلى واطريهم
فلولا الذي أرجوه في اليوم أوغد
خروجُ إمام لا محالة خارجُ
فيأنفس طيبي ثم يأنفس فابشري
لئن قرب الرحمن من تلك مدتي
شفيت ولم أترك بقلبي غصةً
فيا وارثي علم النبي وآله
إذا لم نناج الله في صلواتنا
لقد آمنت نفسي بكم في حياتها

مبالغها مني بكنه صفات
معسرهم فيها بشطّ فرات
توفيت فيهم قبل حين وفاتي
وما ناح قمري على الشجرات
أروح وأغدو دائم الحسرات
وأيديهم من فيئهم صفرات
أكفاً عن الأوتار منقبضات
لقطعت نفسي إثرهم حسرات
يقوم على اسم الله والبركات
فغير بعيد كل ما هو آت
وأخر من عمري ووقت مماتي
ورويت فيهم منصلي وقناتي
عليكم سلام دائم النفحات
باسمائكم لم يقبل الصلوات
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

١١- ولدعبل من قصيدة أخرى طويلة :

أسبلت دمع العين بالعبرات
وتبكي على آثار آل محمد
ألا فابكهم حقاً وأجر عليهم
ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم
سقى الله أجدثاً على طف كربلا

وبت تقاسي شدة الزفرات؟
وقد ضاق منك الصدر بالحسرات
عيوناً لريب الدهر منسكبات
بدهية من أعظم النكبات
مرابع أطار من المزنات

وصلّى على روح الحسين وجسمه
قتيلاً بلا جرم ينادي لنصره
الأنسي وهذا النهر يطفح ظامئاً
فقل لابن سعد أبعد الله سعده
سأندب طول الدهر ماهبّت الصبا
على معشر ضلّوا جميعاً عن الهدى
لقد رفعوا رأس الحسين على القنا

١٢- ولدعبل من قصيدة أيضاً:

يا أمة قتلت حسيناً عنوة
قتلوه يوم الطّف طعنأ بالقنا
ولطالما ناداهم بكلامه
يا قوم إنّ الماء يلمع بينكم
قد شفّيت عطشي وأقلقني الذي
فأتاه سهمٌ من يد مشؤومة
يا عين جودي بالدموع واهملي

١٣- ولدعبل أيضاً من قصيدة:

منازل بين أكناف الغري
تركن الدمع ينبع من فؤادي
لقد شغل الدموع عن الغواني
الم يحزنك أن بني زياد
إلى وادي المياه إلى الطوي
كما نبع الدفاع من الركي
مصاب الأكرمين بني عليّ
أصابوا بالترات بني النبيّ؟

وإن بني الحصان تعيث فيهم
الا فقف الدموع على حسين
فيا أسفي على هفوات دهر
علاية سيوف بني البغي
وذكرك مصرع الخبر التقي
تقتل فيه أولاد الزكي

١٤- ولدعبل من قصيدة:

إن كنت محزوناً لمهلك ولد
هلا بكيت على الحسين وقتله
فلقد بكته من السماء ملائكة
لم يحفظوا حق النبي محمد
أنسيت إذ سارت إليه كتائب
فسقوه من جرع الختوف بمشهد
ثم استباحوا الطاهرات حواسراً
وتضعضع الإسلام يوم مصابه
كيف القرار وفي السبايا زينب
هذا حسين بالسيوف مقطّع
عار بلا كفن صريع في الثرى
والطيبون بنوك قتلى حوله
ياجد من ثكلي وطول مصيبتني
ياجد قد منعوا الفرات وقتلوا
ياجد إن الكلب يشرب آمناً
هلاً بكيت لمن بكاه محمد؟
إن البكاء على الحسين ليحمد؟
زهر كرام راعون وسجد
إذ جرّعوه حرارة ما تبرد
فيها ابن سعد والطغاة الجحد؟
كثر العدو به وقلّ المسعد
فالشمل من بعد الحسين مبدد
فالدين يبكي فقده والسودد
تدعوا شجاً ياجدنا يا أحمد
متخضب بدمائه مستشهد
تحت الحوافر والسنايك يخضد
فوق التراب ذبائح لا تلحد
فيما اعايينه أقوم واقعد
عطشاً فكان من الداء المورد
رياً ونحن عن الفرات نطرد

١٥- وللشريف نقيب النقباء - ببغداد - الرضي الموسوي (١) من قصيدة:

(١) هو الشهير بالرضي أخي المرتضى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ.

شغل الدموع عن الديار بكاؤها
والهفتاه لعصبة علوية
الله سابقكم إلى أرواحها
إن قوّضت تلك القباب فإنما
هي صفوة الله التي أوحى لها
يروي مناقب فضلها أعداؤها
ياغيرة الله اغضبي لنبيه
من عصبة ضاعت دماء محمد
صفدات مال الله ملء أكفها
ضربوا بسيف محمد أبناءه
يايوم عاشوراء كم لك لوعة
لبكاء فاطمة على أولادها
تبعث أمية بعد عز قيادها
وكسبتم الآثام في أجسادها
خرت عماد الدين قبل عمادها
وقضى أوامره إلى أمجادها
أبدأ ويسندها إلى أضدادها
وتزحزحي بالبيض عن أعمادها
وبنيه بين يزيدا وزيادها
واكف آل الله في أصفادها
ضرب الغرائب عدن بعد زيادها
تترقص الاحشاء من إيقادها؟

١٦- وللشريف أيضاً من قصيدة طويلة :

سقى الله المدينة من محل
وجاد على البقيع وساكنيه
وأعلام الغري وما أطاقت
وقبراً بالطفوف يضم شلواً
وبغداد وسامرا وطوسا
بكم في الشعر فخري لا شعري
ومن أولى بكم مني ولأأ
لباب الودق بالنطف العذاب
رخي الذيل ملآن الوطاب^(١)
معالمها على الحسب اللباب
قضى ظمأ إلى برد الشراب
هطول الودق منخرق العباب
وعنكم طال باعي في الخطاب
وفي أيديكم طرف انتسابي؟

(١) الوطاب : السقاء .

١٧- ولأبي الحسن عليّ بن أحمد الجوهري الجرجاني^(١) من قصيدة

يمدح بها أهل البيت عليهم السلام:

وجدي بكوفان لا وجدي لكوفان	تهمي عليه ضلوعي قبل أجفاني
أرض إذا نفحت ريح العراق بها	أت بشاشتها أقصى خراسان
فمن قتيل بأعلى كربلاء على	جهد الصدى ^(٢) فتراه غير صديان
وذي صفائح يستسقي النقيع به	ريّ الجوانح من روح وريحان
هذا قسيم رسول الله من آدم	قدا معا مثلما قد الشراكان
وذا سبط رسول الله جدّهما	وجه الهدى وهما في الوجه عيان
واخجلتا من أبيهم يوم يشهدهم	مضرّجين نشاوى من دمّ قان
يقول يا أمة خف الضلال بها	فاستبدلت للعمى كفراً بطغيان
ماذا جنبت عليكم إذ أتيتكم	بخير ما جاء من أي وفرقان
الم أجركم وأنتم في ضلالتكم	على شفا حفرة من حرّ نيران
الم أولف قلوباً منكم فرقاً	مشارة بين أحقاد واضغان
الم أكن فيكم غوثاً لمضطهد	الم أكن فيكم ماءً لظمآن
أما تركت كتاب الله بينكم	وآلي الغرّ في جمع وقرآن
قتلتهم ولدي صبراً على ظمأ	هذا وترجون عند الحوض إحساني
سبيتم ثكلتكم أمهاتكم	بني البتول وهم روعي وجثماني
مزقتم ونكثتم عهد والدم	وقد قطعتم بذاك النكث أقراني
ياربّ خذ لي منهم إذ هم ظلموا	كرام رهطي وراموا هدم بنياني
ماذا تجيبون والزهراء خصمكم	والحاكم الله للمظلوم والجاني

(١) كان من شعراء الصاحب وتوفي حوالي سنة (٢٨٠هـ).

(٢) الصدى: العطش.

أهل الكساء صلاة الله ما نزلت
 أنتم نجوم بني حواء ما طلعت
 مازلت منكم على شوق يهيجني
 حتى توصلت والتوحيد راحلتي
 هذي حقائق لفظ كلما برقت
 هي الحللى لبني طه وعتترته
 وهي الجواهر جاء الجوهري بها
 عليكم الآي من مشنى ووحدان
 شمس النهار وما لاح السماء كان
 والدهر يأمرني فيه وينهاني
 والعدل زادي وتقوى الله امكاني
 ردت بلائها أبصار عميان
 وهي الردى لبني حرب ومروان
 محبة لكم من أرض جرجان

١٨- ولابي الحسن الجوهري أيضاً من قصيدة طويلة:

أهل عاشور! يالهفي على الدين
 اليوم شقق جيب الدين وانتهبت
 اليوم قام بأعلى الطّف نادبهم
 اليوم خرت نجوم الفخر من مضر
 اليوم خضب شيب المصطفى بدم
 اليوم أطفئ نور الله متقدماً
 اليوم زعزع قدس من جوانبه
 اليوم عقوا على الزهراء كلها
 اليوم نال بنو حرب طوائلهم
 اليوم جدل سبط المصطفى شرقاً
 زادوا عليه بحبس الماء غلّته
 نالوا أزمّة دنياهم ببغيهم
 حتى أصات بقنسرين راهبها^(١)
 خذوا حدادكم يآل ياسين
 بنات أحمد نهب الروم والصين
 يقول من ليتيم أو لمسكين
 على مناخر تذليل وتومين
 أمسى عبير نحور الخرد العين
 وبرقعت غرة الإسلام بالهون
 وطاح رضوى على أنف وعرنين
 وساوروها بتنكيب وتهوين
 مما صلوه ببدر ثم صفين
 من نفسه بنجيع غير مسنون
 فيا لرأي فريق فيه مغبون
 فليتهم سمحوا منها بماعون
 ياعصبة الغي يا حزب الشياطين

(١) يشير الى قصة الراهب وما فعل يزيد بالراس واسلم الراهب فقتل.

أتهزأون برأس بات منتصباً
 آمنت ويحكم بالله مهتدياً
 قد جدلوه صريعاً فوق جبهته
 وأرقروا صهوات الخيل من آخر
 مصفدين على أقتاب أرحلهم
 أطفال فاطمة الزهراء قد فطموا
 يأمة ولي الشيطان رايتها
 يا ابني زياد وهند ترجوان غداً
 ما المرتضى وبنوه من معاوية
 آل الرسول عباديد السيوف فمن
 ياعين لا تدعي شيئاً لغادية
 سحي على جدث بالطف وانتفضي
 يآل أحمد إن الجوهري لكم
 على القنا بجبين منه ميمون؟
 مستبدلاً لي دين الرأس من ديني
 وقسموه بأطراف السكاكين
 على أساراهم فعل الفراعين
 محمولةً بين مضروب ومطعون
 من الشدي بانياب الثعابين
 ومكن الغي منها كل تمكين
 روح الجنان بمقذوف وملعون
 وما الفواطم من هند وميسون
 سار على وجهه خوفاً ومسجون
 تهمني ولا تدعي دمعاً لمحزون
 بكل لؤلؤ دمع فيك مكنون
 سيفٌ يقطع عنكم كل موضوعون

١٩- ول بعضهم^(١) قصيدة طويلة، انتخبت منها:

إذا جاء عاشور تضاعف حسرتي
 هو اليوم فيه اغبرت الأرض كلها
 مصائب ساءت كل من كان مسلماً
 إذا ذكرت نفسي مصيبة كربلا
 أضاقت فؤادي واستباححت تجلدي
 أريقت دماء الفاطميين بالفلا
 لآل رسول الله وانهل دمعتي
 شجوناً عليهم والسَّماء اقشعرت
 ولكن عيون الفاجرين أقرب
 وأشلاء سادات بها قد تفرت
 وزادت على كربى وعيشي أمرت
 فلو عقلت شمس النهار لخرت

(١) وهي المنسوبة إلى عبدالله بن عمار البرقي، المقتول سنة ٢٤٥هـ، قطع لسانه وخرق ديوانه بسبب شعره.

ألا بابي تلك الدماء التي جرت
توايت من نار عليهم قد اطبقت
فستان من في النار في جوف طابق
بنفسي حدود في التراب تعفرت
بنفسي رؤوس مشرقات على القنا
بنفسي شفاه ذابلات من الظمأ
بنفسي عيون غائرات شواخص
بنفسي من آل النبي خرائد
تفيض دموعاً بالدماء مشوبة
على خير قتلى من كهول وفتية
ربيع اليتامى والأرامل في الملا
وأعلام دين المصطفى وولاته
ينادين يا جداه أية محنة
ضغائن بدر بعد ستين أظهرت
شهدت بأن لم ترض نفس بهذه
كاني ببنت المصطفى قد تعلقت
وفي حجرها ثوب الحسين مضرراً
تقول ايا عدل اقض بيني وبين من
أجالوا عليه بالصوارم والقنا
على غير جرم غير انكار بيعة

بأيدي كلاب في الجحيم استقرت
لهم زفرة في جوفها بعد زفرة
ومن هو في الفردوس فوق الأسرة
بنفسي جسوم بالعراء تعرت
إلى الشام تُهدى بارقات الأسرة^(١)
ولم ترو من ماء الفرات بقطرة
إلى الماء منها نظرة بعد نظرة
حواسر لم يرأف عليها بستره
كقطر الغوادي من مدامع ثرة
مصاليت أنجاد^(٢) إذا الخيل كرت
دوارس للقرآن في كل سحرة
وأصحاب قربان وحج وعمرة
تراها علينا من أمية مرت؟
وكانت أجنّت في الحشا وأسرت
وفيها من الإسلام مثقال ذرة
يذاها بساق العرش والدمع أذرت
وعتها جميع العالمين بحسرة
تعدى على ابني بعد قهر وقسوة
وكم جال فيهم من سنان وشفرة؟
لنسلخ عن دين أحمد عرة

(١) الأسرة: غصون الجبهة.

(٢) المصاليت: جمع مصلات وهو الرجل الماضي بعزمه.

فيقضي على قوم عليه تألبوا
ويسقون من ماء الصديد إذا دنا
مودّة ذي القربى رعوها كما ترى
فكم فجرة قد أتبعوها بفجرة؟
هم أول العادين ظلماً على الورى
مضوا وانقضت أيامهم وعهودهم
لآل رسول الله ودّي خالصاً
وها أنا مذ أدركت حدّاً بلاغتي
وقول النبيّ المرء مع من أحبه
على حبهم ياذا الجلال توفيني
بسوء عذاب النار من غير فترة
شوى الوجه والامعاء منه تهرت
وقول رسول الله أوصي بعترتي
وكم غدره قد أحقوها بغدره؟
ومن سادّ فيهم بالاذى والمضرة
سوى لعنة باءوا بها مستمرة
كما لمواليهم ولائي ونصرتي
أصليّ عليهم في عشّي وبكرتي
يقوّي رجائي في إقالة عثرتي
وحرّم على النيران شيبي وكبرتي

٢٠- وللصّاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد(١) من قصيدة جيدة طويلة انتخبت منها مقداراً:

بلغت نفسي منهاها
برسول الله من حا
وبنت المصطفى من
وأخيه الأسد
وبحبّ الحسن البا
والحسين المرتضى
ليس فيهم غير نجم
عتره أصبحت الدّنيا
بالموالي آل طه
ز المعالي وخواها
أشبهت فضلاً أباه
الباسل في يوم وغاها
لغ في العليا مداها
يوم المساعي إذ خواها
قد تعالى وتناهى
جميعاً في حماها

نابذتهم عصب البغي	بأنواع عماها
أردت الأكبر بالسّم	ومّا كان كفاهها
وانبرت تبغي حسيناً	وعرته وعراها
منعته شربة والو	حش قد أروت صداها
فأفادت نفسه يا	ليت روعي قد فداها
بنته تدعو أباه	أخته تبكي أخاه
لو رأى أحمد ما كا	نَ دهاهُ ودهاها
ورأى زينب إذ شمر	أثاها وسبهاها
لشكا الحال إلى الله	وقد كان شكاه
وإلى الله سيأتي	وهو أولى من جزاها

٢١- وللصاحب أيضاً من قصيدة منتخبة :

مالعليّ العلاء أشباه	لا والذي لا إله إلا هو
مبناه مبني النبي تعرفه	وابناه عند التفاخر ابناه
لو طلب النجم داس أخمصه	أعلاه والفرقدان نعلاه
يابابي السيد الحسين وقد	جاهد في الدين يوم بلواه
يابابي أهله وقد قتلوا	من حوله والعيون ترعاه
ياقبحَ الله أمةً خذلت	سيدها لا تُريد أرضاه
وأبعد الله جيفة نجسا	يقرع من بغضه ثناياه

٢٢- وللصاحب أيضاً من قصيدة منتخبة :

برئتُ من الأرجاس رهط أُميّة	لما صحَّ عندي من قديم عدائهم
-----------------------------	------------------------------

ولعنهم خير الوصيين جهرةً
وقتلهم السادات من آل هاشم
وذبحهم خير الرجال أرومة
وتشتيتهم شمل النبي محمد
وما غضبت إلا لأصنامها التي
فيا رب جنبني المكاره واعف عن
ويارب أعدائي كثير فردهم
ويارب من كان النبي وأهله
حسين توسل لي إلى الله إنني
فكم قد دعوني رافضياً لحبكم

لكفرهم المعدود في شرّ دأئهم
وسبيهم عن جرأة لنسائهم
حسين العلا بالكرب في كربلائهم
لما ورثوا من بغضه في فنائهم
أذلت وهم أنصارها لشقائهم
ذنوبي لما أخلصته من ولأئهم
بغيزهم لا يظفروا بابتغائهم
وسائله لم يخش من غلوائهم
بليت بهم فادفع عظيم بلائهم
فلم يشني عنكم طويل عوائهم

٢٣- وللصاحب أيضاً من قصيدة منتخبة جيدة:

يا أصل عترة أحمد ولاك لم
رُدّت عليك الشمس وهي فضيلة
لم أحك إلا ماروته نواصب
عوملت ياتلو النبي وصنوه
قد لقّبوك أبا تراب بعدما
أتشك في لعني أمية بعد ما
قتلوا الحسين فيا لعولي بعده
وسبوا بنات محمد فكأنما
مهلاً ففي يوم القيامة غنية

يكُ أحمد المبعوث ذا أعقاب
بهرت فلم تستر بكف نقاب
عادتك فهي مباحة الأسلاب
بأوابد^(١) جاءت بكل عجاب
باعوا شريعتهم بكف تراب
جارت على الأحرار والأطياب
وطويل حزني أو أصير لما بي
طلبوا ذحول^(٢) الفتح والأحزاب
والنار باطشة بسوط عذاب

(١) الأوابد: الدواهي.

(٢) الذحول: الثارات.

٢٤- وللصاحب أيضاً من قصيدة طويلة :

اجروا دماء أخى النبي محمد	فلتجر غزر دموعنا ولتهمل
ولتصدر اللعنات غير مزالة	لعداه من ماضٍ ومن مستقبل
وتجردوا لبنيه ثم بناته	بعظائم فاسمع حديث المقتل
منعوا الحسين الماء وهو مجاهدٌ	في كربلاء فنح كنوح المعول
منعوه أعذب منهل وهم غدا	يردون في النيران أوخم منهل
أيجز رأس ابن النبي وفي الورى	حيّ أمام ركابه لم يقتل؟
وبنو السفاح تحكّموا في أهل	حيّ على الفلاح بفرصة وتعجل
نكت الدّعي ابن البغي ضواحكاً	هي للنبي الخير خير مقبل
تمضي بنو هند سيوف الهند في	أوداج أولاد النبي المرسل
ناحت ملائكة السماء لقتلهم	وبكت فقد سقوا كؤوس الذبل
وأرى البكاء على الزمان محللاً	والضحك بعد الطّف غير محلّل
كم قلت للأحزان دومي هكذا	وتنزلي في القلب لا تترحل

٢٣- ولبدیع الزمان أحمد بن الحسين الهمداني^(١) :

يالمة ضرب الزمان	على معرسها خيامه
للّه درك من خزامي	روضة عادت ثغامه
لرزیه قامت بها	للدين أشرط القيامة
لمضرج بدم النبوة	ضارب بيد الإمامه
متقسم بظبا السيوف	مجرع منها حمامه
منع الورود وماؤه	منه على طرف الثمامه

(١) هو الشاعر المعروف صاحب المقامات توفي مسموماً سنة ٣٩٨هـ.

نصب ابن هند رأسه	فوق القنا نصب العلامة
ومقبل كان النبي ^ﷺ	بلثمه يشفي غرامه
قرع ابن هند بالقضيب	عذابه فرط استضامه
وشدا بنغمته عليه	وصب بالفضلات جامه
والدين أبلج ساطع	والعدل ذو خال وشامه
ياويح من ولّى الكتاب	قفاه والدنيا أمامه
ليضرسنَّ يد الندامة	حين لا تُغني الندامه
وليدركنَّ على الغرامة	سوء عاقبة الغرامه
وحمى أباح بنو يزيد	على طوائلهم حرامه
حتى اشتفوا من يوم بدر	واستبدوا بالزعامة
لعنوا أمير المؤمنين	بمثل إعلان الإقامه
لَمْ لَمْ تخري ياسماء	وكم تصبي يا غمامه؟
لَمْ لَمْ تزولي يا جبال	ولم تشولي يا نعامه؟
يا لعنة صارت على	أعناقهم طوق الحمامه
إنَّ الإمامة لم تكن	دون البتول ولا كرامه
من سبط هند وابنها	وضرّجي بدم رغامه
يا عين ! جودي للبقيع	وقبلي عني مقامه
جودي على جدث الغري	ووفري عني ذمامه
جودي لمشهد كربلا	أجد بما جاد ابن مامه
جودي بمسكوب الدموع	وأرسلي بدداً نظامه
جودي بمكنون الدموع	للثيم ماتحت العمامه

٢٦- ول بعضهم من قصيدة طويلة انتخبت منها قدرا:

تمسك بالكتاب ومن تلاه	فأهل البيت هم أهل الكتاب
لهم نزل الكتاب وهم تلوه	وهم كانوا الهداة إلى الصواب
شفيعي في القيامة عند ربي	نبي والوصي أبو تراب
إمام وحد الرحمن طفلاً	وآمن قبل تشديد الخطاب
عليّ كان صديق البرايا	عليّ كان فاروق العذاب
وفاطمة البتول وسيدا من	يخلد في الجنان من الشباب
على الطف السلام وساكنيه	وروح الله في تلك القباب
مضاجع سادة قتلوا فناموا	هجوداً في الفدافد والشعاب
لديهم في مضاجعهم كعاب	بأرواق منعمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصوراً	مناخاً ذات أفنية رحاب
لئن وارتهم أطباق ارض	فإنّ السيف يغمد في القراب
كأقمار إذا طلّعوا وضاء	وآساد إذا ركبوا غضاب
لقد كانوا الشمال لمن أتاها	من العافين والهللكى السياب
وقد نقلوا إلى جنات عدن	وجوزوا بالنعيم وبالثواب
أيخل بالفرات على حسين؟	وقد أضحى مباحاً للكلاب؟!
وآل محمد تضحى سبايا	يسقن مع الأسارى والنهاب
مغبرة الذيول مكشفات	كسبي الروم دامية الكعاب
لئن أبرزن كرها من حجاب	فهنّ من التعفف في حجاب
ولي قلب عليهم ذو التهاب	ولي جفن عليهم ذو انسكاب
وسوف يرى الأولى ظلموا وجاروا	عقاب الله في يوم الحساب

٢٧- ولدعبل بن علي الخزاعي من قصيدة طويلة جيدة:

جاءوا إلى الشام المشومة أهلها	بالشوم يقدم جندهم ابليس
لعنوا وقد لعنوا بقتل إمامهم	تركوه وهو مبضع محموس
وسبوا فوا حزني بنات محمد	عبرى حواسر مالهن لبوس
تباً لكم يا ويلكم أرضيتم	بالنار ذلّ هنالك المحبوس؟
يعتم لدينا غيركم جهلاً لكم	عزّ الحياة وأنه لنفيس
اخسر بها من يبعة أموية	لعنت وحظ البائعين خسيس
بؤساً لمن بايعتم فكانني	بإمامكم وسط الجحيم حبس
يال أحمد مالقيتم بعده	من عصبه هم في القياس مجوس
صبراً موالينا فسوف ينيلكم	يوم على آل اللعين عبوس
مازلت متبعاً لكم ولا مركم	وعليه نفسي ما حيت أسوس

٢٨- ولجعفر بن عفان الطائي^(١):

ليبك على الإسلام من كان باكياً	فقد ضيعت أحكامه واستحلت
غداة حسين للرماح درية	وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء لحماً مبدداً	عليه عاق الطير باتت وظللت
فما نصرته أمة السوء إذ دعا	لقد طاشت الأحلام منها وضلت
بلى قد محوا أنوارهم بأكفهم	فلا سلمت تلك الأكف وشلّت
وذكرهم جهداً بحق محمد	فإن ابنه من نفسه حيث حلت
فما حفظوا قرب الرسول ولا رعوا	وزلت بهم أقدامهم واستزلّت
أذاقته حرّ القتل أمة جدّه	هفت نعلها في كربلاء وزلت

(١) شاعر شهير ذكره المرزباني في شعراء الشيعة، توفي في حدود سنة ١٥٠ هـ.

فلا قدّس الرّحمن منها نفوسها إن هي صامت للإله وصلّت
كما أفجعت بنت الرسول بنسلها وكانوا حماة الحرب حيث استقلت
وكانوا سروراً ثم عادوا رزية لقد عظمت تلك الزايا وجلّت

٢٩- ولجعفر بن عفان أيضاً من قصيدة طويلة انتخبت منها هذه

الآيات :

تبكي العيون لركن الدين حين وهي وللرزايا العظيمات الجليلات
هل لامرئٍ عاذر في خزن اوهمه بعد الحسين وسبي الفاطميات؟
أم هل لمكتئب حران أفقده لذاذة العيش تكرار الفجيعات؟
قضت على آل خير الخلق كلّهم وهم غياث البرايا في الملمات
مثل النجوم الدراري يُستضاء بها إن غاب نجم بدا نجم لميقات
يأمة السوء هاتوا ما حجاجكم إذا برزتم لجبار السماوات
وأحمد خصمكم واللّه منصفه إن قال في جمعكم دون المحابة
الم أبين لكم ما فيه رشدكم من الحال ومن ترك الخطيئات
فما صنعتُم أضلّ الله سعيكم فيما عهدت إليكم من وصياتي؟
أما بني فمقتول ومكتبل وهارب في رؤوس المشمخرات
وقد أخفتم بناتي بين أظهركم ماذا أردتم شقيتم من بنياتي؟
ينقلن من عند جبار يؤنبها لآخر مثله نقل السبيات

٣٠- وللناشي علي بن وصيف^(١) مما يُناح به في المآثم :

أما شجاك ياسكن قتل الحسين والحسن

(١) هو الشاعر المعروف بالناشي الصغير، توفي سنة ٢٦٦هـ.

ظلمات من فرط الحزن وكلّ وغد ناهل

يقول يا قوم أبي عليّ البر الأبى
وفاطم بنت النبي أمي وعني سائلوا

منوا على طفلي بما فقد ضرا فيه الظما
ولم يكن قد أجرما حيث الفرات سائل

قالوا فلن يرتويا فإن تجيء مستجديا
فانزل بحكم الادعيا فقال بل أناضل

حتى أتاه مشقص رماه وغد أبرص
من سقر لا يخلص رجسٌ دعي واغل

فاجمعوا لختله واعصو صبوا لقتله
وذبحه مع طفله فاستنت المناصل

فوصلوا عرينه وخضبوا جبينه
بالدم يا معينه ما أنت عنه غافل

وانتهكوا حرمة وذبحوا فطيمه
وقيدوا سقيمه وسيقت الحلائل

يسقن بالتنائف
وادمع ذوارف
في ضجة الهواتف
عقولها ذواهل

يصحن يامحمد
قد أسرتنا الاعد
ياجدنا يااحمد
فكلنا ثواكل

تهدي سبا من كربلا
ينفثن كرباً وبلا
إلى الشام في الفلا
ليس لهن كافل

الى يزيد الطاغية
من نحو باب الجايه
معدن كل داهيه
فجاحد وخاذل

حتى دنا بدر الدجى
في طست معدوم الحجى
رأس الإمام المرتجى
وهو اللعين القاتل

أمال في بنانه
ينكت في أسنانه
قضيبي خيزرانه
قطعت الأنامل

فيا عيوني اسكبي
بفيض دمع واهضبي
على بني بنت النبي
كذاك يبكي العاقل

٣١- ولمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري^(١) من قصيدة جيدة:

متى يشفيك دمعك من همول	وبيرد ما بقلبك من غليل؟
وقد شرقت رماح بني زياد	بري من دماء بني الرسول
فؤادك والسلو فإن قلبي	ليأبى أن يعود إلى ذهول
فيأطول الأسى من بعد قوم	أدير عليهم كأس الأفول
تعاورهم أسنة آل حرب	وأسياف قليلات الفلول
فما وجدت على الأعقاب منهم	ولا الانفاء آثار النصول
ولكن الوجوه مكلّمات	وفوق صدورهم مجرى السيول
أريق دم الحسين ولم يراعوا	وفي الأحياء أموات العقول
فدت نفسي جبينك من جبين	جرى دمه على الخدّ الأسيل
أيخلوا قلب ذي ورع ودين	من الأحزان والالم الطويل
وأوصال الحسين ببطن قاع	ملاعب للدبور والقبول؟
بتربة كـربلاء له ديار	نيام الأهل دارسة الطلول
تحيات ومغفرة وروح	على تلك المحلة والحلول
قتيل ما قتيلُ بني زياد	ألا بابي ونفسي من قتيل
برئنا يارسول الله ممن	أصابك بالأذية والذحول

٣٢- ولمنصور بن سلمة هذا من قصيدة جيدة جداً:

شاء من الناس راتع هامل	يعللون النفوس بالباطل
تقتل ذرية النبي ويرجو	نَ خلود الجنان للقاتل
ويلك يا قاتل الحسين لقد	جئت بعبء ينوء بالحامل

(١) الشاعر المعروف قتله الرشيد برأس عين سنة ١٩٠ هـ.

أيّ حياء حبوت أحمد في
 بأيّ وجه تلقى النبي وقد
 هلم فاطلب غداً شفاعته
 لا شكّ عندي في كفر قاتله
 نفسي فداء الحسين يوم غدا
 ذلك بوم أخنى بكلّ كله
 مظلومة والنبيُّ والدها
 الأمساعير يغضبون لها
 كم ميت منهم بغصته
 ما انتجت حوله قرابته
 أذكر منهم ما قد أصابهم
 حتى متى أنت تعجيبين ألا
 لا يعجل الله إن عجلت وما
 ما حصلت لأمرئ سعادته
 أعاذلي أنني أحبُّ بني
 دنت بما أنتم عليه وما
 دينهم جفوة النبي وما
 حفرت من حرارة الشاكل
 دخلت في قتله مع الداخل
 أولا فرد حوضه مع الناهل
 لكنني قد أشكُّ في الخاذل
 إلى المنايا غدو لا قافل
 على سنام الإسلام والكاهل
 تدير أرحاء مقلة حافل
 بسلة البيض والقنا الدابل
 مقترب القر بالعرى نازل
 عند مقاساة يومه النازل
 فيمنع القلب سلوة الذاهل
 ينزل بالقوم بأسه العاجل
 ربك عما ترين بالغافل
 حقّت عليه عقوبة الآجل
 أحمد والترب في فم العاذل
 رجعت عن دينكم إلى باطل
 الجافي لآل النبي كالواصل

٣٣- ول سليمان بن قتّة الخزاعي^(١) من قصيدة:

مررت على أبيات آل محمد
 فلا يبعد الله الديار واهلها
 فلم ارها أمثالها حين حلت
 وان أصبحت منهم برغمي تخلت

(١) هو هاشمي الولاء أمه قتّة وابوه حبيب، توفي بدمشق سنة ١٢٦هـ.

الم تر أن الأرض أمست مريضة
وقد طفقت تبكي السماء لفقده
ألا ان قتلى الطف من آل هاشم
وكانوا غيائاً ثم أضحوا رزية
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها
وعند غنى قطرة من دمائنا
لفقد حسين والبلاد اضمحلت؟
وانجمها ناحت عليه وحتت
أذلت رقاب المسلمين فذلت
الا عظمت تلك الرزايا وجلت
وتقتلنا قيس اذا النعل زلت
سنطلبهم يوماً بها حيث ولت

٣٤- وللصاحب إسماعيل بن عباد الوزير كافي الكفاة:

عين جودي على الشهيد القتيل
كيف يشفى البكاء في قتل مولا
ولو أن البحار صارت دموعي
قاتلوا الله والنبي ومولا
صرعوا حوله كواكب دجن
إخوة كل واحد منهم ليث
أوسعوهم طعناً وضرباً ونحراً
والحسين الممنوع شربة ماء
مشكل بابنه وقد ضمّه وهو
فجعوه من بعده برضيع
ثم لم يشفهم سوى قتل نفس
هي نفس الحسين نفس رسول الله
ذبحوه ذبح الاضاحي فيا قلب
وطاوا جسمه وقد قطعوه
واتركي الخد كالحل المحيل
ي إمام التنزيل والتأويل
ما كفتني لمسلم بن عقيل
هم علياً إذ قاتلوا ابن الرسول
قتلوا حوله ضراغم غيل
عرين وحد سيف صقيل
وانتهاباً ياضلة من سبيل
بين حرّ الظبا وحرّ الغليل
غريق من الدماء الهمول
هل سمعتم بمرضع مقتول؟
هي نفس التكبير والتهليل
نفس الوصيّ نفس البتول
تصدّع على العزيز الذليل
ويلهم من عقاب يوم وبيل

أخذوا رأسه وقد بضعوه
نصبوه على القنا فدمائي
واستباحوا بنات فاطمة الز
حملوهن قد كشفن على الاقتا
يالكرب بكربلاء عظيم
كم بكى جبرئيل مما دهاه
سوف تأتي الزهراء تلتمس الحكم
وأبوها وبعلهـا وبنوها
وتنادي يارب ذبح أولادي
فيناـدي بمالك ألهـب النار
يابني المصطفى بكيت وأبكيت
ليت روعي ذابت دموعاً فأبكي
فولائي لكم عتادي وزادي
لي فيكم مدائح ومراث
قد كفاني في الشرق والغرب فخراً
ومتى كادني النواصب فيكم

إنَّ سعي الكفار في تضليل
لا دموعي تسيل كلَّ مسيل
هراء لما صرخن حول القتل
ب سبياً بالعنف والتهويل
ولرزه على النبيّ ثقيـل
في بنيه صلّوا على جبرئيل؟
إذا حان محشر التعديل
حولها والخصام غير قليل
لماذا وأنت خير مديل؟
وأجّج وخـذ بأهل الغلـون
ونفسي لم تات بعد بسول
للذي نالكم من التذليل
يوم القاكم على سلسـبيل
حفظت حفظ محكم التنزيل
أن يقولوا من قيل إسماعيل
حسبي الله وهو خير وكيل

٣٥- وللصاحب أيضاً من قصيدة طويلة انتخبت منها:

هم أكدوا أمر الدعي
فسطا على روح الحسين
صرعوه قتلوهـم
يادمع حيّ على انسفاك

يزيد منفوظ السفاح
وأهله جم الجمـاح
نحروهم نحر الأضاحي
ثم حي على انسفاك

في أهل حيّ على الصلّاة	وأهل حيّ على الفلاح
يحمي يزيد نساءه	بين النضائد والوشاح
وبغات أحمد قد كشفن	على حرّيم مستباح
ليت النوائح ما سكتن	عن النياحة والصياح
ياسادتي لكم ودادي	وهو داعية امتداحي
وبذكر فضلكم اغتبا	في كلّ يوم واصطبّاحي
لزم ابن عباد ولأكم	الصريح بلا براح

٣٦- ولأبي الرميح الخزاعي^(١) من قصيدة:

أجالت على عيني سحائب عبّرة	فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت ^(٢)
نبكي على آل النبي محمّد	وما أكثر في الدمع لا بل اقلت
أولئك قوم لم يشبعوا سيوفهم	ولم تكثر القتلى بها حين سلت

٣٧- ولعقبة بن عميق السهمي^(٣) وهو أول شعر رثي به الحسين عليه السلام.

مررت على قبر الحسين بكربلا	ففاض عليه من دموعي غزيرها
وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه	ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائباً	أطافت به من جانبيه قبورها
إذا العين قرّت في الحياة وأنتم	تخافون في الدنيا فأظلم نورها
سلام على أهل القبور بكربلا	وقل لها مني سلام يزورها

(١) هو عمير بن مالك الخزاعي، ذكره ابن النديم، والمرزباني، وانشد هذه الايات فاطمة بنت الحسين، وتوفي سنة ١٠٠هـ تقريباً.

(٢) ارمعلت العين: تنابع دمعها.

(٣) هو من بني سهم بن عوف بن غالب من أهل المائة الاولى.

سلام بأصال العشي وبالضحى توديه نكباء الرياح وموردها
ولا برح الوفاد زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبيرها

٣٨- وللكميت بن زيد الاسدي من قصيدة انتخبت منها :

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف والوان
لتسعة بالطف قد غودروا فيها جميعاً رهن أكفان
وستة لا يتمارى بهم بنو عقيل خير فرسان
وابن علي الخير مولاهم فذكرهم هيج أشجاني

٣٩- ولسليمان بن قتة الخزاعي ، وأنشدني ركن الإسلام أبو الفضل
الكرماني ، عن محمد بن الحسين الارسابندي :

عين جودي بعبرة وعويل واندبي إن بكيت آل الرسول
وأندبي تسعة لصلب عليّ قد أصيبوا وستة لعقيل
واندبي شيخهم فليس إذا ما ضمن بالخير شيخهم بالبخل
واندبي إن ندبت عوناً أخاهم ليس فيما ينوبهم بخذول
وسمي النبي غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول

٤٠- وللسري الرفاء^(١) من قصيدة جاء منها هذا :

أقام روح وريحان على جدث ثوى الحسين به ظمآن آمينا
كان أحشاءنا من ذكره أبداً تطوى على الجمر أو تحشى السكاكينا
مهلاً فما نقضوا آثار والده وإنما نقضوا فيقتله الدينا

(١) هو صاحب الديوان المطبوع المتوفى سنة ٣٦٦هـ.

٤١- ولكشاجم^(١) من قصيدة طويلة :

إذا تفكرت في مصابهم	أثقب زند الهموم قاده
فبعضهم قربت مصارعه	وبعضهم بعدت مطارحه
اظلم في كربلاء يومهم	ثم تجلى وهم ذبائحـه
ذلّ حماءه وقلّ ناصره	ونال اقى مناه كاشحه

٤٢- وللسوسي^(٢) الشاعر رحمه الله تعالى من قصيدة :

لهفي على السبط وما ناله	قد مات عطشاناً بكرب الظما
لهفي لمن نكس من سرجه	ليس من الناس له من حمى
لهفي على بدر الهدى إذ علا	في رمحه يحكيه بدر الدجى
لهفي على النسوة إذ أبرزت	تساق سبياً بالعنا والجفا
لهفي على تلك الوجوه التي	أبرزن بعد الصون بين الملا
لهفي على ذاك العذار الذي	علاه بالطف تراب العرا
لهفي على ذاك القوام الذي	حتته بالطف سيوف العدى

٤٣- وله أيضاً من قصيدة :

كم دموع ممزوجة بالدماء	سكبتها العيون في كربلاء؟
لست أنسى على الطفوف حسيناً	مفرداً بين صحبه بالعراء
وكانني به وقد خرّ في الترب	صريعاً مخضباً بالدماء
وكانني به وقد لحظ النسوان	يسلبن مثل هتك الاماء

(١) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك أبو الفتح الرملي، يعرف بكشاجم، له ديوان مطبوع، توفي سنة ٣٥٠هـ.

(٢) هو محمد بن عبدالعزيز الكاتب بحلب المتوفى حوالي سنة ٣٧٠هـ.

٤٤- وله أيضاً من قصيدة:

لا عذرَ للشيعي يرقى دمه
يايوم عاشوراء قد غادرتني
فيك استبيح حريم آل محمدٍ
أذوق طعم الماء وابن محمدٍ
ودمُ الحسين بكربلاء أريقا
ما عشت في بحر الدموع غريقا
وتمزقت أسبابهم تمزيقا
ما ذاقه حتى الحمام أذيقا؟

٤٥- وله أيضاً من قصيدة:

وكلّ جفني بالسهاد
ناع نعي بالطفوف بدرأ
نعي حسيناً فدته نفسي
في فتية ساعدوا وواسوا
حتى تفانوا وظل فرداً
وجاء شمرٌ إليه حتى
وركب الرأس في سنان
واحتملوا أهله سبايا
وعرس^(١) الحزن في فؤادي
أكرم به رائحاً وغادي
لما أحاطت به الأعادي
وجاهدوا أعظم الجهاد
فنكسوه عن الجواد
جرّعه الموت وهو صاد
كالبدر يحلو دجى السواد
على مطايا بلا مهاد

٤٦- وله أيضاً من قصيدة:

أنسى حسيناً بالطفوف مجدلاً
أنسى حسيناً يوم سير برأسه
أنسى السبايا من بنات محمدٍ
ومن حوله الأطهار كالانجم الزهر
على الرمح مثل البدر في ليله
يُهتكن من بعد الصيانة والخدر

(١) عرس: نزل وأقام.

٤٧- وله أيضاً من قصيدة يناح بها :

يا عين بالغزار؟	ألا أبكي على الحسين
إذا الجار لا يجار	وجودي على الغريب
مع الصبية الصغار	وجودي على النسا
طريحاً على القفار	وجودي على القتل
لقد قلّ الإصطبار	ألا يابني الرسول
خلت منكم الديار	ألا يابني الرسول
فلا قرّ لي قرار	ألا يابني الرسول
وما قد جرى وصار	إذا أذكر الحسين

٤٨- وللصوفي ^(١) الشاعر من قصيدة :

أورثني فقدك المناحا	ياقمر غاب حين لاحا
صرفك في عيشي ارتياحا	يانوب الدهر لم يدع لي
أستعذب اللهو والمزاحا؟	أبعد يوم الحسين ويحيى
ماتوا ولم يشربوا المباحا	يا بابي أنفساً ظمأ
باكرها حتفها صباحا	يابابي سادة صباحا
بكى الهدى فقدكم وناحا	ياسادتي يابني عليّ
أقولها عنوة صراحا	ياسادتي يابني إمامي
والبيت والقفر والبطاحا	أوحشتم الحجر والمساعي
والسور الطول الفصاحا	أوحشتم الذكر والمثاني

(١) هو طلحة بن عبدالله بن محمد بن ابي عون أبو محمد الغساني المصري، توفي حوالي سنة ٣٩٠هـ بمصر، ودفن بها.

٤٩- وله أيضاً من قصيدة:

أيا بضعة من فؤاد النبيّ	بالطفّ أضحت كشيلاً مهيلاً
وياحبة من فؤاد البتول	بالطفّ سلت فأضحت أكىلاً
قتلت فأبكيت عين الرسول	وأبكيت من رحمة جبرئيل

٥٠- وله أيضاً من قصيدة:

لم أنس يوماً للحسين وقد ثوى	بالطفّ مسلوب الرداء خليعاً
ظمان من ماء الفرات محلثاً	ريان من غصص الحتوف نقيعاً
يرنو إلى ماء الفرات بطرفه	فيراه عنه محرماً ممنوعاً

٥١- وللصاحب بن عباد من قصيدة جيدة طويلة:

إن لم أكن حرباً لحرب كلها	فنفاني الآباء والاجداد
أو لم أفضل أحمداً ووصيه	فهدمت مجداً شاده عباد
ساقوا بنات المصطفى مسبية	وحداتها التخويف والإبعاد
لم يشتفوا إلا بسبي بناته	أفما كفى التقتيل والإبعاد؟
يا كربلاء تحدّثي ببلائنا	وبكربنا أن الحديث يعاد
أسد نماه أحمد ووصيه	أرداه كلب قد نماه زياد
فالدين يبكي والملائك تشتكي	والجو أكلف والسنون جماد

٥٢- ولبعضهم فيما يناح به من قصيدة:

يا حسين بن علي	يا قتيل ابن زياد
يا حسين بن علي	يا صريعاً في البوادي

لو رأى جدك بكى	بدموع كالمهاد
أو رأى حيدر أودى	فيه لاسيف المرادي
أو رأى فاطم ناحت	نوح ورقاء بواد
وأقامت وهي ولهى	لك تبكي وتنادي
ولدي قرّة عيني	كبيدي حبّ فؤادي
أنتَ روحي قسّموها	لصعيد وصفاد
لعن الله يزيداً	وزياداً لعن عاد
هم أعاد لرسول	الله أبناء أعاد

٥٣- وروي: أن أبا يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ثمّ البغدادي، قال لأبي العلاء المعري: هل لك شعر في أهل البيت عليهم السلام؟ فإنّ بعض شعراء «قزوين» يقول فيهم ما لا تقوله شعراء «تنوخ»، فقال: وماذا قال؟ قال: يقول:

راس ابن بنت محمد ووصيه	للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع	لا جازع منهم ولا متوجع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى	وانمت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظر ك العيون عماية	وأصم نعيك كلُّ أذن تسمع
ماروضة إلا تمت أنها	لك مضجع ولخط قبرك موضع

فقال المعري: وأنا أقول:

مسح النبيُّ جبينه	فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قریش	وجده خير الجدود

٥٤- ول بعضهم في التسلي :

محن الزمان عظيمة متراكمة هي بالفوادح والفواجع ساجمه
وإذا الهموم تعاورتك فسلها بمصاب أولاد البتولة فاطمه

٥٥- ومن مقالة لي في مرثيته عليه السلام نثراً ونظماً: عباد الله، اعلموا أنه

استشهد في هذه الايام، الإمام الهمام الحسين بن علي، نجل البتول،
والوصي، وثمره فؤاد النبي، صبت فيها المصائب والاذى على أهل بيت
المصطفى، وذبح فيها قرّة عين المرتضى، فآه على المجدل بكر بلا، وآه على
العترة الطاهرة من الاطفال والنساء، ذبحوا سبط النبي في الشهر الحرام،
ثم جعلوه هدية لأهل الشام، فويل لمن شفعأؤه خصمأؤه، وويل لمن عترة
النبي محمداً سراؤه:

من يكتسب سخط النبي محمداً لينال في الدنيا رضى ابن معاويه
حرم الشفاعة في الحسابِ وسيق في زمر الضلالة نحو نار حاميه
فجزاء قوم حاربوا من دونه واستشهدوا غرف الجنان العاليه
وجزاء من قتل الحسين وحزبه يوم الجزاء خلوده في الهاويه

ما للظلمة طروا عن الدنيا كشحاً، وأعرضوا عن الآخرة صفحاً؟
اقتحموا الحسين بالعاديات ضجاً، وشنوا عليه الغارة صبحاً، فقاتل عنه
صفوة الانام، حتى تساقط عنهم الهام، ثم قاتل عترة الرسول دونه، حتى
طحنتهم رحي المنايا، وأحاطت بهم سهام الحنايا^(١)، ثم برز الليث
الصؤول، والغيث الهطول، نجل المرتضى والبتول، وعليه عمامة جدّه

(١) الحنايا: القسي.

الرسول، فذكرهم حقَّ جدّه خاتم الانبياء، وحقَّ أبيه سيد الاوصياء، وحقَّ أمّه فاطمة الزهراء، ليجودوا عليه بشربة من ماء، فجادوا عليه بالسيوف والنبال، فتقدّم عليه إلى القتال، وصرع مرده الرجال، وأقعص^(١) بالحتوف الابطال، مرّة عن اليمين ومرّة عن الشمال، حتّى صار أهل الضلال بأجمعهم إلّاء عليه^(٢) بالسيوف القواطع، والاسل الطوال، فرموه وطعنوه وضربوه حالاً بعد حال، وقاتل حتى أضعفته كثرة النصال، ففاز بالشهادة، وسلك إلى آخر مسلك السعادة، فالسلام على الحسين، المقتول يوم الاثنين:

لقد ذبحوا الحسين ابن البتول	وقالوا نحنُ أشياع الرّسول
بقطرة شربة بخلوا عليه	وخاض كلابهم وسط السيول
قصارى همهم ريح شمال	وكاسات من الراح الشمول
وإنّ موفقاً ^(٣) إن لم يقاتل	أمامك يابن فاطمة البتول
فسوف يصوغ فيك محبرات	تنقل في الحزون وفي السهول

ثمَّ جعل يزيد ينكت بالمخصرة والقضيب ثنايا الحسين النجيب، تلك الثنايا التي كانت مقبل الحبيب، فأه من رزية ما أوجعها! وآه من مصيبة ما أفجعها! شقّوا بالسنة الحياة، حبات القلوب، إذ لا قيمة للحبوب عند المحبوب، وأقضوا حقَّ النبي المختار، بإرسال المدامع الغزار على أولئك الأبرار:

نعم باد كاري كربلاء ومن بها تفاقم كربى واستحتم بلائى

(١) أقعص: مات وحياً.

(٢) إلّاء: اتفاقاً.

(٣) يعني نفسه.

وانفد عيني ماؤها ببكائها
فيا ويح قوم قتلوهم إذ بدا
وساقوا بني بنت النبي محمد
إلى الشام في السوق العنيف كشاء
عليهم وقد أمددتها بدمائي
شفيعهم من جملة الخصماء

صفت الدنيا للطغاة وذوي العناد، وآل الرسول مشردون في البلاد؛
محجبون إشفاقاً على أنفسهم من مكرهم، ونحف أجسامهم خوفاً من غائلة
كيدهم وغدرهم:

أيامن وحش البر غائلة الوري
تكدت الدنيا عليهم وقد صفت
وآل النبي المصطفى غير آمن
لكلّ عنيد شاطر متماجن

اتقتل سادات العباد، بسيف يزيد بن معاوية؛ وعبيد الله بن زياد:

لقد قتلوا التقي ابن التقي
وقد ذبحوا الحسين بكربلاء
وأهدوا رأسه في رأس رمح
وساقوا نسوة المختار أسرى
وأجر رسول ربّ العرش لما
بأسياف الشقي ابن الشقي
لأمر عبيد الباغي الدعي
لنحو يزيد العاتي البغي
وقالوا نحن أشياع النبي
أشار به وداد بني عليّ

بنات الظلمة في القصور، نواعم في الخدور، يركبن مطايا الشهوات،
ويسحبن أذيال الخطايا بالخطوات، وبنات الرسول في الفلوات، مكشوفات
الرؤوس، تحت الخفقات من السياط والهفوات:

بنات زياد في القصور قد استوت
وإنّ بنات الهاشمي محمد
على سرر العلياء من كل جانب
رسول الهدى نكبن سير السباب

سوافر يندبن الحسين بنو حنة تحلّ بها الاحزان خيط السواكب

معاشر المسلمين من كان فيكم مصاب فليتعزّ بمن كان منه أعز، ومن كان فيكم مظلوم فليتنسلّ، فقد ظلم من منه كان أجل، ومن كان فيكم من حالف البلا، فليذكر مبتلى كربلا، المحروم من الماء، المذبوح من القفا على الظماء، المجدل في تلك التربة، المسوقة نساؤه سوق الاماء، يهون عليه أمر الغربة وعسر الكربة:

إذا ذكرت نفسي مصائب فاطم	باولادها هانت عليّ مصائبني
ولم أتذكر منعهم عن مشارب	على ظمأ إلا وعفت مشاربي
أسيغ مياهي بعدهم ثم أدّعي	باني في دعوى الهوى غير كاذب
سقوا حسناً سماً ذعافاً وجدلوا	أخاه حسيناً بالقنا والقواضب
فضائلهم ليست تعدّ وتنتهي	وإن عددت يوماً قطار السحائب
وإن يزيداً رام أن يتسفلوا	وأن يتردّوا في مهاوي المعاطب
وقد رفع العدل المهيمن حالهم	بمنزلة قعساء فوق الكواكب

لبس ما كان يزيد وحزبه يحتقبون، وساء ما يرتكبون، وسوف ترونهم في جهنم يصطلون ويصطرخون ويضطربون، فإنهم إلى ربهم راجعون ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ الشعراء/٢٢٧، ولي قصيدة طويلة فيهم آخرها:

ففاطمة ومولانا علي	ونجلاه سروري في الكتاب
ومن يك دأبه تشييد بيت	فها أنا مدح أهل البيت دأبي
وإن يك حبهم هيهات عابا	فها أنا مذ عقلت قريب عاب

لقد قتلوا علياً إذ تجلى لاهل الحق فحلاً في الضراب
وقد قتلوا الرضا الحسن المرجى جواد العرب بالسّم المذاب
وقد منعوا الحسين الماء ظلماً وجدل بالطعان وبالضراب
وقد صلبوا إمام الحق زيداً فيا لله، من ظلم عجاب

٥٦ - ومن مقالة لي فيه عليه السلام: عباد الله أما تستغربون أحقاد قوم في ذحولهم؟ أما تتعجبون من آراء أمة وعقولهم؟ قتال الحسين بن علي ولد رسولهم، ولم يبالوا بالنص الجلي في حفدة نبيهم، ثم لبثوا في شمالهم على شرب شمولهم، وجر فضول ذيولهم، لعائن الله والملائكة على شبانهم، وشيوخهم، وفتيانهم، وكهولهم، أفي صلاتهم يصلّون على محمد وآله، ويمنعونهم من مشرعة الماء وزلاله، ويجمعون على حرب الحسين وقتاله، ويذبحون ولا يستحيون من شبيهه وجماله؟ أما والله، إن حقّ رسول الله على أممه أن يعظموا تراباً ألمّ بلممه، بل تراب نعل قدمه، بل تراب نعل قدم خادم من خدمه، ثم هؤلاء الطغاة قتلوا شبل أسد ساد في أجمه، ونكتوا بالمخصرة ثنانيا فم كانت مراشف فمه، وتنافسوا في ذبحه وإراقة دمه.

نعم، حقّ الرسول أن يكتحلوا بغبار من شعر جسده وهم ذبحوا الحسين «بكر بلا» أكرم ولده، وقرّة عينه، وفلذة كبده، ذلك الفتى الذي نشأ بين يدي الرسول؛ وبين علي الضرغام الصوّول؛ وفاطمة البتول، فسبحان الله! ثم سبحان الله! من يزيد وعبيد الله عدوا الله وعدوا رسول الله، الناكيتين ثنانيا حبيب حبيب الله. بالله ثم بالله، إنّ هذا البلاء المتناه، قولوا عباد الله من صميم قلوبكم: آه ثم آه إذ دُبح ولد رسول الله بين الطغاة

البغاه، والعتاة العماء، ذوي الشقاء، مرتكبي مناهي الملا، ومانعي شرب المياه، من الحسين المخبى الآواه.

ليت شعري، ما أعدار هؤلاء الشطار الفجار، الدّعار الاشرار، في قتل هؤلاء الاخيار الاحبار عند رسول الله المختار، وعند علي الكرار، غير الفرار، صاحب ذي الفقار، وعند فاطمة المستغفرة بالاسحار، ذات العطاء الجاري على الاجنبي والجار، المشبعة الجائع المروية الصادي الكاسية العار، المتصدقة بما طحنت بنفسها على ذوي المسكنة واليتم والاسار، ثلاثة أيام ولياليها بالافطار، إذا جاءت بثوب مخضوب بدم الحسين المقتول بأسياف أصحاب الخمر والخمار، والقمار والمزمار، واحتوت على ساق عرش الواحد القهار، ورفعت شكواها إلى الملك الجبار، ثم جاء النداء: يا زبانية النار! شدوا الطغاة بالسلاسل والأغلال من النار، وسوقوهم إلى أسفل دركات النار، والطموا بيد الرد والإحتقار، ما يموهون من هذه الاعذار، فسحقاً وتعساً للظلمة ذوي الخسار والصغار والادبار ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ غافر/٥٢، والصلاة على محمد وآله الاطهار.

ومن مقالة لي فيه عليه السلام: عباد الله إن المصيبة بالحسين عليه السلام من أعظم المصائب، فصبوا فيها شآبيب^(١) الدموع السواكب، بتصعيد الزفرات الغوالب، واستنزفوا بالبكاء الدماء، وأعقبوا الكرب والبلاء، بتذكركم أيام كربلاء، نعم، إن المصيبة بالمقتول - نجل الرسول؛ والبتول؛ وعليّ الليث الصّؤول - مصيبة لا يجبر كسرهما، ولا يمكن جبرها، وشعلة في صدور المؤمنين لا ينطفي جمرها، وعظيمة في العظام يتجدد على الايام ذكرها،

(١) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

وليلة بلية رزية لا يتنفس فجرها، وقارعة زلزلت منها الارض برها
وبحرها.

عجباً لمن يتذكر مصارع هؤلاء الاتقياء الشهداء الظمّاء، من أهل بيت
خير صفوة الله خاتم الانبياء، ثمّ يتمتع بعدهم بشربة من الماء، سبحان الله!
أي ظلم جرى على أصحاب الحراب والمحراب، وأرباب الكتيبة والكتاب،
وفتيان الطعان والضراب، ورجال العبء والعباب^(١)، قاصمي الاصلاب
وقاسمي الاسلاب، وجازمي الرقاب، وهازمي الاحزاب، وفالقي جماجم
الأتراب، رواض الصعاب، أحلاس^(٢) صهوات العراب، أمراء الخطاب
المستطاب، ملوك يوم الحساب، سلاطين يوم الثواب والعقاب.

ماعد كلاب منعوهم عن الطعام والشراب، والفرات مكرعة
للخنازير والكلاب؟ حبسوا سادة الخلق الاطياب، في صحراء الاكتئاب
والاغتراب، ثمّ ذبحوا تلك النفوس الزكية، وعرضوها للنسور والذئاب،
وعفروا تلك الوجوه البدرية كالبذور بالتراب. هيهات هيهات، لا عذر إلاّ
أن يساقوا في عقاب رب الارباب، بأيدي الملائكة الغلاظ الشداد إلى دار
العذاب، الشديدة الالتهاب، الضيقة المسالك والشعاب.

صفت الدنيا للطغاة ذوي العناد، وتمهدت أسباب التنعم لذوي العيب
والفساد، واتسقت أحوال الوجاهة للأنكاد ذوي الاحقاد ومهدت أوامرهم
على رقاب العباد، وأوسم لهم^(٣) مراد المراد، قد قيدت بين أيديهم جنائب
الجياد، وعطفت عليهم أجياد أنجاد الاغوار والانجاد، ولفظت إليهم الخزائن

(١) العبء: الثقل، والعباب: البحر، فلعله أراد حمالي التكاليف برأ وبحراً.

(٢) الاحلا: جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة ويقال فلان حلس بيته أي جليسه

الملازم له كالحلس وحلس الصهوات أي ملازم لركوب الخيل.

(٣) يعني خصّ لهم رواد المراد ومرعاه.

نفائس الطارف والتلاد.

وآل الرسول مشردون في البلاد، منجحرون في كلّ شعب وواد، ومنجحرون في كل سرب ومطمورة ومهواة بغير زاد، مستشعرون الخوف مكتحلون بالسهاد، قد ضربت عليهم الأرض بالأسداد، بنات الظلمة في الخدور والقصور، على سرر السرور، لابسة حبر الحبور، مسبلات الستور، وبنات الرسول في حرّ الشمس والحرور، ومهب الصبا والدبور، ضاربات الصدور، فاتقات للشعور، على كسوف تلك الشمس والبدور، وغروبها في مغارب القبور، ومصيرها إلى بطون السباع وحواصل الطيور.

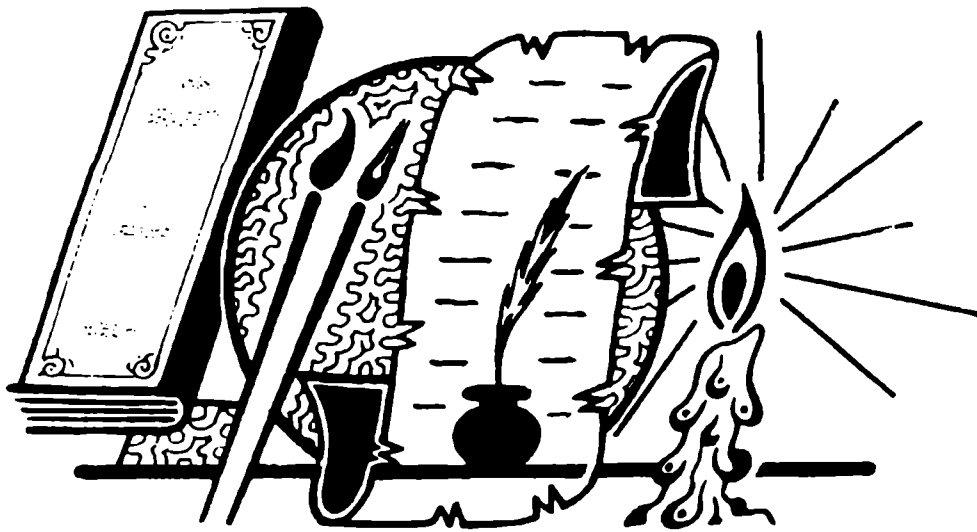
تمتعت الزيدية والزيدية تمتعاً قليلاً، وسيعذبون بذلك عذاباً طويلاً، يورثهم ذلك العذاب رنة وأنة وعويلاً إذا نسوا وراءهم يوماً ثقيلاً يوم لا ينفع فيه خليل خليلاً، ولا يغني عنهم فتيلاً ﴿إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً﴾ الفرقان/٤٤، وصبرت الحسينية أياماً قلائل صبرا جميلاً، فنالوا بذلك في الجنة ثواباً جزيلاً، وظلاً ظليلاً، وفواكه ذللت قطوفها تذليلاً، ويسقون - لما منعوا من ماء الفرات - كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً.

نعم قد وجدوا بشهادتهم إلهاً رحيماً، براً كريماً فاسدى إليهم نعيماً مقيماً، وأهبّ عليهم من روائح المسك والكافور والعنبر نسيماً، وأفاض عليهم رواء وسيماً، وسقاهم عسلاً مصفاً تسنيماً، وأولئك وجدوا الرسول عليهم متغيظاً وخصماً فأسكنوا جحيماً، وذاقوا بطعمهم زقوماً، وسقوا صديداً وحميماً: ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعداء لهم عذاباً أليماً﴾ الانسان/٣١.

الفصل الرابع عشر

في زيارة

تربيته صلوات الله عليه وفضلها



١- أخبرنا العلامة فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (رحمه الله)، أخبرنا الفقيه أبو الحسن علي بن أبي طالب الفرزادي -بالري-، أخبرنا الفقيه أبو بكر طاهر بن الحسين الرازي، أخبرنا عمي الشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل بن علي بن الحسين السمان الرازي، حدثني أبو محمد القاسم بن محمد الشروطي -إملاءاً-، حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله، حدثني أبو رمح، حدثني عبد الأعلى بن واصل الكوفي، حدثني علي بن عبد الرحمن القطان، حدثني عبيد بن يحيى بن مهران، عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «زارنا رسول الله ﷺ فعملنا له حريرة، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن؛ وزبدأ؛ وصفحة من تمر، فأكل النبي ﷺ وأكلنا معه، ثم وضأت رسول الله ﷺ فقام واستقبل القبلة، فدعا الله ما شاء، ثم أكبَّ على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهبنا رسول الله ﷺ أن نسأله، فوثب الحسين فقال:

يا ابتي! رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله! فقال: يا بُني! إني سررتُ بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله، وأن حبيبي جبرئيل عليه السلام أتاني، فأخبرني: أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى فدعوت الله لكم وأحزنني ذلك، فقال الحسين: يا رسول الله! فمن يزورنا على تشتنا، ويتعاهد قبورنا؟ قال: طائفة من أمتي يريدون بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة شهدتها بالموقف، وأخذتُ بأعضادها فأنجيتها -والله-، من أهواله وشدائده».

٢- أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو جعفر محمد بن عمر بن أبي علي -كتابة-، أخبرنا الشيخ الإمام أبو الحسين زيد بن الحسن بن علي البيهقي، أخبرنا السيد الإمام النقيب علي بن محمد بن جعفر الحسني، حدثنا السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو أحمد إسحاق بن أحمد المقرئ -بالكوفة-، حدثنا عبد الله بن محمد الأيادي، حدثنا عمر بن مدرك، حدثنا محمد بن زياد المكي، أخبرنا جرير ابن عبد الحميد، عن الأعمش، عن عطية العوفي، قال: خرجتُ مع جابر ابن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين بن علي فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بأزار وارتدى بآخر، ثم فتَحَ صرةً فيها سعد فثره على بدنه، ثم إنه لم يخط خطوة إلا ذكر فيها الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال: المسنيه يا عطية! فالمسته، فخر على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين يا حسين - ثلاثاً - ثم قال: حبيب لا يُجيبُ حبيبه، وأنى لك بالجواب، وقد شخبت أوداجك على أثباك، وفرق بين رأسك وبدنك؟ فأشهدُ أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وحليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد

غذتك كفُّ محمدٍ سيد المرسلين، ورُبيت في حجور المتقين، وأرضعت من ثدي الإيمان، وفطمت حياً، وطبت عيشاً، غير أنَّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكاة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهدُ أنك مضيت على ما مضى يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثمَّ جال ببصره حول القبر، فقال: السلامُ عليكم أيتها الارواح الطيبة التي بفناء الحسين أناخت برحله؟ أشهدُ أنكم قد أقمتُم الصلاة، وآتيتُم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتُم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، فوالذي بعثَ محمدًا عليه السلام بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلتُ لجابر بن عبد الله: فكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرقَ بين رؤوسهم وأبدانهم، فأوتمت الاولاد، وارملت الأزواج؟ فقال لي: يا عطية! سمعتُ جدَّ رسول الله عليه السلام، قال: «من أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم، ومن أحبَّ عملَ قومٍ أشرك في عملهم».

أحدر بي نحو أبيات كوفان، فلما صرنا في الطريق، قال: يا عطية! هل أوصيك، وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك؟ أحبَّ محبَّ آل محمدٍ ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كانوا صوَّاماً قوَّاماً.

٣- وأخبرنا الشيخ الفقيه العدل الحافظ أبو بكر عبيد الله بن نصر الزاغوني - بمدينة السلام منصرفي من السفرة الحجازية-، أخبرنا الشيخ الجليل أبو الحسن محمد بن إسحاق بن الباقرحي، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن علي بن بNDAR، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر

ابن سليمان ببغداد في باب المحوّل، حدّثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدّثني أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا، حدّثني أبي موسى بن جعفر، حدّثني أبي جعفر بن محمد، حدّثني أبي محمد بن علي الباقر، حدّثني أبي علي بن الحسين، حدّثني أبي الحسين بن عليّ، حدّثني أبي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: كاني بالقصور قد شُيّدت حول قبر الحسين، ولا تذهب الايام والليالي حتى يُسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان».

٤- وبهذا الإسناد، قال جعفر بن محمد -وسُئِلَ عن زيارة قبر الحسين عليه السلام-: «أخبرني أبي قال: من زار قبر الحسين عارفاً بحقه، كتبه الله عزّ وجلّ في عليين».

٥- وبهذا الإسناد، قال: «إنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يكون عليه إلى أن تقوم الساعة».

٦- وأخبرني الحافظ سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي -في ما كتب إليّ من همدان-، أخبرني الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن زنجويه الزنجاني -بقراءتي عليه بزنجان سنة خمس مائة-، أخبرني الحسين بن محمد الفلاكي، أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، أخبرني عبد الله بن أحمد بن حنبل، أخبرني أبي أحمد بن حنبل، عن عبد الله بن محمد التيمي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس ابن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ موسى بن عمران سأل ربه عزّ وجلّ زيارة قبر الحسين بن عليّ، فزاره في سبعين ألف من الملائكة».

وروي مثل ذلك، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٧- وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في «فتوحه» بإسناده إلى كعب

الاحبار: أنه لما أسلم زمن عمر بن الخطاب، وقدم المدينة، وجعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان، فكان يخبرهم بأنواع الملاحم والفتن، ويقول: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً، وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابكم، فقال: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ الروم/٤١، وإنما فتح بقتل قابيل هابيل، ويختم بقتل الحسين بن علي عليه السلام.

ثم قال كعب: لعلكم تهونون قتل الحسين، أولا تعلمون أنه تفتح يوم قتله أبواب السماوات كلها؟ ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً عبيطاً؟ فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها - شرقياً وغربياً - فاعلموا أنها تبكي حسيناً.

فقليل له: يا أبا إسحاق! كيف لم تفعل ذلك بالانبياء وأولاد الانبياء من قبل، وبمن كان خيراً من الحسين؟ فقال كعب: ويحكم، إن قتل الحسين لأمر عظيم، لانه ابن بنت خير الانبياء، وأنه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مزاج مائه، وبضعة من لحمه، فيذبح بعروضة «كربلاء» في كرب وبلاء، والذي نفس كعب بيده؛ لتبكيه زمرة من الملائكة في السماوات، لا يقطعون بكاءهم عليه آخر الدهر، وأن البقعة التي يُدفن فيها خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس، وما من نبي إلا زارها، وقد بكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة بالتسليم، فإذا كانت ليله جمعة أو يوم جمعة نزل إليها سبعون ألف يزورونه ويبكون عليه ويذكرون فضله ومنزلته عندهم، وأنه ليسمى في السماوات: الحسين المذبوح، وفي الأرض: أبا عبد الله المقتول وفي البحار: الفرخ الأزهر المظلوم.

وأنه يوم يقتل تنكسف في النهار الشمس وفي الليل القمر، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام، وتكدك الجبال وتغطمط البحار^(١)، ولولا بقية من ذريته وذرية محمد ﷺ، ومحبي محمد ومحبي أبيه وأمه، يطلبون بدمه، ويأخذون بثاره، لصب الله عليهم من السماء نيراناً.

ثم قال كعب: لعلكم تتعجبون مما حدثتكم من أمر الحسين، أولاً تعلمون أن الله تبارك وتعالى لم ينزل شيئاً كان أو يكون في آخر الدنيا وأوائلها إلا وقد فسرهُ لموسى، وما من نسمة خلقت ومضت من ذكر أو أنثى إلا وقد رفعت إلى آدم وعرضت عليه؟ ولقد عرضت على آدم هذه الأمة خاصة، فنظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا فقال: «يارب! ما لهذه الأمة وتكالبها على الدنيا، وهم خير أمة وأفضلها؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن يا آدم! هذا أمري في خلقي، وقضائي في عبادي، يا آدم! إنهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون في الأرض الفساد كفساد قابيل حين قتل هابيل وسيقتلون فرخ حبيبي محمد ﷺ.

ومثل لآدم مقتل الحسين، وثوب أمة جدّه عليه، فنظر آدم إليهم مسودة وجوههم، فقال: «يارب! أبسط عليهم الإنتقام كما قتلوا فرخ هذا النبي المكرم عليك».

قال هبيرة بن يريم: حدثني أبي، قال: لقيت سلمان الفارسي فحدثته بهذا الحديث، فقال سلمان: لقد صدقك كعب، وأنا أزيدك في ذلك: أن كل شيء في الأرض يبكي على الحسين إذا قتل، حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويسجد ذلك اليوم، ويقول: إلهنا وسيدنا! أنت الحكيم العليم، ثم لا يرفعون رؤوسهم حتى ينادي ملك

(١) الغطمة: اضطراب موج البحر.

السماء والأرض : أن يامعشر الخليقة ! ارفعوا رؤوسكم ، فقد وفيتم لرب العزة .

قال : ثم أقبل عليّ سلمان فقال : يايريم ! إنك لو تعلم يومئذٍ كم من عين تعود سخينة كثيبة حزينة ، قد ذهب نورها ، وعشي بصرها ببكائها على الحسين بن علي ، ولقد صدقك كعب فيما حدثك ، عن كربلاء أنها أرض كرب وبلاء .

والذي نفس سلمان بيده ، لو أني أدركت أيامه ، لضربتُ بين يديه بالسيف ، أو أقطع بين يديه عضواً عضواً ، فأسقط بين يديه صريعاً ، فإن القتل معه يُعطى أجر سبعين شهيداً كلهم كشهداء «بدر» و«أحد» و«حنين» و«خير» .

ثم قال سلمان : يايريم ! ليت أم سلمان أسقطت سلمان ، أو كان حيضة ولم يسمع بقتل الحسين بن فاطمة ، ويحك ، يايريم ! أتدري من حسين؟ حسين سيد شباب أهل الجنة على لسان محمد صلى الله عليه وآله ، وحسين لا يهدأ دمه حتى يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى ، وحسين من تفرع لقتله الملائكة .

ويحك ، يايريم ! أتعلم كم من ملك ينزل يوم يقتل الحسين؟ ويضمه إلى صدره ، وتقول الملائكة بأجمعها : إلهنا وسيدنا هذا فرخ رسولك ، ومزاج مائه ، وابن بنته .

يايريم ! إن أنت أدركت أيام مقتله ، واستطعت أن تقتل معه ، فكن أول قتل ممن يقتل بين يديه ، فإنَّ كل دم يوم القيامة يطالب به بعد دم الحسين ودماء أصحابه ، الذين قُتلوا بين يديه .

وانظر يايريم ! إن أنت نجوت ولم تقتل معه ، فزر قبره ، فإنه لا يخلو من الملائكة أبداً ، ومن صلى عند قبره ركعتين ، حفظه الله من بغضهم

وعداوتهم حتى يموت .

قال هبيرة: فاما سلمان فمات بالمدائن في خلافة عمر بن الخطاب،

واما يريم فإنه لم يلحق لذلك .

٨- قيل: إن على قبر الحسين عليه السلام مكتوباً: «من عظم أمر الله أجاب

المولى سؤاله، ومن حرم نهيه قبل المولى عذره، ومن مات من مخافته غفر

المولى ذنبه، ومن ذكر اسمه عزوجل رفع المولى في الدارين قدره» .

٩- وقيل: كان مكتوباً على سيف الحسين عليه السلام: «البخيل مذموم،

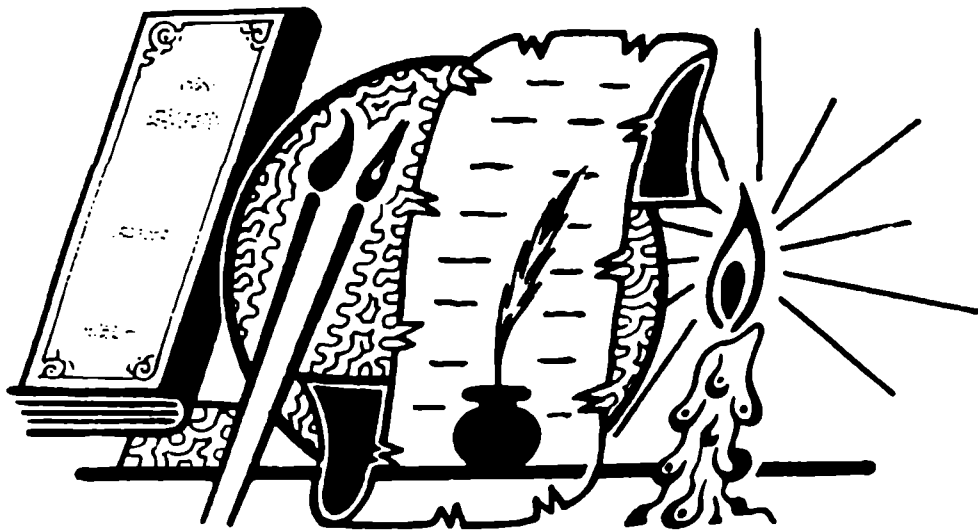
والحريص محروم، والحسود مغموم» . انتهى .



الفصل الخامس عشر

في ذكر انتقام المختار

بن أبي عبيد الثقفي من قاتلي الحسين عليه السلام



ذكر

نسب المختار بن أبي عبيد الثقفي

١- ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب القتيبي الدينوري، في كتاب «المعارف»: أن المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي من الاحلاف، وأن مسعوداً جده هو عظيم القريتين، فولد مسعود سعداً وأبا عبيد، فكان سعد عامل علي بن أبي طالب عليه السلام على المدائن؛ وله عقب بالكوفة، وأما أبو عبيد فولاه عمر بن الخطاب جيشاً فيهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلقي الخرزذ الحاجب بـ «قس الناطف» من الكوفة وهو على فيل، فضرب أبو عبيد الفيل فوق عليه الفيل فمات، فولد أبو عبيد المختار؛ وصفية؛ وجبراً؛ وأسيداً، فأماً جبر فقتل مع أبيه «يوم الفيل» ولا عقب له، وأما صفية فكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأما المختار فغلب على الكوفة زمن مصعب بن الزبير، وكان يزعم أن جبرئيل يأتيه، وتتبع قتلة الحسين بن علي عليه السلام.

فقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وابنه حفص بن عمر، وقتل شمر ابن ذي الجوشن الضبابي، ووجه إبراهيم بن مالك الاشتر فقتل عبيد الله بن زياد وغيره، وخرج نفر من أهل الكوفة فقدموا البصرة يستغيثون بهم ويستنصرونهم على المختار، فخرج أهل البصرة مع مصعب فقاتلوه بالكوفة. فقتل المختار عبيد الله بن علي بن أبي طالب - وهو في عسكر مصعب لا يُعرف -، ومحمد بن الأشعث بن قيس، ثم ظفر بالمختار فقتل، قتله صراف ين يزيد الحنفي، وكانت ابنة سمرة بن جندب تحته وله ابنان: إسحاق ومحمد، ومن غيرها بنون وعقبه بالكوفة كثير، قيل: وكان المختار أول من لبس الدراعة.

٢- وذكر الإمام عبد الكريم بن محمد بن حمدان في «تاريخه»: إن أبا عبيد بن مسعود - أبا المختار - كان من الفرسان المذكورين؛ والشجعان المعدودين، فلماً رجع المثنى بن حارثة من القادسية حين بلغه وفاة أبي بكر إلى عمر، واشتدت شوكة الفرس، وجمع يزيد جرد قواده المذكورين لحرب المسلمين، قام عمر بن الخطاب خطيباً فقال: أيها الناس! قد وعدكم الله تعالى على لسان نبيه محمد كنوز كسرى وقيصر، فمن يتدب منكم لقتال الفرس؟ فسكت الناس لما ذكر الفرس، وفيهم المهاجرون والأنصار بأجمعهم، فقام أبو عبيد بن مسعود الثقفي - أبو المختار -، فقال: أنا يا أمير المؤمنين! أول من أجاب إلى ما دعوتنا إليه. فآثني عليه عمر بن الخطاب، ثم انتدب بعده ناساً كثيرين من المهاجرين والأنصار، فلما أجمعوا على المسير، قيل لعمر: يا أمير المؤمنين! أمر على الناس رجلاً من المهاجرين أو الأنصار، فقال: لا والله، لا أؤمر إلا من سبق إلى الإجابة.

فأمر على الجيش أبا عبيد بن مسعود الثقفي، ثم ارتحل من المدينة

ونزل الحيرة بعسكره، وخرج اليه رستم في جمع كثيف، فكتب إليه أبو عبيد بن مسعود: السلام على من اتبع الهدى، ادعوكم لهداية الإسلام، فإن قبلتم وإلا فاعتقدوا مني الذمة، وإلا قاتلتكم برجال هم أحرص على الموت منكم على الحياة، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل رجالكم وأسبي نساءكم. فبعث إليه رستم جالينوس في جمع عظيم مقدمة له، فاقتلوا قتالاً شديداً، وهزم العدو هزيمة فاحشة، وحلف أبو عبيد الأمير ليقطعن إليهم الفرات، فأمر ابن صلوبا فاتخذ له جسراً على الفرات، فصار مثلاً من ذلك الوقت - جسر أبي عبيد -، وورخ يوم جسر أبي عبيد لحوادث كثيرة، ثم عبر إليهم الفرات.

وجاء رستم في جمع عظيم يقدمه الفيل من أعظم ما يكون، ولم يكن للعرب عهد بالفيل، فشد الفيل على المسلمين فأهلك ناساً منهم، وكانت دومة امرأة أبي عبيد قد رأت في تلك الليلة كأن رجلاً نزل من السماء بقدر من الشراب، فشرب منه أبو عبيد وابنه جبر بن أبي عبيد في أناسٍ من أهله فحكّت ذلك لزوجها، فقال: هذه والله، الشهادة إن شاء الله.

ثم قال أبو عبيد: أيها الناس! إن قتلت فعليكم ابني جبر، وإن قُتل جبر فعليكم المثني بن حارثة، فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل بالمسلمين قال: هل لهذه الدابة من مقتل؟ قالوا: نعم، إذا قطع مشفرها هلك. فشد أبو عبيد على الفيل، وضرب مشفره فقطعه، وبرك الفيل عليه فقتله، وانهزم المسلمون فسبقهم عبد الله بن مرثد إلى الجسر فقطعه، وقال: قاتلوا عن أميركم! فاخذ الراية ابنه جبر فقتل أيضاً، ثم أخذها المثني فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم الله العدو، فهلك يوم الجسر أربعة آلاف رجل بين غريق وقتيل، ثم بعد هذا أمر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص على حرب العراق،

وهذه القصة طويلة ذكرنا منها فصلاً، لنذكر فيه لأبي عبيد - أبي المختار - فضلاً، وقد نسج المختار على منوال أبيه في فضله وزاد بانتقامه من قتلة الحسين ومن اشترك في قتله.

قال الإمام أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي: ولما رجع محمد بن الحنفية من يزيد تحرك عبد الله بن الزبير بمكة، ودعا إلى نفسه فبعث عبد الله ابن مطيع العدوي؛ والعباس بن سهل الانصاري؛ وجماعة من أبناء المهاجرين والانصار، فأتوا محمد بن الحنفية، فقالوا له: يا أبا القاسم إنا عزمنا على قتال يزيد بن معاوية، وهذا عبد الله بن الزبير قد بايعناه، ونريد أن تكون يدك مع أيدينا، فقال: لا أفعل ذلك، قالوا: ولم؟ قال: لاني بايعت يزيد وأخذتُ جائزته، ولم أخلعه ولم أخنه، قالوا: فلمَ بايعته وأنت أنت؟ قال: بايعته خوفاً على نفسي وولدي ومن بقي من أهل بيتي، لاني رأيت الحسين قد قُتل فلم آمن يزيد على نفسي، ورأيت أخي الحسن قد بايع معاوية وأخذ جائزته، والحسن أفضل مني، فإن بايعت فلي اسوة بأخي.

فقالوا له: إنَّ أخاك الحسن رأى رأياً، فقال: وأنا أيضاً رأيت ذلك الرأي، فقالوا: يا هذا! إنَّ يزيد يشرب الخمر؛ ويلعب بالكلاب والقروود؛ وقد فسق وفجر وكفر، فقال لهم: إني كنت عنده مقيماً فلم أطلع منه على كفر ولا فسوق ولا فجور إلى وقت انصرافي، وأكثر ما ينتهي إليَّ من خبره: أنَّه يشرب هذا المسكر، وقد نهيته عن ذلك، وقضيت ما عليَّ، ولن يؤاخذني ربي بذنبه، فقالوا له: إنه ليأتي من المنكر والفواحش ولكنه لم يطلعك على ذلك. فقال لهم محمد: هل اطلعكم على ذلك منه؟ فوالله، لئن كان اطلعكم على ما ذكرتم منه فأنتم شركاؤه في فعله إذ رأيتم منه شيئاً من المنكر فلمَ لا تغيرونه؟ وإن كان لم يطلعكم على شيء من ذلك فقد شهدتم

بغير الحق، فاتقوا الله ياهؤلاء! على أنفسكم وكفوا عما أزمعتم عليه، فإنني خائف عليكم أن تسفكوا دماءكم بغير حق.

فأطرق القوم ساعةً ثم قالوا له: يا أبا القاسم! لعلك إنما تكره البيعة لابن الزبير لأنك ترى أنك أحق بالبيعة منه، فإن كنت كارهاً لهذا الشأن فاخرج بنا حتى نبايعك، فقال: أنا لا أستحل القتال تابعاً ولا متبوعاً، فقالوا: لقد قاتلت مع أبيك يوم الجمل وصفين والنهروان، فتبسم وقال: ويحكم، وأين تجدون مثل أبي في دهركم؟ فوالله، لولا أن أبي قاتل أهل القبلة، لما علم أحد كيف يقاتلهم؟ ولكنه كان لا يتبع مولياً، ولا يجهز على جريح، ولا يدخل داراً إلا بإذن صاحبها، فقالوا له: والله، لا نفارقك حتى تخرج معنا، وتبايع من قد بايعنا، فقال لهم: لا والله، لا خلعت من بايعت، ولا بايعت من لم يجعل الله له في عنقي بيعة، فاتقوا الله ربكم واذكروا ما نزل بأخي الحسين وولده وبني عمه وشيعته فإنني لكم نذير مبين، يا قوم! لا ترضوا أحداً من عباد الله بسخط الله.

فانصرف القوم إلى عبد الله بن الزبير فأخبروه فسكت، ولعبد الله بن الزبير بعد ذلك محاورات ومنازعات معه ومع عبد الله بن عباس يطول الكتاب بذكرها، فلنذكر ما نحن بصدد.

قال: ثم تحدث أهل الكوفة بشيء من أمر عبد الله بن الزبير، فقدم عبيد الله بن زياد من البصرة، ودعا بخليفته عمرو بن حريث المخزومي فقال له: ويحك يا عمرو بلغني عن ابن الزبير أمر لا أدري أحق هو أم باطل، ولست أخاف على أمير المؤمنين من ابن الزبير، وإنما أخاف عليه من هؤلاء الترابية، فهل تعلم أحداً بالكوفة ممن يتولى علماً وولده فإنني لا أعلم؟ فوثب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال له: هذا المختار بن أبي عبيد

الثقفي وهو الذي كان يؤلب علينا الناس بالامس حين خرج عليك مسلم بن عقيل، وقد كان فيما مضى عثمانياً، فقد صار اليوم ترابياً، فدعا بالمختار، فلما دخل عليه قال له: يا بن أبي عبيد! أنت المقبل امس بالجيوش لنصرة مسلم بن عقيل علينا، وانت تتولى أبا تراب وولده؟ فقال المختار: أما علي وولده فإنني أحبهم لمحبة رسول الله، وأما نصرتي لمسلم بن عقيل فلم أفعل، وهذا عمرو بن حريث يعلم ذلك، وهو شيخ الكوفة يعلم اني في ذلك الوقت كنتُ لازماً منزلي، فاستحى عمرو بن حريث أن يشهد على الرجل في مثل ذلك الوقت فيقتل؟ غير أنه قال: صدق أعز الله الامير إنه لم يقاتل مع مسلم بن عقيل، ولقد كذب عليه في هذا، فإن رأى الامير أن لا يعجل عليه فإنه من أبناء المهاجرين (يريد بالمهاجرين: من شهد ثلاثين زحفاً مع خالد بن الوليد بالعراق والشام، فان عمر بن الخطاب الحق مثل هؤلاء بابناء المهاجرين في العطاء، فسموا المهاجرين للعطاء، ولهجرتهم أوطانهم ونزولهم بالعراق ومجاورتهم الفرس).

قال: فرفع ابن زياد قضيباً كان في يده واعترض به وجه المختار، فشر به عينه، فصار المختار من ذلك الوقت أشر، وقال له: يا عدو الله! لولا شهادة عمرو بن حريث لضربتُ عنقك، ثم قال: انطلقوا به إلى السجن، فسجن.

٣- وذكر ابن مخنف: إنَّ عبيد الله بن زياد إنما حبس المختار بعد قتل مسلم قبل قتل الحسين فكان محبوساً في سجنه يوم قتل الحسين، ثم إنَّ المختار بعث إلى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب وهو ختن المختار على أخته صفية بنت أبي عبيد فيخبره، فسار وأخبره، فاغتم لذلك عبد الله وجزعت أخته صفية جزعاً شديداً واتقت عليه

من ابن زياد أن يقتله وبكت كثيراً، فقال لها عبد الله: كفي بكاءك فإني سأعمل في خلاصه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

ثم كتب ابن عمر إلى يزيد: أما بعد فإن المختار بن أبي عبيد صهري وخال ولدي، وقد حبسه ابن زياد بالكوفة على الظن والتهمة، وأنا أطلب منك أن تكتب إليه ليخلي سبيله، فإنه أحق بالعفو والصفح الجميل إن شاء الله. فلما ورد الكتاب على يزيد تبسم ضاحكاً وقال: يشفع أبو عبد الرحمن في صهره فهو أهل لذلك، وكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد فخل سبيل المختار ساعة تنظر في كتابي هذا والسلام.

فلما قرأ عبيد الله كتاب يزيد أخرج المختار من حبسه، وقال له: إني أجلك ثلاثاً فإن أصبتك في الكوفة بعد الثلاث ضربت عنقك.

٤- وذكر محمد بن إسحاق صاحب السيرة: إن عبيد الله لما قتل ابن عفيف الأنصاري وجاءت الجمعة الثانية، صعد المنبر وبيده عمود من حديد، فخطب الناس وقال في آخر خطبته: الحمد لله الذي أعز يزيد وجيشه بالعز والنصر، وأذل الحسين وجيشه بالقتل، فقام إليه سيد من سادات الكوفة وهو المختار بن أبي عبيد فقال له: كذبت ياعدو الله وعدو رسوله! بل الحمد لله الذي أعزَّ الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة، وأذلَّ يزيد وجيشه بالنار والحزى، فحذفه ابن زياد بعموده الحديد الذي كان في يده فكسر جبينه، وقال للجلالوزة: خذوه! فأخذوه.

فقال أهل الكوفة: أيها الأمير! هذا هو المختار، وقد عرفت حسبته ونسبه وختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبد الله بن عمر فأوجس في نفسه خيفة فحبس المختار ولم يتجرأ على قتله، فكتب المختار إلى عبد الله كتاباً شرح فيه القصة، فكتب ابن عمر إلى يزيد: أما بعد أفما رضيت بأن قتلت

أهل نبيك حتى وليت على المسلمين من يسب أهل بيت نبينا، ويقع فيهم على المنبر عبر عليه ابن عفيف فقتله، ثم عبر عليه المختار فشجه وقيده وحبسه، فإذا أنت قرأت كتابي هذا فاكتب الى ابن زياد باطلاق المختار، وإلا فوالله، لأرmin عبيد الله بجيش لا طاقة له به والسلام.

فلما قرأ يزيد الكتاب غضب من ذلك وكتب إلى ابن زياد: أما بعد فقد وليتك العراق ولم أولك على أن تسب آل النبي على المنابر وتقع فيهم، فإذا قرأت كتابي هذا فاطلق المختار من حبسك مكرماً، وإياك إياك أن تعود إلى ما فعلت، وإلا فوالذي نفسي بيده، بعثت إليك من يأخذ منك الذي فيه عيناك.

فلما ورد الكتاب على ابن زياد أخرج المختار من حبسه ودعا بمشايخ الكوفة وسلمه إليهم سالماً، فخرج المختار من الكوفة هارباً نحو الحجاز، ولما صار بواقصة إذا هو برجل من أهل الكوفة يقال له: صقعب بن زهير، فسلم عليه وقال: يا أبا إسحاق! مالي أرى عينك على هذه الحالة صرف الله عنك السوء؟ فقال له: اعترضها هذا الدعي عبد بني علاج ابن زياد، فقال له صقعب: ماله شلت يمينه شلاً عاجلاً؟ فقال له: نعم، يا صقعب!، وقتلني الله إن لم أقتله وأقطع أعضائه عضواً عضواً وإرباً إرباً، ولكن أخبرني عن ابن الزبير أين تركته؟ قال: تركته بمكة، وهو يظهر العداوة ليزيد، وأظنه يبايع سراً، فضحك المختار وقال: الله أكبر! بشرك الله بخير، فوالله، إنه لرجل قوم، وهو من أولاد المهاجرين، وإني لأرى الفتنة قد أرعدت وأبرقت، وكأنك بي يا صقعب! وقد خرجت وكان ما سمعت، وقيل لك: إن المختار بن أبي عبيد قد خرج في عصابة من المؤمنين يطلب بدم ابن بنت نبي العالمين؛ وابن سيد الوصيين الحسين بن علي وابن فاطمة، فوربك،

ياصقعب! لاقتلنَّ به عدد الذين قتلوا بيحيى بن زكريا .

فقال صقعب: إنَّ من أعجب القول أن يكون هذا منك! فقال: نعم والله، إنه كائن لا محالة ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ص/٨٨، وجعل يقول: والذي أنزل القرآن، وبين الفرقان، وشرع الأديان، وكتب الإيمان، وكره العصيان، لاقتلن العتاة من أزد عمان ومذحج وهمدان وبهران وخولان وبكر ونبهان وعبس ودودان، وقبائل قيس عيلان، غضباً لابن بنت نبي الرحمن.

ثم ضرب المختار راحلته ومضى حتى قدم مكة، فدخل على عبد الله ابن الزبير، فرحب به وقربه وسأله عن أهل الكوفة، فقال المختار: هم في السر أعداء، وفي العلانية أولياء، فقال ابن الزبير: هذه والله، صفة عبید السوء، إذا حضر مواليهم خدموهم وأطاعوهم، وإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم، فقال المختار له: ذرني من هذا، ولكن أبسط يدك حتى أبايعك وأعطني ما أرضى به بأن تبث بي على أهل الحجاز حتى آخذها لك، فإن أهل الحجاز كلهم معك وأنت أقرب إلى جماعة الناس وأرضى عند ذوي النهى من يزيد.

فسكت ابن الزبير ولم يرد عليه شيئاً، فخرج المختار مغضباً ومضى إلى الطائف، فأقام بها حوالاً عند بني عمه من ثقيف، وافتقده ابن الزبير فسأل عنه، فقال له بعض أصحابه: ما رأيته منذ خرج من عندك، فما كان بأسرع من أن قدم المختار من الطائف، فدخل المسجد واستلم الحجر، وطاف وصلى ركعتين وجلس، فجاءه قوم من أهل مكة فسلموا عليه وجلسوا إليه، فعلم ابن الزبير بقدمه، وقال: إني لا أراه يصير إلينا.

فقال له العباس بن سهل الانصاري: إن شئت أتيتك بخبره، فقال له

ابن الزبير: نعم، فافعل، فجاء العباس إلى المختار وسلم عليه، وسأله عن بني عمه بالطائف، ثم قال له: يا أبا إسحاق! ليس مثلك من يغيب عما اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب، فقال المختار: وما ذاك؟ قال: انه لم تبق قبيلة من العرب إلا جاء عميدها وزعيمها فبايع عبد الله بن الزبير، فعجب منك ومن رأيك أن لا تكون آتيته فأخذت بحظك من هذا الامر، فقال يا اخا الانصار! إنك لتعلم اني آتيته في العام الماضي، وأشرت عليه بالرأي ودعوته إلى حظه، فطوى امره دوني وأراني نفسه مستغنياً عني فأحبت أن يراني مستغنياً عنه، فوالله، لهو أحوج إليّ مني إليه، فقال العباس: صدقت يا أبا إسحاق! قد كان ذلك، غير أنك كلمته وهو ظاهر في المسجد، وهذا كلام لا يكون إلاً والستور دونه مسدولة والابواب فوقها مغلقة، ولكن ألقه الليلة وأنا معك حتى تسمع كلامه ويسمع كلامك، قال: نعم.

فلما صليت العشاء الآخرة ذهب المختار والعباس إلى ابن الزبير، فمد يده ابن الزبير إلى المختار وصافحه ورحب به وسأله عن حاله؟ ثم قال: يا أبا إسحاق! إنك كلمتني بذاك الكلام والناس حضور وللحيطان آذان، وليس من أحد إلا وله عدو وصديق، وهذا وقت خلوة فهات ما بدا لك، فقال المختار: إنه لا خير في الإكثار من الكلام ولاحظ في التقصير عن الحاجة، وأنت اليوم رجل قومك وقد جئتك لأبايعك على أن لا تقضي الأمور دوني، وعلى أن أكون أول من تاذن له وآخر من يخرج من عندك، فإذا أظهرك الله على يزيد استعنت بي على أفضل أعمالك فانتفع وأرد على أهل بيتي شيئاً.

فقال ابن الزبير: يا أبا إسحاق! أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه،

فقال المختار: لو جاءك عبد أسود لبايعته على كتاب الله وسنة نبيه، فأبى ابن الزبير غير هذا، فقال العباس: جعلتُ فداك اشتر منه دينه حتى ترى رأيك ويرى هو رأيه، فقال ابن الزبير: يا أبا إسحاق! إني أبايعك على ما سألت، ثمَّ بسط يده فبايعه المختار ثم انصرف إلى منزله، وكان عنده إلى أن جاء أخوه عمرو بن الزبير مع أهل الشام يقاتل أخاه عبد الله بين مكة والمدينة، فخرج إليه المختار، وأبلى بلاءاً حسناً في قتاله دون عبد الله، وأسر عمرأً وفر أهل الشام، فلما جيء بعمره إلى أخيه قال: من كان له مظلمة عند عمرو فليقم؟ فقام جماعة، فمن يقول: صفعني، يقول له اصفعه، ومن يقول: ضربني، يقول له: اضربه، وإنما كانت عنده هذه المظالم لأنه كان صاحب شرطة أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص حتى جاءه مصعب بن سعيد بن عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمير المؤمنين! انه ضربني مائة سوط بلا ذنب كان مني إلا ميلي إليك، فأمر به عبد الله وجرد من ثيابه، وأمر مصعب بن سعيد فجلده كما جلده مائة سوط، ثم أمر به عبد الله إلى السجن ولم يداوه فمات، ولما مات، قيل: إنه أمر بصلبه فصلب، وقيل: بل دفن ولم يُصلب، ثم أقبل عبد الله بن الزبير على أصحابه، فقال: أتدرون لم فعلت بعمره هذا الفعل؟ قالوا: لا، قال: إنه صار إلى معاوية زائراً فكتب معاوية إلى زياد بن أبيه بمائة ألف درهم جائزة ففرض الكتاب وجعل المائة مائتي ألف، وعلم معاوية أنه عمل على زياد، فكتب إلى مروان وهو عامله بالمدينة أن يأخذ عمرو بن الزبير بمائة ألف درهم، فأخذه مروان وحبسه، فصرت إلى مروان وهيات المائة ألف له من نفسي فأعطيتها وأخرجته من سجن مروان، فكان جزائي منه أن خرج عليّ ويضرب وجهي بالسيف.

قال: فلما بعث يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري أميراً على أهل

الشام لمحاربة عبد الله ومن بالمدينة من قبل ابن الزبير والحصين بن نمير السكوني بعده إن حدث به حدث الموت، لأن مسلماً كان مريضاً فكانت الوقعة بالحرّة، وأقام بعدها بالمدينة فقتل من أولاد المهاجرين ألفاً وثلاثمائة، ومن أولاد الأنصار ألفاً وسبعمائة، ومن العبيد والموالي ثلاثة آلاف، ونهب المدينة ثلاثة أيام بلياليها، حتى قال أبو سعيد الخدري: والله، ما سمعنا إلا من بالمدينة ثلاثة أيام إلا من قبر النبي ﷺ، ثم ارتحل مسلم إلى مكة لمحاربة ابن الزبير، فمات بين مكة والمدينة فسموه مسرفاً لأنه أسرف بالقتل، ولما مات استخلف الحصين بن نمير السكوني فنصب الحصين المجانيق على الكعبة فكانوا يرمونها حتى نزلت صاعقة فأحرقت منجنيقاً لهم بما كان فيه من الناس فجعل المختار يومئذ يحارب بين يدي عبد الله أشد المحاربة وهو يقول: أنا ابن الكرارين لست من أبناء الفرارين، حتى ضج أهل الشام منه، وأقام القوم على ذلك أياماً لا يفترون ليلاً ولا نهاراً حتى قتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وكذلك من أصحاب عبد الله.

فبينما الحصين كذلك إذ قدم رجل من أهل الشام فسلم وجلس وقال: أنت ترمي البيت الحرام بالحجارة والنيران ويزيد قد مات؟ قال الحصين: ويحك ما تقول؟ قال: ما تسمع. قال الحصين: ما سبب موته؟ قال: إنه شرب من الليل شراباً كثيراً فأصبح مخموراً فذرعه القيء فلم يزل حتى قذف عشرين طستاً من قيء ودم فمات.

٥- وذكر أبو الحسن السلامي البيهقي في تاريخه عن ابن عباس أنه قال: لا يهمل الله يزيد بعد قتله الحسين، وأنه قال: سبب زوال الدولة عن يزيد بن معاوية والله قتله الحسين عليه السلام.

٦- وذكر عبد الكريم بن حمدان صاحب التاريخ: إنَّ يزيد بن معاوية

ولي ثلاث سنين وثمانية أشهر، ومات بحمص بقرية، يقال لها: حوران ودفن بها في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وهو ابن تسع وثلاثين، وكان له بنون كثيرة، غير أن أكبرهم معاوية بن يزيد، وكان براً تقياً فاضلاً، وكان ولي عهد أبيه؛ وخالد بن يزيد يليه ولكنه غير بالغ، فبويع أبو ليلى معاوية بن يزيد فخطب الناس، فقال:

أيها الناس! ما أنا بالراغب في الامارة عليكم، ولا بالأمن من شركم، إلا إن جدي معاوية بن أبي سفيان قد نازع هذا الأمر من كان أولى به منه بالقرابة والقدم، فهو ابن عم نبيكم أعظم المهاجرين قدراً، وزوج ابنته وأبو ذريته، فركب جدي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى نزلت به منيته، ثم تقلد الأمر أبي وكان غير خليق بها فقصرت مدته، وانقطع أثره، وضمته وأعماله حفرت، لقد أنسانا الحزن به الحزن عليه، فيا ليت شعري هل أقيلت عشرته. أم غلبت عليه إساءته، ثم صرت أنا ثالث القوم والساخط فيما أرى أكثر من الراضي، وما كنت لاحتمل آثامكم وألقى الله بتبعاتكم فشأنكم بأمركم.

فقال له مروان: يا أبا ليلى! لقد سن لها عمر بن الخطاب سنةً فاتبعها، فقال معاوية: أتريد أن تفتني عن ديني يا مروان؟ ثم قال: اتني برجال عمر حتى أجعلها بينهم شورى، والله، لئن كانت الخلافة مغنماً فلقد أصبنا منها حظاً. وحسب آل أبي سفيان منها ذلك.

ثم نزل عن المنبر، فقالت له أمه: يا بني! ليتك كنت حيضة في خرقة، فقال: وددت ذلك يا أماء! أما علمت أن لله ناراً يعذب بها من كان ظالماً؟ فعاش أربعين يوماً ثم مات فقيل له: ألا تعهد بها إلى من أحببت؟ فإنا سامعون له مطيعون.

فقال: كلا لا أترك لبني أمية حلاوتها وأتزود لنفسي مرارتها، وكان ابن إحدى وعشرين سنة، قيل: كان له مؤدب ممن يميل إلى علي عليه السلام فظن به آل أبي سفيان أنه هو الذي دعاه إلى تلك الخطبة وما فيها، فقبضوا عليه بعد موت معاوية ودفنوه حياً.

قال: ثم لما بلغ الحصين موت يزيد واضطرب أمر الشام قفل الحصين بن نمير من مكة إلى الشام، وتوارى ابن زياد بالبصرة عند مسعود بن عمرو الأزدي، واجتمع أهل البصرة في طلبه، فقال ابن زياد لمسعود: أخرجني ليلاً من البصرة في جوار بني عمك من الأزد حتى ألحق بالشام.

فأخرجه مسعود ليلاً، وبعث معه ثلاثين رجلاً حتى لحق بالشام، فبلغ أهل البصرة أن مسعوداً هو الذي أجاره وأخرجه ليلاً، فقتلوا مسعوداً في جوف الليل ونهبوا ماله، وقصدوا داري ابن زياد الحمراء والصفراء فأحرقوهما، ووجدوا أمه وزوجته فأخذوهما، ونهبا أموالهما، وبقيت البصرة والكوفة أربعة أشهر لا أمير عليهما، ولما وصل ابن زياد إلى الشام وجدهم مضطربين، فطائفة تميل للضحاك بن قيس الفهري وكانت معه أعة الخيل؛ وطائفة تميل إلى عبد الله بن الزبير ومنهم مروان.

فقال ابن زياد لمروان: أما تستحي أن تباع رجلاً كان في قتلة عثمان؟ فامتنع وتحير، فقال له ابن زياد: ما أحد أحق بهذا الأمر منك فإنك ابن عم عثمان، فظن مروان أنه مستهزئ، فمد ابن زياد إليه يده وبايعه، فبايعه الناس في دمشق فندبهم لقتال الضحاك فأجابوه، واقتتلوا بـ«مرج راهط» فقتل الضحاك، وتمت لمروان البيعة فنكح حنة بنت هاشم أم خالد بن يزيد، فكان خالد بن يزيد في داره بمنزلة الولد عنده، ثم ولاه أرض حمص وبعث إليها خليفة من تحت يده.

قال : واستوثق الامر لعبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق والبصرة والكوفة فبعث أخاه مصعب بن الزبير على البصرة واجتمع أهل الكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي فبايعوه ليكون أميراً من قبل عبد الله بن الزبير، وكان المختار عند عبد الله بن الزبير، فلم يستشره في شيء على شرطه، فكان في قلبه أن يخرج على ابن الزبير، وكان يقدم في ذلك ويؤخر، حتى قدم هانئ بن حية الهمداني مكة للعمرة، فسأله المختار عن أهل الكوفة، فقال : هي مستوسقة لعبد الله بن الزبير، فقال له : أخبرني يا أخا همدان ! عن سليمان بن صرد وأصحابه، هل شخصوا إلى قتال المحلّين؟ قال : لا ما شخصوا وإنه لعازم على ذلك .

فانصرف المختار إلى منزله، فلما جنّ الليل استوى على راحلته، وخرج عن مكة فلم يصبح إلّا على مرحلتين منها، فلما صار بالقرعاء لقيه رجلٌ من أهل الكوفة، يقال له : سليمان بن كريب، فقال له المختار : كيف خلفت أهل الكوفة؟ قال : خلفتهم كغنم لا راعي لها .

فتبسم المختار وقال : أنا والله، راعيها الذي يحسن رعايتها، ويقيم أودها، فلما انتهى إلى نهر الحيرة وذلك يوم الجمعة، نزل عن راحلته واغتسل فيه ولبس ثيابه واعتم بعمامة وتقلّد سيفه ثم ركب فرساً له وأقبل حتى دخل الكوفة نهائراً جهاراً، فجعل يمر بمجالس القوم فيسلم ويقول : ابشروا بالفرج فقد جئكم بما تحبون، فانا المسلط على الفاسقين؛ والطالب بدماء الطاهرين، ثم جاء إلى المسجد الأعظم فنزل وصلى فيه ركعتين والناس يستشرفونه، ويقولون : هذا المختار، وما قدم والله إلّا لأمر عظيم، ثم جلس وصلى الظهر والعصر، ونهض وعليه ثياب رثة فخرج إلى دار مسلم بن المسيب .

٧- وذكر محمد بن إسحاق : إنه أخذ من محمد بن الحنفية كتاباً إلى إبراهيم بن مالك الاشر أن يسمع للمختار ويطيع له ، وزور أربعين كتاباً من لسان محمد بن الحنفية إلى أربعين شيخاً من مشايخ الكوفة في معنى ذلك ، فأول من زور الكتب المختار^(١) .

قال : ولما وصل إلى القادسية عدل عنها إلى كربلاء واغتسل ولبس ثياب الزيارة وسلم على قبر الحسين واعتنقه وقبله وبكى وقال : ياسيدي ! آليت بنجدك المصطفى ، وأبيك المرتضى ، وأمك الزهراء ، وأخيك الحسن المجتبي ، ومن قتل معك من أهل بيتك وشيعتك في كربلاء لا أكلت طيب الطعام ؛ ولا شربت لذيذ الشراب ؛ ولا نمت على وطىء المهاد ، ولا خلعت عن جسدي هذه الأبراد ؛ حتى أنتقم لك ممن قتلك أو أقتل كما قُتلت ، فقبح الله العيش بعدك .

ثم ودع القبر وركب وسار إلى الكوفة وقدم ليلاً فسلم الكتاب إلى إبراهيم وإلى المشايخ ، وكانت الشيعة قد تحركت قبل قدومه ، وكثر بينهم التلاوم والندم على ما فرطوا في أمر الحسين عليه السلام من خذلانه ، وعلموا أنه لا يغسل عنهم ذلك إلا أن يخرجوا فيقتلوا من قتله وشرك في دمه حيث كان في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد فزعوا إلى خمسة نفر من خيار الشيعة ومن أصحاب علي عليه السلام سليمان بن صرد الخزاعي ، وكان صحابياً ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، ورفاعة بن شداد البجلي ، وعبد الله بن سعد الأزدي ، وعبد الله بن وال التميمي ، فاجتمع هؤلاء الخمسة في بيت سليمان بن صرد فأول من تكلم منهم المسيب بن نجبة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى اختبرنا في غير موطن من موطن ابن بنت نبينا

(١) ان صح ذلك فعله من خدع الحرب التي يرى وجوبها .

محمد عليه السلام فوجدنا كذابين، وذلك أن الحسين كتبنا إليه وأتتنا رسله وسألنا النصر فبخلنا عليه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا: فلا نصرناه بأيدينا؛ ولا دفعنا عنه بالسنتنا؛ ولا قويناه بأموالنا؛ ولا طلبنا له نصرة من عشائرننا، فخبروني الآن ما عذرنا غداً عند الله؟ وما حجتنا عند أبيه محمد، وقد قتل ولده وحببيه وريحانته بين أظهرنا؟ لا والله، ما لنا غير أن نخرج ونقتل من قتله أو شرك بدمه أو أعان على قتله فعسى الله أن يرضى عنا بذلك.

ثم تكلم سليمان بن صرد وكان شيخ القوم، فقال: أما إنه دهر ملعون، قد عظمت فيه الرزية وشمل فيه الخوف والمصيبة، وذلك إنا كنا نمد أعيننا إلى قدوم أهل البيت، ونمنهم النصرة ونحثهم على المصير إلينا، فلما قدموا علينا عجزنا وونينا، وتربصنا حتى قتل في جنبنا ابن نبينا وسلالته وسبطه وعصارتة، وبضعة من لحمه ودمه، وهو في ذلك يستصرخ فلا يصرخ، ويدعو فلا يُجاب، ويستغيث فلا يغاث، ويسأل النصفة فلا يعطى، اتخذوه الفاسقون غرضاً لسهامهم؛ ودرية لرماحهم، حتى قتلوه ثم سلبوه وانتهكوا حرمة بعد أن قتلوا ولده وأهل بيته وشيعته، ألا فانهضوا واتقوا الله تعالى فقد سخط عليكم، ولا ترجعوا للحلائل والابناء حتى يرضى عنكم، ولا أظنه يرضى دون أن تناجزوا من قتله، وشرك في دمه أو خذله فلا تهابوا الموت، فوالله، ما هابه أحد إلا ذل، فانهضوا وكونوا كبواقي بني إسرائيل، إذ قيل لهم: اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ألا فاشحذوا الصفاح، وركبوا أسنة الرماح، وجدوا في الكفاح، وأعدوا ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ولا تهنوا عن لقاء الفاسقين، فأجابه الناس إلى ذلك، ثم إنهم قلّدوا أمورهم سليمان بن صرد، وعزموا على الخروج، وكتبوا إلى شيعة البصرة وشيعة المدائن، وسألوهم المعاونة على

ذلك، فأجابوهم لها.

قال: ثم بعث المختارُ إلى وجوه الشيعة فدعاهم، وقال لهم: إني قد جئْتُكم من ولي الأمر، ومعدن الفضل، وصي الوصي، والإمام المهدي محمد بن علي بن الحنفية الرضي، بعثني إليكم أمينا ووزيراً وعاملاً وأميراً، وأمرني بأن أقاتل المحلّين، وأطلب بدم ابن بنت رسول العالمين.

فقال له الشيعة: يا أبا إسحاق! أنت أهل لذلك، ولكن الشيعة قد بايعوا سليمان بن صرد وأنت تعلم أنه شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل في أمرك.

فسكت المختار وأقام بالكوفة ينتظر ما يكون من أمر سليمان، وعلم عبد الله بن الزبير أن المختار صار إلى الكوفة فاتقى أن يفسد عليه البلد، فعزل عامر بن مسعود بن أمية عن الكوفة وولّى عليها عبد الله بن يزيد الأنصاري، وقدم معه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على خراج الكوفة فجاءه رؤساء الكوفة وسلموا عليه وهناؤه بالامارة، فقال لهم: يا أهل الكوفة! ما يبلغني عن سليمان بن صرد وأصحابه؟ فقالوا: إنه يطلب بدم الحسين بن علي ﷺ، فقال الأمير: نعم ما رأى سليمان، وأنا أسأل الله أن يعينهم على ذلك ويقتل الفاسقين المحلّين.

ثم قاموا وخرجوا وبقي عنده رجل من شيعة بني أمية، يقال له: يزيد ابن الحرث، فقال له: أصلح الله الأمير إن سليمان بن صرد يريد أن يخرج عليك فاتقه على نفسك، فقال له: ولم ذلك؟ قال: لأنه يطلب بدم الحسين، فقال الأمير: الله أكبر! أنا قتلت الحسين؟ لعن الله من قتل الحسين، وشرك في قتله، ومن لم تكن مصيبة الحسين دخلت عليه فليس بمؤمن، فندم الرجل على ما تكلم به.

قال: ثم نادى سليمان بن صرد، فجعل الناس يخرجون من منازلهم على الخيل العتاق، وقد أعدوا الآلة والسلاح، وجعلوا يستطرقون أسواق الكوفة، والناس تدعو لهم بالنصر حتى إذا أتى النخيلة عسكر بها، ثم أشرف على عسكره فلم يعجبه لقلة الناس، فدعا برجلين من أصحابه: حكيم بن سعد الكندي؛ والوليد بن غصين الكناني، فقال لهما: اركبا إلى الكوفة في مائة فارس، وناديا بأعلى صوتيكما: يا ثارات الحسين! فمن أراد الجنة ورضا ربه والتوبة من ذنبه، فليلق بسلیمان بن صرد الخزاعي. ففعلا ما أمر به فأجابهما شرذمة قليلة، وقد كان قبل أن يقدم المختار عرض سليمان أصحابه، فكانوا ستة عشر ألفاً، فلما عرضهم في ذلك اليوم إذا هم أربعة آلاف يزيدون أو ينقصون.

فقال سليمان: ما أظن هؤلاء بمؤمنين، أما يخافون الله بالذي أعطونا من صفقة إيمانهم؟ فقال المسيب بن نجبة: إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية، فلا تنتظر أحداً واستعن بالله وتوكل عليه، وقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فوثب سليمان قائماً على قدميه متكئاً على قوس عربية، فقال: أيها الناس! إن من كان أخرجته معناه إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذاك منا ونحن منه، ورحمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان يريد الدنيا وزينتها فلا والله ما معنا خز ولا حرير، ولا ذهب ولا فضة، ولسنا والله نمضي إلى فيء نحوزه أو غنيمة نأخذها، وما هي إلا سيوفنا في رقابنا ورماحنا في أكفنا، ومعنا زاد بقدر البلغة، إلى لقاء عدونا ابن زياد وأصحابه المحلّين، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا. فقالوا بأجمعهم: ما أخرجنا والله إلا التوبة من ذنوبنا، والطلب بدماء أهل بيت نبينا عليهم السلام، وقد علمنا بأننا إنما نقدم على حد

السيوف وأطراف الرماح.

فقال لهم سليمان: رحمكم الله، فعليكم بطول الصلاة في جوف الليل، وذكر الله كثيراً على كل حال، وتقربوا إلى الله تعالى بما استطعتم، فإنكم لن تتوسلوا إلى ربكم بشيءٍ أكثر ثواباً من الصلاة والجهاد، لأن الصلاة عماد الدين، والجهاد سنام العلم والعمل.

ثم أدلج سليمان بالناس ليلة الجمعة من شهر ربيع الآخر لخمس بقين أو ماضين منه، حتى نزل على شاطئ الفرات بموضع يقال له: اقساس بني مالك ثم عرض الناس هناك، فإذا قد نقص منهم ألف ومائة رجل، فقال لهم: أيها الناس! والله، ما أحبُّ أن من تخلف عنكم كان معكم، لأنهم لو كانوا فيكم لما زادوكم إلاَّ خبالاً، فاحمدوا الله على رجوعهم عنكم.

وسار تلك الليلة فاصبحوا وقد أشرفوا على قبر الحسين، فلما عاينوه رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب، ورموا أنفسهم عن دوابهم، وجعلوا يقولون: اللهم! إنا خذلنا ابن بنت نبينا، وقد أسأنا وأخطأنا فاغفر لنا ما مضى من ذنوبنا، وتب علينا إنَّك أنت التواب الرحيم، ثم تقدم رجلٌ منهم، يقال له: وهب بن رفعة الجعفي حتى وقف على القبر باكياً، ثم قال: والله، ما أشك أن صاحب القبر هو جده وأبوه وأمه وأخوه أفضل عند الله وسيلة يوم القيامة من جميع الخلق، ألم تروا إلى ما فعل به وباهل بيته المحلّون؟ ولم يراقبوا فيه من ربه، ولا قرابته من نبيه، لكنهم جعلوه للنبل غرضاً، وغادروه لملك باغ مطعماً، فله الله الحسين ولله يوم الحسين، لقد عاينوا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر، وعفاف وبر، وذا بأس ونجدة، وأمانة وشدة، فهو ابن أول المؤمنين، وابن بنت نبي رب العالمين، قلت حماته، وكثرت عداته، فويل للقاتل وملامة للخاذل، إن الله تبارك وتعالى لم يجعل للقاتل

حجة، ولا للخاذل معذرة، إلا أن ينصح الله في التوبة فيجاهد الفاسقين،
وينابذ المحلّين، فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة، ويقلل العثرة، فإنه
تواب رحيم أرحم الراحمين غافر للمذنبين. ثم أنشد:

تبیت النشاوی من أمیة نوّماً	وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وماضیّع الإسلام إلا عصابة	تأمر نوکاهاً ^(١) ودام نعيمها
فاضحت قناة الدين في كف ظالم	إذا اعوجّ منها جانب لا يقيمها
واقسم لا تنفك نفسي حزينة	وعيني سفوحاً لا يجفّ سجيمها

قال: فضجوا بالبكاء والعيول والنحيب، وأقاموا عند القبر يومهم
ذلك وليلتهم يصلّون ويبكون ويتضرّعون، ثم نادى سليمان بن صرد
بالرحيل، فجعلوا يودعون القبر ويزدحمون عليه كازدحام الحجيج على
الحجر الاسود وهم يقولون: اللهم! إنا خرجنا عن الديار والأموال والأهلين
والأولاد نريد جهاد الفاسقين الذين قتلوا ابن بنت نبيك، فارزقنا الشهادة،
اللهم! إنا نعلم لو كان الجهاد فيهم بمطلع الشمس أو بمغربها، وبمنقطع
التراب لكان حقيقاً علينا أن نطلبه حتى نناله، فإن ذلك هو الفوز العظيم
والشهادة التي ثوابها الجنة.

وساروا من قبر الحسين عليه السلام فلزموا الطريق الأعظم، فارتجز رجلٌ
منهم وجعل يقول:

خرجن يلمعن بنا ارسالا	يحملن منا فتية ابطالا
وقد تركنا الاهل والاموالا	والخفرات البيض والحجالا
نريد أن نلقى بها إقبالا	الفاسقين الغدر الضلالا

(١) النوكى: الحمقاء جمع انوك وهو الاحمق.

لنرضي المهيمن المفضالا ونامن العقاب والنكالا
 فينا هم يسرون، وإذا كتاب أمير الكوفة عبد الله بن يزيد الانصاري
 إلى سليمان بن صرد فيه: أما بعد فإن كتابي إليكم كتاب ناصح لكم مشفق
 عليكم، وذلك أنكم تريدون المسير، بالعدد اليسير، إلى الجمع الكثير،
 والجيش الكبير، وقد علمتم أن من أراد أن يقلع الجبال عن أماكنها تكلّ
 معاولة، ولا يظفر بحاجته، فيا قومنا! لا تطمعوا عدوكم في بلدكم، فإنكم
 خيار قومكم، ومتى ظفر بكم عدوكم طمع في غيركم من أهل مصركم،
 فارجعوا إلينا فإن أيدينا وأيديكم واحدة في قتال العدو، فمتى اجتمعت
 كلمتنا ثقلنا على عدوكم وعدونا، فاقبلوا حين تقرأون كتابي هذا والسلام.
 فكتب إليه سليمان: قد قرأنا كتابك أيها الأمير! وعلمنا ما نويت،
 فنعم أخو العشيرة أنت، غير أنا سمعنا الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ التوبة/١١١، واعلم أيها الأمير! إنَّ
 المؤمنين استبشروا ببيعهم الذي بايعوا ربهم، وقد تابوا إليه من عظيم
 ذنبهم، وقد توجهوا إليه وتوكلوا عليه، وهو حسبهم ونعم الوكيل، واعلم
 أنَّ لعبد الله بن الزبير أشكالا يقاتلون معه، ولسنا من أشكال ابن الزبير،
 فإنهم يريدون الدنيا ونحن نريد الآخرة.

فلما قرأ الكتاب عبد الله أقبل على جلسائه، وقال: استمات القوم
 ورب الكعبة.

قال: وعلم المختار أن سليمان بن صرد وأصحابه لا يرجع منهم أحد
 فجعل يبعث على الشيعة ويشاورهم في الخروج، وبلغ ذلك عمر بن سعد
 بن أبي وقاص، فدخل على الأمير عبد الله، فقال له: إن المختار صاحب
 فتنة، وقد بلغني أن قوماً من هؤلاء الترابية يختلفون إليه، ولست آمنه على

بلية، فابعث إليه الساعة وخلده في السجن، فإنك لا تدري ما يكون منه، فأرسل الأمير إلى إبراهيم بن محمد بن طلحة أن يهجم على المختار فيأخذه، فهجم عليه في داره فقال: ما الذي يبلغنا عنك يا مختار؟ فقال المختار: كل ما بلغكم عني فهو باطل.

وأقبل عمر بن سعد على فرس له وقد أخرج المختار من منزله ملبباً، فقال: أوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن إلى أن يستقيم أمر الناس، وإذا رسول الأمير أقبل إلى إبراهيم بن محمد، فقال: يقول الأمير: شد المختار كتافاً وامض به إلى السجن حافياً، فقال إبراهيم للرسول: يا هذا! ولم يفعل بالمختار هذا الفعال؟ لا والله، ما هذا جزاؤه من أمير المؤمنين ابن الزبير، وقد أبلى بين يديه البلاء الحسن، وقاتل القتال الشديد، فلماذا يفعل به هذا؟ وإنما أخذناه على الظن والتهمة، ثم أمر به إبراهيم إلى السجن فحبس، ومشى قومٌ من وجوه الكوفة، وقالوا للأمير: إنَّ المختار من شيعة آل محمد، وأنت عارف به قديماً وحديثاً، وإنما قدم علينا لأنه رأى من أمير المؤمنين جفوة فأحب أن يكون في ناحيتنا، ولم يظهر لنا ولا لك عداوة، فإن رأى الأمير أن يشفعنا فيه، فعل منعماً، فأبى الأمير أن يشفعهم فيه فانصرفوا مغضبين، ثم قال المختار في السجن: أما ورب البحار، والنخل والأشجار، والمهامة والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لاقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، ومهندً بتار، حتى إذا أقمت عمود الدين، وشفيت غليل الصديقين من أولاد القاسطين، وبقية المارقين، وأدركت ثار أولاد النبيين، لم يكبر عليّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى إذ كان المصير إلى الجزاء، ثم كتب إلى عبد الله بن عمر كتاباً:

أما بعد فإنني حبست مظلوماً، وظن بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب

رحمك الله إلى هذين الوليين الصالحين كتاباً لطيفاً لعل الله تبارك وتعالى أن يخلصني من أيديهما، بيمينك وبركتك، والسلام.

فكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن يزيد؛ وإبراهيم بن محمد:

أما بعد فقد علمتما بالذي بيني وبين المختار من الصهر والقربة، والذي بينكما من المودة، فأسألكما بالذي بيني وبينكما إلا خليتما سبيله ساعة تنظرون كتابي هذا، والسلام.

فلما ورد الكتاب أرسل الأمير إلى المختار فأخرجه من السجن، ثم قال له: اعطنا كفلاء، أنك لا تحدث في عملنا حدثاً واحلف بما نحلفك به، والزم منزلك، فتقدم عشرة من وجوه الشيعة فكفلوه، وحلف المختار بما حلفوه به أن لا يخرج على عبد الله بن يزيد؛ وإبراهيم بن محمد في عملهما ما كان لهما سلطان بالكوفة، فإن خرج فعليه ألف بدنة ينحرها عند رتاج الكعبة وعبيده واماؤه كلهم أحرار، فحلف لهما وانصرف إلى منزله، ثم أرسل إلى من يثق به من إخوانه فدعاهم، فقال: قاتل الله هؤلاء القوم ما أحققهم حين يظنون أنني أفي لهم بأيمانهم هذه، أما حلفي بالله فإنه ينبغي لي أني إذا حلقت بيمين فرأيت غيرها خيراً لي من يميني، فإني أفي بالذي هو خير لي وأكفر عن يميني وخروجي عليهم خيراً من كفي عنهم فانا أكفر عن يميني وأخرج عليهم متى شئت، وأما الألف بدنة التي أنحرها عند رتاج الكعبة، فهي أهون عليّ من بزاقة، وما ثمن ألف بدنة حتى يهولني أمرها، وأما عتقي لعبيدي واماائي فوالله، إنني لوددت التثام أمري ولا أريد أن أملك مملوكاً ما عشت، ولكني إنما أنتظر أمر سليمان وأصحابه وما يكون منهم فأنظر أمري، ثم سكت ولزم بيته.

[رجعنا] إلى أخبار سليمان بن صرد قال: فسار سليمان حتى صار إلى

هيت ثم إلى قرقيسيا، وبها يومئذ زفر بن الحرث الكلابي، فلما نظر إلى خيل المسلمين كأنه اتقى منهم، فأمر بباب المدينة فأغلق، ونزل المسلمون بحذاء المدينة على شط الفرات، فدعا سليمان بن صرد المسيب بن نجبة فقال له: صر إلى ابن عمك هذا زفر بن الحرث فأخبره: إنا لسنا نريده وإنما نريدُ الفاسق ابن زياد وقتله الحسين بن علي عليه السلام فليخرج إلينا سوقاً نتسوق فيها.

فانطلق المسيب إلى زفر وأخبره فأدناه زفر وأجلسه إلى جانبه وسأله عن الحال، ثم أمر أن يخرج إليهم سوق وأمر للمسيب بفرس وألف درهم، فقال المسيب: أما المال فلا حاجة لنا فيه لانا ليس للمال خرجنا، وأما الفرس فإنني احتاج إليه إن ظلع فرسي أو عقر تحتي، ثم أمر زفر بأن يخرج إليهم الطعام الكثير وأرسل إلى كل رئيس منهم بعشرة من الجزر ودقيق وشعير وجميع ما يحتاجون إليه، فظل القوم يومهم ذلك واليوم الثاني مخصبين لا يحتاجون إلى شيء من السوق قد كفوا جميع ذلك إلا أن يشري الرجل منهم ثوباً أو يحد سيفاً أو رمحاً، فلما كان اليوم الثالث نادى سليمان بالرحيل فخرج إليه زفر فقال له: إن ابن زياد سمع بخبركم فنزل الرقة وقد وجه إليكم بخمسة من قواده: الحصين بن نمير السكوني؛ وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري؛ وأدهم بن محرز الباهلي؛ وربيعه بن مخارق الغنوي؛ وجبله بن عبد الله الغنوي، وهم في عدة لا طاقة لكم بها، فقال سليمان: على الله توكلنا وعليه فليتوكل المؤمنون، فقال: نعم ما قلت، ولكن هل لكم أن افتح باب مدينة قرقيسيا فتدخلوها، ويكون أمركم وأمرنا واحداً على ابن زياد؟ أو تنزلوا على باب المدينة ونعسكر إلى جانبكم، فإذا جاء ابن زياد قاتلناه جميعاً فعسى أن يظفرنا الله تعالى به، فقال سليمان: إن هذا الذي تقول به قد عرضه علينا أهل بلدنا ولم نتبعه، وكتبه إلينا بعد ذلك أمير

الكوفة فابينا إلا أن نسير إليهم فيحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .
فقال زفر : أما إذا أبيتم ذلك فاقبلوا مني نصيحة ، اعلم أن القوم قد
فصلوا من الرقة فبادروهم الآن إلى عين الوردة فانزلوها واجعلوا المدينة من
وراء ظهوركم والرستاق بين أيديكم ، فانظروا إذا أتوكم فلا تقاتلوهم في
فضاء من الأرض فإني أخاف أن يحيطوا بكم لأنهم أكثر منكم بأضعاف
ولا تصفوا لهم صفوفكم ، فإني لست أرى لكم رجالة تحميكم ؛ ولكن إذا
وافوكم فعبوا كتائبكم واجعلوا منكم مع كل كتيبة كتيبة إلى جانبها فإن
حمل على إحدى الكتيبتين فزالت ، أعانتها الأخرى ، فيكون ذلك أشد
لصفكم وأضعف لصفهم . وأنا أسأل الله تعالى أن ينصركم على هؤلاء
الفاسقين .

فقال له سليمان : جزاك الله من رجل خيراً ، فلقد أكثرت النزل ،
وأحسن الضيافة ، ونصحت في المشورة . فودعهم زفر وسار القوم حتى
نزلوا عين الوردة فقام سليمان خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
يا شيعة آل محمد ! إنه قد أتاكم عدوكم الذي تجدون إليه المسير في آناء الليل
وأطراف النهار ، تريدون بذلك أن تطهروا أنفسكم بالتوبة النصوح إلى ربكم
مما فرطتم في ابن بنت نبيكم ، وقد جئتم إليهم ، وأنتم اليوم في دارهم ،
فانظروا إذا لقيتموهم غداً فاصدقوا القتال واصبروا فإن الله مع الصابرين ،
ولا يولين أحد منكم دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، ولا تقتلوا
مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً إلا أن يقاتلكم ، ولا تدخلوا
داراً إلا بإذن أهلها فإن هذه سنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أهل
هذه الدعوة ، واعلموا أن مروان كانت ولايته تسعة أشهر ، فعبث بها ابن
زياد لمحاربتكم والآن قام ابنه عبد الملك فأقر ابن زياد على ما بعثه أبوه

مروان، وانظروا إذا أنا قتلت فأميركم المسيب بن نجبة، فإن قتل فعبد الله بن سعد، فإن قتل فإخوه خالد، فإن قتل فعبد الله بن وال، فإن قتل فرفاعة بن شداد، فإن قتل فأمر بعضكم إلى بعض، ورحم الله من صدق ما عاهد عليه الله.

ثم دعا سليمان بالمسيب، فضم إليه أربعمئة فارس من أشد فرسان عسكره وقال له: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكر القاسطين فاحمل عليهم، فإن رأيت ما تحب فقاتل، وإلا فانصرف، فسار المسيب ليلاً حتى ابتلع الصبح فرأى أعرابياً، قال: ممن الرجل؟ قال: من تغلب، قال: غلبنا ورب الكعبة! قد أخذنا فالك من فيك، ما اسمك؟ قال: بشير، قال: بشرى ورب الكعبة! كم بيننا وبين القوم؟ فقال: أما أدناهم فعلى ميل منكم وهم أربعة آلاف رئيسهم شرحبيل، ومن ورائهم الحصين في أربعة آلاف؛ ومن ورائهم الصلت بن ناجية في أربعة آلاف، والعساكر متصلة بعضها ببعض، ومعظم العسكر بالرقعة مع عبيد الله بن زياد، فقال المسيب: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم سار حتى أشرف على عسكر شرحبيل، فلما نظر إليه، صاح: ياليوث العراق! كروا، فحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانهزموا هزيمة فاحشة، وقتل منهم خلقٌ كثيرٌ وجرح خلقٌ كثير، وألقى الله في قلوبهم الرعب، ثم رجع المسيب بأصحابه إلى سليمان بن صرد سالمين، وبلغ ابن زياد الخبر فغضب ووجه زهاء عشرين ألفاً إلى عين الورد وأصحاب سليمان ثلاثة آلاف ومائة رجل، فعبا أهل الشام، فكان على ميمتهم عبد الله بن الضحاك الفهري، وعلى ميسرتهم مخارق بن ربيعة، وعلى الجناح شرحبيل ابن ذي الكلاع، وفي القلب الحصين بن نمير، وعبا أهل العراق، فكان على

ميمنتهم المسيب بن نجبة، وعلى ميسرتهم عبد الله بن سعد الأزدي، وعلى الجناح رفاعه بن شداد، وعلى القلب سليمان بن صرد.

وزحف القوم بعضهم إلى بعض، فقال أهل الشام: يا أهل العراق! هلموا إلى الجماعة والطاعة لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فقال أهل العراق: هلموا يا أهل الشام إلى طاعة أهل بيت رسول الله ﷺ وادفعوا إلينا ابن زياد لنقتله كما قتل الحسين ابن بنت رسول الله (عليه وآله السلام) فلما سمع أهل الشام منهم هذا الكلام حملوا عليهم واختلط القوم ورزق الله أهل العراق الظفر عليهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فلما كان من الغد وكان يوم الجمعة اقتتلوا وانتصف بعضهم من بعض، فجعل سليمان ينادي بأعلى صوته: من يطلب بدم الشهيد ابن فاطمة فليبشر بكرامة الله ورضوانه فوالله، ما بينكم وبين الشهادة ودخول الجنة والراحة من هذه الدنيا الدنية إلا فراق هذه النفس الأماراة بالسوء، إلا فمن أراد الرواح إلى ربه والتوبة من ذنبه فإلي إلي.

ثم إن سليمان كسر جفن سيفه وتقدم وهو يقول:

إليك ربي تبت من ذنوبي فقد أحاطت بي من الجنوب
وقد علا في هامتي مشيبي فاغفر ذنوبي سيدي وحبوبي^(١)

ثم حمل على القوم فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة كثيرة ثم قُتل (رحمه الله)، فأخذ الراية المسيب بن نجبة، فقال: أيها الناس! إن سليمان قد صدق ووفى ما عليه، وبقي ما علينا، ثم حمل على أهل الشام فجعل يطعن فيهم ويقول:

لقد منيتم بأخي جلاد ثبت المقام مقعص^(٢) الأعادي

(١) - الحوب: بضم الحاء الاثم. (٢) اقعصه: قتله مكانه كقعصه.

أشجع من ليث عرين عاد ليس بفرار ولا حياء
ولم يزل يقاتل حتى قُتل (رحمه الله)، فتقدم عبد الله بن سعد بن
نسيل الأزدي فاخذ الراية وهو يقول: رحم الله اخوتي ﴿فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ الأحزاب/ ٢٣، ثم حمل وجعل يطعن
في أعراضهم ويقول:

أرحم إلهي عبدك التوبا ولا تؤاخذه فقد أنابا
ومارق الأهلين والأحبابا يرجو بذاك الأجر والثوابا
ولم يزل يقاتل حتى قُتل (رحمه الله)، فتقدم أخوه خالد بن سعد
فحمل الراية ونادى بأعلى صوته: أيها الناس! من أراد الحياة التي ليس
بعدها وفاة، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده
حر، فليتنقرب إلى الله تعالى بجهاد هؤلاء المحلين، ثم حمل عليهم وهو
يقول:

قد علمت ذات القوم الرود أن لست بالواني ولا الرعديد
يوماً ولا بالناكص الحيود لكنني المقدم في الجنود
ولم يزل يقاتل حتى قُتل (رحمه الله)، فاخذ الراية عبد الله بن وال
التميمي ووقف في الميدان وهو يقول: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل
الله أمواتاً بل أحياء﴾ آل عمران/ ١٦٩، ثم حمل حملة قاتل فيها قتالاً شديداً
فقطعت يده اليسرى، فرجع حتى وقف قريباً من أصحابه، ويده تشخب
دماً وهو يتلو: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح
للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ آل عمران/ ١٧٢. ثم حمل عليهم ثانياً
وهو يقول:

نفسي فدتكم اذكروا الميثاقا وجالدوهم واحذروا النفاقا

لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعثاقا
ولم يزل يقاتل حتى قُتل (رحمه الله).

قال: فبينما أهل العراق كذلك، وقد قتل منهم من قتل، وذلك عند زوال الشمس، وإذا بالمشي بن مخرمة العبدى قد وافاهم في ثلاثمائة فارس من أهل البصرة، وكثير بن عمرو الحنفى في مائة وسبعين فارساً من أهل المدائن، فلما نظروا إليهم اشتدت عزيمتهم وقويت نفوسهم، وفرحوا بهم، ثم اجتمعوا في موضع واحد وكبروا وحملوا على أهل الشام، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهزموهم هزيمة قبيحة، ثم تراجع أهل الشام واشتد القتال وأخذ الراية رفاعه بن شداد البجلي وقال:

يارب إنى تائب إليك متكل ياسيدي عليك

أرجو بذاك الخير من يديكا فاجعل ثواب أملى لديكا

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى جرح، فعاد إلى أصحابه مجروحاً فالتفت رجل من كنانة من أهل المدائن إلى أصحابه فقال: يا أهل العراق! والله، مالنا بهؤلاء القوم من طاقة، فارجعوا إلى بلدنا فعسى الله أن يكفينا أمرهم بغيرنا، فقال له عبد الله بن عوف الأزدي: بشما قلت، والله، لو وليناهم الأدبار ليركن اكتافنا فلا نبليغ فرسخاً حتى نقتل عن آخرنا، فإن نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل القرى فقتلوه صبراً، أو أخذوه أسراً فيدفعوه إليهم، ولكن نقاتلهم في يومنا هذا إلى الليل، فإن أمسينا واختلط الظلام ركبنا خيولنا ومضيئنا، فإن تبعونا رجعنا عليهم وعزمنا على الموت، وإن لم يتبعونا مضيئنا ولا أظنهم يتبعوننا.

قال: ثم حمل أهل الشام بأجمعهم على أهل العراق فقتلوا منهم جماعة، قال: وتقدم رجل من أهل الكوفة من كندة يقال له: عبد الله بن

عزیز ومعه ابن له صغير اسمه محمد، فوقف بين الصفين فنادی: یا اهل الشام! هل فيكم أحدٌ من كندة؟ قالوا: نعم، ما تريد؟ قال: أنا رجل من كندة وهذا ابني فخذوه إليكم، فإذا قتلت فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة فإنه لا بد لي من القتال حتى أموت، فنادوه: ياعم! لا تقتل نفسك، هلم إلينا وانت آمن.

فقال الشيخ: لا والله، ما كنت لأرغب عما نويت به، وقد عزَّ علي مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللدين أركاناً، فجعل ولده يبكي، فقال الشيخ لابنه: يا بني! والله، لو كان عندي شيء أثر من طاعة ربي، نكنت أنت، ولو كان رضا ربي في قتلك لقتلتك والله في طاعته، ثم تقدم للقتال وهو يقول:

قد علمت كندة من أعلامها اهل النهى ومن ذي أحكامها
اهل عراقها واهل شامها بأنني الليث لدى زحامها

وحمل فقاتل حتى قُتل (رحمه الله)، وصار ابنه الى الشام، وتقدم عبد الله بن عوف الأزدي إلى الراية فرفعها وقال: أيها الناس! قد بلغني عن قوم منكم يريدون الهرب في ليلتكم هذه، لا والله، لا يراني الله وأنا أولي ظهري عن هذا العدو، دون أن ارد مورد إخواني، لاني قد علمت أنه ليس في هذه الدنيا عوض عن الآخرة.

ثم دنا من صفوف اهل الشام ومعه جماعة من الأزد وحمير وهمدان، فقال اهل الشام: أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم، فقال لهم كريب بن زيد الحميري: يا هؤلاء! إنا كنا آمنين في هذه الدنيا، ولكننا خرجنا لطلب الأمان في الآخرة، ثم التفت الى أصحابه وقال: احملوا عليهم فإنكم بحمد الله

على بصيرة و يقين .

فحمل على أهل الشام ، وحمل أصحابه وكانوا قريباً من مائتي رجل فلم يزالوا يقاتلون حتى قُتلوا عن آخرهم ؛ فتقدم صحير بن حذيفة المولى وكان من خيار أهل الكوفة وزهادهم ومعه نيف وثلاثون رجلاً من بني عمه ، فقال : يا قوم ! لا تهابوا الموت فإنه لا فيكم ، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها فإنها لا تبقى لكم ، ولا تزهّدوا فيما دعيتم إليه من ثواب ربكم ، فما عند الله خير وأبقى ، ثم حمل أمام قومه وهو يقول :

بؤساً لقوم قتلوا حسيناً بؤساً وتعساً لهم وحيناً

ارضوا يزيد ثم لا قوا شيئاً ولم يخافوا بغيهم علينا

فقاتل هو وقومه من عشيرته حتى قتلوا ولم يبق منهم إلا رجلٌ كان يقاتلهم بشدة يتقونه منها ، فقالوا له : ويلك من أنت فقد اعجزتنا؟ فقال : الويل لكم أنا من بني آدم ! وحمل عليهم وهو يقول :

إني إلى الله من الذنب أفر ولا أبالي كل ما كان قدر

أنوي ثواب الله فيما قد أثر واضرب القرن بمصقول بتر

ثم حمل عليهم فأحدقوا به فقتل ، فعرفه رجل من أهل الشام وقال : ويحكم ! هذا عبد الله بن عبيد الرافعي ، فارس مزينة قاطبة .

قال ولما هجم الليل عليهم قام رفاعه بن شداد ، فقال : يا أهل العراق ! إنكم قد علمتم أنا وافيئنا هذا الموضع ونحن ثلاثة آلاف ومائة رجل ، ووافانا أهل البصرة والمدائن في أربعمائة وسبعين رجلاً ، وقد بقي منا سبعمائة رجل ، فإن صبحنا القوم غداً فقاتلناهم لم يبق منا أحد ، وإنما أنا رجل منكم ، وقد أحببت أن أرزق الشهادة والحق بإخواني ، وقد أبت المقادير ذلك ، فهاتوا آراءكم وتكلموا بما عندكم .

فقال القوم: رأينا لك تبع، والرأي أن نتنحى من بين أيديهم، فإنه لا طاقة لنا بهم، وأخرى أنهم عرفوا حربنا فلا يتبعونا، ونحن نرجو أن يتحرك المختار فيكفيننا إياهم بعد هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فعزموا على التنحي، ودفنوا قتلاهم ليلاً، وسووا عليهم الأرض كيلا يعرفوا وينبشون وتؤخذ رؤوسهم، ثم إنهم ساروا ليلاً وأصبح أهل الشام فلم يروا منهم أحداً، فأخبروا الحصين بن نمير فلم يبعث خلفهم أحداً، وكتب بذلك إلى ابن زياد بالرقعة، ورجعوا إلى الرقة، وسار أهل العراق حتى صاروا إلى قرقيسيا، فأخرج لهم زفر من الطعام واللحم وغيره مما يحتاجون إليه كما أخرج أولاً، وأرسل إليهم الأطباء فداووهم من جراحاتهم، فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى استراحوا ثم ساروا إلى هيت، وقد مات منهم جماعة، ثم خرجوا يريدون الكوفة فما بلغوها إلا وهم خمسمائة أو أقل، فخرج عبد الله بن يزيد الأمير، فعزاهم عن إخوانهم، وخرج إليهم المختار فعزاهم، وقال لهم: ابشروا فقد قضيت ما عليكم وبقي ما علينا، ولن يفوتنا ما بقي منهم إن شاء الله، ولئن أخرج الله لي الأجل لأخذت ثاركم وثار إخوانكم عن قريب، فلا تعجلوا فإن الله مع الصابرين.

ذكر

خروج المختار وقتله قتلة الحسين عليه السلام

قال : وعزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد الانصاري عن الكوفة وولى عبد الله بن مطيع العدوي ، وذلك في شهر رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لثلاث بقين من الشهر فدخل قصر الامارة فلما كان من الغد نادى في الناس ان يحضروا المسجد الاعظم ، فحضروا ، وفيهم المختار وجماعة من اصحابه الذين كانوا بايعوه فصعد ابن مطيع المنبر وحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : يا اهل الكوفة ! ان امير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني اميراً عليكم وامرني بحيطة مصركم وجباية فيئكم ، وان لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم ، وان استن فيكم بسنة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، فاتقوا الله عباد الله ، واستقيموا ولا تخافوا وخذوا على ايد سفهائكم ، وإن لم تفعلوا فلا تلوموني ولوموا انفسكم ، فوالله ، لاقimen إود المرتاب .

فالتفت المختار إلى من حوله من الشيعة فقال: إِنَّ ابْنَ مطيع قد تكلم بما سمعتم، فقوموا إليه وردوا عليه ولا تمهلوه، فقام السائب بن مالك الأشعري فقال: أيها الأمير! إنا قد سمعنا كلامك وما أمرك به أمير المؤمنين، ونحن لا نرضى أن تحمل عنا فيئنا؛ ولكن يكون في فقرائنا، فأما ما ذكرت من سيرة عمر وعثمان فإننا لا نقول فيهما إلاّ خيراً غير أننا نحب أن تسير فينا بسيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فليس هو عندنا بدونهما فإن فعلت ذلك وإلاّ فلست عندنا بأمير، ولا نحن لك برعية.

وتكلم عامة الناس بمثل ما تكلم به السائب، وقالوا له وهو يتكلم: أحسنت أحسنت، فوالله، لقد ذهبت بفضلها، وقالوا له بعد ذلك: أحسنت لا يعدمك المسلمون! ثم تكلموا، فقال ابن مطيع: يا هؤلاء! اسكتوا فإننا لا نسير بكم إلاّ بما تحبون، ثم نزل عن المنبر ودخل منزله، فأتاه أياس بن مضارب العجلي وهو صاحب شرطته، وقال: أصلح الله الأمير إن هذا الذي اعترض عليك في المسجد هو من رؤساء أصحاب المختار، ولست آمن المختار أن يخرج عليك في عملك هذا، ولكن ابعث إليه الساعة فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس، فإنه غير مأمون على بليته، ومعه قوم من أهل مصر ك هذا قد بايعوه سرّاً، وكاني به قد خرج عليك ليلاً أو نهاراً فخذ حذرك منه، فدعا ابن المطيع برجلين من أصحابه وهما: زائدة بن قدامة والحسين بن عبد الله الهمداني، فقال لهما: انطلقا إلى المختار فادعوه لي فجاءا إليه ودخلا عليه وسلّما، ثم قال لهما: أجب الأمير يا أبا إسحاق! فإنه يدعوك لأمر ندب فيه وأحبّ مشورتك، وغمزه زائدة بن قدامة وقرأ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ الانفال/ ٣٠.

ففهم المختار فقال: يا غلام الق عليّ ثوباً ثقيلاً فإنني أجد في بدني رعدة

شديدة، ثم رمى بنفسه على فراشه، وقال: ارجعوا إلى الأمير فاعلموا حالتي وما أجد في بدني من هذه القرعة^(١).

فقال زائدة: أما أنا ففاعل ذلك يا أبا إسحاق، فقال المختار: وأنت يا أخا همدان فاعذرني عنده فإنه خير لك عندي، فقال: افعل ذلك إن شاء الله، ولا أبلغ الأمير عنك إلا ما تُحب، وخرجوا، فقال الهمداني إلى زائدة: قد علمت أنك الذي غمزته، وكان قد تهيا أن يصير إلى الأمير، وأمر بإسراج دابته والرأي ما فعلت، والله، إنا لا ندري ما يكون منه، ولعله يخرج عدا فلا يبدأ إلا بنا، ثم دخلا على الأمير فأخبراه بعلّة المختار فصدقهما ونسي ذكر المختار.

وقيل: بل بعث للمختار ثلاثة، ثالثهم مروان بن سهل - وكان من خيار الشيعة - فهاجموا عليه داره، ومروان يقرأ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ﴾ الآية، فسمعه المختار وعلم أنه مطلوب، فخرج من الدار ولم يقدرُوا عليه، وتوارى إلى أن خرج، قال: وجعل المختار يجمع أصحابه ويقول، تهساوا وكونوا على أهبة من الخروج والطلب بدماء أهل البيت عليه السلام، فيقولون: نحن على ذلك، فانهض متى شئت.

ثم اجتمعت الشيعة في منزل عبد الرحمن بن شريح الهمداني، وقالوا: إنا قد بايعنا هذا الرجل، وقد زعم أن محمد بن الحنفية هو الذي أرسله إلينا، ولسنا ندري أصادق هو أم كاذب؟ فلا عليكم أن تبعثوا إلى محمد بن علي فتخبروه، فإن رخص في اتباعه اتبعناه وإن نهانا اجتنبناه، فخرج جماعة وقدموا على محمد فسلموا عليه فقال: ما أقدمكم منة في غير وقت الحج؟ قالوا: جئناك لمهمة، قال: أعلانية هي أم سر؟ قالوا: سرأ!

(١) القرعة: البردة الشديدة من المرض.

فتنحى معهم فتقدم إليه عبد الله بن شريح الهمداني - وكان من وجوه الشيعة في الكوفة -، فقال: جعلت فداك إنكم أهل بيت خصكم الله بالفضل، وأما عنكم الجهل، وأكرمكم بفضل النبوة، وعظم حقكم على هذه الأمة، فلا يجهل حقكم إلا مغبون، وقد أصبتم بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهي مصيبة قد خص بها المؤمنون، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد الثقفي فذكر: أنه قد جاءنا من قبلك وأنت أرسلته إلينا ليطلب بدم الحسين، وهو مقيم بين أظهرنا من قبل قتل سليمان بن صرد وأصحابه، وقد بايعناه وعزمنا على الخروج معه، غير أنا أحببنا أن نستطلع رأيك في ذلك، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا اجتنبناه.

فقال محمد بن الحنفية: أما ما ذكرت من الفضل الذي خصنا الله به فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم، وأما ما ذكرت من مصيبة أبي عبد الله فإن ذلك كان في الزبر الأولى والذكر الحكيم، وهي ملحمة كتبت عليه، وكرامة من الله أهداها إليه لكي يُضاعف له الحسنات ويرفع له الدرجات، وأما ما ذكرت من أمر المختار فوالله، لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، فودَّعه القوم وخرجوا وهم يقولون: قد رضي بذلك، ولولا أنه رضي لكان نهانا.

وسار القوم فدخلوا الكوفة، وكان المختار قد علم بخروجهم فشق ذلك عليه، وخشي أن يأتوا من محمد بما يخذل عنه الناس، فلما جاءوا سألهم المختار فقالوا: قد أمرنا باتباعك والخروج معك فقال: الله أكبر! أنا أبو إسحاق، أنا مبيد الفاسقين، وقاتل المحلّين، وأعلمت الشيعة بعضهم بعضاً بالخير الذي جاء من محمد، فلم يبق بالكوفة شريف ولا وضيع ولا عربي ولا مولى ممن يعرف بمحبة أهل البيت إلا بايعه سرّاً ما خلا عبيد الله بن

الحر الجعفي وإبراهيم بن مالك الاشر، فلما بلغهما أن محمد بن علي قد رخص الشيعة بالخروج معه، أحب عبيد الله بن الحر أن يسبق إلى بيعته ف جاء إليه وبايعه وتباطأ إبراهيم بن مالك .

فقال المختار لأصحابه : ما تقولون في ابن الاشر؟ فقالوا : هو سيد قومه اليوم بهذا المصر، فإن ساعدنا على أمرنا رجونا القوة على عدونا، فإنه رجل شريف بعيد الصوت في قومه، ذو عدد في عشيرته وعز، قال : فصيروا إليه وكلموه بما نحن عليه من الطلب بدم الحسين عليه السلام، فإن فعل وإلا صرت إليه بنفسه، فخرج إليه جماعة فيهم : أبو عثمان النهدي ؛ وعامر الشعبي ؛ وأشباههما من ذوي العلم، وصاروا إلى إبراهيم فدخلوا عليه فادناهم وقربهم، ورفع مجالسهم وقال : الكم حاجة فتكلموا رحمكم الله؟ فقال يزيد بن أنس النخعي وكان من الأبطال - : يا أبا النعمان ! إنا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك، فإن قبلته كان الحظ فيه لك، وإن تركته فقد أديننا إليك النصيحة، ونحن نحب أن تكون كلمتنا مستورة .

فتبسّم وقال : إن مثلي لا تخاف غايلته، ولا تخشى سعايته، ولا يتقرب إلى سلطانه، باتباع مصائب إخوانه، وإنما يفعل ذلك الصغار لا ذوو الأخطار، فقولوا ما أحببتم، فقال يزيد : صدقت لعمري، إنا ندعوك لأمر قد اجتمع عليه الملا من إخوانك، ندعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله، والطلب بدماء أهل البيت، وقتال المحلّين والدفع عن المستضعفين من آل رسول الله رب العالمين، ثم قال أحمد بن شميطة البجلي نحواً من ذلك، فقام لهم إبراهيم : قد أجبتكم إلى الطلب بدماء أهل البيت على أنكم تولوني هذا الأمر، فقال يزيد : إنك والله، لأهل لذلك، ولكننا بايعنا هذا الرجل - يعني المختار - لأنه قد جاءنا من عند أبي القاسم محمد بن علي، فهو

الأمير والمأمور بالقتال، وقد أمرنا بطاعته وليس إلى خلافه من سبيل، فسكت إبراهيم ولم يجبههم، فانصرفوا عنه وأخبروا المختار، فسكت ثلاثة أيام، ثم دعا بجماعة ممن يثق بهم وخرج بهم ليلاً حتى أتى منزل إبراهيم بن مالك الاشر، فاستأذن عليه ودخل فألقيت له الوسائد، وأجلس إبراهيم المختار على فراشه، ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا أبا النعمان! فإنني إنما قصدتك في وقتي هذا لأنك سيد قومك اليوم في هذا المصر، ولعله قد بلغك أني لم أصر إلى أحد في منزله أدعوه إلى هذا الأمر سواك، وهذا كتاب المهدي محمد بن علي الوصي، وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خيرها قبل اليوم، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا حتى نأخذ بدم أخيه الحسين وولده وإخوته وشيعته، فإن فعلت فقد أصبت حظك وأوتيت رشدك، وإن أبيت فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهدي وشيعته عنك.

فقال إبراهيم: وأين الكتاب؟ فقال المختار: يا شعبي! ادفعه إليه، فقام الشعبي إلى إبراهيم وأعطاه الكتاب، ففضّه وقراه، فإذا فيه: من محمد المهدي بن علي الوصي إلى إبراهيم بن مالك الاشر، سلام عليك.

أما بعد فقد وجهت إليك بوزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي المختار ابن أبي عبيد الثقفي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدم أخي وأهل بيتي، فانهض معه بنفسك وقومك وعشيرتك، فإنك إن أطعني وساعدت وزيري كانت لك عندي يدٌ عظيمة، ولك بذلك أعنة الخيل من كل جيش غازٍ وكل مصرٍ وكل منبرٍ وثغرٍ غلبت عليه من أرض الكوفة، إلى أقاصي الشام ومصر، ولك بذلك عليّ الوفاء وعهد الله وميثاقه، وإن أبيت ذلك هلك

هلاكاً لا تستقيله أبداً، والسلام على من اتبع الهدى .

فلما فرغ من قراءة الكتاب قال : يا أبا إسحاق ! إني كتبتُ إلى محمد قبل اليوم وكتب إلي فما كان يكاتبني إلاَّ باسمه واسم أبيه ، وقد أنكرت في هذا قوله : المهدي ! ، فقال : صدقت يا أبا النعمان ! ذلك زمان وهذا زمان ، فقال : يا أبا إسحاق ! فمن يعلم أن هذا كتاب محمد بن علي ؟ فقام بضعة عشر رجلاً من الشيعة فقالوا : نشهد أن هذا الكتاب من محمد بن علي إليك .

فقال إبراهيم : حسبي بهم شهوداً ، ابسط يدك يا أبا إسحاق ! فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ثم دعا بأطباق فيها فاكهة كثيرة فاكلوا منها ، ثم دعا بشراب من عسل وخل فشربوا منه ، ثم قال إبراهيم : يا غلام ! علي بدواة وبياض ، فأحضرت ، فقال : يا شعبي ! اكتب لي أسماء هؤلاء الشهود ؟ فقال الشعبي : وما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال : أحبُّ أن تكون معي أسماؤهم ، فكتب الشعبي أسماءهم ودفعتها إليه ، ثم قام المختار فخرج إبراهيم مشيعاً إلى باب الدار ، ومضى المختار إلى منزله ، ولما أصبح أرسل على الشعبي ، وقال : قد علمت أنك لم تشهد البارحة بما شهد به أصحابي ، لا أنت ولا أبوك شراحيل ، فما منعكما من ذلك ؟ فسكت الشعبي ولم يجب ، فقال المختار : تكلم يا عامر ! أترى أن هؤلاء القوم الذين شهدوا البارحة على حق أم باطل ؟ فقال الشعبي : لا والله ، يا أبا إسحاق ! ما أدري غير أنهم سادات أهل العراق ومشیخة أهل هذا المصر وفرسان الناس وكبراء العرب ، فما أظن أنهم شهدوا إلاَّ بالحق .

فتبسم المختار وقال : إنهم والله ، لم يجدوا بداً من ذلك ، وعسى الله أن يأتي بالفرج لأهل بيت نبينا على يدي ، ثم انصرف الشعبي إلى منزله

واعتقد أنَّ الكتاب كان مزوراً وأنَّ المختار هو الذي كتبه .

وذكر أبو مخنف : أنَّ عامر الشعبي قال : كنت والله ، متهماً لشهادتهم ، غير أنه كان يعجبني الخروج معهم ، وكنت أرى رأي القوم في قتال قتلة الحسين ، وأحبُّ تمام الأمر ، ولم أطلع المختار على ما في نفسي ، وجعل إبراهيم يختلف إلى المختار كل ليلة وينصرف إلى أن اجتمعت آراؤهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ، فوطنوا أنفسهم على ذلك ، وأقبل أياس بن مضارب العجلي إلى عبد الله بن مطيع - وهو صاحب شرطته - ، فقال : إن المختار خارج عليك لا محالة فإن إبراهيم الأشتر قد بايعه سرّاً ، واشتمل ديوانه على بضعة عشر ألف رجل ما بين فارس وراجل ، فخذ حذرَكَ ! فأرسل ابن مطيع إلى قواده فجمعهم في قصر الأمانة ، ثم أخبرهم الخبر وقال : أريدُ منكم أن يكفيني كل واحد منكم ناحيته التي هو فيها ، فإن سمعتم الأصوات قد علت في جوف الليل فوجهوا إليهم الخيل وأكفوني أمرهم .

فقالوا : نفعل ذلك أيها الأمير ! ولا يهولنك أمر المختار ، فإنما بايعه شردمة قليلة من هؤلاء الترابية ، وخرجوا منه ، فصار عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني إلى جبانة السبيع من همدان ؛ وصار كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانة بشير ؛ وصار زحر بن قيس إلى جبانة كندة ؛ وصار شمر ابن ذي الجوشن الضبابي إلى جبانة سالم ؛ وصار عبد الرحمن بن منقذ إلى جبانة الصيдаيين ؛ وصار يزيد بن الحرث بن رويم إلى جبانة مراد ، وصار شبت بن ربعي إلى السبخة ، فنزل هؤلاء القواد في هذه المواضع من الكوفة يوم الاثنين من شهر ربيع الآخر ، في الآلة والسلاح ، وخرج إبراهيم ابن الأشتر ليلة الثلاثاء إلى المختار ، وقد بلغه أنَّ تلك الجبانات شحنت بالخيـل

والرجال، وأنَّ الشرط قد أحاطوا بالأسواق، فسار في مائة رجل من بني عمه عليهم الدروع قد ظاهرها بالاقبية، حتى إذا جاوز دار عمرو بن حريث إلى دار سعيد بن قيس، ثم إلى درب أسامة استقبلهم أياس بن مضارب العجلي صاحب الشرطة في نفر من أصحابه وفي أيديهم السلاح والحرا، فقال: من هؤلاء؟ فقال له إبراهيم: نحن هؤلاء، فامض لشأنك! فقال أياس: وما هذا الجمع الذي معك يا بن الأشر؟ فوالله، إنَّ أمرك لمزيب، وقد بلغني أنك تمرُّ هاهنا في كل ليلة بجمعك هذا، فوالله، لا تزايدني حتى آتي بك إلى الأمير عبد الله بن مطيع فيرى فيك رايه، فقال إبراهيم: خل ويحك سبيلنا وامض لشأنك، أنت تمضي بي إلى الأمير، ياماص بضر أمه^(١)؟ قال: نعم! فقال إبراهيم: يا عدو الله! ألسنت من قتلة الحسين بن علي؟ ثم التفت إلى رجل من أصحاب أياس يكنى أبا قطن الهمداني، فتناول رمحه من يده وطعن أياس طعنةً في صدره نكسته عن فرسه، ثم قال لأصحابه: انزلوا فخذوا رأسه، فنزل بعض أصحابه فاحتز رأسه، ومر أصحاب أياس هرباً على وجوههم، وأتى إبراهيم إلى المختار فقال: قم أيها الأمير! فقد كنا عزمنا على أن نخرج ليلة الخميس، وقد حدث أمرٌ فلا بدَّ معه من الخروج الساعة، فقال المختار: وما الأمر رحمك الله؟ فحدثه الحديث، فقال المختار: بشرك الله بخير فهذا أوَّل الظفر.

ثم صاح المختار برجل من أصحابه فقال: ياسعيد بن منقذ! قم فاشعل النار في هراوي^(٢) القصب، وقم أنت يا عبد الله بن شداد! فناد في الأزقة: يامنصور أمت!^(٣)، وقم أنت ياسفيان بن ليلى فناد في الناس بها، وقم أنت

(١) البظر: الفرج - فهي كلمة تقولها العرب إستحقاراً.

(٢) الهراوي: أعواد القصب وغيره المجموعة كالاطنان.

(٣) يامنصور أمت: شعار في الحرب للنبي وعلي (عليهما السلام).

ياقدامة بن مالك! فناد في الناس: ياشارات الحسين بن علي! ثم قال:
ياغلام! عليٌّ بدرعي وسلاحي، فصب الدرع على بدنه وهو يتمثل بقول
مروان بن الحكم:

قد علمت بيضاء حسناء الكلل واضحة الخدين عجزاء الكفل
إني غداة الروح مقدم بطل لا عاجز فيها ولا وغد فشل
ثم خرج المختار من منزله على فرس له أدهم أغرّ محجلٍّ ومعه إبراهيم
على كميت له أرثم^(١) وقد رفعت بين أيديهم النيران في هراوي القصب،
والناس ينادون من كل ناحية وجانب: ياشارات الحسين! فاجتمع الناس
إلى المختار من كل جهة، وجاءه عبيد الله بن الحر في قومه وعشيرته، وجعل
إبراهيم بن مالك يدخل السكك التي فيها الأمراء والقواد والجند الكثير،
فيهجم عليهم هو والمختار وعبيد الله بن الحر، فيكشفونهم مرةً بعد أخرى،
والمختار يقول: اللهم! إنك تعلم أنا إنما غضبنا لأهل بيت نبيك فانصرنا على
من قتلهم وظلمهم، وتم لنا دعوتنا إنك على كل شيء قدير.

فبينا هم كذلك وإذا بسويد بن عبد الرحمن من أصحاب عبد الله بن
مطيع قد أقبل في خيل عظيمة وجحفل لجب، فنظر إليهم إبراهيم، وقال
للمختار: مكانك أيها الأمير! ذرني وهؤلاء، ثم نادى إبراهيم في أصحابه:
ياشرطة الله! إليّ إليّ، فأحاط به قومه من قبائل مذحج والنخع، فقال لهم:
انزلوا عن دوابكم فأنتم أولى بالنصر والظفر من هؤلاء الفساق الذين
خاضوا في دماء آل محمد عليهم السلام، فنزل القوم ونزل معهم إبراهيم، ثم دنوا
من القوم فطاعنوهم وضاربوهم فهزموهم حتى بلغوا بهم إلى الكناسة،
فاستوى إبراهيم وأصحابه على دوابهم، وجاءوا إلى المختار على مسجد

(١) الارثم: الفرس الذي في طرف أنفه بياض.

الاشعث بن قيس، ثم على مسجد جهينة، ثم بلغوه فراوا شبت بن ربيعي وحجار بن أبجر قد أقبلًا بأصحابهما نحو المختار، فكبر إبراهيم وأصحابه تكبيرة واحدة وحملوا عليهم، فاشتد القتال وكثرت القتلى من أصحابهما ثم انهزما بجنديهما حتى تفرقا بالازقة والسكك، ثم أقبل أبو عثمان النهدي في بني نهد، وبيده راية صفراء، وهو ينادي: يا ثارات الحسين بن علي! إليّ إليّ أيها المهتدون! فثاب إليه الناس من كل ناحية، فحمل على أصحاب عبد الله بن مطيع فاشتد القتال، ولم يزل الناس في تلك الليلة الداجية المسدولة أطرافها في قتال شديد وحرب وطعن، حتى لقد نسوا والله فيها ليلة الهرير بصفين إلى أن أصبحوا، فنظر المختار إلى عمود الفجر قد طلع، فنادى في أصحابه وخرج بهم عن الكوفة حتى نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة.

٨ - وروى أبو مخنف: عن الوالبي؛ وحميد بن مسلم؛ والنعمان بن أبي الجند، أنهم قالوا: أتينا المختار في معسكره فصلّى بنا الفجر بغلس فقرا بنا: ﴿والنازعات غرقاً﴾، و﴿عبس وتولى﴾ فما سمعنا والله إماماً قط أم قوماً بأفصح لهجة منه، والتأم قومه هنالك وجاءوا أفواجاً إليه من النواحي والجوانب على كل صعب وذلول، وعبد الله بن مطيع يوجه إلى نحوه الزحوف كردوساً كردوساً، فأولهم زحف شبت بن ربيعي في أربعة آلاف؛ ثم راشد بن أياس بن مضارب العجلي في ثلاثة آلاف؛ ثم حجار بن أبجر في ثلاثة آلاف؛ ثم الغضبان بن القبعثري في ثلاثة آلاف؛ ثم شمر بن ذي الجوشن في ثلاثة آلاف؛ ثم عكرمة بن ربيعي في ألف؛ ثم شداد بن المنذر في ألف؛ ثم عبد الرحمن بن سويد في ألف، واجتمع أصحاب المختار فكانوا عشرين ألفاً أو يزيدون، وأشرف رجل من أصحاب المختار على حائط

من حيطان الكوفة، فجعل ينظر في هذه العساكر، فقوم صلوا وقوم لم يصلوا بعد، وإذا إمام القوم يقرأ بهم سورة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾، فقال: أرجوا أن يزلزل الله بكم الأرض سريعاً. ثم قرأ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾، فقال: أرجوا أن تكون الغارة عليكم سريعاً.

قال: وأقبل مسعر بن أبي مسعر الحنفي إلى المختار فقال: أيها الأمير! وافتك العساكر يتلو بعضها بعضاً مستعدين للحرب عازمين على الموت فاصنع ما أنت صانع.

فقال له المختار: لا تخف يا أخا حنيفة! فإن الله تعالى كاسر شوكتهم وهازمهم الساعة، وأصحرت العساكر إلى المختار، فكان كلما نظر إلى قائد من قواد ابن مطيع وجه إليه قائداً من قواده بمثل قوته وعدده، فاشتد القتال وعلت الأصوات وارتفع الغبار، فجعل إبراهيم يحمل من ناحية؛ وعبيد الله بن الحر من ناحية أخرى، والمختار تارة يحرض على القتال ويشجع الأبطال، وتارة يحمل بنفسه على الرجال، حتى إذا كان وقت الضحى انهزم أصحاب ابن مطيع هزيمة شنيعة، وقتل منهم جماعة فصاح شيبث بن ربعي: ويلكم يا حماة السوء! أتنهزمون من عبيدكم وأراذلكم؟ فتراجع الناس واقتتلوا ساعة، ثم انهزموا ثانياً حتى دخلوا أزقة الكوفة، فوقف المختار على أفواه السكك، وأمر أصحابه بالنزال والقتال، فاقتتلوا هناك قتالاً لم يسمع بمثله، وجعل السائب بن مالك الأشتر أخو إبراهيم يصيح: يا شيعة آل محمد! إنكم كنتم قبل اليوم تقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف وتسلم أعينكم، وتصلبون أحياء على جذوع النخل، وأنتم إذ ذلك في منازلكم لا تقتلون أحداً من هؤلاء، فما ظنكم بهم اليوم بعد هذا القتل، فهم لو ظهروا عليكم ماذا يفعلون بكم؟ فالله الله، في أنفسكم وأولادكم وأهاليكم،

قاتلوا اعداء الله المحلّين فلا ينجيكم اليوم إلاّ الصدق واليقين والطعن الشرر،
والضرب الهبر، ولا يهولنكم ما ترون من عساكرهم فإنّ النصر مع الصبر .
فلما سمع أصحابه ذلك رموا بأنفسهم عن دوابّهم وجثوا على
الركب، وأشرعوا الرماح وجرّدوا الصفاح وفوّقوا السهام، فثار القتال،
واصطفقوا بالسيوف اصطفاقاً، وتشابكوا مع الاعداء اعتناقاً، وصبر
بعضهم لبعض، فقتل من الفريقين جماعة، ثم انهزم أصحاب ابن مطيع،
فاقتحم المختار الكوفة، فتصايحت النسوان وعلت الاصوات بطلب الامان،
من العجائز والصبيان، من فوق السطوح وكل مكان، ونادوا: يا ابا
إسحاق! الله الله في الحرم، فصاح المختار: لا بأس عليكم الزموا منازلكم،
فأنا المسلط على المحلين. وجعل عبد الله بن مطيع يصيح: إنّ من العجب
عندي عجزكم عن عصبه منكم قليل عددها، خبيث دينها، ضالة مظلة،
يقاتلون على غير الحقّ، جراءة على هذا الخلق، كرّوا عليهم وامنعوا حريمكم
ومصركم.

فبينا هو يحرض أصحابه ويشجعهم إذ بإبراهيم وعبيد الله بن الحر قد
أقبلا في نحو أربعة آلاف فارس لا يرى منه إلاّ الحدق، فلما نظر إبراهيم إلى
ابن مطيع صاح: أنا ابن الاشر، أنا الافعى الذكر، ثم قال لأصحابه: شدّوا
عليهم، فداكم أبي وخالي، ولا يهولنكم أسماء قوادهم شبت وحجار
وسويد وفلان وفلان فوالله، لو اذقتموهم شبا الرماح؛ وحد الصفاح؛ لما
وقفوا لكم أبداً، احمّلوا عليهم فداكم أبي وأمي. وحمل فتبعه ابن الحر
وتبعه المختار وتبعه أصحابه معهم، حملة واحدة فانهزم أصحاب عبد الله بن
مطيع الى باب المسجد الجامع، ودخل عبد الله وغلماناه وحشمه وخواص
أصحابه قصر الامارة وأغلقوا بابه.

قال أبو مخنف: إن رؤساء أهل الكوفة والقواد دخلوا معه القصر، غير عمرو بن حريث فإنه فرَّ إلى البادية فما عرف له أثر، ولما أُغلق باب القصر تفرق الناس إلى منازلهم هاربين، وأقبلت أهل الخيل إلى القصر فأحاطت به، فقال عبد الله بن مطيع: أيها الناس ربما غلب أهل الباطل على أهل الحق، فقد ترون غلبة المختار علينا فأشيروا برأيكم.

فقال له شيبث بن ربعي: الرأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ثم تخرج ونخرج معك بأمانك، وإلا دام الحصار علينا في القصر ولم يشعر بنا أحد، فقال ابن مطيع: ويل لك ولرايك السخيف! آخذ لنفسي أماناً وأمور أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير مستقيمة بالحجاز وأرض البصرة والشرق عن آخرها؟ فقال شيبث: أيها الأمير! فخرج من القصر ولا يشعر بك أحد، وصر إلى من تثق به من أهل هذا المصر فتنزل عنده أياماً حتى يسكن شرُّ المختار وشر أصحابه فتخرج أنت وتلحق بصاحبك، ووافقه على هذا الرأي عامة من كان عنده من الرؤساء.

فعزم ابن مطيع على ذلك، فلما جاء الليل جمع ابن مطيع أصحابه وقال لهم: إنني رأيت أن أخرج من هذا القصر، فلا يتبعني أحد، ثم خرج متنكراً في زي امرأة، فأخذ على درب الروميين حتى صار إلى دار أبي موسى الأشعري فدخلها، وعلم به آل أبي موسى فأووه وكتموا عليه أمره، وأصبح من كان في القصر من أصحابه يضجون ويطلبون الأمان، فأعطاهم إبراهيم الأمان فخرجوا بالأمان إلى المختار فبايعوه وأخبروه بخروج ابن مطيع، فقال المختار: وما علينا من ابن مطيع؟ ذاك رجلٌ كان بالكوفة أميراً فلم يجد بداً من القتال. ثم نادى المختار في الناس، فأعطاهم الأمان وبايعه الناس أجمعون، ثم فتح بيت مال الكوفة فوجد فيه تسعة آلاف درهم

ففرقها على الناس وحبس عنده ألف ألف درهم.

وذكر أيضاً أبو مخنف: أن المختار سمع صوتاً عالياً يناديه ويقول:

أمن عليّ اليوم يا خيرَ معد وخير من حلّ بشحر والجند

وخير من زكى وصلى وسجد بعد الرسول والوصي المعتمد

فسأل عنه، فقالوا: من السجن، فأحضره فإذا هو سراقه بن مرداس

وكان قاتل قتالاً شديداً فحبس، فلما مثل بين يديه قال:

الا ابلغ ابا إسحاق إنا نزونا نزوةً كانت علينا

خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً فكان خروجنا بطراً وحيناً

لقينا منهم ضرباً طلحفي^(١) وطعنا مكبداً حتى اثنيينا

نصرت على عدوك كل يوم بكل كتيبة تنعى حسينا

كنصر محمدٍ في يوم بدر ويوم الشعب إذ وافى حنينا

فأسجح إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا

تقبل توبةً مني فإني سأشكر إذ جعلت النقد دينا

قال: فعفا عنه، وهذا سراقه هو الذي قال للمختار: رأيتُ الملائكة

يقاتلون معك، فقال له المختار: كذبت يا عدو الله! اخرج من الكوفة إلى أي

بلد شئت ولا تساكني في الكوفة، فخرج إلى البصرة.

قال: ثم نادى المختار: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد،

وخرج المختار من قصر الامارة إلى المسجد فصعد المنبر، وقال:

الحمدُ لله الذي وعد وليّه بالنصر والظفر، وكتب لعدوه الخسر والخذل

والختر، وجعل ذلك إلى آخر الدهر قضاءً مقضياً. ووعداً مأتياً، وقولاً

(١) الطلحفي: الضرب الشديد.

مقبولاً، وأمرأ مفعولاً، وقد خاب من افتري، أيها الناس! إنه قد مدت لنا غاية، ورفعت لنا راية، فقليل لنا في الـراية: أن ارفعوها ولا تضعوها؛ وفي الغاية: أن خذوها ولا تدعوها، فسمعنا دعوة الداعي، وقبلنا قول الراعي، فكم من باغٍ وباغية، قتل في الواغية، ألا بعداً لمن طغى، وجحد وبغى، وأدبر وعصى وكذب وتولى، ألا فهلموا عباد الله إلى بيعة الهدى، ومجاهدة الأعداء، والذب عن السعداء، من آل محمد المصطفى.

فأنا المسلط على المحلّين، والطالب بدم ابن بنت الرسول الأمين، أما ومنشئ السحاب، شديد العقاب، سريع الحساب، منزل الكتاب، العزيز الوهاب، القدير الغلاب، لانبشّن قبر ابن شهاب، المجتري الكذاب، المفترى المرتاب، ولانفين الأحزاب، إلى بلد الأعراب.

أما والذي جعلني بصيراً، ونور قلبي تنويراً، لاحقرن بالبصرة دوراً، ولانبشّن بها قبوراً، ولاشفين بها صدوراً، ولاقتلن بها جباراً كفوراً، ملعوناً غدوراً، وكفى بالله نصيراً. أما ورب الحرم، والبيت المحرم، والركن المستلم، والمسجد المعظم، ونون والقلم ليرفعن عن قريب لي علم، من الكوفة إلى ذي سلم، من العرب والعجم ولاتخذنّ من تميم أكثر الاماء والخدم.

ثمّ نزل عن المنبر فصلّى بالناس ودخل قصر الامارة فدخل إليه الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله، والطلب بدماء آل محمد (صلّى الله عليه وعليهم وسلّم)، وهو يقول: تقاتلون من قاتلنا، وتسالمون من سالمنا، والوفاء عليكم ببيعتنا، لانقيلكم ولا نستقيلكم، حتى بايعه العرب والموالي على ذلك، واتصل المختار: أن عبد الله بن مطيع في دار آل أبي موسى الأشعري، فدعا عبد الله بن كامل ليلاً ودفع إليه عشرة آلاف درهم وقال

له : ادخل على عبد الله بن مطيع فاقراه مني السلام ، وقل له : يقول المختار :
 قد علمت بمكانك وليس مثلي سييء إلى مثلك ، وقد وجهت إليك بما
 تستعين به على سفرك فخذهُ والحق بصاحبك ، فخرج عبد الله بن مطيع في
 جوف الليل . واستحى أن يصير إلى مكة من حيث عبد الله بن الزبير ، فصار
 إلى البصرة وبها يومئذ مصعب بن الزبير من قبل أخيه ، وخرج عمرو بن
 الحجاج الزبيدي هارباً إلى البادية لأنه كان ممن شهد قتال الحسين فلا يدري
 أخسفت به الأرض أم حصبته السماء ، ثم نادى المختار : من أغلق بابهُ فهو
 آمن إلا من شرك بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ، واحتوى المختار على
 الكوفة ، فعقد لأصحابه ، وولاهم البلاد من : أرمينية ؛ وآذربيجان ؛
 وإيران ؛ وماهان إلى الري ؛ وأصفهان ؛ وجعل يجبي خراج البلاد ، وكان
 محمد بن الأشعث الكندي عاملاً على الموصل من قبل ابن الزبير ، فلما قدم
 عامل المختار عليه لم تكن لابن الأشعث طاقة ، فخرج عن الموصل هارباً إلى
 تكريت ونزلها وكتب إلى عبد الله بن الزبير بذلك ، فكتب إليه يعيره بهربه
 عن الموصل .

وبلغ المختار أن محمد بن الأشعث بتكريت ، فدعا ابنه عبد الرحمن
 ابن محمد وقال له : أنت في طاعتي ، وأبوك في طاعة ابن الزبير ، ما الذي
 يمنعه من المصير إليّ والدخول في طاعتي ؟ أما والله ، لقد هممت أن أوجه
 إليه من يأتيني به قبل ثلاث فافعل به ما اضمره له في قلبي ، أوليس هو من
 قتلة الحسين ؟ أوليس هو الذي قال للحسين يوم كربلاء : وأي قرابة بينك
 وبين محمد ؟ فقال له عبد الرحمن : أعز الله الأمير أنا أخرج إليه بإذنك ،
 فأتيك به شاء أو لم يشأ ، ولا قوة إلا بالله .

فأذن له المختار فخرج حتى قدم تكريت ودخل على أبيه فقال له :

ماوراءك يا بني؟ فقال له: ورائي إنَّ هذا الرجل ظهر على الكوفة وسائر البلاد، وقد استوسق له الأمر وأطاعه الناس جميعاً، وقد سأل عنك وذكرك واخافُ أن يبطش بقتلة الحسين، فلم يغادر منهم أحداً، وأنت ممن أساء الى الحسين، وليس جلوسك هنا بشيء، لانه ليس معك جيش تمتنع به، وأنت بالكوفة أعزّ منك هنا.

فتبسم محمد وقال: يا بني! إني قد علمت بأنك لم تأتني وتعرض عليَّ هذا الرأي إلاَّ خوفاً من المختار، ثمَّ التفت إلى من كان عنده فقال: إنَّ ابني هذا له نخل بالكوفة على شاطئ الفرات، وإنما يريد أن أكون بالكوفة حتى يأمن هو في نخله وماله، ولا يضره ما يفعل بأبيه، وأنا لست أبالي بذلك النخل، كان أو لم يكن، ولم يزل عبد الرحمن يلينُ لأبيه تارةً ويشدد تارةً، ويرغبه تارةً ويخوفه أخرى حتى أجابه إلى ما أراد، وقدم معه الكوفة، ودخل على المختار وسلّم عليه؛ فقربه وأدناه ومناه. وجعل المختار يجلس غدوة وعشية فيقضي بين الخصمين بنفسه فإذا أعاقه عائق أمر شريحاً أن يجلس فيقضي، فقال له الناس: إنه عثمانى الرأي، وأنه شهد على حجر بن عدي، وأنه لم يبلغ عن هاني بن عروة ما أرسله به إلى قومه، وأنه كان عليٌّ عليه السلام قد عزله عن القضاء، فخافهم شريح فتمارض، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود فمرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي وأحب الناس المختار حباً شديداً ودر له حلب البلاد وحمل إليه الخراج من جميع عماله.

ثم إن المختار أرسل الى وجوه أصحابه فجمعهم عنده وقال: إنه والله، إني ليس يسوغ لي الطعام ولا أحبُّ أن أروى من الماء وقتلة الحسين بن علي أحياء يمشون في الأرض، وقد استوسق لي الأمر؛ وأطاعني الناس بسببهم،

ولست والله بالناصر لآل محمد إن لم أطلب بدمائهم، وأقتل من قتلهم، وأذلُّ من جهل حقهم، وانتهك حرمتهم، فسموهم لي؛ لعلي أن أظهر البلاد منهم، فجعل أصحابه يسمونهم رجلاً رجلاً، ويذكرون ما فعلوا، وجعل يؤتى بهم فمنهم من يقطع يديه، ومنهم من يقطع رجله، ومنهم من يقطع رجله ويده، ومنهم من يسمل عينيه أو يقلعهما، ومنهم من يجده أنفه، ومنهم من يقطع لسانه وشفتيه، ومنهم من يضربه بالسياط حتى يموت، ومنهم من يقطعه بالسيوف إرباً إرباً، ومنهم من يضرب عنقه صبراً، ومنهم من يحرقه بالنار، ومنهم من يسلمه جلده، فلم يزل كذلك حتى قتل منهم مقتلة عظيمة.

وروى أبو مخنف: أن سعد الحنفي دله على زياد بن مالك؛ وعمران ابن خالد؛ وعبد الرحمن البجلي؛ وعبد الله بن قيس الخولاني؛ وكانوا من المحلّين، ومن جملة قتلة الحسين، فبعث إليهم عبد الله بن كامل فجاء بهم إليه، فقال لهم المختار: يا قتلة سيد شباب أهل الجنة! ألا ترون الله قد آفاد منكم؟ فقد أصاركم الورد، إلى يوم نحس، وكانوا قد نهبوا الورد الذي مع الحسين، ثم أمر بهم أن يخرجوا إلى السوق، وتضرب أعناقهم، وأتى قوم من أعوان المختار إلى دار خولي بن يزيد الأصبحي فاقتحموها ودخلوا وكان خولي هو الذي احتز رأس الحسين عليه السلام، وكانت له امرأة يقال لها: العيوف بنت مالك الحضرمي، وهي التي خاصمته إذ أدخل رأس الحسين عليها، فلما نظرت إلى أصحاب المختار قد دخلوا دارها قالت: ما شأنكم وما تريدون؟ فقال أبو عمرة صاحب شرطة المختار: لا بأس عليك نريد زوجك أين هو؟ قالت: لا أدري! وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا عليه فإذا هو جالس وعلى رأسه قوصرة، فاخذوه وأتوا به إلى المختار فقالوا له: أيها

الامير! هذا خولي الذي احتزَّ رأس الحسين .

فأمر به المختار فذبح بين يديه ، ثم أمر بجسده فأحرق بالنار ، ثم أتى
برجلٍ يقال له : بجدل بن سليم الكلبي وأدخل على المختار فقليل له : أيها
الامير! هذا بجدل الذي أخذ خاتم الحسين وقطع أصبعه ، فقال المختار :
اقطعوا يديه ورجليه وذروه يتشحط بدمه ففعل به ذلك ، وجيء ذلك اليوم
بسته نفر وهم الذي نهبوا مال الحسين ، فأمر بهم فسلخت جلودهم وهم
أحياء .

وذكر أبو مخنف : أنَّ المختار بعث إلى الحكيم بن الطفيل الطائي وهو
الذي أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم فتعلَّق بسرباله ،
فكان يقول : إِنَّ السهم تعلق بسرباله وما ضرَّه ، فقال له المختار : لنرمينك
بنبال تتعلق بثوبك ، فانظر هل يضرُّك ما تعلَّق؟ فرموه بنبال حتى سقط
ميتاً .

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص

٩- وذكر السيد أبو طالب، والامام محمد بن إسحاق، والامام أحمد بن أعثم الكوفي، والامام عبد الكريم، وكل واحد منهم ذكر زيادة على صاحبه، فدخل حديث بعضهم على بعض، قالوا: إن المختار كان قد أمن عمر بن سعد بشفاعه عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، لانه كان أكرم خلق الله على المختار، لصهره وقرابته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال محمد بن إسحاق: كان عمر ختن المختار على ابنته، وقال الباكون: كان ختنه على أخته، فكتب محمد بن الحنفية للمختار: إنك ذكرت أنك قتلت قتلنا، وطلبت بثارنا، وقمت بأمرنا كيف ذاك؟ وقاتل الحسين عندك يغدو ويروح وهو عمر بن سعد؟

فقال المختار حين قرأ الكتاب: صدق والله، ثم إن المختار تحدث فقال: لا قطعنَّ والله، غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، من قتلة الحسين، يسرُّ بقتله المؤمنون والملائكة المقربون، وكان الهيثم بن الأسود عنده، فلما سمع هذا الكلام، علم أنه أراد عمر بن سعد فخرج وبعث بابنه إليه وقال له: قل له خذ حذرَكَ فإنَّ المختار اليوم قال: كذا وكذا، وهو والله، لا يريد غيرك.

فقال له عمر: جزى الله أباك خيراً، كيف يريدني بهذا وقد أعطاني من العهود ما أعطاني؟ فلم يبرح من منزله، فدخل حفص بن عمر بن سعد على المختار فأجلسه إلى جنبه ودعا أبا عمرة فأسرَّ إليه: أن سر إلى عمر بن

سعد وقل له: أجب الأمير! فإن أتى معك فجيء به، وإن قال: يا جارية! هاتي ردائي، ويا غلام! هات طيلساني، فاعلم أنه يدعو لك بالسيف، فاقتله واتني براسه، فلم يشعر عمر بن سعد إلا وأبو عمرة رئيس شرطة المختار قد وافاه في أعوانه، فبقي متحيراً، ثم قال: ما شأنكم؟ فقالوا: أجب الأمير! قال: إن الأمير قد علم بمكاني وقد أعطاني بالأمان، وهذا أمانه عندي قد أخذه منه لي ابن جعدة، وقد كتبه الأمير لي. فأتني به وفيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا أمان المختار بن أبي عبيد الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص، إنك آمن بأمان الله على نفسك وأهلك ومالك وولدك وأهل بيتك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً، ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلا أن تحدث حدثاً جديداً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد فلا يعرض له إلا بسبيل خير، وشهد السائب بن مالك الأشر؛ وأحمد بن شميطة البجلي؛ وعبد الله بن كامل الهمداني؛ وعبد الله ابن شداد اليحصبي؛ ويزيد بن أنس الأسدي؛ وفلان؛ وفلان؛ وفلان؛ كلهم شهدوا بالعهد والميثاق والأمان لعمر ابن سعد وولده إلا أن يحدث حدثاً جديداً وكفى بالله شهيداً.

فقال له أبو عمرة: صدقت والله، يا أبا حفص! قد كنا حضوراً عند الأمير يوم كتب لك الأمان، غير أنه يقول إلا أن يحدث حدثاً، ولعمري، لقد دخلت المخرج مراراً، وأحدثت أحداثاً كثيرة، وليس مثل المختار من يغدر، ولكن عني هذه الأحداث وليس ينبغي أن يعفو عنك بعد قتلك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فاجبه لعله يدعوك لغير هذا.

قال: فإني أفعل، يا غلام! هات طيلساني واعجل، فقال له أبو عمرة: يا عدو الله! المثلي يقال هذا؟ واستل سيفه فضربه ضربة على رأسه فسقط على

قفاه فقال لأعوانه : خذوا رأس عدو الله ، فاخذوا رأسه فجاء به حتى وضعه بين يدي المختار ، وابنه حفص واقف بين يدي المختار ، وهو ابن أخته في رواية الجماعة أو سبطه في رواية محمد بن إسحاق ، فقال المختار : أتعرف هذا الرأس يا حفص ؟ قال : نعم ، هذا رأس أبي ولا خير لي في العيش بعده .

وفي رواية عبد الكريم بن حمدان : أن أبا عمرة لما قتل عمر أسراً ابنه حفصاً ، وجاء به إلى المختار مع الرأس فقال : الحقوا حفصاً بأبيه ، فقال : أيها الأمير ! ما شهدت كربلاء ؟ قال : لا ، ولكنك تفتخر بأن أباك قتل الحسين ، فوالله ، لا تعيش بعده ، فضربت عنقه صبراً ، ثم وضع الرأسين بين يديه وقال : هذا بالحسين وهذا بعلي ، ولا سواء ورب الكعبة ، ثم صلب جسديهما منكسين ، وصب عليهما النفط فأحرقا ، ووجه الرأسين إلى المدينة ، ومعهما ثلاثون ألف دينار ، وكتب إلى محمد ابن الحنفية :

بسم الله الرحمن الرحيم - للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد الثقفي ، سلام عليك ، أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى جعلني نعمة لأولئكم ونقمة على قاتليكم وأعدائكم ، فهم من فضل الله العزيز الحكيم بين قتيل وأسير وشريد وطريد ، فنحمد الله على ذلك أيها المهدي حمداً يستوجب منه المزيد في العاجلة ، والمغفرة والرحمة في الآجلة ؛ وقد وجهت إليك برأسي عمر بن سعد وحفص بن عمر وقد قتلت ممن شرك في دم الحسين وأهل بيته من قدرت عليه ولن يعجز الله من بقي منهم ، ولست ألتذ بالنام ، ولا يسوغ لي الطعام ، ولا يطيب لي الشراب ولا يبقى أحدٌ ممن شرك في دماء أهل بيتك ، وأنا أرجو أن يقتل الله عبيد الله بن زياد وأصحابه المحلّين على يدي ، وقد وجهت إليك بثلاثين ألف دينار ، لتفرقها على من أحببت من أهل بيتك ، واكتب إلي برأيك فيما أحببت حتى أتبعه ، والسلام .

ثم دفع الكتاب والرأسين والمال الى مسافر بن سعيد الهمداني ؛ وابن عمارة التميمي ؛ وضمَّ إليهما عشرين رجلاً ووجهَ بهما إلى محمد بن الحنفية وهو يومئذ بمكة ، فبينما هو جالس في نفر من شيعته يتحدث ويقول : ألا ترون إلى المختار يزعم : أنه من شيعتنا وأنه يطلب بدم الحسين ! وقتلة الحسين عن يمينه وشماله على الكراسي يحدثونه ؟ وقد بلغني عن عمر بن سعد وابنه حفص يروحان ويغدوان عليه ، فما أتم كلامه إلا وكتاب المختار مع الرأسين والمال قد وافاه ووضع بين يديه ، فقرأ الكتاب وحولَّ وجهه إلى القبلة وخرَّ ساجداً ، ثم رفع رأسه وبسط كفيه وقال : اللهم ! لا تنس هذا للمختار ، وأجزه عن أهل بيت نبيك أفضل الجزاء .

ثم أخذ بعض المال وفرَّقه في مكة ، وأرسل الباقي إلى المدينة ففرق في أهل البيت وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، ولما أحرق المختار الجسدين وبعث بالرأسين أمر بإحراق داري عمر بن سعد وابنه حفص فأحرقا جميعاً .

١٠- وذكر أبو مخنف في تاريخه الكبير : أنَّ عبد الله بن دبّاس جاء إلى المختار فأخبره : أنَّ في القادسية فرساناً من قتلة الحسين عليه السلام فبعث إليهم المختار مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحابه فاتاهم وقبض عليهم وجاء بهم عشاء إلى المختار ، وهم : عبد الله بن النزال الجهني ؛ ومالك بن بشير البدي ؛ وحمل بن مالك المحاربي ؛ وكانوا فرسان عبيد الله بن زياد ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء رسول الله وأعداء آل الله ! أين الحسين بن علي ؟ أدوا إليَّ الحسين ، قتلتم من أمركم الله بالصلاة عليه في صلواتكم ؟ قالوا : رحمك الله ، بعثنا عبيد الله بن زياد ونحن كارهون قتاله ، فأمّن علينا واستبقنا ، فقال لهم المختار : فهلا منتم على الحسين واستبقيتموه ؟ ثم قال لمالك بن بشير البدي : أنت صاحب برنسه ؟ فقال عبد الله بن كامل :

نعم، هو صاحب البرنس، فقال المختار: اقطعوا يديه ورجليه، ودعوه فليضطرب حتى يموت، ففعل به ذلك فلم يزل يضطرب حتى مات، وأمر عبد الله بن كامل فقتل عبد الله بن النزال الجهني، وأمر مسعر بن أبي مسعر الحنفي فقتل حمل بن مالك المحاربي.

ثم عزم المختار على هدم دار أسماء بن خارجة الفزاري وإحراقها لأنه عمل في قتل مسلم بن عقيل، فجعل يقول: أما ورب السماء والماء، ورب الضياء والظلماء، لتزلن نار من السماء حمراء دهماء سحماء، ولتحرقن دار أسماء، فبلغ ذلك أسماء فقال: قد سجع أبو إسحاق بداري فليس لي مقام هنا بعد هذا، فخرج أسماء إلى البادية هارباً وأرسل المختار إلى داره ودور بني عمه، فهدمها عن آخرها، ثم دعا برجل من أصحابه يقال له: حوشب بن يعلى الهمداني فقال له: ويحك يا حوشب! أنت تعلم أن محمد ابن الأشعث من قتلة الحسين بن علي وهو الذي قال له بكر بلاء ما قال، والله، لا يهينني النوم ولا القرار، ورجل من قتلة الحسين يمشي على الأرض، وقد بلغني أنه في قريته التي هي جنب القادسية فسر إليه في مائة رجل من أصحابك فإنك تجده لاهياً متصيذاً، أو قائماً متبلداً؛ أو خائفاً متلداً؛ أو حائراً متردداً؛ فاقتله وجثني برأسه.

فخرج حوشب في مائة رجل من أصحابه وفرسانه حتى صار إلى قرية محمد بن الأشعث، وعلم محمد بن الأشعث أنه لا طاقة له بحوشب بن يعلى، فخرج من باب له آخر في جوف الليل هارباً ومضى نحو البصرة إلى مصعب بن الزبير فكتب حوشب إلى المختار بذلك، فكتب إليه المختار: إنك قد ضيعت الحزم والفرصة ولم تأخذ بالوثيق، فإذا فاتك الرجل فاهدم قصره وبيته، وخرب قريته واثني بأمواله جميعاً، ففعل ذلك كله.

وبلغ محمد البصرة فقال له مصعب : ما وراءك يا بن الأشعث؟ قال :
ورائي الترك والديلم، هذا المختار قد غلب على الأرض جميعاً، وهو يقتل
الناس كيف شاء، وقد قتل والله إلى ساعته هذه ممن يتهم بقتل الحسين بن
علي أكثر من ثلاثة آلاف رجل من فرسان العرب وشجعانهم وساداتهم
وكبرائهم، وقد أراد قتلي فهربت إليك خوفاً منه، فهذا ما ورائي .
وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة صاحب الشرطة ينال من عثمان
ابن عفان قبل مجيء المختار؛ فضربه بسوطه، فلما ظهر المختار خاف واستر
حتى استأمن له عبد الله بن شرار، فجاء إلى المختار ذات يوم فمدحه بقصيدة
طويلة منها قوله :

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى	ويليه عن رود الشباب شموع
دعا يالثرارات الحسين! فأقبلت	كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك	يقود جموعاً عقبته بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره	بكل فتى حامي الذمار منيع
وسار أبو النعمان لله سعيه	إلى ابن أياس مصحراً لوقوع
بخيل عليها يوم هيجا دروعها	وأخرى حصور غير ذات دروع
فكرت خيول كرة أثقتهم	وشد بأولاها على ابن مطيع
فآب الهدى حقاً إلى مستقره	بخير إياب آبه ورجوع
إلى الهاشمي المهتدي المهتدى به	فنحن له من سامع ومطيع

فقال المختار لأصحابه : أحسنوا جائزته فوصلوه، وأحسنوا إليه، ذكر
الآيات أبو مخنف .

رجعنا إلى أخبار ما تقدم وكيفية قتل عبيد الله بن زياد قال : ثم دعا

عبد الملك بن مروان بعبيد الله بن زياد بعد قتل سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه فضم إليه ثمانين ألف رجل من أجناد أهل الشام وشجعانهم، وقال له: يا بن زياد! أنت تعلم أن أبي مروان قد أمرك بالمسير إلى العراق فتقتل أهلها حتى يستقيموا، ثم إن الموت عاجله وأدركه فمضى لسبيله، وقد وليتك أنا هذا الجيش الكثيف، فسر نحو الجزيرة والعراق، فإذا فرغت من أمر المختار فصر إلى مصعب بن الزبير بالبصرة فأكفني أمره وشره، ثم صر إلى أخيه عبد الله بن الزبير بالحجاز، فأكفني أيضاً أمره وشره، فإذا فرغت من ذلك فلك جميع ما غلبت عليه بسيفك من أرض الشام إلى مطلع الشمس.

فسار عبيد الله ومعه ثمانون ألفاً ما بين فارس وراجل حتى نزل الجزيرة، ثم أرض نصيبين، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد الهمداني وهو عامل المختار على الموصل وما والاها، فكتب بذلك إلى المختار يخبره، وخرجت مقدمة ابن زياد في عشرين ألفاً نحو الموصل فخرج عامل المختار إلى تكريت، فكتب إليه المختار:

بلغني كتابك وما ذكرت فيه من أمر عدو الله ورسوله عبيد الله بن زياد، ولقد أصبت في تنحيك من بين يديه إذ كنت لا تقوم لجيشه، فانظر لا تبرح من مكانك حتى يأتيك أمري، ثم دعا المختار برجل من سادات الكوفة وشجعانها وهو يزيد بن أنس الأسدي، وقال له: يا يزيد! إن هذا عبيد الله بن زياد قد أقبل في المحليين وأبناء القاسطين، فسر إليه أنت في المؤمنين، وأطلب بدم ابن بنت الرسول الأمين. فقال له يزيد بن أنس: أيها الأمير! ضم إليّ ثلاثة آلاف رجل ممن أنتخبهم أنا وخلي والوجه الذي يوجهني الله تبارك وتعالى إليه، فإن احتجت إلى مدد فأنا ساكتب لك بذلك ولا قوة

إلّا بالله.

فقال له : اخرج إذن وانتخب رحمك الله من شئت وأحببت على بركة الله وعونه ، فخرج يزيد بن أنس وجعل ينتخب القائد بعد القائد والرجل بعد الرجل ، حتى انتخب ثلاثة آلاف من سادات فرسان العراق وشجعانهم ، وانفصل من الكوفة ؛ وخرج المختار يشيعه حتى إذا صار إلى دير أبي موسى التفت إليه المختار ، وقال له يوصيه : يا يزيد ! انظر إذا لقيت عدوك نهاراً فلا تنظرهم إلى الليل ، وإن أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها البتة ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، فإن احتجت إلى مدد فاكتب إليّ بذلك سريعاً . فقال يزيد له : أيها الأمير ! إني ما أريد منك أن تمدني إلّا بالدعاء الصالح ، فكفى به لي مدداً إن شاء الله .

وكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد الهمداني بتكرير :

أما بعد : فقد وجهت إلى ما قبلك يزيد بن أنس الأسدي وهو من قد علمت في البأس والشدة ، فإذا قدم عليك فخل بينه وبين البلاد ، وكن تحت رايته مطيعاً له ، والسلام .

فسار يزيد بن أنس حتى صار إلى تكريت ، فصار إليه عبد الرحمن بن سعيد في ألف رجل مقاتل ، فصار يزيد في أربعة آلاف فارس ، وأقبل حتى نزل على خمسة فراسخ من الموصل ، وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فوجه إليه بقائد من قواد أهل الشام وهو ربيعة بن مخارق في ثلاثة آلاف فارس ، واتبه بقائد آخر وهو حملة بن عبد الله الخثعمي في ثلاثة آلاف فارس ، وأقبل القوم حتى نزلوا بحذاء يزيد بن أنس ، واعتل يزيد بن أنس في تلك الليلة علة شديدة ، وأصبح موعوكاً لما به من المرض ، فدعا بحمار له أسود مقطوع الذنب والأذنين بصري ، فاستوى عليه وجعل يجول في عسكره

وغلماناه يمسكونه من ضعفه كيلا يسقط، وهو يوصيهم، ويقول لهم: يا شرطة الله! اصبروا تؤجروا، وصابروا عدوكم تظفروا، وقاتلوا اولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً، وبعد فقد ترون ما بي من العلة، فإن هلك فاميركم ابن عمي ورقاء بن عازب الاسدي، فإن أصيب فعبد الله بن ضمرة الغنوي، فإن أصيب فمسعر بن أبي مسعر الحنفي، ثم نزل عن الحمار وجلس على كرسي، وقال للناس: يا اهل العراق! إن شئتم قاتلوا عن دينكم، وجدّوا في طلب دم ابن بنت نبيكم، وإن شئتم قاتلوا عن أنفسكم وعن اميركم.

فدنا القوم بعضهم من بعض واقتتلوا ساعة ثم حمل ورقاء بن عازب على رجل من اهل الشام فضربه ضربةً منكراً فسقط عن فرسه قتيلاً وصاح: يا اهل العراق! احمّلوا معي، فحملوا فانهزم اهل الشام هزيمةً قبيحةً ووضع اهل العراق السيف في اكتافهم نحواً من خمسة فراسخ، وأسروا منهم زهاء ثلاثمائة رجل، وأتي بهم ليزيد بن أنس، فأمر بضرب أعناقهم فأوقفوا بين يديه وهو لما به، فَضْرِبَتْ أعناقهم، وهو يومئٍ بيده: أن لا تتركوا منهم أحداً فاستوفوهم.

واشدّت العلة بيزيد فتوفي في بعض الليل، فجهز وصلى عليه ورقاء ابن عازب، وأقبره ليلاً وأصبحوا في حزن على صاحبهم، فقال لهم ورقاء: يا اهل العراق! ذروا هذا الجزع فكلُّ حيٍّ ميت، فلا تشربوا قلوبكم الكدر فتهنوا، وهذا عدو الله وعدوكم عبيد الله قد التأم إليه عسكره؛ وعسكر آخر من الجزيرة وغيرها ولا اظنّ أن لكم به طاقة؛ فلاني أعلم أنا أن قاتلناهم خاطرنا على أنفسنا لكثرتهم، وإن هزمنا ما جاءنا لم ينفعنا، لكثرة مددهم.

قالوا له : ايها الامير ! فالرأي ان ننصرف عنهم لا سيما وقد نكأنا^(١) فيهم بالامس ، فوافقهم وانصرفوا في جوف الليل نحو العراق ، وبلغ ذلك اهل الكوفة فأرجفوا وقالوا : قتل يزيد أميرهم . وأبىد عسكره ، واغتم المختار ولم يدر ما قصتهم ، حتى علم انهم انصرفوا لموت صاحبهم ، فطابت نفسه وقدم أصحاب يزيد فأخبروه بما كان ، فدعا أبا النعمان إبراهيم بن مالك الأشتر فعقد له وضمَّ إليه أصحاب يزيد وغيرهم من فرسان أهل الكوفة ورجالهم ، وقال له : سر إلى عدو الله وعدوك وناجزهم وطلعني باخبارك بليلك ونهارك ، فإن رأيت أمراً لا طاقة لك به فلا تلق بيدك إلى لتهلكة واكتب إليَّ حتى أمدك بما تكتفي به من خيل ورجال ، وكن في كل مر ذاكراً لله تعالى في كل حال ، وعجل السير وناجز عدوك وحاكمهم الى الله ، صحبك الله وسلّمك ، وردك سالماً غانماً ، فسار إبراهيم بن مالك في أصحابه ، وهو يقول :

حقاً وربّ العاصفات عصفا
حتى نسوم القاسطين خسفا
حتى نلاقي بعد صف صفا
فنكشف الظالم عنا كشفا

أما ورب المرسلات عرفا
لتعسفن بالعدو عسفا
زحفاً إليهم لا نملّ الزحفا
وبعد ألف في النزال الفا

وعسكر ابراهيم بموضع يقال له : حمام أعين ثم ارتحل حتى نزل على خمسة فراسخ من الموصل ، وعبيد الله بن زياد بالموصل قد أخذ خراجها وفرقه في أصحابه ، وهو يومئذٍ في ثلاثة وثمانين ألفاً وخرج بهم فنزل

(١) نكأنا : اضررنا ، ومعنى الجملة - إن قاتلناهم وهزمناهم جاءهم مدد لايبقي علينا . لانا قد اضررناهم بالنكاية بالامس .

قريباً من معسكر إبراهيم، وإبراهيم يومئذٍ في نحو عشرين ألفاً، وكان في عسكر ابن زياد رجل من الأشراف من بني سليم وهو عمير بن الحباب السلمي، فأرسل إلى إبراهيم: إني قد عزمتُ على المصير إليك والكيونة معك، فإن أعطيتني الأمان وأفيتك الآن، فأرسل إليه إبراهيم: إنه قد أعطيتك الأمان ولك عندي الكرامة ما رزقني الله السلامة، فهلّم إلينا آمناً مطمئناً، فخرج عمير في جوف الليل في ألف رجلٍ من قومه ومواليه حتى صار إلى إبراهيم، فآكرمه وبرّه وبرّ أصحابه وفرّق عليهم مالاً.

فبلغ ذلك ابن زياد فأقلقه وقال: يخرج رجل من عسكري في ألف فارس لا يعلم به أحد، إنَّ هذا الأمر يتبع، ثم إن إبراهيم قال لعمير: إني رأيتُ أن أخندق على عسكري خندقاً، فما الذي ترى؟ فقال له عمير: إنَّ القوم يحبون أن يطاولوك، فإن خندقت كان خيراً لهم في المطاولة، وإن ناجزتهم كان خيراً لك، فقد ملؤا منك رعباً فصادمهم بخيلك ورجالك، فإنك على حقٍّ، فالله ناصرٌك وهم على باطل، فهو تعالى خاذلهم، ومظهرٌك عليهم.

فقال إبراهيم: قد اختبرتُك وعلمتُ أنك ناصحٌ، فهذا ما أشار به الأمير، وعزم عليه الضمير، وقال عبيد الله بن زياد لأصحابه: إني لأعجب من هذا الغلام يعني إبراهيم ومسيره إليّ بهذا الجيش، وعهدي به بالأمس في الكوفة يلعب بالحمام، ولعلَّ أجله قد اقترب، وبات كلُّ من الفريقين ساهرين، لما يدبرونه غداً، ولا سيما جيش أهل العراق فإنهم علموا أن أميرهم إبراهيم يناجز أهل الشام، فلما كان وقت السحر صلّى إبراهيم في أصحابه بغلس، وعبّاً أصحابه، فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد بن معقل الأزدي؛ وعلى يسارته علي بن مالك الجشمي؛ وعلى أعنة الخيل الطفيل بن

لقبط النخعي ؛ وعلى الرجالة مزاحم بن مالك السكوني ، فوقف بهم وتقدمت الرجالة ، وجعل إبراهيم يقف على كل كتية فيوصيهم ويعهد إليهم وينهاهم عن الخور والفشل ، ثم زحف رويداً حتى أشرف على تلّ ، فنظر في عسكر القوم وتأملّهم ، فرآهم غارين لم يتحركوا ولم يظنوا أن أهل العراق يناجزونهم ، فلما نظروا إلى الخيل وافتهم ، بادروا إلى خيولهم وقدموا الرجالة بين أيديهم ، وكانت الخيول ستين ألفاً ، والرجالة اثنين وعشرين ألفاً ، فعبأهم ابن زياد فجعل على ميمته شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ؛ وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي ؛ وعلى جناح ميمته عبد الله بن مسعدة الفزاري ؛ وعلى جناح ميسرته حملة بن عبد الله الخثعمي ؛ وفي القلب يومئذ الحصين بن نمير السكوني ، ثم انقض عليهم أهل العراق قائلين : اللهم إنا خرجنا ثائرين بدماء أهل بيت نبيك ، فانصرنا عليهم كيف شئت وأنى شئت يارب العالمين ! وتنادوا : يا لثارات الحسين ، وتواقفوا رأي العين .

وتقدم عوف بن ضبعان الكلبي على فرس له أدهم ونادى : يا شيعة آل أبي تراب ! يا شيعة المختار الكذاب ! يا شيعة ابن الاشر المرتاب ! من كان منكم يدل بشجاعة وشدة فليبرز إليّ إن كان صادقاً ، ثم جال بين الصفين وهو يقول :

إني ابن ضبعان الكريم المفضل	ليث النزال في مشار النسطل
من عصبه تبرأ من دين علي	كذاك كانوا في الزمان الأول

فما لبث عوف بن ضبعان حتى خرج إليه الاحوص بن شداد الهمداني وهو يقول :

أنا ابن شدّاد على دين علي لست لمروان بن ليلى بولي
لاوقدنّ نارها في الجحفل ثم أخوض النار حتى تنجلي

فجعل الشامي يشتم الأحوص، فقال الأحوص: دع عنك هذا إن كنتَ عربياً، فإن الذي بيننا أجلُّ من الشتم، أنتم تقاتلون عن بني مروان، ونحن نطلب بدم ابن نبيّ الرحمن، فادفعوا إلينا ابن زياد لنقتله ببعض موالينا الذين قتلوا مع الحسين، ولا نراه والله كفواً له، فقال الشامي: جربناكم يوم صفين عند التحكيم، فحكمناكم وعدوتم علينا ظالمين.

فقال الأحوص: إنَّ الحكم في الخديعة لا يتخذ فاصلاً في الشريعة، ما اسمك أيها الرجل؟ قال: مُنازل الأبطال! قال: ما أقرب اسمك من اسمي، فانا مقرب الآجال! ثم حمل عليه الأحوص فالتقيا بضربتين، سبقت ضربة الأحوص منها فسقط الشامي قتيلاً، وجال الأحوص وصاح: يا قتلة الحسين هل من مبارز؟ فخرج داود بن عروة الدمشقي على كميته له مقنعاً بالحديد وهو يقول:

أنا ابن من قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا
بل كان في إيذا مكينا مجرباً يوم الوغى حرونا

فجاوله الأحوص وهو يقول:

يا ابن الذي قاتل في صفينا ولم يكن في دينه غبينا
كذبت بل كان به مفتونا لا يعرف الحق ولا اليقينا

ثم صعد له الأحوص فضربه ضربةً، ألحقته بصاحبه وعاد إلى صفه، فخرج الحصين بن نمير السكوني فجعل يقول:

يا قادة الكوفة اهل المكر وشيعة المختار وابن الاشر
هل فيكم قرن كريم العنصر مجرب في باسه ذو مفخر؟
يبرز نحوي عامداً لا يمتري فيستقي الحنف بكاسٍ ممقر^(١)

فخرج إليه شريك بن خريم التغلبي، وهو يقول:

ياقاتل الشيخ الكريم العنصر بكر بلاء في التقاء العسكر
أعني حسيناً ذا السنا والمفخر نجل النبي المصطفى من حيدر
خذها إليك من خزبر قسور ضربة قرم ربعي مضرري

فتقدم إليه الحصين فالتقيا بضربتين، فما كذب التغلبي، أن ضربه ضربة على أم رأسه فخر منها صريعاً قتيلاً، فكبر أصحاب التغلبي، ودخل أهل الشام شيء عظيم من الجزع عليه، فتقدم إبراهيم ابن الاشر على فرس له غر محجل، حتى وقف بين الصفين، ونادى بصوته - وكان جهوري الصوت - : ألا يا شرطة الله وشيعة الحق! وأنصار الدين! وقاتلي المحلن! وأبناء القاسطين! لا تطلبوا أثراً بعد عين، فهذا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين الذي فعل وفعل (وجعل يعدد مساوئه) ما جاءكم به الله عز وجل في هذا المكان إلا لهلاكه، فتقدموا إليه رحمكم الله ونصركم، ثم حمل على أهل الشام وجعل يضرب سيفه في أعراضهم قدماً قدماً ويقول:

قد علمت مذحج في اليوم الجلل إني ذو البأس إذا القرن نكل
والأروع المقدام إن نكس فتل أضرب في القوم وإن حال الأجل
وأعتلي رأس الطرماح^(٢) البطل بالذكر البتار ما فيه فلل

(١) الممقر: المر.

(٢) الطرماح: الطويل.

وحمل معه أهل العراق باجمعهم حملة رجل واحد فاصطفقوا بالصفاح، وتطاعنوا بالرماح، وتراموا بالسهام، وإبراهيم يقول لصاحب رايته: تقدم فداك أبي، فالحق امامك، واللّه ناصرك، وصاحب الراية يتقدم وأهل العراق خلفه، وحن وقت الصلاتين، وما صلى القوم إلا بالإيماء، حتى إذا كان وقت اصفرار الشمس، انهزم أهل الشام هزيمة قبيحة وولوا الأدبار، فأخذ السيف أكتافهم، وقهر بقيتهم إلى الموصل ونظر إبراهيم إلى رجل عليه بزة حسنة، درع سابغة وعمامة خزّ دكاء، وديباجة فوق الدرع، وقد أخرج يده من الديباجة وفيها صفيحة مذهب، فقصده إبراهيم لتلك الصفيحة، وللفرس الذي تحته، فلم يلبث أن ضربه ضربة شرقت بيديه وغرّبت برجليه، فامتد إبراهيم منعطفاً من سرجه، ورجلاه في الركاب إلى الأرض، وتناول الصفيحة وغار الفرس فما لحقه، وكان الظلام من الغروب ومن القتام قد ترك الناس لا يبصر بعضهم بعضاً.

فراجع أهل العراق من نحو الموصل إلى معسكرهم لا يطاون إلا على جسد قتيل، وأصبحوا وقد فقد منهم ثلاثة وسبعون رجلاً، وأصبح أهل الشام وهم عشرة آلاف رجل وثمانمائة رجل وعامتهم جرحى، وقد فقد منهم سبعون ألفاً فبذلك يقول بعض الشعراء في إبراهيم بن مالك الأشتر؛ والمختار بن أبي عبيد يمدحهما:

ق عنا الإله خير الجزاء
عن بني هاشم بحسن البلاء
أو يزيدون قبل وقت العشاء
في فريق من سائر الأحياء
وعلى ربنا تمام الشفاء

فجزى إبراهيم ثم أبا إسحأ
وجزى الله شرطة الله خيراً
إذ تعشوا منهم بسبعين ألفاً
قتلوا الفاسق اللعين جهاراً
وشفوا منهم غليل صدور

ثم قال إبراهيم لأصحابه : إني تبعت البارحة رجلاً وقد اختلط الظلام في يده هذه الصفيحة ، وتحتة فرس جواد ، فقتلته وأنا أشمّ منه رائحة المسك ، فاخذتُ الصفيحة وفاتني الفرس ، فقال بعض أصحابه : أصلح الله الأمير ! الفرس أنا أمسكته وسأجيئك به فقد جعله الله لك ، قال إبراهيم : إنَّ بزته حسنة ، ولا مته كاملة ، فانظروه بجانب شاطئ الفرات بموضع كذا وكذا ، فذهب القوم فإذا هو عبيد الله بن زياد فأتوا برأسه ووضعوه بين يديه ، فلما رآه عرفه وقال : الله أكبر ! وخرَّ ساجداً ، ورفع رأسه وهو يقول : الحمد لله الذي جعل قتله على يدي ، فبذلك يقول بعض الشعراء من أصحاب إبراهيم :

فدى لغلام من عرائن مذحج	جريء على الأعداء غير نكول
أتاه عبيد الله في شرّ عصابة	من الشام واستجلى بخير قبيل
فلما التقى الجمعان في حومة الوغى	وجرّ الردى في الحرب فضل ذيول
فولى عبيد الله خوفاً من الردى	وخشية ماضي الشفرتين صقيل
فيعلموه إبراهيم بالسيف فاصلاً	فطاح على البوغاء شرّ قتيل
جزى الله خيراً شرطة الله أنهم	شفوا بعبيد الله كل غليل

ثم أمر إبراهيم برأس عبيد الله بن زياد -؛ ورأس الحصين بن نمير السكوني ؛ ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ؛ ورأس ربيعة بن مخارق الغنوي ؛ ورؤوس أشباههم من رؤساء أهل الشام ؛ فقورت ونقضت ، وكتبت الرقاع بأسماء أصحابها وبعث بها إلى المختار ، وكتب له يخبره بالواقعة كيف فعل بالمحلّين ، وقتلة أهل البيت ؟ وكيف أباد خضراءهم ؟ فوردت الرؤوس على أهل الكوفة تنيف على سبعين رأساً

يقدمها رأس عبيد الله بن زياد فاستقبلتها الشيعة فرحين، يحمدون الله الذي أهلكهم وشفى صدور المؤمنين، وكان المختار قبل مجيء الرؤوس يقول: سياطينا الفتح غداً في رأس ابن مرجانة، فلماً ورد في غد، زعم بعض من لا علم له: أنه يعلم الغيب، وافتتن به خلق من أهل الكوفة، حتى قال الشعبي: يا قوم! لا يفتنكم الشيطان، ما ذلك إلا فراسة مؤمن فقد قال رسول الله ﷺ: فراسة المؤمن لا تخطئ.

ثم إن المختار بعث برأس عبيد الله بن زياد، ورأس الحصين بن نمير؛ ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع إلى محمد بن الحنفية وصلب باقي الرؤوس حول الكوفة، وكتب إلى محمد ومع الكتاب ثلاثون ألف دينار:

بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي محمد بن علي، من المختار بن أبي عبيد سلام عليك، أما بعد - فأحمد الله الذي أخذ لك بالثأر، من الأشرار، المظلومين بالأوتار، فقتلهم في كل فج بقهر، وأغرقهم في كل نهر، وأهلك أولياءهم بالقهر، فشفى الله بذلك قلوب المؤمنين، وأقر عيون المسلمين، إذ أهلك المحلّين، وأبناء القاسطين، وإذا أنزل بهم ما أنزل بشمود وعاد وغرقهم تغريق فرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، لقد قتلوا أشر قتلة، ومثل بهم أقبح مثلة، وقد وجهت إليك برأس ابن زياد من ذوي الإلحاد، ليكتب بذلك الأعداء ذوو الأحقاد، ويفرح ذوو الولاء والوداد، ووجهت معها ثلاثين ألف دينار، لتنفقها على أهل بيتك وشيعتك، والسلام.

فلما ورد الكتاب على محمد قرأه على أهل بيته، فحمدوا الله وصاموا له شكراً وأمر محمد أن تصلب الرؤوس خارج الحرم، فمنعه عبد الله بن الزبير، فدفنت.

ثم سار إبراهيم بن مالك فنزل الموصل واحتوى على الجزيرة وجبى الخراج فقسم على أصحابه جملةً منه، وأرسل فاضله إلى المختار فصارت الكوفة وسوادها إلى المدائن والجزيرة بأجمعها من ديار ربيعة ومضر إلى المختار، وصارت الشام وأرض مصر إلى المغرب إلى عبد الملك بن مروان، وصارت الحجاز واليمن بأجمعها إلى عبد الله بن الزبير.

وذكر أبو مخنف: أن المختار (رحمه الله) بعث بعد ذلك عبد الله بن كامل إلى مرة بن منقذ العبدي قاتل علي بن الحسين عليه السلام - وكان بطلاً شجاعاً - فاحاط بداره فخرج مرةً وبيده رمح وهو على فرس جواد فتجاول مع ابن كامل، فضربه ابن كامل بالسيف فأبان يده اليسرى، ثم تعاورته أصحاب ابن كامل فقتلوه، ثم بعث المختار عبد الله بن كامل هذا إلى يزيد بن رقاد قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، وكان يقول: رميته بسهم فاتقاه بيده، فشك يده إلى جبهته، فأنبته بعد ما مات فما قدرت والله أن أنزع سهمي من جبهته، فتركته مثبتاً فيها، فلما أحاط عبد الله بن كامل بداره خرج شاهراً سيفه، وكان بطلاً مقداماً، فقال ابن كامل لأصحابه: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح، ولكن ارشقوه بالسهم كما رمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، فرشقوه حتى سقط، فأمر عبد الله بنار فأحرقوه بها وهو حي.

قتل الشمر بن ذي الجوشن

ودعا المختار بعبد الرحمن بن عبيد الهمداني وقال له : بلغني عن شمر ابن ذي الجوشن الضبابي أنه خرج من الكوفة في نفر من غلمانه ومن تبعه هارباً، فاخرج أنت في طلبه فلعلك تأتيني به حياً أو برأسه، فإنني لا أعرف في قتلة الحسين أعتى منه ولا أشدّ بغضاً لأهل البيت، وضمّ إليه عشرة من أبطال أصحابه، وقال له ولهم : أنشدكم الله إلا أقررتم عيني بقتله، وشفيتم غليلي بذله، فلقد أكمدني بفعله .

فخرج عبد الرحمن في أصحابه العشرة يسألون عنه، ف قيل : إنه قد نزل في جنب قرية على شاطئ الفرات يقال لها : الكلثانية ومعه قوم قد صحبوه من قتلة الحسين وهم آمنون مطمئنون، فرحل عبد الرحمن بهم إليه، فلما أشرف عليه علّم أن الخيل خيل المختار، فوثب قائماً يتأملهم فنظروا إليه وعرفوه، فكبروا وأحاطوا به وبأصحابه، وكان شمر متزراً بمنديل وكان أبرصاً، والبرص على سائر جسده، فكأنه ثوب ملمع، فأخذ رمحه ودنا من أصحاب المختار وحمل عليهم وهو يقول :

نبهتم ليثاً هزيراً باسلاً جهماً محياه يدق الكاهلا
لم يك يوماً عن عدونا كلا إلا كذا مقاتلاً أو قاتلاً

فتقدم إليه عبد الرحمن بن عبيد وهو يقول :

ياأيها الغادر وابن الغادر وقاتل الحسين ذي المفاخر
ابن النبي الطيب العناصر وابن الوصي الطاهر ابن الطاهر
منيت من شيعته بشائر يطعن في الضلوع والحناجر

أشجع من ليث عرين خادر فابشر بخزي وموت حاضر
ثم طعنه عبد الرحمن في نحره فسقط قتيلاً، فنزل إليه واحتزَّ نحره
وقتل أصحابه جميعاً، وأخذ أموالهم وأسلحتهم ودوابهم، وجاء برأسه
ورؤوس أصحابه إلى المختار، فلما نظر المختار إليه خرَّ ساجداً، وقال: يا عبد
الرحمن! أقر الله عينك بقاء رسول الله صلى الله عليه وآله في الجنة، ثم أمر برأس الشمر
فنصب في رحبة الحذائين أزاء المسجد الجامع، فمثل به الصبيان برمي
الحجارة والقذارة، وأمر المختار لعبد الرحمن بعشرة آلاف دينار وولاه
حلوان.

١١- وذكر ابن إسحاق قصة المختار مع ابن زياد بسياقة أخرى، فنحن
نذكرها مجملًا ونبين الصحيح فيما بعد، قال: لما هرب المختار من ابن زياد
أمير الكوفة إلى مكة دخل على عبد الله بن الزبير فبايعه، فلما جنَّ الليل
دخل على محمد بن الحنفية فبايعه سرًا، وكان المختار يحب الصيد، فكان
كل يوم يركب للصيد، فلما كان في بعض الأيام خرج متصيداً فإذا هو برجل
على ناقة يجدُّ السير، فقصده المختار فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من
الكوفة، فقال: وإلى أين؟ قال: إلى مكة أريدُ المختار بن أبي عبيد، قال: وما
تريدُ منه؟ قال: جئته ببشارة، قال: فما أنا المختار فاخرج من عمامته كتاباً
إليه من جملة من شيعة الكوفة، يسألونه القدوم عليهم ليأمره عليهم،
ويطلب بئار الحسين بن علي عليه السلام.

فقال: ما فعل عبيد الله بن زياد؟ قال: إن أهل البصرة شغبوا على
عامله وكسروا سجنه ونهبوا أمواله، وقد خرج من الكوفة إليهم. قال: فمن
خلف بالكوفة؟ قال: عمرو بن حريث في أربعة آلاف، فخلع المختار على
البشير ما كان عليه من الثياب واللباس، وردَّه إلى الكوفة، ودخل المختار

على عبد الله بن الزبير، فأخبره بخروج ابن زياد من الكوفة إلى البصرة وما حدث في البصرة، وأنه بقي في الكوفة عمرو بن حريث في أربعة آلاف، وقال له: ابعث معي مائتي فارس، فانطلق بهم إلى الكوفة، واقتل ابن حريث، وأخذ الكوفة وأجبي خراجها وأحملة إليك وأخطبُ لك فيها.

فاجابه ابن الزبير وعرض عليه عسكره، فانتخب منه مائتي رجل من شجعانهم، فلما جُنَّ الليل دخل على محمد بن الحنفية وأخبره بما كان من أمر البصرة والكوفة، وقال له: أريدُ منك كتابين: كتاباً إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، وكتاباً إلى محمد بن الأشعث ليسمعا كلامي ويطيعاني وينتھيا إلى أمري حتى آخذ الثار من قاتلي الحسين بن علي عليه السلام، فكتب كتابين له، فخرج المختار إلى منزله، وزور أربعين كتاباً إلى أربعين شيخاً من مشايخ الكوفة عن لسان محمد بن علي، وخرج من مكة ليلاً ومعه مائتا فارس، فجعل يسير الليل، ويكمن النهار، حتى ورد القادسية، فعاج لكربلاء وزار الحسين وبكى، ثم قال: يا بن رسول الله! لا خلعت ثيابي هذه حتى انتقم ممن قتلك وقاتلك أو أقتل.

ثم ودَّع القبر وسار حتى صار بجبانة الكوفة، وذلك في أول الليل ودخل الكوفة وحده، ومعه اثنان وأربعون كتاباً فقصد إبراهيم وقرع بابه، ففتح له ودخل، فلما رآه إبراهيم اعتنقه وقربه وقال: يا أبا إسحاق! من أين جئت؟ وأين كنت؟ قال: من مكة وفي مكة. قال: كيف خلفت سيدنا محمد بن علي؟ قال: بخير وهو يقرأ عليك السلام، وأعطاه كتابه إليه فتناوله إبراهيم وقبله وبكى، ثم فضَّه وقراه وعجب بما فيه فحرك رأسه، فقال المختار: ممَّ حركت رأسك، لعله ثقل عليك أن تباعني؟ فناولني الكتاب فلا حاجة لي في بيعتك، ولكن لا تكن عليَّ كما لم تكن لي، فقال

إبراهيم: سبحان الله يا أبا إسحاق! بل السمع والطاعة لأمر سيدنا محمد، مد يدك، فمدّها فبايعه وأخذ موثيقه، وكان إذا ركب إبراهيم ركب ثلاثمائة فارس معه من مواليه وموالي أبيه، فلما بايع المختار قال إبراهيم: قم معي إلى محمد بن الأشعث ندفع إليه الكتاب، فقاما إليه وقرعا الباب، فلما دخلا أجلسهما وجلس فأعطاه المختار الكتاب ففضه وقراه، فحرّك رأسه كما فعل إبراهيم، فقال له المختار كما قال لأبراهيم فقال: ظننت أن سيدنا محمد يأمرك بالبيعة لي فحرّكت رأسي، ثم بايعه محمد، فقال لهما المختار: قوما معي فإن معي هذه الكتب ندفعها إلى مشايخ الكوفة وهي أربعون كتاباً. فقاما معه حتى فرق تلك الكتب إلى أهلها وأخذ منهم البيعة، ثم إنَّ المختار جمعهم في منزل إبراهيم فدبروا في قتل عمرو بن حريث خليفة عبيد الله، وكان عمرو في أربعة آلاف وكان مع المختار مائتا فارس؛ ومع إبراهيم ثلاثمائة؛ ومع محمد بن الأشعث مائتان، ثم قال للمشايخ: أخبروني كم يركب معكم؟ فقالوا: شأنك والقوم فإنَّ كل واحد يكفيك محلّته ودربه، فكبر المختار وقال: الآن آخذ بثار آل محمد ورب الكعبة.

ثم قال لمحمد بن الأشعث: اركب الآن في أصحابك وأخرج بعلّة الصيد، وانتح بعسكرك الحيرة، واركب أنت يا إبراهيم! إذا انتصف النهار وادخل على ابن حريث، وقل له: إنَّ أهل البصرة قد هزموا الأمير عبيد الله ابن زياد وإني خارج إلى نصرته، فماذا تأمر؟ ثم إنك إن تمكنت فاقتله، ثم اضرب بطبله فكل من خرج من أعوانه وأصحابه فضع السيف فيهم، ومن هرب منهم إلى الحيرة، فاقتله أنت يا محمد! ومن هرب إلى الجبانة قتلته أنا في عسكري، ومن هرب منهم في السكك والازقة فاقتلوهم أنتم أيها المشايخ! وغلقوا الدروب جيداً واستوثقوا من المحال.

فاجتمع رأيهم على ذلك وتفرقوا ورجع المختار إلى عسكره ولم يعلم أحداً من أهله، فلما أصبحوا خرج محمد بن الأشعث إلى الحيرة بعلّة الصيد. ووكل كل شيخ في دربه ومحلته من يعتمده من أهله وأعوانه يتوقعون الصيحة، فلما انتصف النهار ركب إبراهيم في قومه حتى أتى قصر عمرو بن حريث ثم دخل وعليه سلاحه، فاستقبله الحاجب فقال: ما شأنك في هذا الوقت وفي هذا الزي؟ قال: إنّ أهل البصرة هزموا الأمير عبيد الله وأنا خارج لنصرته فأخبر الحاجب الأمير - وكان نائماً في بيت الخيش -^(١) فخرج مغموماً متغير اللون وعليه غلالة كتان منسوج بالذهب وفي رجليه نعلان، فلما صار في صحن الدار اعتنقه وأخبره الخبر وجلسا يتحدثان، فنظر إبراهيم إلى رمح في وسط الدار مغشى بالديباج، فسأله عنه، فقال: هذا الرمح الذي حمل رأس الحسين من الطف إلى الشام يفتخر به ابن زياد ومن يوالي آل سفيان، فاستأذن أن يراه، فقال عمرو بن حريث: يا غلام! آت به إلى إبراهيم، فأخذه إبراهيم وهزه ثم طعن به عمرو بن حريث فأخرج السنان من وراء ظهره واستل سيفه وقتله، وقتل الحاجب والغلمان، وارتفعت الصيحة في الدار فلم يخرج إليه أحد إلا قتل، ثم ضرب الطبل، فركب عسكر ابن حريث إلى القصر فمن لقيه إبراهيم قتله. ومن فرّ إلى الحيرة قتله ابن الأشعث، ومن فرّ إلى الجبانة قتله المختار، ومن هرب إلى السكك والمحال قتله المشايخ، حتى لم ينج منهم أحد، فبايع حينئذ أهل الكوفة المختار واحتوى على خزائن ابن زياد، ووضع الديوان فكتب فيه اثني عشر ألف مقاتل، وقوي أمره. وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فعرض ستين ألف رجل، وجاء بهم إلى الكوفة لحرب المختار، فنزل بباب الكوفة بموضع

(١) بيت الخيش: يوضع فيه الثلوج بين الخيش للتبريد في الحرّ.

يقال له : بين النهرين ، الفرات والوادي .

فنادى المختار : يا أهل الكوفة ! قاتلوا عن ابن بنت نبيكم واطلبوا بثاره ، أو قاتلوا عن كوفتكم وعيالكم وأموالكم ، فوالله لئن ظفر ابن زياد بكوفتكم هذه ليحرقنها وينسفنها ، فبايعه ذلك الوقت ستة آلاف رجل فصار عنده ثمانية عشر ألف ، فخرج المختار إليه فراسله بالصلح ، فأبى المختار ، وبقي العسكران متقابلين شهرين حتى بذل ابن زياد العراق للمختار فلم يقبل ، فقال له بعض قواده : ما هذا الحال أيها الأمير ! فقد أذللتنا على كثرتنا؟ فقال : أعلم أنني كنتُ صبيّاً وكان المختار أصغر مني ف وقعت بيننا خصومة بسبب حمامة فضربني المختار وأسقطني على الأرض وجثا على صدري ، وقال لي : لاقتلك ولن يكون قتلك إلاّ على يدي إن شاء الله ، فأنا من ذلك اليوم أتخوف منه على نفسي ، ثمّ إنني سألتُ المنجم عن طالعي وموتي ، فأخبرني : إنني أقتل على يدي رجل له صفته ، فقتلت المنجم بسبب ذلك ، حتى لا يخبره فيقوي عزمه ، ثم صممّ الحرب مع المختار ، فأرسل المختار جاسوساً يستعلم أخبار ابن زياد بقيامه وعوده وحركاته كلّها ، فأخبره : أنه صلىّ فقراً في صلاته في الركعة الأولى : ﴿إذا وقعت﴾ ، وفي الثانية : ﴿إذا زلزلت﴾ .

فكبر المختار ، وقال : وقعت بهم الواقعة ؛ وزلزلت بهم الأرض ، ثم إنّ المختار عبأ عسكره فجعل على الميمنة إبراهيم بن مالك ، وعلى الميسرة محمد بن الأشعث ، ووقف هو في القلب ، وعبأ ابن زياد عسكره على ما كان يعبىء به ، وكان المختار لا يحارب إلاّ حين تزول الشمس اقتداءً بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلما أن قرب الزوال ، دعا المختار برجل من أصحابه ، وقال له : استأمن ابن زياد واتبعهم ، فإذا خلع عليك وقربك ،

فصر إلى صاحب العلم وأسر إليه : إنَّ المختار يعرفك محباً لآل محمد وهو يطالب بدم ابنه الحسين ، ويقول لك : إذا دنوت من عسكر المختار ، فنكس العلم ساعةً ، فإن أنت فعلت جزيتَ من الله ورسوله ، وجعلت لك ولاية البصرة ، فاستأمن الرجل وأكرمه ابن زياد لمعرفة به ، فدنا من صاحب العلم وأسرَّ إليه ما أراده المختار ، فقال له : ارجع إليه ، وقل له : إني فاعل ذلك ، فاحمل أنت على القلب ، فلما التحم القتال وحمل إبراهيم في الميمنة ؛ ومحمد بن الأشعث في الميسرة ؛ وحمل هو في القلب ، واستحرَّ الضرب ، نكس صاحب العلم علمه فانكسرت النفوس وارتعدت الفرائص ، فولوا مدبرين وأسرَّ إبراهيم ابن الأشتر عبيد الله بن زياد ، وجاء به إلى المختار ، فلما أوقف ابن زياد بين يدي المختار خرَّ ساجداً شكراً لله تعالى ، ثم جلس فضرب بسيفه جبين ابن زياد كما رماه ابن زياد بعمود من حديد فشج جبينه ، ثم قطع يديه ورجليه ، ثم رأسه ، ثم صلبه ، ثم أحرقه بالنار .

والصحيح من استيلاء المختار على الكوفة وقتل ابن زياد ما ذكرناه أولاً أنه استولى كما تقدّم ، وقتل إبراهيم ابن زياد بالموصل ، لأنَّ أصحاب التواريخ والنسّابين قد اتفقوا على أنه لم يكن لبني أمية ولاية بالعراق من سنة أربع وستين ، وهي السنة التي مات فيها يزيد وهرب ابن زياد من العراق إلى الشام ، إلى سنة اثنين وسبعين وهي السنة التي دخل عبد الملك بن مروان فيها العراق ، وقتل مصعب بن الزبير وولى فيها الحجاج بعد قتله عبد الله بن الزبير .

وكان خروج المختار ومقتل ابن زياد سنة ست وستين ، وكان ابن زياد في هذه السنة في الشام هارباً من العراق ، فكيف يكون أميراً على البصرة ؟ والبصرة كانت ولايتها من السنة التي مات فيها يزيد وهي سنة أربع وستين

في يد عبد الله بن الزبير إلى سنة اثنتين وسبعين، فالصحيح من سياق قصة المختار ما ذكرناه أولاً.

ولما قتل إبراهيم بن الأشتر عبید الله بن زياد، واستولى على أرض الجزيرة، أقام هناك وأعرض عن المختار، فكان المختار يكتبه فلا يجيبه، فلما نظر مصعب بن الزبير إلى أن المختار قد بقي في شردمة قليلة من أهل الكوفة، وأن إبراهيم بن الأشتر معرض عنه لا يجيب كلامه ولا يسمع له، اغتتم الفرصة في ذلك، وكتب إلى المهلب بن أبي صفرة، وكان يحارب الأزارقة بأمره، فاستدعاه وأعطى الكتاب إلى محمد بن الأشعث فقال: سر إليه فليس له أحد سواك، فإنه إذا نظر إليك رسولاً علم أن الأمر جد فلا يتخلف، وانظر أن لا تفارقه أو تشخصه معك، فأخذ محمد بن الأشعث الكتاب وسار إلى المهلب، وهو يومئذ بسابور من أرض فارس يحارب الأزارقة، فلما قرأ الكتاب قال: يا سبحان الله! أما وجد الأمير بريداً سواك؟ فقال ابن الأشعث: والله، ما أنا ببريد لأحد غير أن نساءنا وأبناءنا وعقرنا ومنازلنا في يد المختار، قد غلبنا عليها وأجلانا عن بلدنا، ونحن نرجو أن تعود إلينا بعونك.

فدعا المهلب بأصحابه وقال: إن الأزارقة لا يريدون إلا ما في أيديهم، والمختار يريد ما في أيديكم، فذاك أولى بالدفع والنفع، وولى عليهم ابنه المغيرة وسار في ألف رجل من فرسانه حتى قدم البصرة فقربه مصعب وأجلسه معه على سريره، ثم أمره بالتأهب لمحاربة المختار، ثم أمر مصعب أصحابه أن يعسكروا عند الجسر الأعظم، وخرج مصعب وخرج الناس معه من البصرة، وجعل على كل قبيلة رئيساً يقتدون برأيه، فجعل على قريش عمرو بن عبید الله التيمي وعلى تميم كلها الأحنف بن قيس، وعلى أهل

العالية قيس بن الهيثم السلمي، وعلى بكر بن وائل مسمع الجحدري، وعلى عبد قيس مالك بن المنذر العبدي، وعلى كندة محمد بن الأشعث، وعلى مذحج عبيد الله بن الحر الجعفي، وعلى قبائل الازد المهلب بن أبي صفرة.

فبلغ ذلك المختار فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد يا أهل الكوفة! فإن أهل مصركم بغوا عليكم، كما قتلوا ابن بنت نبيكم، قد كانوا لجأوا إلى أمثالهم من الفاسقين الملحدين فاستعانوا بهم عليكم، لما علموا أن ابن الأشر قد خذلني، وقعد عن نصرتي، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة يريدون قتلي، ليضمحل الحق وينتفش الباطل، ويقتلوا أولياء الله، ألا فانهدوا مع الأحمر بن شميطة البجلي فإني أرجو أن يهلكهم الله تعالى على أيديكم، فأجابه الناس من كل جانب :
سمعنا واطعنا! فخرج بهم الأحمر حتى عسكر بموضع يقال له : حمام أعين، ثم رحل حتى نزل المذار في قريب من ثلاثة آلاف فارس .

وأقبل مصعب حتى نزل قريباً منه في سبعة آلاف فارس وراجل، ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم عباد بن الحصين الحبطي فنادى : يا شيعة المختار! أنا أدعوكم إلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله ابن كامل الهمداني : ونحن ندعوكم إلى بيعة المختار وأن نجعل هذا الأمر شوري بين آل الرسول، فمن زعم أنه أحق بهذا منهم برئنا منه في الدنيا وهو في الآخرة لمن الخاسرين، وجاهدناه حق الجهاد عن الدين، فلما سمع مصعب ذلك غضب، وقال : احملوا عليهم؛ فحمل عباد بن الحصين على أصحاب المختار فلم يزل أحد من موقعه، ثم حمل ابن الأشعث فلم يزل أحد من موقعه، فصاح ابن الأشعث : يا أهل العراق! إلى متى، وحتى متى نحن

أذلاء مشردون عن بلادنا، مطردون عن أهلنا وأولادنا، فكروا عليهم كرهًا صادقًا، فكروا عليهم فقتل الأمير الأحمر بن شميطة وانهزم أصحابه إلى الكوفة.

فنزل بالمختار أمر عظيم من مقتل أصحابه، فكتب إلى إبراهيم بن الأشتر أيضاً فلم يجبه، وأقبل مصعب حتى نزل بواسط ثم أمر أصحابه الرجالة ففقدوا بالسفن، وساروا في نهر يخرجهم إلى الفرات، وبلغ ذلك المختار فأمر بكل نهر يحمل من الفرات فسده، فبقي أصحاب مصعب في الطين، فخرجوا من السفن وساروا على الظهر حتى نزلوا حروراء، وخرج المختار من الكوفة حتى نزل بأزائهم، وقال: ياله من يوم لو حضرني فيه ابن الأشتر، ووالله، ما من الموت بدّ، ثم اختلط الفريقان بالحرب، فأرسل مصعب إلى المهلب: ما تنتظر أن تحمل على من بأزائك، فالتفت المهلب إلى أصحابه، وقال: يظن الأمير أنا نلعب ولا يعلم باني ما قاتلت قتالاً أشد من هذا، ثم حملوا على أصحاب المختار فكشفوهم، فصاح المختار: أين أصحاب الصبر واليقين؟ فثاب إليه زهاء خمسمائة رجل ما فيهم رجل إلا وهو يعد برجال، فجعلوا يقاتلون قتالاً لم تسمع الناس بمثله، فالتفت رجل من أصحاب المختار يقال له: عبد الله بن عمرو النهدي، فقال: ويحكم! أروني الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث فإنه والله ممن قاتل الحسين وشرك في دمه، وقال له: أي قرابة بينك وبين رسول الله.

فقالوا له: هو في الكتيبة الحمراء على فرس له أدهم فقال: بلى والله، قد رأيته فذروني وإياه، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم! إني على ما كنت عليه بصفين، اللهم! وإني أبرأ ممن قتل آل بيت نبيك محمد أو قاتلهم أو شرك في دمائهم، وحمل حتى خالط أصحاب مصعب فجعل يضرب

ويقتل فيهم وهو مع ذلك يلاحظ الموضع الذي فيه محمد بن الأشعث حتى إذا أمكته الفرصة حمل عليه فضربه ضربة على راسه فجذله قتيلاً، فأحاط أصحاب مصعب بعبد الله بن عمرو هذا فقتلوه.

وكان المختار قد قتل بالكوفة خلقاً كثيراً من أهل الكوفة حتى قيل: إنه قتل سبعين ألفاً ممن قتل أو قاتل الحسين عليه السلام فتركه أصحابه لما في نفوسهم من الدحل على أقربائهم، وتحولوا إلى مصعب، فلما رأى المختار ذلك نزل عن فرسه، ونزل معه شيعة آل الرسول الخلفاء، فبركوا على أفواه السكك، فلم يزالوا يقاتلون من المغرب إلى الصبح، ثم قال له بعض أصحابه: أما أخبرتنا أنا نقتل مصعباً، فقال: بلى، أما قال الله عز وجل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد/١٣.

ولما أصبح دخل قصر الامارة وكان قد أخطأ رجل من أهل الكوفة فضرب عبيد الله بن علي عليه السلام وكان في عسكر مصعب فقتله ولم يعرفه، وأقبل مصعب نحو الكوفة، حتى دخلها في جيشه، والمهلب عن يساره، فقال له: يا أبا سعيد! ياله من فتح ما أهناه لولا قتل محمد بن الأشعث، وجاءت الخيل حتى أحرقوا بالقصر فحاصروا المختار وأصحابه حصاراً شديداً حتى بلغ منهم العطش مبلغاً عظيماً، وكانوا بذلوا في الراوية من الماء الدينارين والثلاثة، وكانت النساء يأتين فيدخلن القصر بأنطعام والشراب إلى أقربائهن، فبلغ ذلك مصعباً فمنع النساء ثم قطع عنهم الماء، فكانوا يمزجون ماء البئر بالعسل فيشربونه من العطش، وكان أصحاب مصعب ينادون المختار: يا بن دومة! كيف ترى ما أنت فيه من الحصار؟ هذا جزاء من خالف أمير المؤمنين عبد الله وطلب الأمر لغيره.

فأشرف عليهم المختار ثم قال: يا جند المرأة، وأتباع البهيمة! أتعبروني

بدومة وهي من بنات سادات ثقيف؟ نعم، أنا ابن دومة، حسناء الحومة، لا يسمع فيها لومة، أما والله، لو كان من يعيرني بدومة من إحدى القريتين لما عدا، ولكن إن كنتم رجالاً كما تزعمون، فاثبتوا لي قليلاً فوالله لأقاتلنكم قتال مستقتل قد آيس من الحياة. ثم صبَّ عليه درعه وسلاحه واستوى على فرسه وتمثل بقول غيلان بن سلمة الثقفي:

ولو يراني أبو غيلان إذ حسرت	عني الهموم بأمر ماله طبق
لقال رعباً ورهباً يجمعان معاً	غنم الحياة وهول النفس والشفق
والموت أحمد شيء للكريم إذا	طغى له الدهر والآجال تحترق

ثم أمر بباب القصر ففتح وخرج في نحو مائتي رجل ممن بقي بهم فكرَّ على أصحاب مصعب حتى هزمهم وركب بعضهم بعضاً، فنظر إليه رجل من أهل البصرة وهو يحيى بن ضمضم الضبي - وكان فارساً طويلاً إذا ركب خطت رجلاه الأرض من طوله، ولم يكن في عسكر مصعب أفرس منه -، فحمل على المختار ليضربه فاستقبله المختار وضربه على جبينه فخرَّ صريعاً وحملت الكتائب على المختار من كل جانب، فجعل يحاربهم ويرجع إلى ورائه حتى دخل القصر فأحاطت الخيل بالقصر، وحاصروه أشدَّ الحصار، فتمثل السائب بن مالك الأشعري بقول عبد الله بن حذاق:

هل للفتى من بنات الدهر من واق	أم هل له من حمام الموت من راق
كأنني قد رمانني الدهر عن عرض	بنافذات بلا ريش وأفواق
وغمضوني ولم يألوا بنعيمهم	وقال قائلهم أودى ابن حذاق
وقد دعوا لي أقواماً وقد غسلوا	بالماء والسدر جثمانني وأعلاقي
ورجلوني وما رجلت من شعث	والبسوني ثياباً غير أخلاق
ورفعني وقالوا أيما رجل	حامي الحقيقة قد وافى بميثاق

وأرسلوا فتية من خيرهم نسباً ليدخلوني ضريحاً بين أطباق
هون عليك ولا تولع باشفاق فإنما مالنا للوارث الباقي
فسمع المختار هذه الأبيات من السائب، فقال له: لله در عبد الله بن
حذاق، ما أجود هذه الأبيات! أما والله، لولا ما نحن فيه، لأحببتُ أن
أحفظها، والله، ياسائب! لو كان لي عشرة من مثلك لقهرت مصعباً
وأصحابه.

ثم قال لأصحابه: اخرجوا بنا ويحكم حتى نقاتل هؤلاء فنقتل
كراماً، ووالله، ما أنا بآيس إن صدقتموهم القتال، أن تنصروا عليهم.
فأجابه أصحابه إلى ذلك، وقالوا: ما الرأي إلا ما رأيت، وليس يجب علينا
أن نعطي بأيدينا، ويحكم هؤلاء في دمائنا، فاعزم على ما أنت عليه عازم
من أمرك، فها نحن بين يديك.

فبعث المختار إلى امرأته أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارية،
فأرسلت إليه بطيب كثير وحنوط، فقام واغتسل، ثم أفرغ عليه ثيابه
وتحنط، ووضع ذلك الطيب في رأسه ولحيته، وقام أصحابه ففعلوا ذلك،
وقال له بعض أصحابه: يا أبا إسحاق! مامن الموت بد؟ فقال: لا والله،
يا ابن أخي! ما من الموت بد، وقد رأيت والله عبد الله بن الزبير بالحجاز
وبني أمية بالشام ومصعباً بالعراق، ولم أكن بدون واحد منهم، وإنما
خرجتُ بطلب دماء أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيراً، وقد والله، شفيتُ نفسي من أعدائهم، وممن شرك في دمائهم،
ولستُ أبالي بعد هذا كيف أتاني الموت. ثم استوى على جواده وقال:

لما رأيت الأمر قد تعسراً وشرطة الله قياماً حسراً
شدت في الحرب عليّ مغفراً وصارماً مهنداً مذكراً

معتقداً اني سألقى القدرأ أن يقتلونني ويروني المنكرا
فقد قتلتُ قبل هذا عمرا ونجله حفص الذي تنمرا
وابن زياد إذ أقام العثيرا والابرص القيسي لما أدبرا
وقد قتلتُ قبل هذا المنذرا من كل حيٍّ قد قضيتُ وطرا

١٢- وذكر السيد أبو طالب، بإسنادي إليه، عن محمد بن زيد الحسني، عن الناصر للحق الحسن بن علي، عن محمد بن خلف، عن عمر ابن عبد الغفار، عن أبي نصر البزاز مولى صعصعة بن صوحان العبدي، عن أبيه، قال: رأيتُ المختار خرج من القصر، والسيف في يمينه وفي يساره الترس، وهو يهدر كما يهدر البعير، ويقول:

إن تقتلونني تقتلوا مشمرا رحب الذراعين شديداً حذرا
محمداً قتلتَه وعمرا والابرص القيس لما أدبرا
أخا لجيم إذ طفى واستكبرا من كل حيٍّ قد قضيتُ وطرا

قال: فوالله العظيم، ما ارتفع له شيء إلا ضربه فجذله، حتى جاءه عبد الكبير بن شعث بن ربيعي، فضرب يده فانقطع فاعتوروه بالرماح حتى قتلوه.

وزاد السيد أبو طالب في روايته أجزاء من كتابه على هذه الأبيات وأسندها إلى المختار، وهي:

لما رأيت الأمر قد تغيراً شددت في الحرب عليّ مغفرا
وصارماً محدداً مذكرا وشرطة الله قياماً حسرا
يسعون حولي جاهدين صبرا أن يقتلونني يجدوني حذرا
محمداً قتلتَه وعمرا وابن سعيد وكتلتُ المنذرا
والابرص القيس لما أدبرا من كل حيٍّ قد قضيتُ وطرا

قال السيد أبو طالب: يعني بقوله محمداً - محمد بن الأشعث -، وعمر - عمر بن سعد بن أبي وقاص -، وابن سعيد - عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني -، والمندر - المندر بن حسان الضبي -، والابرص القيس - شمر بن ذي الجوشن الضبابي -.

ثم جاء مصعب بعد قتله فاحاط بالقصر على أهله، وأمر برأس المختار فجزّ، وبيديه فقطعتا وعلقتا على عضادتي باب الجامع، فكانتا عليها إلى أن جاء الحجاج وقتل مصعباً، فأمر بهما فأنزلتا.

ثم أمر مصعب برأس المختار فنصب في رحبة الحذائين، ونادى أصحاب القصر: افتحوا الباب ولكم الأمان، ففتحوا فأخذوهم وأوقفوهم بين يدي مصعب، فنظرهم وقال: الحمد لله الذي أمكنني منكم يا شيعة الدجال! فقال رجل منهم وهو بحير بن عبد الله السلمي: لا والله، ما نحن بشيعة الدجال، ولكننا شيعة آل رسول الله، وما خرجنا بأسيا فإنا إلا طلباً بدمائهم، وقد ابتلانا الله بالأسر وابتلاك أيها الأمير بالعفو والعقاب، وهما منزلتان: منزلة رضى ومنزلة سخط، فمن عفا عفي عنه، ومن عاقب فلا يعدو القصاص، وبعد، فإننا إخوتكم في دينكم، ونحن من أهل قبلتكم وعلى ملتكم، ولسنا من الترك ولا الديلم، وقد كنا أمنا ما كان من أهل الشام فما لأهل العراق، فاصفح إذا قدرت، فكأن مصعباً رقيقاً لكلامه، فوثب جماعة من عتاة الكوفة وقالوا: أيها الأمير! إن هؤلاء هم الذين قتلوا آبائنا وأبناءنا وإخواننا، وفي إطلاقك إياهم فساد عليك في سلطانك وعلينا في أحسابنا.

فقال مصعب: فشأنكم إذن بهم، فأنحوا عليهم بالسيوف، فقتلوهم جميعاً، ثم دخل مصعب القصر وجلس على سرير المختار، وأرسل إلى

امراتي المختار: أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارية، وعمرة بنت النعمان ابن بشير الانصارية، فقال لهما مصعب: ما تقولان في المختار؟ فقالت الفزارية: أقول فيه كما تقولون، فقال مصعب: إذهبي فلا سبيل لي عليك، وقالت الانصارية: ولكني أقول كان عبداً مؤمناً محباً لله ولرسوله ولأهل بيت رسوله، فإن كنتم قتلتموه فإنكم لم تبقوا بعده إلا قليلاً، فغضب مصعب وأمر بها فقتلت، فقال بعض الشعراء في ذلك:

إنَّ من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم إنَّ لله درها من قَتِيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرُّ الذيول

ثم بعث مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير، فأمر عبد الله برأس المختار فنصب بالابطح، وكان قبل ذلك أبي أن ينصب محمد بن الحنفية رأس ابن زياد خارج الحرم، ثم أرسل عبد الله بن الزبير إلى ابن عباس فقال له: يا ابن عباس! إنَّ الله قد قتل المختار الكذاب، فقال ابن عباس: رحم الله المختار! فقال: كأنك لا تحب أن يقال: الكذاب؟

قال: فإن المختار كان محباً لنا عارفاً بحقنا، وإنما خرج بسيفه طالباً لدمائنا، وليس جزاؤه منا أن نشتمه ونسميه كذاباً.

ثم كتب مصعب إلى إبراهيم بن الأشتر:

أما بعد فقد قتل الله المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر، وكادوا بالسحر، فاقبل إلينا آمناً مطمئناً، ولك أرض الجزيرة وما غلبت عليه بسيفك من أرض العرب، ما بقيت وبقي سلطان ابن الزبير، ولك بذلك عهد الله وميثاقه.

وكتب أيضاً عبد الملك بن مروان من الشام إلى إبراهيم مثل ذلك

ومناه، فكتب إبراهيم إلى عبد الملك بن مروان: إنه مامن قبيلة بالشام إلا وقد وترتها يوم ابن زياد، فلا آمنهم وإنما قبيلتي بالعراق، وبعض الشر أهون من بعض، وصار إلى مصعب فخلع عليه مصعب، وأجلسه معه على سرير.

وكتب إلى أخيه عبد الله بذلك، فسر بمقدم إبراهيم، ثم إن مصعباً أعاد المهلب إلى حرب الازارقة، وبقي عبد الله بن الزبير يحد في مناوأة محمد بن الحنفية وابن عباس وبقية أهل البيت، حتى حبسهما إذ لم يجيباه إلى البيعة، وكان قبل ذلك حبس محمد بن الحنفية في قبة الشراب، فعلم المختار بذلك فأرسل إليه أبا عبد الله الجدلي في جيش عظيم فخلّصه، وتوعد ابن الزبير أن أخافه، فأمسك ابن الزبير إلى أن قُتل المختار، فعاد إلى ما كان عليه من العداوة، حتى قال يوماً لابن عباس: إنه قد قتل المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصرته، فقال ابن عباس: دع عنك المختار فإنه قد بقيت لك عقبة تأتيك من الشام، فإذا قطعتها فانت أنت، وإلا فانت أهون من كلب في درب المسجد.

فغضب وقال: إني لم أعجب منك، ولكن أعجب مني إذ أدعك تتكلم بين يدي بملء فمك، فتبسم ابن عباس، وقال: تكلمت والله، بين يدي رسول الله ﷺ، وعند أبي بكر غلاماً، وعند عمر وعثمان وعليّ رجلاً، وكانوا يرونني أحقّ من نطق، يسمعون رأيي، ويقبلون مشورتي، وهؤلاء الذين ذكرتهم بعد رسول الله خير منك ومن أبيك، فازداد غضبه، وقال له: لقد علمت أنك ما زلت لي ولاهل بيتي مبغضاً، ولا زلت لكم يابني هاشم! منذ نشأت مبغضاً، ولقد كنتم بغضكم أربعين سنة، فقال ابن عباس له: فازدد في بغضنا، فوالله، ما نبالي أحببتنا أم أبغضتنا؟

فقال ابن الزبير: اخرج عني فلا أراك بعد هذا تقربني، فقال ابن عباس: أنا زاهد فيك من أن تراني عندك، ثم عاد ابن الزبير فقال: ذر عنك هذا وارجع الى ابن عمك - يعني محمد بن علي عليه السلام - وقل له: فليخرج من جواربي ولا يتربص، فإنني لا أظنه سالماً مني أو يصيبه ظفر، فقال ابن عباس: مهلاً، يا ابن الزبير! فإن مع اليوم غداً، فقال ابن الزبير: صدقت مع اليوم غداً، وليس يجب عليك أن تكلمني في رجل ضعيف سخي ليس له قدم ولا أثر محمود، قال: فتنمر ابن عباس غضباً وقال: ليس على هذا صبر يا ابن الزبير! واللّه، إن أباه لخيرٌ من أبيك، وأن أسرته لخير من أسرتك، وانه في نفسه لخيرٌ منك، وبعد فرماه الله بك إن كان شراً منك في الدنيا والدين.

ثم نهض مغضباً وخرج وهو يقول: لائمة من محمد بن الحنفية أحبُّ إلي من ابن الزبير وآل الزبير، وأنه واللّه، لا وفر منهم عقلاً، وأفضل ديناً وأصدق حياءً، وأشد ورعاً، ثم خرج ابن الزبير في عدة أصحابه، وقام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس! إن فيكم رجلاً أعمى الله بصره يزري على عائشة أم المؤمنين، ويعيب طلحة والزبير حوارى رسول الله يريد بذلك ابن عباس، وكان ابن عباس حاضراً في المسجد، فلما سمعه وثب قائماً وقال: يا ابن الزبير! أما ما ذكرت من أم المؤمنين عائشة فإن أول من هتك حجابها أنت وأبوك وخالك طلحة، وقد أمرها الله أن تقرّ في بيتها فلم تفعل فتجاوز الله عنها ورحمها، وأما أنت وأبوك وخالك فقد لقيناكم يوم الجمل، فإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم المؤمنين، وإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم من الزحف.

فقال ابن الزبير: اخرج عني ولا تجاورني! فقال ابن عباس: نعم

والله، لاخرجن خروج من يفلأك ويذمك، ثم قال ابن عباس: اللهم! إنك قادر على خلقك، قائم على كل نفس بما كسبت، اللهم! إن هذا الرجل قد أبدى لنا العداوة والبغضاء، اللهم! فارمه منك بحاصب، وسلط عليه من لا يرحمه، ثم خرج ابن عباس ومحمد بن الحنفية وأصحابهما من مكة إلى الطائف.

وكان ابن عباس يقول: أيها الناس! لو فسح لي عن بصري لكان لي ولابن الزبير ولبني أمية شأن، ألا وإن الله عز وجل قد حرم هذا الحرم منذ خلق السماوات والأرض، وهؤلاء القوم قد أحلوه، ولكن انظروا متى يقصمهم الله، ويغير ما بهم. ف قيل: اتعني ابن الزبير أم الحصين بن نمير السكوني؟ فقال: بل أعنيهما وأعني يزيد بن معاوية، فلم يزل بالطائف يذكر أفعال ابن الزبير إلى أن أدركته الوفاة، فصلّى عليه محمد بن علي عليه السلام ودفنه بالطائف بوادي وج منها.

١٣- وذكر القتيبي: أن وفاته سنة ثمان وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وضرب محمد على قبره فسطاطاً، وقال: مات والله، رباني هذه الأمة، وبقي بعده محمد في الطائف لا يرى ابن الزبير ولا يذكره.

وقال أصحابه: أنه دخل شعب رضوى مع أربعين من أصحابه، فلم ير لهم أثر ولا سمع عنهم خبر، وقيل: لما قتل ابن الزبير واستقر الأمر لعبد الملك بن مروان وولى الحجاج العراق، بايع محمد بن الحنفية عبد الملك على أن لا تكون للحجاج عليه ولاية، فأجابه عبد الملك وأحسن إليه والتمسه أن يزوره في كل سنة مرة، فأجابه محمد، وكان يجيزه في كل سنة بمائتي ألف درهم، ثم نزل محمد المدينة حتى مات.

وذكر القتيبي: أن محمداً توفي أيضاً بالطائف سنة اثنتين وثمانين وهو

ابن خمس وستين سنة، ولنذكر لتمام المطلب هنا:

مقتل مصعب، وعبد الله ابني الزبير

كان عبد الملك بن مروان يهمله أمر العراق، فاجمع رأيته أن يدخلها بنفسه، وتهياً للمسير إليها، ولبس سلاحه، ودعا بكرسي فجلس عليه، فأتته امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ومعها جواريتها حتى وقفت بين يديه، فقالت: أنشدك الله، يا أمير المؤمنين! إن غزوت آل الزبير في هذه السنة، فقد علمت أنهم أشام بيت في قريش.

فقال لها: ويحك قد أزمعت على السير، ولا بد لي من ذلك، فإما أن يبيدني آل الزبير أو أبيدهم. فبكت عاتكة فتبسم عبد الملك، وقال: قاتل الله كثيراً كأنه نظر إلينا فقال:

إذا ما أراد الغزو لم يثن عزمه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلماً لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما عناها قطينها

ثم دعا أخاه أبان بن مروان فاستخلفه على الشام، وخرج إلى العراق ومعه ثلاثة وستون ألفاً من أهل الشام ومصر، فبلغ ذلك مصعب ابن الزبير، فخرج من الكوفة وعسكر على عشرة فراسخ منها، واغتم غماً شديداً، فدعا بعبد الله بن أبي فروة مولى عثمان بن عفان، فاستشاره في المحاربة، فأشار عليه أن يستخلف على عمله ويلحق بأخيه عبد الله بمكة، وقال: إن الناس يخذلونك، فاقبل له: إني أكره أن تتحدث العرب: بأنني كعت عنه^(١)، ولكن هل لك أن تسير معي؟

(١) كاع: رجع خائفاً.

قال: لا، والله لا يتهاى لي ذلك، فلا تجشمني من الأمر مالا أطيعه .
فسار مصعب حتى التقى بعبد الملك بدير الجاثليق، فعبأ عبد الملك أصحابه، فجعل على ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد بن معاوية، وعلى القلب أخاه محمد بن مروان، وعبأ مصعب أصحابه، فجعل على ميمنته حمزة بن يزيد العتكي، وعلى ميسرته عبد الله بن أوس الجعفي، وعلى القلب إبراهيم بن مالك الأشتر، فحارب يومئذ إبراهيم محاربة شديدة حتى أصابته نيف وثلاثون ضربة وطعنة، فصرعوه عن فرسه، واحتزوا رأسه، وأتوا به إلى عبد الملك، فلما قُتل إبراهيم تضعع ركن مصعب، فالتفت إلى قطن بن عبد الله، فقال: تقدم، فقال قطن: ما أرى ذلك صواباً، قال: لم؟ قال: لأن القوم كثير، ثم قال مصعب لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني: لو قدّمت رايتك قبلاً، فقال: ما رأيتُ أحداً فعل ذلك فأفعل، فرمي مصعب عند ذلك بالسهم، حتى أثخن بالجراحات، وكاد أن يسقط عن فرسه، فتقدم عيسى بن مصعب، فقاتل بين يدي أبيه حتى قُتل، وبقي مصعب لا يقدر أن يُحرك يداً ولا رجلاً.

فقال محمد بن مروان: لا تقتل نفسك يا مصعب! فقد آمنتك بأمان أمير المؤمنين، فقال: إنَّ أمير المؤمنين بالحجاز، فحمل عليه عبد الله بن ظبيان التيمي، فقتله وأخذ رأسه، ووضع بين يدي عبد الملك، ثم أمر عبد الملك أن يؤخذ رأس مصعب؛ ورأس ابنه عيسى؛ ورأس إبراهيم بن الأشتر، فيطافُ بها في أجناد الشام، ثم قدم الكوفة في أجناد أهل الشام، ونادى في الناس بالأمان، ثم دعاهم إلى بيعته فبايعوا طائعين.

ثم إنَّ الحجاج بن يوسف رأى في منامه أنه كان يسلخ عبد الله بن

الزبير حتى أخرجه من جلده، فأخبر بذلك عبد الملك، فأمره أن يسير إلى مكة وضمَّ إليه ستة آلاف فارس: ألفين من أهل الشام؛ وألفين من مصر، وألفين من العراق، وقال: انظر يا حجاج! أن لا تطأ الحرم بالخيـل والجنود، ولكن انزل حيث شئت من أرض الحجاز، وامنع ابن الزبير الميرة، وخذ عليه الطرق.

فوثب إبراهيم بن الأسود النخعي، فقال: يا أمير المؤمنين! قد بعث هذا الغلام الثقفي إلى مكة فمره أن لا يهتك أستارها، ولا ينفر أطيارها، وأن يأخذ على ابن الزبير شعابها وجبالها، حتى يموت فيها جوعاً وعطشاً، أو يخرج عنها مخلوعاً. فقال عبد الملك: قد أوصيناه بذلك، ولن يجاوز أمرنا إن شاء الله تعالى.

فسار الحجاج ونزل على بئر ميمون وقطع الميرة على ابن الزبير، وطال ذلك، فلم يطع ابن الزبير، فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه: أن اعطه الأمان، فإن لم يخرج فجدّ في حربه، فدعاه الحجاج إلى الأمان فلم يقبل، فحاربه حتى التجأ إلى المسجد، فدخلوا عليه المسجد فقاتلهم حتى قُتل وقتل أصحابه، فأمر الحجاج بعبد الله بن الزبير فصُلِبَ منكساً، وكان مقتله سنة ثلاث وسبعين وهو ابن ثلاث وسبعين أيضاً.

ولما قُتل وقف عليه عبد الله بن عمر فبكى واستغفر له، وقال: أما والله، يا ابن الزبير! لئن علتك رجلاك اليوم فطالما قمت عليها في ظلمة الليل بين يدي ربك، وإنِّي لأسمع قوماً يزعمون: أنك شرُّ هذه الأمة، فلقد افلحت أمة أنت شرها.

وجاءت إليه أمه أسماء في اليوم الثالث، وهي مكفوفة، فقالت: اللهم! إني راضية عنه فارض عنه، ثم جاءت إلى الحجاج، فقالت له: أما

آن لهذا الفارس أن ينزل؟ فقال: أما روحه فصارت إلى جهنم، وأما جثمانه ففي طريق البلاغ، فقالت: كذبت، يا حجاج! فأمر بجثة ابنها فحطت عن خشبتها، فحملت إليها فغسلته وكفنته ودفنته، ولم تلبث بعده حتى لحقت به.

وهرب عروة بن الزبير من الحجاج، فصار إلى عبد الملك، فأمنه وأكرمه، فقال له الحجاج: إن أموال أخيه عنده، فزجره عبد الملك، وقال: لا سبيل لك عليه.

١٤- وأخبرني صدر الحفاظ أبو العلا الحسن بن أحمد الهمداني -إجازة بها-، أخبرني محمود بن إسماعيل الصيرفي، أخبرني أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرني أبو القاسم الطبراني، حدثني محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثني عبيد الله بن إسماعيل الهباري، حدثني سعيد بن سويد، عن عبد الملك بن عمير، قال: دخلت على عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن علي عليه السلام قدأمه على ترس، فما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على المختار، فرأيت رأس عبيد الله بن زياد قدأمه على ترس، ثم ما لبثت إلا قليلاً حتى دخلت على مصعب بن الزبير فرأيت قدأمه رأس المختار على ترس، ثم ما لبثت والله، إلا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان فرأيت قدأمه رأس مصعب بن الزبير على ترس.

١٥- وذكر الإمام أحمد بن أعثم الكوفي؛ والإمام عبد الكريم بن حمدان هذا الحديث، عن الشعبي قال: كنت جالساً بين يدي عبد الملك بن مروان فجيء له برأس مصعب ووضع بين يديه، فقلت: ما أعجب هذا الاتفاق! فقال: ما ذلك؟ قلت: يا أمير المؤمنين! دخلت هذا القصر فرأيت عبيد الله في موضعك هذا، ورأس الحسين بين يديه، ثم دخلته والمختار فيه

ورأس عبيد الله بن زياد بين يديه، وساق الحديث على هذا الترتيب، فقام عبد الملك، وقال: لله، يا شعبي! في أمره تدبير.

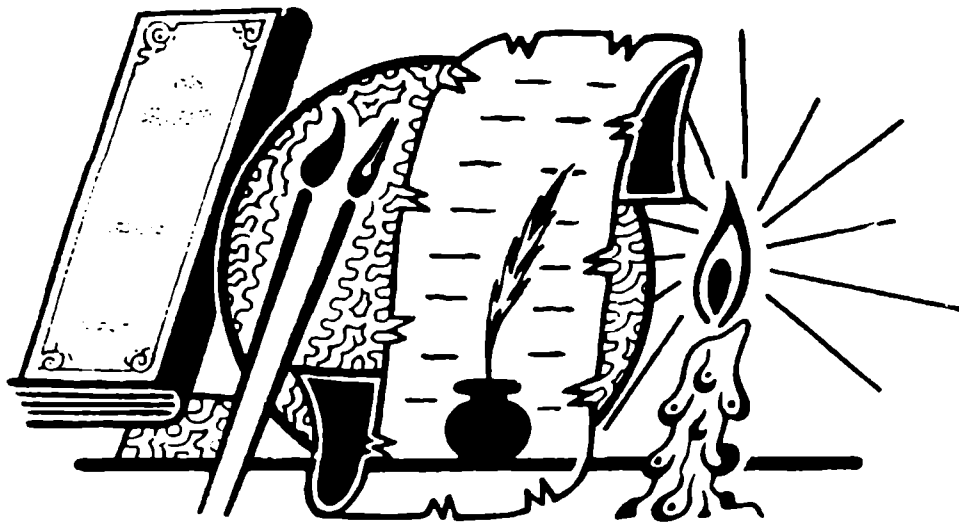
وزاد عبد الكريم: قال الشعبي: ورأيتُ الحجاج بن يوسف قاعداً على كرسي من ذهب بين يدي عبد الملك فغلبني البكاء، فقال لي عبد الملك: ماذا يُكيك؟ فساق الحديث، قال: فزبرني الحجاج، وكاد أن يبطش بي، فنهاه عبد الملك، فخرجت سالماً.

١٦- وقال محمد بن إسحاق: إن محمد بن هانئ دخل عليه فلما رأى رأس مصعب ضحك، فقال الحجاج: مم ضحكت يا بن هانئ؟ قال: من عجب، قال: فأخبرني به فقد شغلت قلبي، فقال: رأيتُ في هذا المجلس، وساق الحديث إلى آخره، فتطير الحجاج من ذلك، وانتقلوا إلى قصر آخر.

أقول: ولا ينافي ذلك بأن يكون محمد بن هانئ كان حاضراً، وكان عبد الملك بن عمير حاضراً، وكان الشعبي حاضراً، أو يقول كل واحدٍ هذا القول، ويجاب بما أجيب أصحابه.

[انتهى والحمد لله رب العالمين]

الخاتمة



الخاتمة

بقلم الاستاذ فضيلة الشيخ
محمد كاظم آل شبير الخاقاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تنحدر قوافل البشر سيالة فتقاً بعد رتق من الرحمة المطلقة الفعلية وهي
نفس الرحمن الى ساحة التعيين في الاعيان، خارجة من كتم العدم باذن
موجدها الفياض، تتجلى فيها الانوار جمالاً وجلالاً على اختلاف مراتبها
أداءً لحق ربوبيته، تتخطى الايام في ساحة كونها تسوقها الاقدار قضاء
لحكمته وبياناً لرحمته لترسم جريها في قوسي النزول والصعود طالبة في
عروجها مدارج الابد. وقد جئت في مسيرة الكون أحث السير مع السائرين
بوجد وحنين اصطحب الاجيال لاصبح خيلاً لا يتحدث عنه الركبان ووهماً
لا تحكي وحشة فراقه الوديان، في ديار الحزن والاسى، كاني لم أكن جزت
مع الركب مخاوف الاحلام، وخضت في جنبهم بحور الاوهام وطربت
في كهفهم لوتر الانغام، وقدبت أخاطب النفس بعد ربيع أنسها ومحافل
جهلها قائلاً: لِمَ لا أذكر اليوم في حفل ولا مقام، ولا في جبل أو سهل ولا

في برّ أو بحر؟ اسلمتني كوارث الحدثان لجلسة صمت مؤلمة وغربة ديار
 موحشة وقد كنت من قبل ذلك ابصرت نفسي وأنا على حافة الطريق أساير
 ركب السلام متعثراً الخطى أكبو تارة، وأجدّ السير تارة أخرى، في يوم قدر
 عظيم أخذت فيه العهود وابرمت الموائيق وقيل (للمخفين جوزوا وللمثقلين
 حطّوا) شاهدت فيه أقواماً كنت أظنهم من الأوتاد رأيتهم يهوون الى أسفل
 درك من الجحيم لا يصدّهم عن ذلك عرفانهم ولا يمنعهم منه سواد جباههم،
 ولا يسترهم دونه حنك تيجانهم، يتسابقون الى الهاوية في كل مكان وزمان
 إلا إنهم خلفاء الشياطين باسم رب العالمين.

فقلت: يا الله وملء الحشا حسرة الفراق واشواق الحنين في ديار الغفلة
 بعد الالفه، كيف أصبحت الاجيال فتقاً بعد رتق، وكثرة بعد وحدة وريباً بعد
 جزم وجهلاً بعد علم، وكفراً بعد ايمان وغواية بعد فطرة ثلّة منها اقرت
 لانوار الملكوت وقوامها الاعظم راح يركع لصنم الناسوت.

فوقفت أحدّ النظر في قارعة الطريق متهماً للبصر فيما يرى وللاذن
 فيما تعي، وللعقل فيما يعقل، وللنفود فيما يلمس من حقائق الامور التي
 أضحت تجري مقلوبة على السن العارفين مسايرة لمرضاة الطغاة الجائرين
 وذلك لمساً لواقع امر كاد أن يكون من احاديث الغابرين لمتابعة السلف
 الخاطئين حيث يقول عزّ من قائل: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
 الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن
 يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ آل عمران / ١٤٤.

أجل انه كان انقلاباً على الاعقاب، عم الحاضر والغائب على اختلاف
 مراتب الردة في ميادين الحكمة علماً وعملاً، إلا بعض الأوتاد الذين أرادهم
 الله حجج حق على بريته يرثون النبيين والأوصياء الطاهرين الذين يقول في

حقهم إمام المتقين (بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهراً مشهوراً
واما خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين ذا اولئك والله
الاقلون عدداً والاعظمون عند الله قدرا يحفظ الله بهم حججه وبيناته حتى
يودعوها نظرائهم إلى قوله ﷺ (اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه
آه آه شوقاً إلى رؤيتهم).

هؤلاء لاتعينهم الالقاب التي باتت تتطور بتطور الزمان لانهم مظاهر
القرآن وروح العرفان لاتؤنسهم العناوين ولا تخذعهم مدارج العلم لان
العلماء كثيرون فكم من عالم قتله جهله وعارف بقطب رحي الاسلام
ينتقض عليه فتله في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أجل هكذا يكون نتاج
الجهد إذ غربلت الامم وان هون الخطب على النفس في ميادين الوهم والخيال
ان كل واحد منا يظن واقع الامر حكماً يخص قوماً آخرين. فكم بت أنظر
الى مزالق أقدام كانت مناراً للهدى وسبيلاً للرشاد كيف أضحت ترسم
حجب الغفلة بعد صحو من العيش، كانت فيه النخبة التي انتخبت فكيف
حارت بعد الايمان واسرّت بعد الاعلان، ونكصت بعد الاقدام فملئت من
مشهدهم رُعباً، كاد ان يلقي بي الى هوة حضيض ظلمات اليأس من كبوة
عقبات الاوهام خوفاً من انتقاض الجزم في ميادين العلم والعزم في ميادين
العمل، فقلت يا الله! كيف يأمن أمثالي خواتيم الامور وهامهم أسود الوغى
صرعى في مخالب الذئبان، فوقفت لدهشة المصاب أسلي النفس بهدير
الآهات وأقويّ اللب بسيل العبرات، لا أدري الى أي ركن وثيق أو خفض
سحيق تاخذ بي مطارق الاقدار وتسلك بي مسالك الاسرار التي جف القلم
عند اعتاب مدارجها وأقرّ اللب بالاستسلام عند بعض هضبات عروجها.
أجل وقفت على مصارع اقوام كانوا للحق أنصاراً (قد تحملوا الكد والتعب

وناطحوا الام وكافحوا البهم) انظر اليهم والحزن ملء جوانحي مجزّرين
صرعى في وديان الظلمات كأنهم لم يشربوا من عذب فرات ماء رويّا ولم
يذوقوا من فيض أنوار عسلا نقيا .

بلى والله قد عاشوا في ظل مدرسة حق لاريب فيها لم يشهد لها
الكون من نظير، أعواماً تسطع عليهم أنوار الملكوت، وتنشر في ربوعهم
كنوز اللاهوت . فتركهم في مواطن قتلهم أشلاء تمزقهم الذئبان يأتون يوم
القيامة تحت راية إمامهم قائد المنقلين على الأعقاب، فرحت أتابع السير مع
الاجيال، وهم يتلوا بعضهم بعضاً انظر الى الرايات كأنها السيل المنحدر
تساق الى منازل كدحها ومحافل وجدها، كل منها يظن وقفة الكون اجلالاً
لهيبته وتكريماً لبريق رايته وأنا أنظر الى تهافت المضطهدين تحت أقدام
الجائرين أنينهم جرم وصراخهم كفر وارتداد، وأشهد تكسر اضلاع البؤساء
والمحرومين كيف تهمل في سلة من النسيان وتكون وهماً حتى في محافل
الاديان الا عند عباد الله المخلصين، فكم قد راح يسبح المترفون في بحر من
دماء ودموع اليتامى والمساكين؟! حتى مرّ على هذا المشهد الرهيب اعوام
بات الصمت يخرس حناجر البلغاء الصادقين وفخر التاريخ لأنه يكتب تحت
ظلال سيوف الجبارين والماكرين، وتسلق في هذه الاعوام الذئبان الاعواد
باسم سيد المرسلين ﷺ وأخذ يتسابق الشعراء لمدح قادة المنافقين والعلماء
يوجهون أفعال الشياطين، والخطباء يخطبون طمعاً لما في أيدي الولاة
الظالمين .

وقد شاهدت في هذا المطاف أمراً عجبا كيف أصبح الطليق أميراً
للمؤمنين والطريد وزيراً للخلفاء الراشدين والمتخلف عن نداء الحق مثالاً
للصديقين . فلما أمعنت النظر وجدت الخرق متسعاً بأعين السالكين،

لا تحدده الأزمان ولا تقيد ملاعب خيله المذاهب والأديان، فرجعت بعد رسم الوهم أملاً زهيداً، المس طرفاً من الموازين الحاكمة بواقع أمرها آيساً من كل منطق وعربيد، انظر مواقع النجوم لعلني أشاهد قمراً منيراً حجبته عن الابصار غيوم الأوهام، فرأيت أن صبر الصابرين خير من أمل الآملين لبزوغ شمس الحقيقة قبل صباح المتقين لأنه قد يكون من تسويل النفس طمعاً لرغيف الغاصيين.

وها أنا قد كنت قبل اليوم وقفت وقفة في مسالك السائرين أردد التجوال انظر مواقع الأمور وسير الليالي في مقاطع الدهور، حينما تركت اخوان الصفا بعد التخبط في الظلمات صرعى، حائراً لا أعرف للنجاة سبيلاً حتى ظننت أنه قد انطفأت مصابيح الهدى واستسلمت دعائم الحق لمطارق الكفر والشقي، إذ بي في هذه البرهة من الزمن العضوض اسمع صوتاً يملاً الكون ضجيجاً، يهب فوق أركان الملكوت فتضطرب له الأجساد تحت ثرى الناسوت، وتطير شوقاً لهمس انغامه أصحاب اللب في مسالك اللاهوت وهو يصيح: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك)، من بعدما ودّع ديار الهجرة متوجهاً نحو بيت الله الحرام قاصداً بعد ذلك التحلل من مناسكه شوقاً لاسلافه الكرام وسعيّاً لتحكيم موازين الحق والسلام لما اقيمت الحجة بوجود الناصر.

فاسرع كالطيف يتم الحجة على حشد المسلمين يحث السير نحو كعبة العاشقين وحرم سيد الوصيين وامام الموحدين، وقائد الغر الميامين على أمير المؤمنين عليه السلام فبت أساير ركب السلام وهو يمرّ على صفحات الدهر ليرسم فيها خطى النبيين التي كادت أن تدرس على أيدي الظالمين باسم شريعة سيد المرسلين عليه السلام، فرحت انظر الى كواكب الاسحار مشرقة تطل من

وراء الحجب على مرابع الظلمات يكاد سنا برقها أن يتوّج ظلمة العدم حُلل
الانوار، بلى رحت أكدح مع الكادحين استلهم انغام الازل واستنشق عبير
الجنان يأخذ بي طرب الوصال الى منازل الوالهيّن وينقلني الشوق الى كعبة
العارفين ويقلّبي الوجل عن مضاجع الجاهلين، فقلت سبحان ربي، كيف
يغمض الطرف من يعانق أسرار الملكوت؟

أجل هب ركب السلام مسرعاً يلبي نداء البائسين، ويؤمن روع الخائفين
ويبث نسيم الخلد فوق ديار الناسكين انه لمشهد عظيم، وخطب جسيم،
انقذت منه مشاعل العلم وتعاطفت عنده محامل السلم، فبات يهز أركان
الطاغين ويسكت هدير الظالمين فقلت في أيام فرحتي وسروري وطربي قولاً
يشبه مقالة الشعراء لاؤقف مطيتي لحظة تتاح لي فيها القوى لمتابعة السير :

دعيني ايا سلمى او اللوم فاقصدي	فاني في درب الهوى غير معتد
دعيني ايا سلمى الغرام وغرّدي	بربع فتى احلامه طيف معضد
فكم قد رويانا من أحاديث للهوى	ليال بوجد الواله المتوقد
وصغنا أناشيد الغرام صباة	بدمع كضوء اللؤلؤ المتفرد
فقلت لها صُرم الفؤاد عن المها	ايا سلم من بعد الرشاد المسدد
ولا راح يلهيني بانغامه الهوى	اذا ما استدير الكأس من ناعم اليد
طربت ولم أطرب لخد مورد	ولا هاجني طيف لحساء أغيد
طربت لذكراي البشير ولم أكن	لا طرب الا من مناقب امجد
احن الى ربع به آل احمد	وابعد عن قصر العذول المشيد
فبت يناغيني الفؤاد بحبهم	ويرسم لي من حبهم كل سؤدد
يهيمون طلابا الى المجد والعلي	ويكون اشواق الفراق المبدد
رأيت بني الزهراء للمجد قادة	هداة مع الكرار في كل مشهد
رأيت بني الزهراء والفخر أحمد	هداة لمن قد كان للحق يهتدي

ثم رحت أتابع السير مسرعاً فرأيت كيف راح الحسين عليه السلام يرسم خطى النبيين، التي كادت أن تدرس على أيدي الظالمين باسم شريعة سيد المرسلين عليه السلام قائلاً: (اهلي مع اهليكم ونفسي مع أنفسكم)، ليكون درساً يعرف به دعاة الحق عن الكاذبين على طول مسيرة السائرين، يجسّد عليه السلام بذلك خطى الصدق التي كنا نعيشها في عهد سيد النبيين حيث يقول باب مدينة العلم عليه السلام: (كنا إذا حمي الوطيس لذناب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، وانه عليه السلام كان إذا اشتد الامر جعل أهل بيته درعاً يقي بهم المسلمين فيقول عليه السلام: (تقدم يا علي تقدم يا حمزة تقدم يا فلان ويا فلان) من أهل بيته وبني عمومته، فرأيت كيف كان منهج الصادقين الذين لا يأمرؤن أحداً بشيء إلا من بعد كونهم فيه أسوة للآخرين، ورأيت كيف رسموا خطى الحق بأفعالهم قبل الأقوال.

بلى هكذا كان يتهافت الصادقون الى الجنان قبل السواد الأعظم تحكيماً لموازين العدل وتثبيتاً لقيم الشرع وهذه هي نفس المشاهد التي شاهدنا معالمها في يوم بدر وحنين وأحد والجمل وصفين، لنميز راية الحق من راية الضلال لأصحاب القبب المحصنة ونزال القصور المطنطنة، الذين طالما أكثروا الكلام وخدعوا الانام ليكونوا خلفاء الشياطين يعرفهم طلاب اليقين الذين كانوا آية صدق للمتقين حيث يقول تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت/ ٦٩.

فرحت أتخطى الأجيال على طول الزمن أتأمل في رايات الحق والباطل فعرفت أن لكل من الفريقين مظاهر يعرفها الناظر بفراصة الايمان قبل أن يأتي يوم ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام﴾ أو تكون ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾، لمن شاهد بُعد الحقيقة

للإنسان في أبعاد عالم شهادته وبرزخه وآخرته وإلا فجمع المرائين قد يشوه حقيقة الصادقين .

ثم قلت في نفسي ياعجبا أين كانت جماهير المسلمين حينما بلغتهم الدعوة، وقد جاءوا يعاهدون الله تعالى في بيته الحرام يظهرون له التلبية، فكيف عن داعية الحق تخاذلوا؟ وعن منهج الصواب حادوا حتى ارتفع سدهم المنيع فأخذهم السيل، فابيححت نسائهم وقُتلت أشرافهم واحرقت كعبة العشاق التي كانوا يطوفون حولها بالسنتهم، وأخذت البيعة منهم بانهم عبيد للشياطين بدلاً من عبادة رب العالمين، في حين انهم ماكانوا يترددون في ضلالة الشجرة الملعونة وان كانوا من قبل ذلك للأنفس خادعين وللظلمة باسم النور تابعين .

فآه آه أين طلاب الهوى من امام المتقين وباب مدينة النبيين؟ .

ثم أخذت أساير ركب السلام انظر الى كوكبة من الابرار ليس لها على وجه الأرض من نظير يقدمها خليفة الرحمن وامام الانس والجان، تسير بعزم تزول منه الجبال على قلة العدد وخذلان الناصر . فأمسكت مطيتي، تطوف بي الافكار أعداد القوم كراداً وتكراراً، مخاطباً للنفس هل بات يصدقني البصر فيما يرى؟ أم صرت من جهد متاعب السفر وطول الطريق أعيش خطأ للحس فيما يروي حتى بلغت مرتبة الجزم واليقين بان جمع الهاشميين على كثرة العدد اذا كان يوم العروج وزلزلت الأرض زلزالها يكون متجسداً بسبعة عشر من الفتیان، وان عساكر المسلمين يوم الفرع الأكبر يمثلها في الصدق مايقبل عن الستين!! فارجعت البصر بعد دهشة المصاب كرة أخرى انظر الى الامم وهي تمرّ السحاب على صفحات الدهر تروي بصريح فعلها: (ان الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم

يحوظونه مادرت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون) وانهم على دين ملوكهم يرسمون لهم الحق باطلاً والباطل حقاً وهم على ذلك من الشاهدين . وقد لمست أن بالقوة والسلطان تضييع المقاييس ، فكم من جائر ماكر البسته العامة لسلطانه حلل العظماء والمتقين؟ وكم من سفير حق صادق انزله الدهر منازل المتهمين واجلسه مجالس الخائفين؟

فلما حكّت لي حوادث الايام طرفاً من حقايق الامور وكنت في هذا الحال قد ابصرت حدثاً عظيماً يُطل على مسيرة الامم رغم تاريخها الطويل وهو خروج الحسين عليه السلام ببنيه وأخوته وبني أخيه وجل أهل بيته داعياً للصلاح وسنن النبيين التي اندرست بواسطة الولاة الجائرين باسم سيد المرسلين عليه السلام ، أوقفت عند ذلك مطيتي تاركاً السير انظر ما بين الحرمين مكة والكوفة أتفرس ماذا أصبح يرسم القدر فشاهدت جند الحق والسلام كيف راحوا يرسمون سبل النبيين بافعالهم قبل الاقوال ، يتقدمون ميادين الوغى ليكونوا أسوة نميز بهم الصادقين عن الكاذبين الذين عاشوا الترف والقصور وهم يلقون بأبناء الآخرين الى محارق الموت على عبر التاريخ .

فنظرت إليه عليه السلام فإذا به يخرج من حرم الله تعالى قائلاً: (لان أقتل والله بمكان كذا أحب إليّ من أن استحل بمكة) وفي موضع آخر راح يقول: (إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش) كل ذلك حفاظاً لحرمة وكرامة البيت الحرام وان كان هو المثال الاعظم لرسم حقايق الشرع حتى لا يتعرض أحد بعده لهتك حرم الله تعالى .

فرحت انظر حتى إذا ما أراد الخروج من مكة ناداه أصحاب عمرو بن سعيد -والي مكة-: يا حسين ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرّق هذه الامة؟!

فقال ﷺ: (لي عملي ولكم عملكم وانتم بريئون مما أعمل وأنا بريئون مما تعملون). أجل انه ﷺ ممن إذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً، وكيف لا يكون له عمل الصالحين وأوصياء النبيين، ولهم عمل المفسدين وخلفاء الشياطين.

فعرفت عندها أن التقوى بالسنة عبء الدنيا الماكرين هي السكوت عن معالم الدين حتى تحقق بأيدي الجبارين بمشهد ومنظر من فقهاء السلاطين وإن الجماعة هي الكثرة التي تنعق مع الناعقين التي ذمها الكتاب المجيد في كثير من الآي المبين وإن العصا التي لا يجوز شقها هي عصا المنافقين والظالمين.

وعرفت أيضاً أن المتسلط على الرقاب يكون أميراً للمؤمنين ولو كان في فعله وقوله يجسد خطي الفراعنة الطاغين وإن المخالف له من البغاة المرتدين ولو كان محمداً سيد المرسلين ﷺ.

فيالها من عظيم مدرسة يدرس فيها الشياطين دروس حق بأعين أبناء الدنيا الغافلين. ثم رحت أنظر كتاباً لعمر بن سعيد يعيد فيه الحسين بن علي ﷺ من الشقاق بأعين الجبارين الذي هو شقاق لعبيد الدنيا وجمع الخونة والماكرين المتلبسين بلباس الدين فلما انقضى ذلك الكتاب تأملت بعد ذلك كتاباً آخر أجاب به الحسين ﷺ جمع الظالمين والانتهازيين على طول تاريخ البشر قائلاً: أما بعد فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين.

ولما رأى ابن سعيد كما هو ديدن الظلمة الماكرين أن التهديد لا يثني الحسين ﷺ عن عزمه وإن حجته لا تقاوم حجج الحسين ﷺ حاول أن يدخل من باب آخر مكرراً وخداعاً وهو باب الترغيب واعطاء الأمان.

فأجابه الحسين عليه السلام: إنك دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة.

ثم راح الحسين عليه السلام يخطب الناس قائلاً: أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباده بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله.

فقلت في نفسي: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويابن أمير المؤمنين عليه السلام إن كان الرائي لجور سلطان ولم يغير عليه بفعل أو قول يكون حقاً على الله أن يدخله مدخله فما حال من سولت لهم أنفسهم فأصبحوا يرون جور الجائرين عدلاً وصلاًحاً، وإذا كان عدم التغيير بعد مشاهدة الجور للجائرين مقتضياً لاستحقاق أن يدخل الله الرائي مدخل الظالم فما يكون شأن من يوجّه أعمال الجائرين وهو من العلماء والعارفين ويدعي أن تلك الأعمال من سنن النبيين وخلفائهم الطاهرين.

فأخذ الحسين عليه السلام يجد السير حثيثاً نحو الكوفة وقد كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد أن لقيت حسيناً وقد نزل هو وأصحابه على حكمنا واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً وإن أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون فإن قُتل حسين فاوط الخيل صدره وظهره فانه عاق مشاق قاطع ظلوم.

أجل هكذا يجب أن يرسم الشرع القويم على أيدي ولاة أمراء المؤمنين

من بعدما سقطت قوائم الحق واعيدت سنن الجاهلية في يوم السقيفة باحياء منطق السيف وامانة الحرية حتى أصبح شرعاً يقتدى به على طول التاريخ باسم الدين فكم من سنة أميتت، وآية فسّرت بالشهوات والرغبات وكلام حق أطلق أريد منه الباطل وهكذا....

فرحت أمد الطرف أتابع الايام وهي تسري لهول مطلع عظيم يزداد بذلك القلب اضطراباً يكاد أن يؤدي به ذلك إلى الهلاك حينما صكت مسامع الكون في اليوم التاسع من المحرم عصراً كلمات قائد جيش الضلال عمر بن سعد قائلاً: يا خيل الله اركبي وابشري بالجنة ثم زحف بهم بعد صلاة العصر والحسين عليه السلام جالس على باب فسطاطه حتى مرت به خيل لابن سعد تجول حوله، فقرأ عليه السلام: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ آل عمران/ ١٧٨. وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى جاءهم العباس عليه السلام قائلاً: أن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر وتنظرون.

ولما كان اليوم العاشر من المحرم من بعد ما أطلت الشمس على أراضي كربلاء لتظهر بنورها الوضاء صراع الحق مع الباطل قدّم الحسين عليه السلام أول فداء للحق الذي رسمه قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ولده شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله علي الأكبر قبل كل قتيل من أهل بيته فضلاً عن أصحابه.

وقد بين لنا عليه السلام من هو الامام قائلاً: فلعمري ما الامام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله والسلام.

فبعد هذا المشهد العظيم والخطب الجسيم اعيتني طوارق الدهور

فأبدت لي بعض حقائق الأمور حتى صرت عالماً علم اليقين بأن الحق في هذه الدار باطل والباطل حق وإن حديثها بات يروى بأبخس الأثمان، فعقدت العزم على ترك الام في ميادين جريها ساعياً الى معانقة الكهوف تلبسني لباس العزلة اقضي ماتبقى من قليل صباة الايام بعيداً عن مسالك الانام في ديار الغفلة خوفاً من أن يؤدي بي مواصلة السير الى جري القلم في سوح ملاعب خيل العامة أو الخاصة فاتهم بحيف وعدوان لا تصلحه التوبة ولا تطفئ لظى جمره المثلثة، فأصبح هدفاً لمواقع السهام، ترميني تارة بمخالفة السلف وشق عصا المسلمين بأعين العامة وأخرى بعدم قبول مقالة المشهور بمنظار الخاصة أو الرفض لمناهج الدين والشك في صحة أخبار المخبرين والنقد لحديثهم عن الجبارين بترك القول عن حياة صنوف الخلق أجمعين من أنهم كيف عاشوا وكيف الى مزالق الانحطاط عادوا بعد رقيهم في عهد قائدهم الأعظم وأنه كيف راحت الاقلام تجري لمدح الظالمين أداء لحق الاسخياء المنعمين جزيل العطايا من بيت مال المسلمين.

فاوقفت جري القلم مخافة أن تترى عليّ السهام كشائب المطر حتى اغلظ القلم لي الخطاب وكرّر عليّ العتاب فاطلقت له طرفاً من العنان خجلاً وحياء من أن اتهم عنده بالجبن والنفاق أو بالعجز عن متابعة السباق فراح يجري مقيداً ببعض القيود يرسم سطرّاً من كتاب خطّه القدر بدماء الشهداء والاحرار، فوقفت مبهوراً أكاد أن أكون من المعدمين أنظر جري القلم فيما يرسم من حقائق الأمور ويروي من كوارث الدهور، ويسطر من نوادر المقدور من عجب عجاب لحديث عهد بالاسلام يروي عشرات الألوف من الاخبار التي ما ادعى رواية عشر معشارها السابقون الاولون من المهاجرين والانصار فعلمت أن أمة تصدّق في نقل الحديث مالا يعقل أمرها لمريب في

بقية مسالك الطريق ثم تابعت قراءة الأحرف بدقة وامعان فوجدت فيها أن من لم يبايع السلطان تضرب عنقه قربة لله رب العالمين لأنه يكون من المرتدين ولو كان من أعظم الأوتاد المتقين هذا كله شريطة أن يكون هذا القدر من قضاء العدل كافياً لاطفاء حقد الحاقدين وإلا فمن حق المتهم بعد موته أن يودع في زنزانة الكفر والنفاق وأن تستباح عرسه ليلة قتله لسيف المسلمين تحكيماً لأركان رسالة سيد المرسلين ﷺ، لأن الممتنع من البيعة أصبح من المفسدين في الأرض المحاربين لله تعالى والخلق أجمعين حتى وقفت متحيراً، فقلت أين هذا من بيعة حق بعد نص على رؤوس الأشهاد تزدهم إليها الناس ثلاثة أيام متوسلين ثم يترك المتخلف عن البيعة وإن كان شاذاً نادراً، وهو يمشي مابين صفوف الثائرين تجري عطاياه كبقية المسلمين.

ثم وجدت القلم يرسم ما حكى التاريخ من اجلال لاكابر المجرمين الذين اظهروا في الأرض الفساد وقتلوا العباد وهو يغض الطرف عن حياة المحرومين وأنين الثائرين في سجون الظالمين توجه اليهم التهم وتنال منهم الام جهلاً منهم متابعة لاقلام الخائنين التي جرت لارضاء الفراعنة الجبارين فعرفت أن مابقي من قليل زاهر من حقائق الأمور في بعض سطور التاريخ كان بمشيئة الله تعالى إقامة للحجج وإتماماً للبيان وإلا فتاريخ يكتب لمرضاة الحاكمين يجب أن لا يرسم الا خطى الجبارين ويلبسهم فوق ملابس الانبياء والصالحين.

ولما وجد القلم الجري لرسم مزال اقدام الآخرين مع غض الطرف عن اضطراب قدم النفس في مسالك الهداة المعصومين ﷺ قد يكون حيفاً في محكمة الصادقين راح يرسم كيف تقيدت محافل العلم في مواطن الاستنباط التي هي في غير ضروريات الدين والمذهب وهي الموارد التي فتح

المعصومون أبوابها لجولان خيل السالكن تكريماً لحرية الرأي وتنمية لمسيرة خطى العلم والفقه والاجتهاد لكي لا تصاب الشريعة بالجمود ويبقى الباب مفتوحاً أمام نقد فطاحل العلم لاحتمال اختلاف الآراء أو خطأ البعض منها وراح يرسم أنه كيف أصبح الاستبداد في ميادين العلم سبباً لعدم ابداء الرأي مخافة هجمة العامة بايعاز بعض اصحاب المصالح أو الذين يرون الجزم لآرائهم وخطأ آراء الآخرين وحيلاً لا محل للنقاش فيه حتى جوز البعض لانفسهم العدوان على اكابر العلم وراح يمزق صفوف المؤمنين للمذهب الواحد بدلاً من أن يكون داعية سلام بين الموحدين .

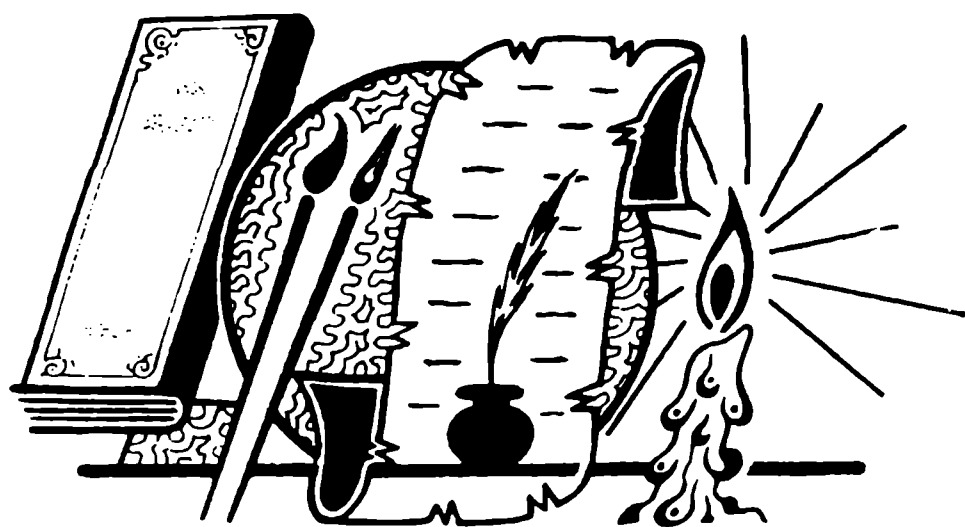
ثم راح القلم يسري ليرسم مواطن كثيرة من مصاديق ما يهب الامير ممالا يملك على حساب الضعفاء والمحرومين والكثير من الامور الاخرى فلماً انتبهت إلى ذلك حاولت أن القي بالنفس على عنانه حتى كففته عن السير خوفاً من أن يكون ذلك مستمسكاً لبعض الجاهلين لإيراد النقد على مسلك الصادقين بدلاً من المتسبين الى الهداة المهديين عليه السلام .

فوقفت في آخر المطاف انظر دنيا الغرور كيف راح ابنائها لثمن بخس يرسمون لوحة الكون طبقاً لمذاق الطاغين وقد راحت الاقلام تشوه التاريخ وتدس الكثير من الاكاذيب حتى كاد أن يكون الكثير منها لا يطابق عقلاً ولا شرعاً، واخذت الكتب تملء من الاوهام والخرافات مما يحتم على السالكن سبل الحق أن ينظروا بدقة وامعان سعيّاً وراء الحقيقة ليمتاز الحق عن الباطل ثم لتبذل الجهود لتفسير التاريخ حتى يصبح بياناً لسيرة المعصومين عليهم السلام وتحذيراً من مسالك الجبارين وفقنا الله تعالى وإياكم لمراضيه إنه ولي التوفيق .

محمد كاظم الخاقاني

قم المقدسة ١ / شوال / ١٤١٨ هـ

فهارس الكتاب



فهرس الجزء الأول

٣	مقدمة الناشر :
٧	مقدمة المحقق :
١٣	مقدمة المؤلف :
٢٣	الفصل الأول : في ذكر شيء من فضائل النبي ﷺ
٤١	الفصل الثاني : في فضائل خديجة بنت خويلد
٥٧	الفصل الثالث : في فضائل فاطمة بنت أسد
٦٥	الفصل الرابع : في امودج من فضائل أمير المؤمنين ﷺ
٨٧	الفصل الخامس : في فضائل فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ
١٣٣	الفصل السادس : في فضائل الحسن والحسين ﷺ
٢٠٧	الفصل السابع : في فضائل الحسين ﷺ الخاصة به
٢٢٩	الفصل الثامن : في أخبار رسول الله ﷺ عن الحسين وأحواله
	الفصل التاسع : في بيان ماجرى بينه وبين الوليد بن عتبة ومروان بن
٢٤٩	الحكم بالمدينة في حياة معاوية وبعد وفاته
	الفصل العاشر : في ماجرى من أحوال الحسين مدة مقامه بمكة وما ورد
	من كتب أهل الكوفة وارسال مسلم بن عقيل الى
٢٧٥	الكوفة ومقتله بها(رض)
	الفصل الحادي عشر : في خروجه من مكة الى العراق وما جرى عليه في
٣١٥	طريقه ونزوله بالطف من كربلاء ومقتله ﷺ

فهرس الجزء الثاني

٣	مقتل الإمام الحسين عليه السلام
	الفصل الثاني عشر: في بيان عقوبة قاتل الحسين عليه السلام وخاذله وماله من
٩٣	الجزء
١٣٩	الفصل الثالث عشر: في ذكر بعض ما قيل فيه من المراثي
١٨٧	الفصل الرابع عشر: في زيارة تربته صلوات الله عليه وفضلها
	الفصل الخامس عشر: في ذكر انتقام المختار بن أبي عبيد الثقفي من قاتلي
١٩٧	الحسين عليه السلام
١٩٩	ذكر نسب المختار بن أبي عبيد الثقفي
٢٣٢	ذكر خروج المختار وقتله قتلة الحسين عليه السلام
٢٥٢	ذكر مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص
٢٧٠	قتل الشمر بن ذي الجوشن
٢٨٩	مقتل مصعب وعبدالله ابني الزبير
٢٩٥	الخاتمة: بقلم الشيخ محمد كاظم الخاقاني
٣١٠	فهارس الكتاب: